رسم المصحف ونقطه

الطَّبعَة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

المكتَبة المكِيَّة
باب العمرة - مكة المكرمة تلفون: ٥٧٤٢٨٢٤/مستودع ٥٣٦٦٢٩٩

دار نور المكتبات
السعودية - جدة - حي السلامة - بجوار جامع الشعيبي
هاتف وفاكس: ٦٨٣٨٠٥١ - ص.ب: ٤٠٣٧٤ - الرمز البريد: ٢١٤٩٩

رسم المصحف ونقطه

تأليف

الدكتور عبد الحي حسين الفرماوي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم
بجامعة الأزهر بالقاهرة وجامعة أم القرى بمكة المكرمة

دار نور المكتبات

المكتبة المكية


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، القائل: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢ ﴾[1].

والصلاةُ والسلامُ علىٰ سيِّدنا ونبيِّنا محمدٍ النبيِّ الأُمِّيِّ الذي بَهرَ الدُّنيا بعُلومِه معَ أنَّه لم يَجلس إلىٰ معلِّمٍ من البشَر قَطُّ، بل ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾[2] مُنذُ أنْ أَنزَل اللّٰهُ عليه: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ﴾[3].

وهو القائلُ ﷺ: «لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي إلاَّ الْقُرْآنَ، فَمَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئاً غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ»[4].

فبدأ تدوينُ ما يَنزلُ مِن القرآن فورَ نزولِه، وبين يدَيْ رسول الله ﷺ والوحيُ حاضرٌ يُراقِب، ولذا قال اللّٰـهُ تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧ ﴾[5].

---

(١) فُصِّلتْ: ٤١ ـ ٤٢.

(٢) النجم: ٥.

(٣) العَلَق: ١ ـ ٣.

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسنَد (١٠٧٣١) كتاب: باقي مُسنَدِ المكثرين، وأصله عند مسلم (٥٣٢٦) في كتاب: الزُّهد والرقائق، من حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ. . .» الحديث.

(٥) الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧.

لذلك كان لهذه القِطَع التي كُتبتْ بينَ يدَيْ رسولِ الله ﷺ مَزِيّةٌ علىٰ غيرها من القِطَع التي كُتبتْ في غير حضرتِه الشريفة .

ومن هذا المنطلَق كان حرصُ سيِّدنا زيدِ بنِ ثابتٍ ـ رضي اللَّهُ عنه ـ علىٰ هذه القِطَع بالذات لَمَّا كلَّفه سيِّدُنا أبو بكر الصدِّيقُ ـ رضي اللَّهُ عنه ـ بجمعِ القرآنِ المكتوبِ في مصحفٍ واحد، ولم يَقبل شيئاً منها إلاّ بشهادةِ رَجلَين .

فقام ـ رضي اللَّهُ عنه ـ بنَسخِ تلك القِطع بمنتهىٰ الأمانة والصِّيانة في المصحف لم يَزِدْ ولم يَنقُصْ حرفاً واحداً .

وفي عهد سيِّدنا عثمانَ بنِ عفَّانَ ـ رضي اللَّهُ عنه ـ سَمِع الصحابيُّ الجليلُ حُذيفةُ بنُ اليَمان في فتوح أَرْمِينِيَةَ وأَذْرَبِيجانَ بعضَ الجُند يَقرأُ: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[1] وبعضُهم يُغلِّطُ أُولئكَ ويقولُ: بل الصوابُ (وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلْبَيْتِ) وكاد بعضُهم يُكفِّرُ بعضاً، فهالَ هذا الأمرُ سيِّدنَا حُذيفةَ، وعاد إلىٰ المدينة المنوَّرة ليقولَ للخليفة عثمانَ: أَدرِكْ هذه الأُمَّةَ قَبلَ أنْ يَختلفوا اختلافَ اليهودِ والنصارىٰ، وقَصَّ عليه ما سَمع، فأَحَبَّ سيِّدُنا عثمانُ أنْ يُعيدَ الناسَ إلىٰ المرجع الموثوقِ به، الذي أَجمعَتْ عليه الأُمَّةُ، وهو المصحفُ الذي كتَبه سيِّدُنا زيدٌ في عهد سيِّدِنا أبي بكر، رضي اللَّهُ عنهم أجمعين .

فدعا زيداً وأَمدَّه بعددٍ من الكَتَبَةِ الثِّقاتِ من قريش، وأَمَره باستنساخ عِدَّةِ نُسَخٍ من ذلك المصحفِ الموثَّق .

فلمَّا أَتمَّ سيِّدُنا زيدٌ هذا العملَ الجليلَ أَرسَل سيِّدُنا عثمانُ إلىٰ كلِّ مصرٍ من أمصار المسلمين مصحفاً موثَّقاً، ومُقرئاً ثقةً، وقال للناس: اعرِضوا ما بأيديكم مِن القرآن المكتوبِ علىٰ هذا المصحف، فما وافَق فأَبقُوه، وما خالَف فحرِّقوه .

---

(١) البقرة: ١٩٦ .

وبهذا حمىٰ سيِّدُنا عثمانُ ـ رضي اللَّهُ عنه ـ الأُمَّةَ من فتنةٍ مُخيفة، بِأنْ رَدَّها إلىٰ المرجع الأصليِّ الذي لا يتَطرَّقُ إليه الشكُّ.

ثمَّ أكرَم اللَّهُ الأُمَّةَ الإسلاميَّةَ بعُلماءَ أجلاَّءَ، خافوا علىٰ تلك المصاحفِ الأصيلة من عَوادي الزمَن، والتلَفِ والضياع، مع أنَّه قد نُسِخ منها ما لا يُحصيه إلاَّ اللَّهُ كثرةً من المصاحف، فقالوا: إنَّ ما في هذه المصاحف موافِقٌ لِما عليه الناسُ من الإملاء في الأغلب الأعمِّ، وهناك مواضعُ خَرجَتْ عن ذلك لِحِكَمٍ منها الجَليُّ ومنها الخفيُّ، وكما أنَّنا متعبَّدون في أحرفٍ من القرآن نقرؤها ونَعتقدُ أنَّها كلامُ الله دونَ أنْ نُدرِكَ ما وراءَها من معانٍ ـ كالحروف المقطَّعةِ في بداية بعض السُّوَر ـ فكذلك نحنُ متعبَّدون بكتابة المصحف بالشكل الذي كُتب عليه بين يدَي النبيِّ ﷺ وأَقرَّه، ولو خالَف في حروفٍ قليلة ما اعتادَه الناسُ من الإملاء.

فقام هؤلاء العُلماءُ باستقراءِ ما كُتِبَ في المصاحف العثمانيَّة، واستخرَجوا منها ما كان مخالِفاً للإملاء المعتاد، وبوَّبوا ذلك في أبوابٍ متجانسة، فأخرَجوا لنا عدداً من المؤلَّفات التي حَوَتْ وَصْفَ ما خالَف فيه رسمُ المصحفِ الإملاءَ المعتاد.

ومعلومٌ أنَّ الأُمَّة قد تلقَّتْ كتابَ ربِّها عن رسولِ الله ﷺ منطوقاً ومكتوباً، لا مكتوباً فقط، ففي خطِّ المصحف: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ التي في أوَّل البقرة مثلاً هي مثلُ ﴿ألم﴾ التي في أوَّل سورة الفيل، معَ أنَّ الأولىٰ تُقرأُ بإجماع: أَلِفْ لاَمْ مِيمْ، والثانية تقرأُ بإجماع: ﴿أَلَمْ﴾ وهذا لا يُعرَف إلاَّ مِن النُّطق النبويِّ.

وهذه المسألةُ وأمثالُها لا تخفىٰ علىٰ صغار أولادِ المسلمين الذين تعلَّموا في الكُتَّاب الهجاءَ العربيَّ وهجاءَ المصحف الشريف، فلم نَرَ ولم نسمعْ أنَّ واحداً من هؤلاء الأشبالِ المسلمين قرأ ﴿الصَّلٰوة﴾ مثلاً: (الصُّلُوه) بل كلُّهم

يقرؤها: (الصَّلاة) وذلك بعدَ أن تعلَّم قاعدتَها وتدرَّبَ علىٰ يَدَيْ أُستاذِه.

وحيثُ إنَّه في الأربعينيَّاتِ من القرن العشرين تقريباً قلَّت ـ بلِ انعدمَتْ ـ في عددٍ من البلاد العربيَّة تلك الكتاتيبُ وحلَّ مكانَها ما يُسمَّىٰ بمراحل (الروضة) و(التمهيديِّ) وما صاحب ذلك من ضعفٍ في العناية بتلاوة القرآن العظيم، فنشأَتْ أجيالٌ لا تعرِفُ تلاوةَ القرآن الكريم؛ لأنَّها لم تَعتَدْ ولم تتدرَّبْ عليها.

فمِن هنا بدأت تظهرُ دعَواتٌ لكتابة القرآن العظيم بالإملاء المعتاد، وتركِ الرسم النبويِّ (المعروفِ بالعثمانيِّ).

وحُجَّةُ هؤلاءِ المُطالبين بذلك هي التيسيرُ علىٰ الناس، حتىٰ لا يقَعوا في أخطاءٍ أثناءَ تلاوتهم لكتابِ الله تعالىٰ.

وغفَل المطالبون بذلك عن أنَّ القرآنَ العظيمَ كتابُ الله سبحانه وتعالىٰ، فهو معجِزٌ بلفظهِ وخطِّه ومعناه، لا تنقضي عجائبُه.

واللَّهُ تعالىٰ يُطلِقُ علىٰ كلامه القديم المنزَّلِ علىٰ قلب نبيِّنا محمدٍ ﷺ أحياناً لفظَ (القرآن) وهو النصُّ المقروء، وأحياناً أخرىٰ لفظَ (الكتاب) وهو النصُّ المكتوب.

وكم مِن آيةٍ في القرآن العظيم اقترَن فيها لفظُ (نزَّل) أو (أنزل) بلفظ (الكتاب) فكما أنَّ الوحيَ كان ينزلُ علىٰ النبيِّ ﷺ بألفاظِ القرآن كان ينزلُ عليه بكتابتِه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾[1].

والمقصودُ باليمين يدُ الكاتبِ الذي يكتبُ بأمر النبيِّ ﷺ.

---

(١) الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧.

وقد بحثَ هؤلاءِ ـ الداعِين إلىٰ كتابةِ المصحفِ بالإملاء الحديث ـ عن سنَدٍ يعتمدون عليه في تثبيتِ رأيهم فلم يجِدوا أحداً من علماء الأُمَّة أجاز مخالفةَ رسم المصحف إلاَّ ما ذكرَه الزَّركَشيُّ (ت٧٩٤هـ) في كتابهِ (البرهان في علوم القرآن) ناسباً للعزِّ بنِ عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ) فتوىٰ بعدَم جوازِ كتابة المصحفِ علىٰ الرُّسوم الأولىٰ، ونصُّ كلام الزركشيِّ: «وقال الإمامُ أحمدُ رحمه الله: تحرمُ مخالفةِ خطِّ مصحفِ عثمانَ في ياءٍ أو واوٍ أو ألفٍ أو غيرِ ذلك.

قلتُ: وكان هذا في الصدر الأوَّل، والعلمُ حيٌّ غضٌّ، وأمَّا الآن فقد يُخشىٰ الإلباسُ؛ ولهذا قال الشيخُ عزُّ الدِّين بنُ عبد السلام: لا تجوزُ كتابةُ المصحفِ الآن [كذا] علىٰ الرُّسوم الأولىٰ باصطلاح الأئمَّة؛ لئلاَّ يوقعَ في تغيير مِن الجهَّال.

ولكن لا ينبغي إجراءُ هذا علىٰ إطلاقه؛ لئلاَّ يؤدِّيَ إلىٰ دُروسِ العلم، وشيءٌ أحكَمتْه القُدماءُ لا يتركُ مراعاتُه لجهل الجاهلين..» اهـ[1].

ولنا مع هذا النصِّ وقَفات:

١ ـ أيُعقلُ أن يخرِق سلطانُ العلماء العزُّ بنُ عبد السلام (ت٦٦٠هـ) ما أجمعَتْ عليه الأُمَّة خلالَ سبعةِ قرونٍ من وُجوبِ اتِّباع رسم المصحفِ الإمامِ وهو العالمُ المتبحِّرُ الورعُ، المعروفُ بمواقفِه الجليلة في الذبِّ عن حِياض الدِّين ومقدَّساته؟!

٢ ـ ثمَّ هل هذه العبارةُ: «لا تجوزُ كتابةُ المصحفِ الآن [كذا] علىٰ الرُّسوم الأولىٰ باصطلاح الأئمَّة؛ لئلاَّ يوقع في تغيير مِن الجهَّال» أقول: هل هذه صياغةُ عالم فقيه؟!

---

(١) البرهان للزركشيِّ ١/ ٣٧٩.

٣ ـ ثمَّ ما المقصود بـ«الآن» حتىٰ يُبنىٰ عليها حكمُ عدَمِ الجواز؟

٤ ـ وهل كان اتِّباعُ رسم المصحفِ واجباً عند علماء الأُمَّة ثمَّ صار «الآن» لا يجوز؟!

٥ ـ وهل تصِلُ جرأةُ كاتبِ هذا النصِّ إلىٰ التصريح بأنَّ ما يدعو إليه مخالفٌ لـ«اصطلاح الأئمَّة»؟!

٦ ـ ثمَّ ما هذا التعليلُ لعدم جوازِ كتابة المصحفِ (الآن) علىٰ الرسوم الأولىٰ باصطلاح الأئمَّة؟ وهل مراعاةُ حالِ الجُهَّال تكونُ بتغييرِ كتابةِ المصحفِ الشريف الذي أجمعَتْ عليه الأُمة سبعةَ قرونٍ إلىٰ زمانِ العزِّ أم تكونُ بتعليمهم؟

٧ ـ وهل ظهر الجهَّالُ فجأةً في المائة السابعة أم إنَّهم موجودون علىٰ مَرِّ الدُّهور وكَرِّ العصور؟!

٨ ـ ثمَّ افرِضْ أنَّ العزَّ أراد أن يراعيَ حالَ الجُهَّال فهل يكونُ هذا بأن يُفتيَ بـ«لا تجوزُ كتابةُ المصحفِ الآن علىٰ الرُّسوم الأولىٰ باصطلاح الأئمَّة» أم بأن يقولَ مثلاً: تجوزُ كتابةُ المصحفِ علىٰ ما أحدَثه الناسُ من الهجاء مراعاةً لحالِ الجُهَّال؟!

سؤالاتٌ تطرَحُ نفسَها علىٰ النصِّ السابق، الذي لا لاحقَ له ولا سابق.

والذي ظهر لي ـ وأكادُ أجزِمُ به ـ أنَّ هذه الفتوىٰ قد صُحِّفتْ عن قصدٍ أو عن غير قصد علىٰ العزِّ بنِ عبد السلام، وأنَّ كلمةَ «الآن» تحريفٌ لكلمة «إلا» أُقحِمت عليها نونٌ، فقَلَبَتْ معناها رأساً علىٰ عَقِب، ولو أعدنا نصَّ الفتوىٰ علىٰ هذا التقدير لصارت: «لا تجوزُ كتابةُ المصحفِ إلاَّ علىٰ الرُّسوم الأولىٰ باصطلاح الأئمَّة؛ لئلاَّ يوقعَ في تغيير مِن الجُهَّال».

فإذا تأمَّلنا هذا الكلامَ وجدناه متمشِّياً مع إجماع الأمة علىٰ وُجوبِ اتِّباعِ

رسم المصحف، وعلىٰ وُجوبِ التأسِّي بالرُّسوم الأولىٰ باصطلاح الأئمَّة، وحينئذٍ تصيرُ عبارةُ: «لئلاَّ يوقعَ في تغيير من الجُهَّال» ذاتَ معنًى من حيثُ إنَّ فتحَ هذا الباب في كتابة المصحفِ علىٰ الإملاءِ الحديث لا يقفُ عندَ حدٍّ، فقد يكتبُ الناسُ علىٰ اصطلاحٍ معيَّن في عصرٍ من العصور، ثمَّ بعد ذلك بقرونٍ يَعِنُّ لهم تغييرُ ذلك المصطلَحِ إلىٰ آخرَ بما سيحدثُه الناسُ من تطوُّراتٍ حضاريَّة وهكذا يضيعُ النصُّ الأصليُّ وتدخلُ الرِّيبة والشكُّ إليه.

والظاهرُ ـ واللَّهُ أعلم ـ أنَّ نصَّ هذه الفتوىٰ قد وقع للزَّركشيِّ محرَّفاً ولم ينتبه إلىٰ ذلك، وهو معَ هذا قد استَشكله؛ ممَّا جعلَه مُضطرّاً للتعليق عليه بقوله: «ولكن لا ينبغي إجراءُ هذا علىٰ إطلاقه؛ لئلاَّ يؤدِّيَ إلىٰ دُروس العلم، وشيءٌ أحكَمتهُ القُدماءُ لا يُترَكُ مراعاتُه لجهل الجاهلين» اهـ.

وما زال العلماءُ والباحثون إلىٰ يومنا هذا يستشكِلون فتوىٰ العزِّ كما أوردَها الزَّركشيُّ ويلتمِسون لها الأعذارَ والتأويلاتِ الباردة.

وقد بحثتُ عن فتوىٰ العزِّ هذه في فتاويه فلم أجدها، وبحث عنها قبلي الدكتور: غانم قدُّوري الحمَد فلم يجدها، قال في كتابه رسم المصحف: «وقد حاولتُ العُثورَ علىٰ رأي ابنِ عبد السلام هذا في أحدِ كُتبِه الثلاثة المطبوعة: (الفوائد، والإشارة، وقواعد الأحكام) فلم أُوفَّق» اهـ[1].

وقد جاء كتابُ (رسم المصحف ونقطُه) للأستاذ الدكتور عبد الحيِّ الفرماويِّ جامعاً لكلِّ ما أُثيرَ حولَ هذه المسألة من نقاش، بأسلوبٍ علميٍّ بعيدٍ عن لُغة الخطابة والتهويش، يَقرَعُ الحُجَّة بالحُجَّة، ويَدمغُ الشُّبهةَ بالبرهان، ويُجلِّي غوامضَ هذه المسألة، فجزاه اللَّهُ تعالىٰ خيراً عن القرآن وأهلِه، وأجزل له الأجرَ والمثوبة.

---

(١) رسم المصحف ص٢٠٠.

وإنَّني ـ واللَّهِ ـ لأقلُّ مِن أنْ أضعَ تَقدِمةَ كتابٍ عظيمٍ لمؤلِّف عظيم، ولكنِّي فعلتُ ذلك امتثالاً لطلبِ إخواني في (دار نور المكتبات) بارك الله فيهم، فقد عُرفوا بطباعةِ الكتاب القرآنيِّ ونشرِه في هذا الزمان الذي قلَّتْ فيه الرغبةُ في اقتناء الكتبِ ومطالعتِها، فلهم منَّا خالصُ الدعواتِ بالتوفيق والاستمرار علىٰ هذا النهج المَرْضيِّ.

وصلىٰ اللَّهُ علىٰ سيِّدنا ونبيِّنا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

جُدَّة: ٩/ ١١/ ١٤٢٤هـ

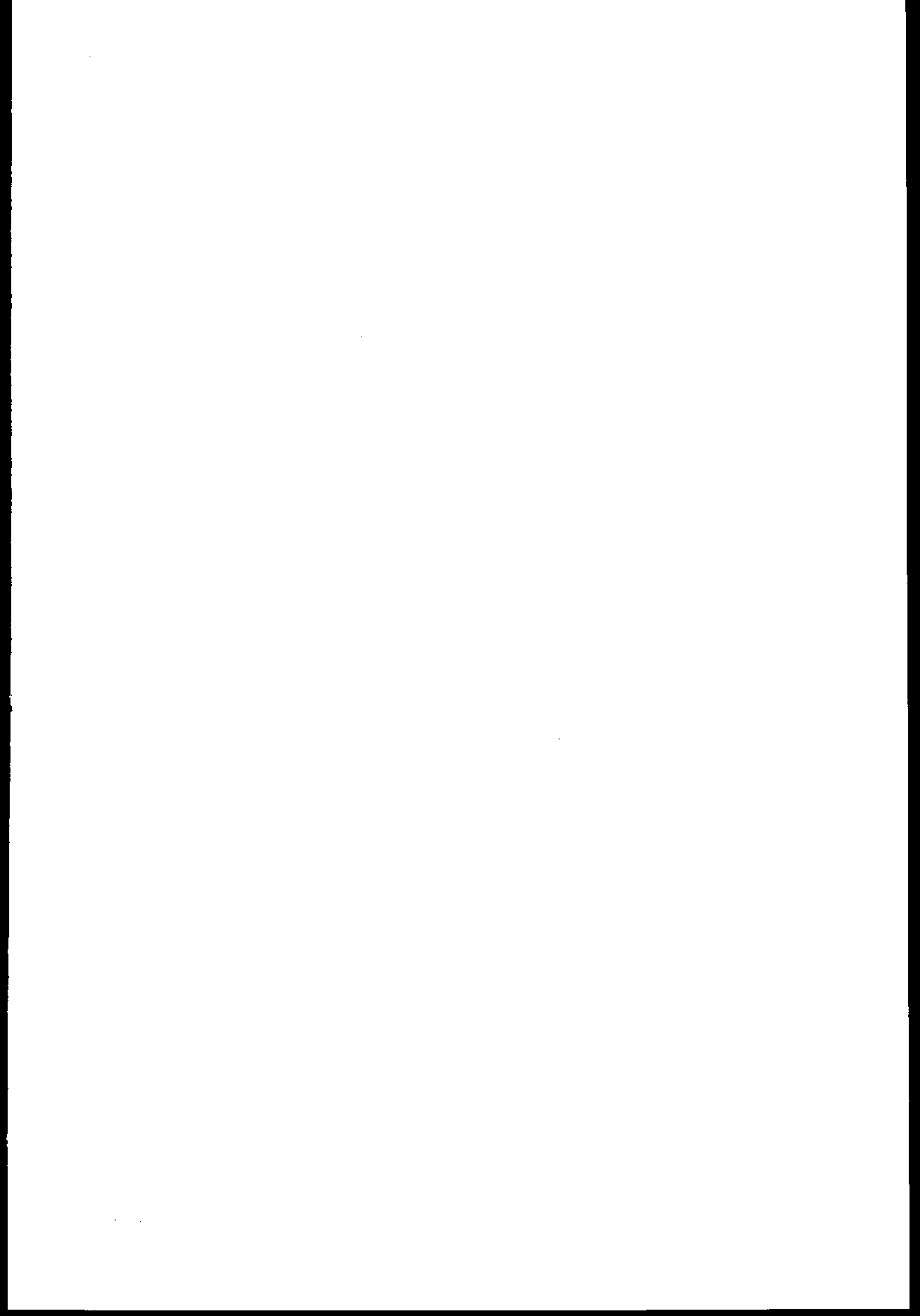
الموافق: ١/ ١/ ٢٠٠٤م

خادم القرآن الكريم

د. أيمن رشدي سُويد



﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾



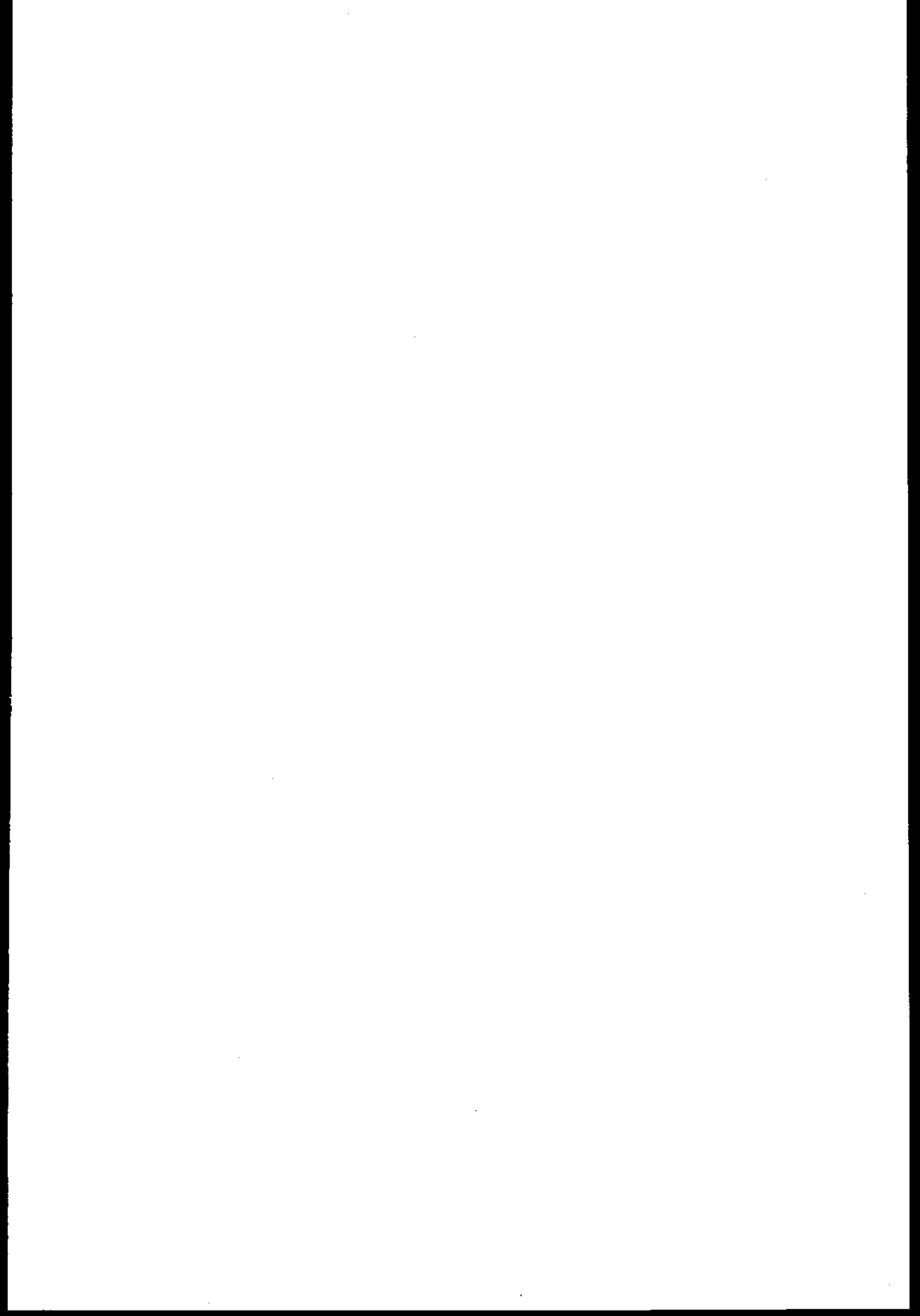
هذا البحث

عبارة عن الرسالة التي تقدم بها الباحث لنيل درجة الدكتوراة من قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر بالقاهرة، عام ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م.

وقد أشرف على الباحث خلال إعدادها الأستاذ الدكتور أحمد السيد الكومي رئيس القسم المذكور ـ عليه رحمة الله تعالى ـ.

ونوقشت بقاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر يوم الاثنين ٨ من المحرم ١٣٩٥ هـ الموافق ٢٠ من يناير ١٩٧٥ م.

ونال بها الباحث درجة (العالمية) الدكتوراة في التفسير وعلوم القرآن الكريم بمرتبة الشرف.



تقديم

نزل القرآن الكريم على النبي الأمي ﷺ، فكان محل العناية العظمى، والأهمية الكبرى، من أوليائِـهِ وأعدائه، كل يسلك منهجه، ويرجو مبتغاه.

اعتنى به أولياؤه منذ نزوله: فوعته صدورهم، وسجلته أناملهم في كتبهم وسطورهم، وبلغت الحيطة في حفظ نصه الشريف المقدس أن أعيدت كتابته مرات متعددة، حتى وصل إلينا على هذا النحو الذي بين أيدينا، وكان في كل مرة من مرات الكتابة هذه، تشكل اللجان، وتتخذ القرارات، والتوصيات، وتتم إعادة الكتابة تحت الإشراف، والمراقبة الدقيقة.

ومنذ وقتها: والدراسات حول القرآن الكريم، وعلومه الوفيرة، تترى وتملأ الآفاق، وهو البحر الذي لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي ـ على مر الزمان ـ رغائبه، ولم يحظ أي كتاب سماوي، أو غير سماوي، بما حظي به القرآن الكريم من الدراسات فيه، وعنه، وحوله.

والمكتبات العربية، وغير العربية، هي الشاهد ـ المعترف به عند الجميع ـ على ذلك بوفرة ما فيها عنه من الدراسات.

واعتنى به ـ أيضاً ـ أعداؤه: زمن سيدنا محمد ﷺ، نعم اعتنوا به. . . حيث حاربوه فهزمهم، وعارضوه فأعجزهم ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨ ﴾[1]، ولم

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

يمنعهم عنادهم، أن يقول فيه كبيرهم الوليد بن المغيرة فيما أخرجه الحاكم عن ابن عباس «إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته»[1]، والفضل ـ كما يقولون ـ ما شهدت به الأعداء.

ومنذ وقتها ـ أيضاً ـ وعناية الأعداء به، واهتمامهم بأمره يزداد، حتى رأينا في عصورنا هذه معاهد الاستشراق في البلاد الغربية، وغيرها، تكرس معظم جهودها، وأبحاثها، عن القرآن الكريم، وعلومه، ونرى أناساً منهم يقضون معظم حياتهم، في دراسات حول القرآن الكريم، وبحوثه، وتاريخه، وتفسيره، وما أشبه ذلك، وقلّ بين هؤلاء المنصف..!!

وأصبحت مكتباتهم عامرة، قد يفوق بعضها مكتباتنا في هذه الدراسات، وغدا بعض طلاب العلم في جامعاتنا يتلقون العلم في هذا المجال، على أيدي هؤلاء، الذين تبحروا، وأفنوا حياتهم حول الدراسات القرآنية.

بيد أنه مما تجدر الإشارة إليه، والتنبيه عليه: أن الأعداء منذ فجر الإسلام، أدركوا أن قوة المسلمين في الاعتصام بحبل الله، والتجمع حول كتابهم المقدس، الذي يمدهم بأسباب القوة، والنجاح، والعلم، والنصر، والحذر من كل دخيل وغادر، أدركوا ذلك جيّداً، وصرح به كثير من زعمائهم[2]، وانصرف الكثير منهم ـ وفقاً لمخطط مرسوم ودقيق ـ إلى النيل من الإسلام، وكتابه المحفوظ من لدن حكيم خبير، وزين لهم الشيطان ذلك بطرق خبيثة، خفية، يريدون بها، أن يطفئوا نور الله، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كرهوا.

---

(١) الإتقان، ص: ٤ ـ ٥.

(٢) انظر: الجمع الصوتي ص ٤٧٩ وما بعدها وانظر: كتيب «قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله».

من أجل ذلك كتبت الدراسات الهادفة المضلِّلة، وترجم القرآن الكريم، ترجمات حرفية، سقيمة، مشوهة، محرفة، وزيفت التشريعات القرآنية، كل ذلك وغيره ـ في ثوب من العمل الدءوب، والمظهر الجاد، والأسلوب التجريبي، والعرض البراق الخادع، حتى اختلط الأمر على كثير من الدارسين لهم، وفشا الاعتماد عليهم، وموه ثمينهم على غثهم الذي دسوه.

ومن الدعوات ـ الهادفة المضلِّلة ـ التي قامت لفصل المسلمين عن كتابهم المقدس: الدعوة إلى العامية، التي كان من نتائج تخطيط أصحابها، أن أصبح العربي ـ الآن ـ لا يعرف لغة أخيه العربي في البلد الآخر، وفشا هذا الداء في كثير من البلاد العربية، حتى أصبحت كل بلد لها عاميتها، أما لغتها العربية فهي في الكتب، والمحافل الدراسية فقط.

ووصل الحال إلى درجة تقدم معها ـ ويا للأسف ـ بعض أبنائها من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، في جلسته المنعقدة بتاريخ ٢/٢/١٩٤١م باقتراح، ينادي فيه بأن تكتب اللغة العربية بحروف لاتينية؛ لأن حالها ـ كما يقول في مقترحه المطبوع: «حال غريبة، بل أغرب من الغريبة، لأنها مع سريان التطور في مفاصلها، وتخْتِيتها في عدة بلاد في آسيا وأفريقيا إلى لهجات لا يعلم عددها إلا الله، لم يدر بخلد أية سلطة في أي بلد من تلك البلاد المنفصلة سياسياً أن تجعل من لهجة أهله لغة قائمة بذاتها، لها نحوها وصرفها، وتكون هي المستعملة في الكلام الملفوظ وفي الكتابة معاً، تيسراً على الناس، كما فعل الفرنسيون والإيطاليون، والإسبان، أو كما فعل اليونان، لم يعالج أي بلد هذا التيسير».

«ثم يقول: وبقي أهل اللغة العربية من أتعس خلق الله في الحياة»(١).

---

(١) انظر: تيسير الكتابة العربية (اقتراح عبد العزيز باشا فهمي).

هذا ـ أيها القارىء الكريم ـ هو حال اللغة العربية، التي لا يصونها من عبث العابثين، وخبث الماكرين، سوى القرآن الكريم، الرابطة، والصلة، والحبل المتين، بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

إذن!! فليس من طريق لفضّ اعتصامهم حول هذه اللغة التي تصون لهم عزتهم، وقوتهم، سوى العمل على تغيير لغة القرآن الكريم تدريجياً.

وكانت الخطوة القريبة جداً من هدف الأعداء، والتالية للدعوة للعامية هي الدعوة لأن يكتب المصحف الشريف بالرسم الإملائي الحديث بدعوى أن الناس يخطئون في قراءته.

فهم يحبون ـ كما يزعمون ـ أن ييسروه على الناس، ونسوا أن الناس يقرؤونه كذلك، منذ أربعة عشر قرناً والحمد لله، ونسوا كذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ فكان بتيسير الله تعالى غني عن تيسيرهم ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾[1]. ونسوا كذلك أن الترخص في رسم المصحف، قريب ـ على نحو ما ـ من أسلوب التحريف الذي عمدت إليه إسرائيل أخيراً[2].

بيد أنه إذا ما تم لهم ذلك وفق مخططهم ـ وأَلِف الناس كتابة القرآن بالرسم الإملائي، الذي لا يستقر له قرار، وانقطعت الصلة تماماً بينهم وبين رسم المصحف، أو أصبح رسم المصحف ـ على أحسن الفروض ـ رسم الخاصة، «ويقرؤه ـ في مشقة وبغير فهم ـ باقي المسلمين، كما هو الشأن في القبطية، في كنائس الأرثوذكس، أو اللاتينية، في الكنائس الكاثوليكية»[3].

(١) سورة القمر، الآيات: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

(٢) انظر: ص ٢٩٠ من هذا البحث.

(٣) الجمع الصوتي ص ٢٨٣، ٤٨٤.

وعم ذلك في جميع الأقطار والأمصار الإسلامية، والهوة بين «طرق الإملاء العادية التي تختلف باختلاف أقطار المسلمين، بل قد تختلف باختلاف جوانب القطر الواحد»[١]، أمكن لهم ـ حينها ـ أن يأتوا ببدع، ودعاوى جديدة، يهيج لها الناس ويثورون آناً ويسكتون ـ كما يظنون ـ ولتكن هذه الدعوى ـ مثلاً ـ هي كتابة القرآن باللغة العامية؛ ليعمم، أو اختصاره ليسهل حفظه[٢]، أو كتابته بالحروف اللاتينية، لتسهيل تلاوته على عارفي هذه الحروف، أو كتابته بالحروف الصينية ـ مثلاً ـ لتيسير قراءته على الصينيين، أو كتابته بالحروف اليونانية لليونان[٣].

هذا وقد ساعدهم على الجهر بمزاعمهم، لتغيير رسم المصحف، وأمَّلهم في نجاحها، أنَّ المطالع للمصاحف التي توجد في أيدي المسلمين بالأقطار المختلفة يجد أن خطوطها ليست برسم واحد، فهي: ـ

١ ـ إما بالرسم العثماني.

٢ ـ وإما بالرسم المغربي، وهو نفس الرسم العثماني، مع تصرف في نقط بعض الحروف، مثل القاف، إذ تكتب بنقطة واحدة من فوق.

٣ ـ وإما بالرسم الإملائي المعروف.

* * *

من هنا كان ميلاد فكرة هذا البحث.

والحقيقة التي لا ينبغي أن أخفيها، أنني حين أقدمت على العمل في هذا البحث، كنت خالي الذهن إلا من الاقتناع بفكرة التسهيل والتيسير، ولذلك كنت أميل إلى فكرة كتابة المصحف بالرسم الإملائي، حتى كشف ليَ البحث

---

(١) انظر: مقدمة المصحف الميسر للشيخ عبد الجليل عيسى.

(٢) تاريخ المصحف. حفني ناصف، مقدمة كتاب في قواعد رسم المصحف.

(٣) رسم المصحف د. لبيب السعيد ص ٢٨.

به مقتنعاً، والعمل به مؤيداً، إلى معارض لهذه الأفكار، ومدافع عن رسم المصحف، ومحبذ لوجوب اتباعه، والالتزام به، وكان ذلك نتيجة للقراءة المتأنّية، والاقتناع الحر، والبحث العلمي، بعيداً عن العواطف والاندفاع الذي قد يظن بمدافع عن مثل هذا الموضوع.

ولقد دفعني لاختياره ـ فوق ذلك ـ محلاً لدراستي، الأمور التالية:

أ ـ إجلال كتاب الله تعالى، والتقرب من ساحته بهذه الدراسة التي تتعلق برسم كلمات هذا الكتاب العزيز.

ب ـ تساؤلات كثيرة ـ لم أحسن التعبير عنها صغيراً، ولم أعرف الإجابة عليها كبيراً ـ كانت تستلفت نظري في كتابة المصحف الشريف.

جـ ـ لما كانت هذه الدعوات، التي أشرت إليها، تتخذ الطابع العلمي، لتمويه غرضها، ولأنه أسلوب يخدع به الكثيرون، أحببت بهذه الدراسة ـ علمياً ـ أن أتبيَّن، وأبيِّن، موقف أصحاب هذه المزاعم من جادة الصواب، وعللهم التي يتمسكون بها، حسب المنهج العلمي، الذي يبتغي ـ كما يقولون ـ الحقيقة فقط.

فضلاً عن أن الكثير ممن تكلموا في هذا الموضوع كانت أغراضهم تتضمن من بعيد أو من قريب، بالتصريح، أو بالتلميح، الطعن في عمل أصحاب رسول الله ﷺ.

والكثير منهم ـ أيضاً ـ يعلنون آراء ساقطة، وهدامة، في هذا الموضوع، وهم ليسوا من أهل الرأي، ولا ممن يعتد بهم علمياً في هذا المجال ولكنهم ـ في مجتمعنا هذا ـ لهم الكلمة، ولصوتهم السماع.

د ـ يقول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1] وفرقة

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

المسلمين في رسم كلمات كتابهم المقدس، مما راعني، وأفزعني.

فحاولت جاهداً ـ محاولة الباحث المنصف، المحايد ـ البحث عن الحل الأمثل الذي به يتحقق للمسلمين ـ المتخالفين في رسم القرآن الكريم ـ وحدتهم، واتفاقهم على رسم واحد، يتبعونه في طبع المصاحف، في مشارق الأرض ومغاربها وليتحقق لهم ـ أيضاً ـ الاقتداء بسنة محمد ﷺ، والإعتصام بحبل الله المتين، وحماية كتاب الله تعالى من تحريف الغالين، وإبطال المبطلين.

* * *

وفي هذا البحث:

حاولت ـ قدر المستطاع ـ عند تناولي هذه الدراسة: أن يكون لي من الأسلوب سلاسته، ومن العرض وضوحه ودقته، ومن المنهج استقلاله، ولآراء الغير مني، حسن الفهم، وأمانة النقل، وصراحة العزو.

وأسجد لله تعالى شاكراً أن وفقني في:

١ ـ التوصل إلى الجديد في كثير من نقاط هذا البحث وقضاياه.

٢ ـ تذليل كثير من العقبات التي صادفتني خلال إعداد هذا البحث الدقيق، الحساس، المليء بالصعاب المنهجية، والقضايا العلمية.

* * *

وكان منهجي ـ الذي سرت فيه مستعيناً بالله تعالى ـ في تناول هذا الموضوع بالدراسة:

هو تقسيم البحث إلى أبواب ثلاثة، مع مدخل إليه، وخاتمة له، ثم كشافات ستة لمحتوياته.

(أ) وفي المدخل:

تناولت بالبيان: «حال الكتابة العربية قبل الإسلام، وإبّان ظهوره» في مباحث خمسة.

وقد توصلنا من هذا المدخل بمباحثه الخمسة إلى:

(١) أن الكتابة كانت شائعة في هذا الحين بين العرب، لدرجة وجود المتعلمين والمعلمين بأعداد كبيرة، تمكن معها بعضهم من إجادة الكتابة، والتخصص في فنونها، وأيضاً إجادة بعض النساء للكتابة درجة تمكنَّ فيها من تعليمها لغيرهن.

(٢) أن كتّاب رسول الله ﷺ، كانوا حاذقين فن الكتابة، بارعين في إجادته، متقنين لقواعده.

وأنه كان له ﷺ ـ بينهم ـ من يجيد بعض اللغات الأجنبية ـ كالفارسية، والرومية، والقبطية، والحبشية، والعبرية ـ وكان بين هؤلاء من يقوم له ﷺ، بالترجمة التحريرية بل كذلك الفورية في حضور الأجانب، ألا وهو زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(٣) أن الإسلام حينما أشرقت شمسه على الجزيرة العربية حارب فيما حارب من العرب «أميتَهم»، وعمل جاهداً على استئصالها من قاموس صفاتهم، لكي يؤهلهم للجهاد الأكبر، الذي لا تسير هذه الصفة في قافلته، وهو الجهاد الفكري في سبيل نشر الدعوة الكبرى، التي غيرت، وسوف تغير كل ملامح الجزيرة، ومنها هذه الصفة التي تتنافى وعالمية الدعوة الإسلامية، إن هي ظلت بهم لاصقة.

وقد بينا ذلك جلياً بتوضيح موقف الإسلام من الكتابة.

(٤) إلى أن صفة «الأمية» كانت سائدة، وصادقة على العرب قبل

الإسلام بمعنى عدم القراءة والكتابة، لا بمعنى «الوثنية» كما يصرح بذلك الدكتور ناصر الدين الأسد، وقد قمنا بالرد عليه، مع توضيح موقف بحثنا من معنى الأمية.

(ب) وفي الباب الأول:

تناولنا الحديث عن «رسم المصحف» في أربعة فصول:

الفصل الأول: رسم المصحف وكتابة القرآن الكريم خلال جمع القرآن.

الفصل الثاني: رسم المصحف والقراءات.

الفصل الثالث: سمات وخصائص رسم المصحف.

الفصل الرابع: طباعة المصحف ورسومه الحالية.

ففي الفصل الأول بمباحثه الأربعة كان حديثنا عن كيفية كتابة القرآن الكريم، وطريقة ذلك في عهد النبي ﷺ، وفي عهدي أبي بكر، وعثمان رضي الله عنهما، مبينين أن رسم المصحف كان نصب أعينهم فيما يهدفون إليه خلال الجمع في المرتين الأخيرتين.

وفي الفصل الثاني بمباحثه الثلاثة: كان الحديث عن طريقة عثمان رضي الله عنه في رسم المصاحف، مبينين أن هذه الطريقة هي التي تسببت في تسميتنا لرسم المصحف حتى الآن بالرسم العثماني، وهذه التسمية ليست لابتكار عثمان هذا الرسم، أو اصطلاح الصحابة عليه في عهده حين نسخهم المصاحف.

وفي نفس الفصل بينا أيضاً علاقة رسم المصحف بالقراءات، مقسمين لها بالنسبة لرسم المصحف، كما قسمها العلماء سلفاً بالنسبة للسند، موضحين موقف القراء من هذا الرسم، وجعلهم إياه ركناً من أركان القراءة الصحيحة، بل حفاظهم على الوقف عليه لبيان كيفية هذا الرسم، فيما يوقف عليه.

وفي الفصل الثالث: بمباحثه الثلاثة:

تحدثنا عن أنواع الخط الثلاثة الإملائي، والعروضي، والعثماني، وكذلك عن مؤلفات العلماء في رسم المصحف بالاستعراض السريع لبعض هذه المؤلفات، ثم قمنا في المبحث الثالث ـ وهو هدف هذا الفصل ـ بتقسيم تفصيلي لسمات وخصائص رسم المصحف، مع التمثيل والشرح والتعليل لبعض أسرار هذه السمات.

وفي الفصل الرابع:

كان الحديث عن طباعة المصحف، منذ بداية ظهور المطابع في ألمانيا عام ١٤٣١م، ثم ظهور أول طبعة للمصحف في مدينة همبرج بألمانيا نفسها، حتى وقتنا هذا، كاشفين الغطاء عن اهتمام المسلمين بالمصحف الشريف، ورسمه الذي كان يتأرجح في عالم الطباعة بين الإملائي، والعثماني، حتى أصدرت مشيخة الأزهر في عام ١٩١٧م قراراً بتحريم طبع، وتداول، بل مصادرة أي مصحف في مصر مطبوعاً بغير الخط العثماني.

وما زالت إدارة الثقافة والنشر بمجمع البحوث الإسلامية تعمل جاهدة لتنفيذ هذا القرار، حيث تمنع تصاريحها لأي ناشر يرغب في طبع المصحف، إلا إذا كان مكتوباً بالرسم العثماني.

(جـ) وفي الباب الثاني:

كان التناول الوافي، والكشف الجديد بخصوص نقط المصحف وشكله.

وقد قسم هذا الباب إلى فصلين:

الفصل الأول: النقط والشكل قديماً، أي قبل المصحف.

والفصل الثاني: النقط والشكل في المصحف.

ففي الفصل الأول: تبين لنا أن النقط والشكل قديم جداً، فقد كان

الشكل الإعرابي، في كثير من اللغات السامية: كالسريانية، والعبرية، والآرامية، والأكَّادِيَّة، وكذلك في العربية، منذ القدم القديم.

وأن نقط الإعجام وضع مع ابتكار الخط العربي نفسه، حيث يبعد أن تكون الحروف العربية، مع تشابه صورها عَرِيَة عن النقط إلى حين نقط المصاحف.

مع التدليل على ذلك، وعلى أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعرفون نوعي النقط هذين ـ نقط الإعراب، ونقط الإعجام ـ بقاطع الدليل من النقوش الكتابية التي كشف عنها المنقبون عن الآثار، مبينين موقف الصحابة رضوان الله عليهم من النقط حين كتابة المصاحف، ومعللين لتجريدهم حروف المصحف من النقط حينها، وذلك ـ فوق غيره من الأسباب التي بينها البحث ـ حتى يحتمل رسم المصحف كل ما صح نقله، وثبتت تلاوته عن رسول الله ﷺ.

وبما توصل البحث إليه في هذا الفصل: يكون كل ما قام به التابعون في نقط المصحف ما هو إلا إحياء لشيء قديم، كان تركه مقصوداً لغاية معينة، وإن كان ذلك لا يقلل من عظمة جهودهم التي بذلوها في نقط المصحف على ما سنرى في الفصل الثاني.

الذي يحكي لنا القصة الشيقة، الممتعة، التي تميط اللثام عن الجهود المتواصلة لخدمة القرآن الكريم، ورسمه، والمحافظة عليه من لحن الأعاجم، وعجمةِ الأعراب، وذلك بوضع النقط والشكل في المصحف وتستغرق هذه القصة الرائعة مباحث ستة:

تحكي لنا ثلاثة منها:

المراحل الثلاثة لوضع النَّقْط والشكل في المصحف.

فالمرحلة الأولى: وهي التي قام بها أبو الأسود الدؤلي، حيث وضع

الشكل الإعرابي، على أواخر الكلم فقط، ثم عَمَّمَهُ نصر بن عاصم، على كل حروف الكلمة.

والمرحلة الثانية: وهي التي قام فيها نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، بوضع نقط الإعجام في المصحف الشريف.

ولما كان النقط كله مُدَوَّراً، فارقوا حينها بين نقط الإعراب ونقط الإعجام بالتخالف بين مدادَيْهما.

ولما لم يقطع هذا التخالف دابر الخطأ، بل أوقعهم أكثر في المشقة والحرج في استعمال الألوان المتعددة!!

كانت المرحلة الثالثة: وهي التي قام فيها الخليل بن أحمد الفراهيدي بالمفارقة بينهما بشيء غير لون المداد، فقد قام بتغيير نَقْط الإعراب من النَّقْط المُدَوّر إلى هذه الجرَّات العلوية والسفلية، الماثلة بيننا، والتي نستعملها حتى الآن.

وفي المباحث الثلاثة الأخرى: تناولنا بالشرح والتوضيح ألوان النقط ـ حينها ـ ثم كيفية نقط المصاحف أول الأمر حسب القراءات المتنوعة، ومدى اتباع الناس للنقط أول الأمر، أو كراهيتهم لذلك، والحديث عن المؤلفات في هذا العلم النفيس.

وختمنا الفصل بموضوع اختلفت فيه المراجع، وتخالفت فيه ـ أيضاً ـ التوفيقات بين ما في هذه المراجع.

وذلك حيث تخالفت المراجع في نسبة أولية وضع النقط إلى أبي الأسود، أو نصر بن عاصم، أو يحيى بن يعمر، وقد أنهينا ذلك كله بتوفيق يتضح مما قدمناه لحضراتكم من تلخيص لهذا الفصل.

(د) أما في الباب الثالث:

فقد تجاذب الحديث مؤيدو رسم المصحف، ومعارضوه، في خمسة

فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: رسم المصحف بين التوقيف والاصطلاح.

الفصل الثاني: اتباع رسم المصحف.

الفصل الثالث: مزايا رسم المصحف.

الفصل الرابع: شبهات حول رسم المصحف.

الفصل الخامس: مزاعم حول رسم المصحف.

ففي الفصل الأول: تم بسط القول في وجهتي نظر، وأدلة كل من القائلين بأن رسم المصحف توقيفي، والقائلين بأنه اصطلاحي.

وقد تكشف لنا من مناقشات الفريقين أن حجج القائلين بأنه توقيفي عن رسول الله ﷺ هي الأقوى في ميدان الحديث عن نوع شرعية هذا الرسم.

وفي الفصل الثاني ـ والحديث فيه كالنتيجة للفصل الأول ـ حيث تناول البحث مذاهب العلماء في اتباعهم لرسم المصحف ـ بناءً على آرائهم السابقة ـ أو عدمه، ثم بيانهم لحكم مخالفة رسم المصحف، وحكم طباعة المصحف بغيره، إلى ذكرهم فوائد اتباعه والالتزام به.

وفي الفصل الثالث: ذكر المتبعون مزايا لهذا الرسم، وفوائد تكفل الفصل بشرحها وتوضيحها، ومناقشة بعض المعترضين عليها.

وفي الفصل الرابع: تصدى البحث إلى الدفاع عن رسم المصحف وتنزيه ساحة الصحابة من الخطأ في رسمه، بالرد على بعض الآثار التي وجدت في بعض الكتب، قد يستغلها المغرضون للطعن في القرآن الكريم، ودقة كتابته، خاصة: وأن هذه الآثار منسوبة إلى بعض كبار الصحابة.

والذي توصلنا إليه ـ أيها القارىء الكريم، كما سترى ـ أنها شبه واهية

جداً، لا تصل ـ ولا يمكن لها ـ إلى درجة الطعن في دقة عمل الصحابة، وتحريهم إرشادات النبي ﷺ، ومتابعتهم الواعية، لإملائه الشريف عليهم، وكذلك: يقظتهم، وفطنتهم، ودقتهم، خلال كتابة القرآن الكريم ـ وعدم الخطأ فيه وفي رسمه، في المرتين التاليتين للكتابة الأولى في عهد النبي ﷺ.

وفي الفصل الخامس بمباحثه الثلاثة:

كانت جولتنا الأخيرة مع المزاعم التي ينادي بها بعض المغرضين، ويروج لها الكثير من المخلصين وغير المخلصين، عن قصد سيء، أو حسن، أو عن غير قصد.

وقد انقسم أصحاب هذه المزاعم كما توصل البحث إلى:

(أ) من ينادي بكتابة المصحف بالرسم الإملائي، وإهمال الرسم العثماني كلية، وهذا هو «الزعم الأول».

(ب) ومن ينادي بكتابة مصحفين، أحدهما بالإملائي للعامة، والثاني بالعثماني للخاصة، وهذا هو «الزعم الثاني».

(جـ) والثالث: من ينادي بكتابة المصحف لا بهذا ولا بذاك، بل بكتابته بغير العربية أصلاً، فهو ينادي بكتابته بالحروف اللاتينية.

وفي مجال الحديث مع أصحاب الزعم الأول: كشفنا لهم عن وجه الحقيقة في الصعوبات التي يتخيلونها في اتباعهم لرسم المصحف، وأنها في الحقيقة ليست سوى موجة من الكسل والتراخي الديني، ونشطة في التقليد ورغبة في التجديد، مسايرة لروح العصر، خطأ كانت مسايرتهم أو صواباً، ولكنها عندهم هدف. وكشفنا ـ أيضاً ـ المضار في ترك هذا الرسم إلى غيره، وأخطر هذه المضار، ضياع القراءات التي يحفظها لنا هذا الرسم ـ وهو ركن ثالث من أركان قبول القراءة الصحيحة ـ من الضياع، وأنها إذا لم تحفظ ضاع القرآن بالتالي.

أما الزعم الثاني: فقد أبنّا وجه الخطأ فيه، مع ما فيه من تقسيم للأمة الواحدة من حيث كتابة كلمات ربها، وقراءتها، فضلاً عن أن رسم المصحف ـ حسب زعمهم ـ مع مرور الأيام لن يوجد إلا في بطون المخازن، وسراديب المتاحف، ودور الكتب. ويعود الأمر إلى ما في الزعم الأول من مخاطر.

أما صاحب الزعم الثالث: فهو الأستاذ عبد العزيز فهمي، الذي ينادي بكتابة المصحف، وغيره من العربية، بالحروف اللاتينية. كما سبقت الإشارة.

وقد فشل اقتراحه، وكان ذلك كافياً لأن أضرب صفحاً عن التعرض لمقترحه، إلا أنني بعد أن قرأت هذا الاقتراح، وردود أعضاء مجمع اللغة العربية عليه، لم أجد من تصدى منهم للدفاع عن رسم المصحف بصفة خاصة، لذا أحببت أن أفعل هذا الذي تركوه، وهو في نفس الوقت سد لثغرة هامة مفتوحة في جبهة الاعتراضات على مقترحه العام.

فضلاً عن أن وجود هذا الهجوم والطعن على رسم المصحف، في كتاب مطبوع، دونما ردود عليه، يجعله عرضة لأن يقع في أيدي المغرضين أو الساذجين، وقد يستغل المغرضون أباطيله، كما قد ينخدع الساذجون بزيف أقاويله.

لذلك: كان في ذكرنا هذا الزعم، ومناقشته، قطع لأطماع المغرضين، بل حماية الساذجين، رجاء أن يتوب الأولون، وأن يفيق الأخيرون.

(هـ) وفي خاتمة البحث:

كان التلخيص الشديد والإشارة الخاطفة إلى: أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

ثم كانت وصيتي التي أرفع عقيرتي بها من فوق منبر هذه الجامعة

العتيقة إلى الله سبحانه وتعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وصائبة لخدمة كتابه الشريف أولاً.

وثانياً: إلى كل من بيده تنفيذها من أولي الأمر.

وتتلخص في:

أولاً: تكوين لجنة من علماء المسلمين ـ المتخصصين في علمي القراءات ورسم المصحف ـ يمثلون جميع الطوائف والمذاهب الإسلامية، في جميع أنحاء العالم الإسلامي: تكون مهمتها الإشراف على طبع المصاحف في كل البلاد الإسلامية، بحيث لا يتم طبع ـ أو إعادة طبع ـ أي مصحف إلا بتصريحها، مع توفير كل الإمكانات القانونية التي تمكنها من ذلك.

ثانياً: أن تكون كتابة المصحف بالرسم العثماني طبقاً لما أقره مؤتمر علماء المسلمين الرابع والخامس بمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة في طبعه كاملاً، أو في طبع أجزاء منه، مع عدم التصريح باستعمال الرسم الإملائي إلا إذا كان لبعض الآيات ضمن كتب تعليمية، أو لغرض اقتباس بعض الآيات أو الاستشهاد بها، مع مراعاة ما تراه اللجنة بخصوص ذلك.

ثالثاً: العمل بكل السبل الممكنة على تعميم التلقين الشفاهي، حيث إن القرآن الكريم لا يكتفى فيه بالتلقي من السطور وحدها، بل لا بد مع هذا من التلقي الشفاهي حتى يتحقق ـ على الأقل ـ اتصال السند برسول الله ﷺ، وهناك من الوسائل الفعالة في ذلك، فوق سهولته، وموافقته لمشاغل العصر، المصحف المرتل، الذي جاهد من أجله وثابر وصبر رجل مؤمن من المعاصرين الآن، حتى وصل إلى أن تفرد له الإذاعة محطة خاصة، بين موجاتها، ألا ذلكم الرجل هو الدكتور لبيب السعيد، وهو صاحب فكرة

المصحف المرتل، وصاحب كتاب «الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم».

أقول:

إذا كان أصحاب الدعوات والمزاعم التي يتقدمون بها في مجال رسم المصحف وتغييره، صادقين في نواياهم، فليوجهوا دعواتهم إلى تعميم هذه الوسيلة للتلقين الشفاهي في المدارس وجميع دور التعليم - في هذا البلد الإسلامي - بدل تعميم موسيقى «الفالس» و«الجاز» و«التويست». . . . إلخ. . . إلخ.

وأن يخلقوا في الناس الرغبة في تلاوة القرآن الكريم، ويوجهوهم إلى أيسر الطرق، بدل أن يعبثوا - معهم - في البحث عن تغيير رسم المصحف.

ولو خلقت الرغبة لتمكن كل إنسان من القراءة - دونما خطأ أو تعثر - بفضل هذا المصحف المرتل.

وما وجدته بنفسي في فلاح بسيط يتلو في كتاب الله تعالى المرسوم بالعثماني، متابعاً القارىء من محطة القرآن الكريم، دونما وقوع في الخطأ، ليقطع على كل متنطع طريق الهروب من ساحة رسم المصحف.

وليوجهوا دعواتهم إلى أن تكثر الحكومة من إهداء اسطوانات هذا المصحف المرتل، إلى جميع المؤسسات، بل البلاد الإسلامية، حتى يكون - بجانب كونه وسيلة للتلقين الشفهي - رسولاً وداعية إلى توحيد طبعات المصحف في جميع أنحاء العالم، وتذويب الفوارق بين الرسم العثماني والإملائي، والمغربي.

هذه هي توصيتي، وهو رأيي، الذي أقدمه على استحياء، مبتغياً به وجه الله تعالى، وخدمة كتابه الكريم، وهو الذي قادني إليه البحث، وهدتني

إليه الرغبة الصادقة في العمل على توحيد صفوف المؤمنين حول رسم كلمات القرآن الكريم.

فإن أكن ـ فيه، وبه ـ قد أصبت، فهو توفيق الله تعالى، وليس لي فيه أي شيء إذ الكل لله تعالى، مالك الملك، وهو المستعان، والمعين، فبقدرته كتبت، وبتوفيقه وصلت.

وإن تكن الأخرى.

فحسبي. . . !! أنني ابتغيت بهذا العمل وجه الحق تعالى، وأعرف: أن من ابتغى الحق خالصاً لوجه الله تعالى، فأخطأ، فله ـ بتفضل من الله تعالى ـ على ما بذل أجر.

ويعزيني ـ أيضاً ـ ما أعرفه: من أن الحياة كلها متاعب، ولأن نعاني متاعبها، ونحن نجاهد ونصعد نحو الحق، ونسلك طريقة، خير من أن نعانيها، ونحن ننحدر نحو الباطل، ونتردى في مهاويه.

وأضرع إلى الله تعالى ـ دائماً ـ أن يجعل كل كلمة كتبتها، وكل رأي أبديته، على صفحات هذا البحث، خالصاً لوجهه تعالى.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾.

ولا يفوتني أن أسجل صادق شكري، وكريم ثنائي إلى:

كل من ساعدني في هذا البحث، بالتوجيه، أو بالاستماع ـ لي ـ والمعاونة، أو بالنقد والمناقشة.

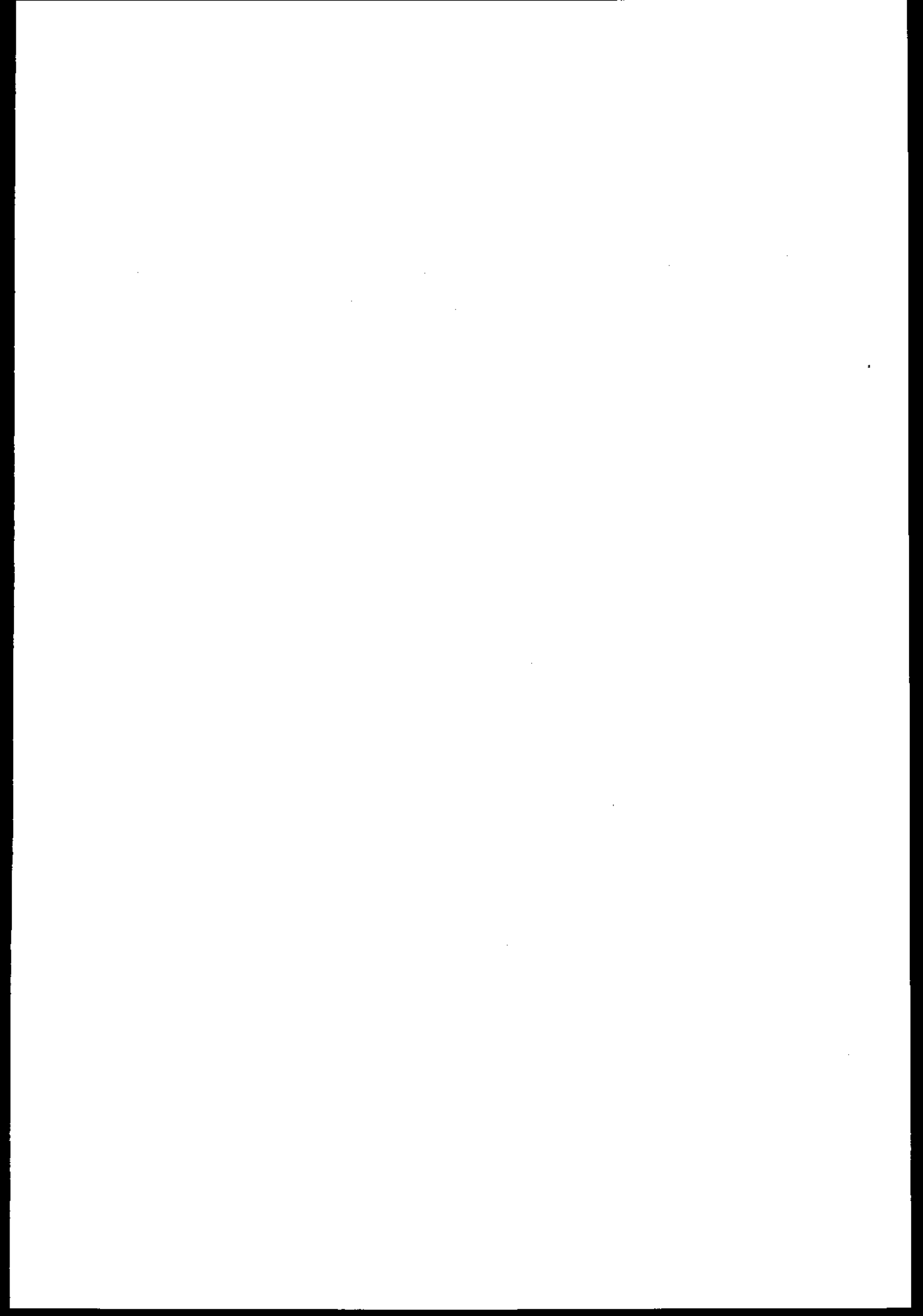
وأخص بالتقدير: القلب الرحيم، والعقل الوثاب، الوالد الحنون، والمعلم الجليل:

الأستاذ الدكتور أحمد السيد الكومي.

الذي شمل بحثي: وافرُ علمه، وثاقبُ رأيه، وحسنُ توجيهه، وكريمُ تشجيعه.

هذا:

و﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾.



مدخـــل

حال الكتابة العربية قبل الإسلام، وإبان ظهوره

* ـ تمهيد

١ ـ المبحث الأول: أصل الخط العربي.

المطلب الأول: نظرية التوقيف.

المطلب الثاني: النظرية الجنوبية.

المطلب الثالث: النظرية الشمالية.

المطلب الرابع: النظرية الحديثة.

المطلب الخامس: النتيجة.

٢ ـ المبحث الثاني: شيوع الكتابة قبل الإسلام، وإبّان ظهوره.

المطلب الأول: الكتابات العامة.

المطلب الثاني: المعلمون: من الرجال والنساء.

المطلب الثالث: معرفتهم للّغات الأجنبية.

المطلب الرابع: كتّاب رسول الله ﷺ.

٣ ـ المبحث الثالث: دخول الكتابة إلى مكة والمدينة.

المطلب الأول: دخولها إلى مكة.

المطلب الثاني: دخولها إلى المدينة.

٤ ـ المبحث الرابع: موقف الإسلام من الكتابة.

المطلب الأول: موقف القرآن الكريم.

تمهيد

من الذائع، والمسلم به، أن سيدنا رسول الله ﷺ، أول من عمل على إذاعة ونشر الكتابة، وتعلمها وتعليمها، بطريقة عامة ورسمية. كما سنبين ذلك.

ولكن قبل النبي ﷺ.

ماذا كان حال الكتابة. . ؟

هذا ما سوف نتعرض له في بعض الصفحات التالية.

ولذا، فالكلام هنا، كلام عن شيء محلي، ويمكن أن توصف الجهود التي بذلت لتعميم الكتابة في هذه الفترة، إنها جهود فردية، وإن كان يطبعها أحياناً، الطابع الجماعي، كما سنرى.

وهذه الفترة في تاريخ الكتابة العربية، هي التي تناولها كثير من الباحثين[١]، بالدراسة، والنقد، والتحليل، وخرجوا من ذلك كله، بأنها مع كثرة التناول هذه، ما زالت غامضة[٢]، وذلك راجع إلى أن تاريخ العرب في جاهليتهم، لم يقيد كتابة، وكل ما سجل عن تاريخهم، إنما هو اقتباس من

---

(١) انظر: العرب قبل الإسلام ص ٣٣.

(٢) وليس الخط العربي وحده، هو ما يحيطه الغموض في نواحي: أصله، مصدره، كيفية نشوئه، (تطور الكتابة العربية ص ١٤).

نتف يسيرة، ترد في أشعارهم، أو تصديق لروايات، قد تكون محرفة، لأنها لا تحمل أدلة جازمة بصدقها معها[١].

ولا بدّ لنا من التعرض لهذه الفترة، وإلقاء بعض الضوء عليها، إذ في معرفة تاريخ الكتابة في هذه الفترة، معرفة لتاريخ الكلمات التي كتب بها القرآن الكريم، وليس بغريب، ولا بكثير على القرآن الكريم أن تدرس هذه الفترة من تاريخ الكتابة، التي تمهد للقرب من ساحته الشريفة، ودراسة الرسم الذي كتبت به كلماته المقدسة. وكان سبيلنا إلى ذلك هو تقسيم هذا المدخل وفق البيان السابق، وطبقاً لما يلي:

(١) انظر: العرب قبل الإسلام ص ١٦، تاريخ القرآن د. شاهين ص ٦١.

المبحث الأول

(أصل الخط العربي)

وأصل الخط العربي، مشكلة في التاريخ معقدة، تناولها كثير من المؤرخين بالرواية تارة، والتخمين أخرى، ويرجع ذلك إلى أن تاريخ الشعب العربي في الجاهلية ـ كما سبق ـ وعلاقاته آنذاك بالشعوب الأخرى من حوله، لم تقيد كتابة، وكل ما ورد منها نتف يسيرة جداً، أثبتها الشعراء في قصيدهم، أو تناقلها الرواة محرفة، ومزيدة على مر الأجيال، إلى أن جاءت إلينا غامضة، متناقضة[(١)].

ونقدم في هذا المبحث: فكرة سريعة عن النظريات التي يراها العلماء في أصله، دون التعرض لنشأة هذا الخط، أو كيفية اقتباسه، مخافة الخروج عن الهدف الأساسي للبحث، وفيما يذكر من النظريات التالية، ما يوصّلنا إلى مبتغانا: ـ

المطلب الأول: نظرية التوقيف.

ويرى أصحاب هذه النظرية[(٢)]: أن الخط الذي كتب به العرب توقيفي

---

(١) تاريخ القرآن د. عبد الصبور شاهين ص ٦١.

(٢) انظر: الجهشياري ت ٣٣١هـ في الوزراء والكتاب ص ٢٢١.
ابن النديم ت ٣٨٥هـ في الفهرست ص ١٢، ١٣.
ابن فارس ت ٣٩٥هـ في الصاحبي ص ٧.
الداني ت ٤٤٤هـ في المحكم ص ٢٦.
الزركشي ت ٧٩٤هـ في البرهان ١/ ٣٧٧.

=

من الله سبحانه وتعالى، على خلاف بينهم، فيمن أُوْحِيَ إليه بهذا الخط، ففي بعض الروايات: أنه إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وفي بعض آخر: أنه الجلجان بن الموهم.

ودليلهم:

قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ ﴾[2]، وإذا كان كذلك، فليس ببعيد أن يوقف آدم وغيره من الأنبياء عليهم السلام، على الكتاب، فإما أن يكون مخترع اخترعه من تلقاء نفسه، فشيء لا نعلم صحته إلا من خبر صحيح[3].

وأصحاب هذه النظرية: هم الذين ينظرون إلى الإنسان بعين الشك والارتياب، ويحسون ضعفه وهوانه، فينسبون الأشياء الجبارة إلى الإرادات العليا، والمقادير الخفية[4].

وهذه النظرية، لا تحظى بتأييد العلماء.

فهذا ابن النديم: يستبعد ما قاله كعب الأحبار ـ فيما رواه الجهشياري ـ من أن أول من وضع الكتاب بالعربية إسماعيل عليه السلام، ويبرأ إلى الله تعالى منه[5]، وهذا لأن ذلك في نظره أقرب إلى الأسطورة، منه إلى التاريخ العلمي، ومع ذلك. فلم يتخلص ابن النديم نفسه ـ فيما رآه ـ من روح

= القلقشندي ت ٨٢١هـ في صبح الأعشى ٣/ ١٠، ١١.
السيوطي ت ٩١١هـ في الإتقان ٤/ ١٤٥.

(١) سورة العلق، الآيتين: ٤ ـ ٥.
(٢) سورة القلم، الآية: ١.
(٣) انظر: البرهان ١/ ٣٧٧ وهامش نفس الصفحة.
(٤) تطور الكتابة العربية ص ١٤، ١٥.
(٥) الفهرست ص ١٢، ١٣.

الأسطورة أيضاً[1].

أما ابن العربي: فيضعفها من وجهة نظر علمية، فيقول عن الروايات التي نقلها أصحاب هذه النظرية: «وهذه كلها روايات ضعيفة، ليس لها أصل يعتمد عليه فيها»[2].

وكذلك: ابن خلدون ـ في مقدمته ـ ينتقدها بقوله: ان الخط من جملة الصنائع المعاشية[3]، «فهو على ذلك، ضرورة اجتماعية، اصطنعها الإنسان، ورمز بها للكلمات المسموعة».

المطلب الثاني: النظرية الجنوبية (الحميرية):

أما أصحاب هذه النظرية: فالخط العربي عندهم، مشتق من «المسند» الحميري، الذي بلغ أصحابه في دولة التبابعة من الحضارة، والترف، مبلغاً كبيراً، ومن السلطان السياسي ما فرض ثقافتهم على غيرهم من الأمم، ولذا فقد انتقل خطهم، ـ وهو المسمى بالخط الحميري ـ منها إلى الحيرة، لما كان بها من آل المنذر، نسباء التبابعة في العصبية، والمجددين لملك العرب بأرض العراق، ولم يكن الخط عندهم من الإجادة كما كان عند التبابعة، لقصور ما بين الدولتين، وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها، قاصرة عن ذلك، ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش.

ويقال إن الذي تعلم الكتابة من الحيرة: هو سفيان بن أمية، ويقال: حرب بن أمية.

وهذه النظرية ـ مثل سابقتها ـ لا تحظى من العلماء إلا بالنقد.

---

(١) تاريخ القرآن د. شاهين ص ٦٢ والهامش أيضاً.

(٢) أحكام القرآن ٤/١٩٤٦.

(٣) انظر: عبد الرحمٰن بن خلدون ص ٢٧٤.

ذلك أن البحث العلمي ـ كما يقولون ـ أثبت خطأ هذه النظرية عندما عقدت المقارنة بين ما اكتشف من النقوش الحميرية في اليمن، والنقوش العربية الأولى، إذ لم توجد بينهما أية علاقة.

كذلك: فإن الخط «المسند» منفصل الحروف، والخط العربي، الذي انتهى إلى قريش، ليس كذلك، كما يعترف ابن خلدون نفسه، الذي يؤيد هذه النظرية.

والمعتقد تاريخياً: أن النقوش «الحميرية» الجنوبية، لم تجاوز في رحلتها نحو الشمال ـ في أثر سلطان اليمن السياسي ـ بلاد اليمن[١].

فضلاً عن أن «اللغة العربية التي نعرفها اليوم، متميزة عن العربية الجنوبية، التي حملت لنا حضارة اليمن القديمة»[٢].

المطلب الثالث: النظرية الشمالية (الحيرية).

ومؤداها[٣]: أن ثلاثة نفر من «بولان»، قوم من «طيء»، كانوا يسكنون «بقة» (وهي من بلاد ما وراء النهر) وهم:

مرامر بن مرة.
وأسلم بن سدرة.
وعامر بن جدرة.

اجتمعوا، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية، فتعلم منهم قوم من أهل الأنبار، ثم تعلم عن هؤلاء نفر من أهل «الحيرة»، ومنهم إلى بشر بن

---

(١) قصة الكتابة العربية ص ١١ وما بعدها.
(٢) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة. ص ١٦.
(٣) انظر: أبو داود السجستاني في المصاحف ١/ ٤، ٥.
أبو العباس البلاذري في فتوح البلدان القسم الخامس ص ٦٥٩.

عبد الملك الكندي، ومنه ـ حين مجيئه إلى مكة للتجارة ـ إلى حرب بن أمية وابنه سفيان بن أمية، وأبي قيس بن مناف، إذ علمهم الهجاء، وأراهم الخط فكتبوا، وذهب الثلاثة إلى الطائف، فأخذه عنهم، غيلان بن سلمة الثقفي، وتعلم الخط منهم ـ هناك ـ نفر من أهل الطائف، ثم ذهب بشر إلى ديار مضر، فتعلم الخط عنه نفر منهم، ثم رحل إلى الشام، فتعلم الخط منه أناس هناك.

وهكذا عرف الخط بتأثير بشر والثلاثة الطائيين، عدد لا يحصى من الخلق: في العراق، والحجاز، وديار مصر، والشام[١].

وهذه النظرية: وإن كانت هي المشهورة[٢]، فهي الموافقة لما كانت عليه حال الكتابة في الطائف.

ولكننا نجد أن الدكتور عبد الصبور شاهين: يلاحظ على رواية البلاذري ـ وهي أقدم روايات هذه النظرية ـ أنها تجعل من بشر بن عبد الملك ـ هذا بطل الصناعة، الذي تولى نشرها في جزيرة العرب[٣].

ويقول الأستاذ إبراهيم جمعة: «إن كثيراً مما في هذه النظرية مستساغ، إلا أن الإنسان لا يكاد يفهم، لماذا يناط انتقال الخط العربي، بشخصية بشر بن عبد الملك الكندي، الذي تجعل منه الرواية: جائلاً كلف نفسه مشقة الانتقال إلى أرجاء مترامية، من شبه الجزيرة العربية، يعلم الخط، وهو ذلك الأرستقراطي المترف[٤]، الذي لا يجول لهذا الغرض...».

---

(١) قصة الكتابة العربية ص ١٢.

(٢) انظر: مناهل العرفان ١/ ٣٥٥، المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٣٣٥، البيان ص ٢٣٧، فصل الخطاب ص ١٤.

(٣) تاريخ القرآن ص ٦٤.

(٤) ذلك أن بشراً هذا هو أخو (الأكيدر) صاحب (دومة الجندل).

ثم يقول:

«ومعنى ذلك ـ أيضاً ـ أن الكتابة العربية، لا بد أن تكون قد رحلت إلى الحجاز في خواتيم القرن الخامس الميلادي».

ثم يقول:

وإن صح أنه كانت لمرامر بن مرة، وأسلم بن سدره، وعامر بن جدره، جهود في اقتطاع خط يكتب به العرب، فلا تعدوا جهودهم هذه أن تكون ابتكاراً لخط استعاروه من الأنباط، الذين كانوا يرحلون في إقليم حوران، إلى حوض الفرات الأوسط، . . . على أن الشك يعتور أسماءهم ذاتها.

إلى أن يقول:

والحق أنه يصعب: أن يقوم ثلاثة من طيء بمهمة (أكاديمية) شاقة، كهذه، لمجرد الرغبة في توفير خط يكتب به العرب»[1].

المطلب الرابع: النظرية الحديثة.

وفي هذه نجد اتفاقاً على أن العرب، لم يصبح لهم دراية بالكتابة، إلا بعد اتصالهم بالمدنية.

وقد كان اتصال العرب بالمدنية، نتيجة لانتجاعهم تلك الأطراف الغنية، المحيطة بشبه الجزيرة العربية في اليمن، ووادي الفرات الأوسط، وسوريا، ونجوع النبط، وحوران، وفي المنطقة الممتدة من شمال الحجاز، وخليج العقبة، «وقد اضطروا إلى معرفة لغة رجال الدولة، وأهل الوجاهة لاستخدامها في المخابر أو التدوين»[2].

---

(١) قصة الكتابة العربية ص ١٣، ١٤.

(٢) العرب قبل الإسلام ص ٩٤.

وقد نزلت منذ زمن بعيد ـ حيث يقع الآن إقليم شرق الأردن، حتى منطقة دمشق ـ قبائل من الأعراب، تمت إلى عرب الجنوب بصلة وثيقة، ولم تلبث هذه القبائل أن تكونت لها في موطنها الجديد، وحدة جغرافية خاصة، ونشأت لها في ديارها هذه ثقافة بعيدة عن ثقافة العرب الجنوبيين، وبمرور الوقت تكونت من هذه القبائل، وحدات عربية، سياسية، عرفت أهمها فيما بعد باسم مملكة (النبط).

ومهما يكن من أمر هؤلاء (النبط)، فهم عرب، أغاروا أول أمرهم، على أقاليم (آرامية)، وتحضروا بحضاراتها، واستخدموا لغة الآراميين في سائر شؤونهم العمرانية، واشتقوا لأنفسهم، خطاً من خطوطهم، كتبوا به، وإن يكونوا قد احتفظوا بلغتهم العربية التي ظلوا يستعملونها، في شؤونهم الخاصة، وأحاديثهم اليومية»[١] على أنه يظن أن اللغة العربية التي كان يتفاهم بها النبطيون، هي نفس اللغة العربية التي عرفت في صدر الإسلام[٢].

وتذكر المراجع أن هؤلاء «النبطيين» كانوا يعبدون «اللات»، و«العزى» و«مناة» و«هبل»، وأنه للاتصال المستمر بينهم، وبين أهل الحجاز، «نقل الحجازيون عنهم كتابتهم»، بل عبادة آلهتهم[٣] أيضاً.

وهذه النظرية: هي أرجح النظريات ـ عند الباحثين ـ في هذا الموضوع[٤].

---

(١) العرب قبل الإسلام ص ٩٤.

(٢) نفس المرجع ص ٩٦.

(٣) أصل الخط العربي للأستاذ / يحيى خليل نامق (نقلاً عن الحروف اللاتينية انظر ص ٢٢، ٢٣).

(٤) انظر: مصادر الشعر الجاهلي ص ٢٤، قصة الكتابة العربية ص ١٧، اللغة العربية عبر القرون ص ٢٢ حياة اللغة العربية ص ٥١، العرب قبل الإسلام ص ٩٤ ـ ٩٥.

فقد أثبت البحث العلمي الدقيق: أن العرب الشماليين، قد اشتقوا خطهم من آخر صورة من خطوط «النبط».

وقد وجد أن الصورة الأولى للخط العربي، لا تبعد كثيراً عن صورة الخط النبطي، ولم يتحرر الخط العربي من هيئته النبطية، بحيث أصبح قائماً بذاته، إلا بعد أن استعاره العرب الحجازيون لأنفسهم بقرنين من الزمان.

حيث إن «النبطية» كتب بها «النبط» العرب، قبل أن تصقل العربية، كلغة ثقافة، فعرفوا الكتابة، وطوروها، وعلموها لسائر العرب، فكانت الكتابة العربية»[١].

ومن الأمثلة التي تؤيد ذلك: ما يذكره الدكتور محمود حجازي بقوله[٢]:

إن الاسمين المعروفين «داود» بواو واحدة، و«عمرو» بواو تضاف في آخره، ثبت أنهما نقلا في الكتابة نقلاً حرفياً من الخط الآرامي، الذي تطور إلى الخط العربي.

المطلب الخامس: النتيجة.

وبعد العرض السريع لهذه النظريات، الذي تبين معه فعلاً أن القطع برأي فاصل يسلم من النقد، والتجريح في أصل الخط العربي، شيء ليس بالسهل، مما يتبين معه أنها ـ كما سبقت الإشارة في أول المبحث ـ مشكلة في التاريخ معقدة.

ولذا: ـ

١ ـ فالأولية التي أثبتها المؤرخون من العرب، لأول من وضع الخط،

---

(١) اللغة العربية عبر القرون ص ٢٢.

(٢) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة. ص ٢٧.

هي أولية نسبية، لا أولية مطلقة، فإسماعيل، أو حمير، أو مرامر، أو. . . .
أو. . . .، كلهم يمثلون بدايات نسبية لا غير[1].

٢ ـ وأن القطع بتحديد زمني دقيق، لبداية الخط، أو القطع بتعيين شخص مجازفة، إذ ليس لنا على ذلك من دليل ثابت[2].

٣ ـ أن النقوش والكتابات المكتشفة ـ والتي قد عثر عليها الباحثون ـ تؤكد أن العرب، كانوا يكتبون في جاهليتهم ثلاثة قرون على أقل تقدير، بهذا الخط الذي عرفه بعد ذلك المسلمون.

وقد أصبحت معرفة الجاهلية بالكتابة ـ معرفة قديمة ـ أمراً يقينياً، يقرره البحث العلمي، القائم على الدليل المادي المحسوس، وكل حديث غير هذا، لا يستند إلا إلى الحدس والافتراض.

ويقول الدكتور ناصر الدين الأسد: ولا ريب في أن ما سيعثر عليه في مقبل الأيام، من نقوش في قلب الجزيرة العربية، سيدعم رأي الذين يذهبون إلى أن عرب الجاهلية، كانوا يعرفون الكتابة منذ قرون قبل الإسلام، وسيلقى كثيراً من النور على ما لا يزال خافياً[3].

---

(١) حياة اللغة العربية ص ٥١.
(٢) حياة اللغة العربية ص ٥١.
(٣) مصادر الشعر الجاهلي ص ٣٣.

المبحث الثاني

شيوع الكتابة قبل الإسلام، وإبّان ظهوره

في هذا المبحث: نقدم طرفاً من تاريخ الكتابة، والكتّاب، قبل الإسلام، بما يوضح لنا درجة شيوع الكتابة قبل نزول القرآن، ودرجة إجادة هذا الفن، قبل أن نتكلم عن الوحي، وكتابة القرآن الكريم.

وفي التقديم بهذا المبحث: ما يوضح لنا تمكن الصحابة من فن الكتابة تمكناً يحميهم من الخطأ في رسم كلمات القرآن الكريم، وينفي عنهم الجهل بقواعد الكتابة. وبياننا على الوجه التالي: ـ

المطلب الأول: الكتابات العامة.

كان العرب يكتبون كثيراً في شؤون حياتهم، وألواناً متعددة من الموضوعات التي يفرضها عليهم نشاطهم: العملي، أو العلمي، أو الوجداني. من ذلك: ـ

أ ـ المواثيق والعهود:

وهي التي كانوا يرتبطون بها فيما بينهم، أفراداً وجماعات؛ لكي تحميهم من الحروب التي كانت تنشأ غالباً بين هؤلاء القوم، لأتفه الأسباب، فقد «كانوا يدعون من يكتب لهم، ذكر الحلف، والهدنة، تعظيماً للأمر، وتبعيداً في النسيان»[1].

ومن أشهر هذه العهود، والمواثيق «صحيفة قريش»، التي تعاقدوا فيها

---

(١) الحيوان للجاحظ ١/ ٦٩، نسيم الرياض شرح شفاء القاضي عياض ٣/ ٢٣٦.

«على بني هاشم، وبني المطلب، وكتبوا ذلك في صحيفة، ثم تعاهدوا وتوافقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة، توكيداً على أنفسهم[1].

ب ـ الصّكوك:

وهي هذه الرقع التي كان عرب الجاهلية، يكتبون فيها حساب تجارتهم، وحقوقهم لدى غيرهم؛ ولأن كثيراً من القوم ـ آنذاك ـ كانوا تجاراً، فقد كان طبيعياً أن يكثر عندهم هذا الضرب من الكتابة، يحفظون به حقوقهم من أن تضيع.

جـ ـ مكاتبة الرقيق:

ونظامها: أن يتفق العبد وسيده على مبلغ من المال، يقوم العبد بدفعه لسيده، لكي يصبح حراً عتيقاً.

وكان هذا النوع من المكاتبة، يتم في كثير من الأحوال، تسجيله كتابة، ويكون بالنص الآتي:

«كاتب فلان مملوكه (مملوكته) الذي بيده، وملكه، المقر له: بالرق، والعبودية، المدعو فلاناً، الفلاني الجنسية، المسلم، لما علم فيه: من الخير، والديانة، والعفة، والأمانة، ولقوله تعالى: ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ على مال، جملته كذا وكذا، يقوم به منجماً في سلخ كل شهر كذا، وكذا، وأبرأه منه... وأذن له سيده في التكسب، والبيع والشراء، فمتى أوفى ذلك كان حراً من أحرار المسلمين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، لا سبيل لأحد عليه، إلا سبيل الولاء الشرعي، ومتى عجز ولو على الدرهم

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٧٥.

الفرد، كان باقياً على حكم العبودية»[1].

فإن وفّى العبد (أو الجارية) مال الكتابة.

كتب ما مثاله:

«أقر فلان بأنه: قبض، وتسلم من مملوكه فلان، المسمى باطنه، جميع المبلغ المعين... وهو كذا وكذا، على حكم التنجيم، وصار ذلك بيده، وقبضته، وصورته، فبحكم ذلك: صار فلان حراً، من أحرار المسلمين، على ما تقدم، ويؤرخ»[2].

وقد روي:

أن أبا أيوب الأنصاري: ندم على مكاتبة مولاه «أفلح»، فأرسل إليه، فقال: إني أحب أن ترد إلي الكتاب، وأن ترجع كما كنت.

فقال «لأفلح» ولده، وأهله: أترجع رقيقاً، وقد أعتقك الله...؟

فقال «أفلح»: والله لا يسألني شيئاً إلا أعطيته إياه.

ثم جاء بمكاتبته، فكسرها[3].

د ـ النقش على الخواتم:[4]

وكان هذا النوع منتشراً بينهم، يختمون به رسائلهم، وكتبهم.

وهذا يستلزم بالضرورة: أن يكون لذلك كتبة متخصصون، يجيدون النقش عليها.

هـ ـ المعلقات:

وأمرها أشهر من أن يحتاج إلى بيان.

---

(١) نهاية الأرب ٩/١١٣.

(٢) انظر: المبسوط: للسرخسي ٥/١٠٨ ـ ١٣٢.

(٣) الطبقات لابن سعد ٥/٦٢.

(٤) انظر: التنبيه والإشراف ص ٢٩٣، ٢٩٤.

و ـ الرسائل:

وهي هذه المكاتبات التي كانوا يسجلون فيها أخبارهم، ويحملونها عظيم أمورهم، ويضمنونها ما تتطلبه حوائجهم وشؤون حياتهم.

ومن هذه الرسائل:

١ ـ ما بعثه الرسول ﷺ إلى الملوك والرؤساء، قبل الفتح، وبعد الحديبية، وقد أسلم سائر الملوك الذين أرسل إليهم، وقومهم معهم ـ بسبب هذه الرسائل ـ عدا قيصر، والمقوقس، وهوذه، وكسرى، والحارث بن أبي شمر، والنجاشي (وهو غير الذي هاجر إليه أصحاب النبي ﷺ).

ومما يروى: أن كسرى كان أقبح القوم ردًّا، وقد مزَّق كتابَ النبي ﷺ، الذي أرسله إليه، فدعا عليه رسول الله ﷺ، فمزق الله تعالى ملكه أولاً، ثم ملكَ الفرس جملة[١].

٢ ـ ما بعثه ﷺ مع رسله الكثيرة، إلى قبائل العرب[٢].

٣ ـ ويمكن أن نعد منها ـ تجاوزاً ـ كتبه عليه الصلاة والسلام، إلى أهل الإسلام في الشرائع:

فمن ذلك[٣]:

أ ـ كتابه في الصدقات الذي كان عند أبي بكر.

ب ـ كتابه إلى أهل اليمن، وهو كتاب عظيم، فيه أنواع كثيرة من:

---

(١) انظر: جوامع السيرة لابن حزم ص ٢٩ ـ ٣١، زاد المعاد ١/ ٣٠.

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ١٥، ٢/ ٣٨.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ١/ ٣٠.

الفقه في الزكاة، والأحكام... إلخ.

جـ ـ وكتابه إلى بني زهير.

د ـ وكتابه الذي كان عند عمر بن الخطاب في نصب الزكاة، وغيرها.

٤ ـ ومن هذه الرسائل:

ما كان يكتبه النازحون المسافرون، إلى أهليهم، بما يعرض لهم من أمور.

فهذه أم سلمة ـ كما يذكر ابن سعد ـ أنها، لما قدمت المدينة، قبل زواجها من رسول الله ﷺ، أخبرتهم أنها بنت أبي أمية بن المغيرة، فكذبوها، وقالوا: ما أكذب الغرائب، حتى سافر ناس منهم للحج، فقالوا لها: أتكتبين إلى أهلك؟ فكتبت معهم، فرجعوا إلى المدينة بعد ذلك وقد صدقوها[١].

ومما يحلو ذكره هنا: أنهم كانوا يبدؤون كتبهم هذه بـ«باسمك اللهم»، وكان النبي ﷺ، يكتب بها كذلك حتى نزلت سورة «هود»، وفيها: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾[٢]، أمر النبي ﷺ، أن يكتب في صدر كتبه «باسم الله»، وظل كذلك حتى نزلت سورة «بني إسرائيل»، وفيها: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[٣]، فأمر عليه السلام، أن يكتب «باسم الله الرحمٰن»، وظل الأمر كذلك، حتى نزلت سورة النمل، وفيها: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ ﴾[٤]، فأمر عليه السلام، أن يكتب ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ ﴾، وصارت سنة في صدر الكتب إلى يومنا هذا[٥].

---

(١) الطبقات ٨/ ٦٥.

(٢) سورة هود، الآية: ٤١.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٤) سورة النمل، الآية: ٣٠.

(٥) أدب الكتاب ص ٣١، الاقتضاب ص ١٠٣، التنبيه والإشراف ص ٢٥٩.

المطلب الثاني: المعلمون.

كان يوجد في الجاهلية، وإبَّان ظهور الإسلام، من تعلم الكتابة، وحذقها، وأتقنها، إتقاناً جعله يصير به معلماً لغيره، ومن هؤلاء: ـ

١ ـ عمرو بن زرارة.

وكان يسمى الكاتب.

٢ ـ غيلان بن سلمة بن معتب.

وهو جاهلي أسلم يوم الطائف، والطائف هي التي أخرجت:

٣ ـ يوسف بن الحكم الثقفي.

٤ ـ الحجاج بن يوسف الثقفي.

وقد كانا معلمين ببلدهما الطائف، وشهرة الطائف ـ وقبيلة ثقيف بها خاصة ـ بالكتابة وإتقانها، منذ الجاهلية، هي التي دعت عمر بن الخطاب إلى أن يجعل كتبة المصحف خلال الجمع، من قريش وثقيف، ودعت عثمان رضي الله عنه، أيضاً، أن يقول خلال الجمع الأخير: اجعلوا الْمُمْلِي من هذيل، والكاتب من ثقيف[1].

٥ ـ عبادة بن الصامت:

روى القرطبي أنه قال: «علَّمْتُ ناساً مِنْ أَهْلِ الصُّفَّة القُرْآنَ والْكِتَابَةَ، فأَهْدَى إلَيَّ رَجُلٌ مِنهُمْ قَوْساً، فَقُلْتُ: لَيسَ بِمَالٍ، وَأَرْمِي بِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ[2]، فَسَأَلْتُ رسوَل الله ﷺ، فقال: إنْ سَرَّكَ أنْ تُطَوَّقَ بها طَوْقاً مِنْ

(١) تاريخ القرآن للزنجاني ص ٤٢.

(٢) تعليل لقبوله لها.

نَارٍ فاقْبَلْهَا»[1].

٦ ـ الشَّفَّاء بنت عبد الله العدوية:

وكانت في رهط عمر بن الخطاب، وقد كانت كاتبة في الجاهلية، ثم علمت حفصة بنت عمر، وزوج النبي ﷺ، الكتابة، بأمره عليه السلام، وقال لها ـ أيضاً ـ كما ورد في الإصابة والاستيعاب: «علمي حفصة: رقية النمل، كما علمتيها الكتابة[2]، ولمعرفة حفصة للكتابة ـ إلى جانب بنوتها، لعمر، وزوجيتها للرسول ﷺ ـ أودعت عندها الصحف التي جمع فيها القرآن في عهد أبي بكر، بعد وفاة الخليفة الثالث رضي الله عنه.

ولم تكن هي وحدها ـ بين زوجات النبي ﷺ ـ التي تجيد القراءة والكتابة، بل كان هناك أيضاً: أم سلمة رضي الله عنها[3].

٧ ـ أم الدرداء:

روي أنها كتبت على لوح عبارات في الحكمة، ليقلدها تلميذ كانت تعلمه الكتابة والقراءة[4].

وهذه أمثلة ـ وليست حصراً ـ للمعلمين المنفردين، وقد كان هناك للتعليم، طريقة أكثر من ذلك في نشر الكتابة، والقراءة، وهي المدارس، التي يعلمون ويتعلمون فيها جماعات.

من ذلك:

ما رواه الطبري: من أن خالد بن الوليد: حين نزل الأنبار، رآهم

---

(١) التذكار للقرطبي ص ١٠٥، وانظر مسند ابن حنبل ٥/ ٣١٥، ٣١٦.

(٢) انظر: مسند ابن حنبل ٧/ ٣٧٢، تاريخ الخط العربي ص ٦٠.

(٣) الطبقات لابن سعد ٨/ ٦٥.

(٤) انظر: تاريخ التربية الإسلامية ص ٤٩.

يكتبون العربية، ويتعلمونها[1].

ويذكر البلاذري - أيضاً - نقلاً عن الواقدي: أنه كان بعض اليهود، قد علم كتاب العربية، وكان يعلم الصبيان بالمدينة، في الزمن الأول[2].

ويذكر الدكتور أحمد شلبي - كذلك - أن أم سلمة زوج الرسول ﷺ: أرسلت مرة إلى معلم كتاب، تطلب منه أن يرسل لها بعض تلاميذ كتابه، ليساعدوها في ندف الصوف وغزله[3].

المطلب الثالث: معرفتهم للغات الأجنبية.

وذلك: أن بعضهم، كان بجانب معرفته بالكتابة العربية، يجيد بعض اللغات الأخرى.

وأمثلة ذلك:

١ - عدي بن زيد العبادي.

«تعلم في الكتاب، الخط العربي، ثم الخط الفارسي، فصار أفصح الناس، وأكتبهم بالعربية، والفارسية»[4].

٢ - ورقة بن نوفل.

كان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب بالعبرانية في الإنجيل ما شاء أن يكتب[5]، وهذا يستلزم بالضرورة إجادته للكتابة بالخط العربي.

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٢٠.

(٢) فتوح البلدان - مصر - ص ٤٧٩.

(٣) انظر: تاريخ التربية الإسلامية ص ٤٩ (نقلاً عن دائرة معارف الأديان والأخلاق الإنجليزية).

(٤) الأغاني ٢/ ١٠١.

(٥) الأغاني ٣/ ١٢٠.

٣ ـ زيد بن ثابت.

قال ـ رضي الله عنه ـ (قالَ رسول الله ﷺ أتُحسِنُ السريانية؟ قلتُ: لا، قال ﷺ: فَتَعَلَّمْها، قال ـ زيد ـ فتعلمتُهَا في تسعة عشر يوماً)[١]. وهكذا كان يكتب له ﷺ، ويقرأ له كتبهم بهذه اللغة الأجنبية.

كما كان يقوم بأعمال الترجمة التحريرية، والفوريّة للنبي ﷺ في الفارسية، والرومية، والقبطية، والحبشية كذلك[٢].

وكانت هذه، مقدمات، تحتاجها عالمية الدعوة، بعد ذلك، وقد رأينا ـ فيما بعد ـ أن الرسول ﷺ، كانت له سكرتارية فيها ست لغات، إذ كانوا يعرفون العربية، والعبرية، والرومية، والفارسية، والقبطية، والحبشية[٣]. ـ كما يقول الدكتور عبد العزيز كامل ـ وبالضرورة، كانت هذه السكرتارية تكتب وتقرأ بهذه اللغات بجانب كتابتها وقراءتها للعربية.

المطلب الرابع: كتّابه عليه السلام.

كان للرسول ﷺ كتبة متخصصون في الكتابة له عليه السلام، بل كان له كذلك منهم متخصصون في أنواع معينة من الكتابات كما سنرى على الوجه التالي:

أولاً: كتابه عليه السلام، على وجه العموم.

تذكر المراجع العلمية[٤] أنه كان للرسول ﷺ من الكتاب:

---

(١) مسند ابن حنبل ٥/ ١٨٢، المصاحف ص ٣.

(٢) التنبيه والإشراف ص ٢٨٣.

(٣) الأهرام (عدد ٣١١٦٤ الصادر في ٧/ ٤/ ١٩٧٢م).

(٤) انظر: فتح الباري ١٨/٩، الاستيعاب (بهامش الإصابة) ١/ ٥٠، عيون الأثر ٢/ ٣١٥، ٣١٦، زاد المعاد ١/ ٢٩ جوامع السيرة ص ٢٦، التنبيه والإشراف ص ٢٨٢ ـ ٢٨٤، جمع =

(١) أبو بكر رضي الله عنه.
(٢) أبي بن كعب.
(٣) أبو أيوب الأنصاري.
(٤) أبو سلمة المخزومي.
(٥) أبو سفيان بن حرب.
(٦) أبان بن أبي سفيان.
(٧) الأرقم بن أبي الأرقم.
(٨) أبو رافع القبطي.
(٩) بريدة بن الحصيب.
(١٠) ثابت بن قيس.
(١١) جهيم بن الصلت.
(١٢) حنظلة بن الربيع.
(١٣) حويطب بن عبد العزى.
(١٤) الحصين بن نمير النميري.
(١٥) حذيفة بن اليمان.
(١٦) حاطب بن عمرو.
(١٧) خالد بن الوليد.
(١٨) خالد بن سعيد بن العاص.
(١٩) خالد بن زيد.
(٢٠) زيد بن ثابت.
(٢١) الزبير بن العوام.
(٢٢) سعيد بن العاص.
(٢٣) سعيد بن سعيد بن العاص.
(٢٤) السجل[١].
٢٥) سعيد بن أبي وقاص.
(٢٦) شرحبيل ابن حسنة.
(٢٧) طلحة بن عبيد الله.
(٢٨) عمر بن الخطاب.
(٢٩) عثمان بن عفان.
(٣٠) علي بن أبي طالب.
(٣١) عبد الله بن رواحة.
(٣٢) عبد الله بن عبيد الله بن أبيّ بن سلول.
(٣٣) عبد الله بن سعد بن أبي السرح.
(٣٤) عبد الله بن زيد.
(٣٥) عبد الله بن عبد الأسد.
(٣٦) عامر بن فهيرة.
(٣٧) عمرو بن العاص.
(٣٨) العلاء بن الحضرمي.

= القرآن ص ٢٣ ـ ٢٤.
(١) اسمه هكذا فقط في عيون الأثر ٢/٣١٦.

(٣٩) العلاء بن عقبة. (٤٣) المغيرة بن شعبة.
(٤٠) عبد الله بن الأرقم. (٤٤) معاذ بن جبل.
(٤١) معاوية بن أبي سفيان. (٤٥) محمد بن مسلمة.
(٤٢) معيقيب بن أبي فاطمة. (٤٦) يزيد بن أبي سفيان.

ثانياً: الكتاب المتخصصون:

وقد حظى هذا البحث بأن عثر على ما يفيد: تقدم فن الكتابة فيما قبل الإسلام، وإبان ظهوره؛ بأن وصل الأمر ببعض الناس من الإجادة درجة أهّلته للتخصص والاشتهار بنوع من أنواعها.

حيث نجد من كتّاب رسول الله من تخصص منهم للكتابة بين يدي النبي ﷺ فيما يلي:

١ ـ فممن كان يكتب المعاملات، والمداينات، وسائر العقود:

أ ـ عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث الزهري.

ب ـ العلاء بن عقبة.

وكانا يكتبان كذلك في هذه الأمور بين الناس[١].

٢ ـ وممن كان يكتب مغانم رسول الله ﷺ[٢]:

معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي.

٣ ـ وممن كان يكتب فيما يعرض لرسول الله ﷺ من حوائجه وأموره[٣]:

أ ـ المغيرة بن شعبة.

(١) التنبيه والإشراف ص ٢٨٢.
(٢) نفس المرجع ص ٢٨٢، ٢٨٣.
(٣) نفس المرجع ص ٢٨٢.

ب ـ الحصين بن نمير.

جـ ـ سعيد بن العاص.

٤ ـ وممن كان يكتب أموال الصدقات[١]:

أ ـ الزبير بن العوام.

ب ـ جهيم بن الصلت.

٥ ـ وممن كان يكتب خرص النخل[٢]:

حذيفة بن اليمان.

٦ ـ وممن كان يكتب العهود والمصالحات[٣]:

علي بن أبي طالب.

٧ ـ ومن كتاب الرسائل له عليه الصلاة والسلام[٤].

أ ـ زيد بن ثابت.

ب ـ عبد الله بن الأرقم الزهري.

جـ ـ أبي بن كعب.

٨ ـ وممن كان يقوم بدلاً عن كل واحد من هؤلاء:

حنظلة بن الربيع بن صيفي الأسيدي.

ومعنى ذلك:

أنه كان إذا غاب أحد ممَّن تقدَّم ذكرهم من الكتاب، قام حنظلة هذا بكتابة ما ينفرد به هذا الغائب.

---

(١) نفس المرجع، والكواكب الدرية ص ١٨.
(٢) نفس المرجع، والكواكب الدرية ص ١٨، سنن أبي داود ٣/ ٢٦٤.
(٣) الاستيعاب ١/ ٥١، شرح الشفاء ٣/ ٢٣٦.
(٤) الاستيعاب ١/ ٥١، التنبيه والإشراف ٢٨٣.

أي أنه كان يشغل ما يشبه وظيفة «نائب الكتاب».

ولذا كان يسمى: حنظلة الكاتب[1].

٩ ـ وممن كان يكتب إلى الملوك والرؤساء الأجانب، باللّغات الأجنبية، بجانب قيامه بأعمال الترجمة: التحريرية، والفورية، له عليه الصلاة والسلام[2]. ـ كا سبقت الإشارة إلى ذلك.

زيد بن ثابت.

١٠ ـ وممن كان يكتب الوحي.

لقد كتب الوحي لرسول الله ﷺ ـ وكانوا يحرصون على ذلك أشد الحرص ـ كل من تقدم ذكرهم، وغير من تقدم.

وتشير المراجع إلى أن:

أول من كتب له عليه السلام في ذلك بمكة من قريش[3]:

عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

وأول من كتب له حين قدم المدينة:

زيد بن ثابت[4].

وأبي بن كعب[5].

وألزمهم له في هذا الشأن وأخصهم به[6]:

---

(١) انظر: التنبيه والإشراف ص ٢٨٣.

(٢) نفس المرجع.

(٣) الاستيعاب ١/ ٥١.

(٤) نفس المرجع ١/ ٥٠.

(٥) فتح الباري ٩/ ١٨.

(٦) زاد المعاد ١/ ٢٩.

زيد بن ثابت.

ومعاوية بن أبي سفيان.

وملاحظاتنا على هذا التعداد الذي تحاوله المراجع:

١ ـ أنه ليس تعداداً على وجه الحصر والقطع بعدد معين، كما صرح بذلك بعض الباحثين[١].

ذلك أنه لم يقم على ما نعرف من وسائل الإحصاء، وسبل الحصر العلمية، التي تكشفت عنها علوم هذا العصر.

وأيضاً: فإنه لم يُذكَر إلا «من ثبت على كتابته، واتصلت أيامُه فيها، وطالت مدته، وصحت الرواية على ذلك من أمره، دون من كتب الكتاب، والكتابين، والثلاثة، إذ كان لا يستحق بذلك أن يسمى كاتباً، ويضاف إلى جملة كتّابه»[٢].

ولذا فهناك غير هؤلاء كثيرون.

٢ ـ أنه إذا كان هذا هو الحال في المسلمين، وهم بالنسبة إلى جميع العرب ـ وقتها ـ لا يمثلون الغالبية.

فما بالنا بأعداد الكتاب في غير هؤلاء المسلمين، لا بد وأنهم على هذا كانوا أعداداً كثيرة، وكانوا كذلك مجيدين لأنواع الكتابات المختلفة.

مما يؤكد لنا:

أن الذين كتبوا القرآن الكريم لم يكن يعتور كتابتهم الخطأ، أو يشوب

---

(١) انظر: جمع القرآن ص ٢٣.

(٢) التنبيه والإشراف ص ٢٨٣، ٢٨٤.

معرفتهم بها أي نقص، أو خلل، كما يدعي بعض الباحثين[1] كما سنرى، فيما سيأتي.

(١) انظر: الدليل الثاني من أدلة القائلين بأن رسم المصحف اصطلاحي.

المبحث الثالث

دخول الكتابة إلى مكة والمدينة

المطلب الأول: دخولها إلى مكة.

يذكر ابن أبي داود السجستاني (ت ٣١٦ هـ)، في مسألة دخول الخط إلى مكة، بيئة قريش، ثلاث روايات[١]: -

الأولى: أن المهاجرين منهم، تعلموه من الحيرة، وأن أهل الحيرة، أخذوه عن أهل الأنبار.

وعلى هذه الرواية: يكون الخط، قد دخل إليها، على أيدي من رجع منهم إلى مكة بعد هجرته إلى الحيرة.

الثانية: أن بشر بن عبد الملك الكندي: تعلمه من الأنبار، ثم وفد إلى مكة في بعض شأنه. فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية، وعلم أباها، وأخاها سفيان، صناعة الخط، ثم تعلمه معاوية من عمه سفيان، وتعلمه كذلك عمر بن الخطاب، وسائر قريش، وفي ذلك يمتن رجل كندي من أهل دومة الجندل على قريش فيقول:

لا تجحدوا نعماء بشر عليكمو	فقد كان ميمون النقيبة أزهرا
أتاكم بخط الجزم حتى حفظتمو	من المال ما قد كان شتى مبعثرا
فأجريتمُ الأقلام عوداً وبدأة	وضاهيتموا كتاب كسرى وقيصرا
وأغنيتمو عن مسند الحي حمير	وما زبرت في الصحف أقلام حميرا

---

(١) المصاحف ١/٤، ٥.

ونلاحظ على هذه الرواية:

أنها عندما تنسب دخول الخط إلى مكة لشخصية بشر بن عبد الملك، تكون قد حددت بداية قريبة جداً لدخول الخط العربي إلى بيئة قريش، أو إلى الجزيرة العربية، على رأي من ينيطون دخول الخط إليها ببشر.

وهذا يخالف: ما أثبته البحث من قدم معرفة العرب للكتابة، ويخالف ـ أيضاً ـ ما هو ثابت من تعلم الأعداد الكبيرة لهذا الخط، وليست هذه المدة ـ التي تحددها الرواية لدخول الخط ـ بكافية لذلك.

الثالثة: أن مرامر بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة، هم الذين وضعوا هذا الكتاب، وهم من «بولان» قوم من «طيء»، كانوا يسكنون «بقة».

ونلاحظ ـ أيضاً ـ على هذه الرواية: أنها لم تنسب صراحة دخول الخط إلى مكة لهؤلاء الثلاثة، أو أحدهم.

وبعد: فلقد يكون من الصواب ـ كما يقول الدكتور عبد الصبور شاهين، ونحن معه ـ أن نكتفي برواية السجستاني في هذا الموضوع، ونمسك عن تحديد أولية، دقيقة، تاريخية، لدخول الخط إلى البيئة المكية.

وإن كان من المسلم: أن انتقال الخط من مركز إلى مركز، يكون بوساطة أشخاص يتعلمونه في موطنه، ثم يعلمونه لمن يريد من قومهم، ومن الممكن أن يكون ذلك قد تم خلال رحلات الشتاء والصيف التجارية المشهورة، أو يكون انتقال الخط ـ كذلك ـ بأن ينتقل أحد عارفي الخط إلى حيث يوجد من لا يعرفونه، فيتعلمون منه[1].

وفي تحديد أسماء هذه الأشخاص، أو تعيين زمن الدخول مجازفة، كما سبق أن ذكر الأستاذ حفني ناصف.

---

(١) انظر: تاريخ القرآن ص ٦٥.

وكل ما يهمنا معرفته هنا: ما أثبته البحث، من قدم الكتابة، في هذه البيئة، ومعرفة أهلها بها، واشتهارها بينهم منذ أمد بعيد.

المطلب الثاني: دخولها إلى المدينة.

أما في المدينة: فكل ما تسعفنا به المراجع، أن بعض اليهود فيها، كان قد تعلم الخط، قبل أن يدخلها الإسلام[1].

وأن الإسلام لما دخلها: كان في الأوس والخزرج عدة يكتبون[1]، والأوس، مشهورة فيها بالكتابة، ولما دخلها الرسول ﷺ، كان فيها يهودي من يهود (ماسكة)، يعلم الصبيان، القراءة والكتابة[2].

وليس في كل هذا تحديد، لبداية دخول الخط إلى المدينة، أو تعيين للشخص الذي أدخله إليها.

وكل ما في الأمر: أنه تسجيل، للحالة التي كانت عليها معرفة القراءة والكتابة بالمدينة حين دخلها النبي ﷺ.

ولذا، فالمراجع تسجل أنه كان فيها بضعة عشر من الرجال يعرفونها حين دخول النبي ﷺ إليها ـ ومنهم: ـ

١ ـ زيد بن ثابت.

٢ ـ سعيد بن زرارة.

٣ ـ المنذر بن عمرو.

٤ ـ أبي بن وهب.

٥ ـ رافع بن مالك.

---

(١) فجر الإسلام ص ١٤٠، ١٤١ نقلاً عن البلاذري.

(٢) انظر: المدخل ص ٣٣٥.

٦ ـ أسيد بن حضير.

٧ ـ معن بن عدي.

٨ ـ أوس بن خولي.

٩ ـ أبو عيسى بن كثير.

١٠ ـ بشير بن سعد.

والذي يمكننا أن نفهمه من هذا الذي تذكره المراجع: أن الكتابة، ومعرفتها ـ بالمدينة ـ قديمة، قدماً مَكَّن الأوس، أن تحذقها، فتشتهر بها، ولا يمنع هذا القدم، أن المراجع، تحصى من كان يعرف منهم الكتابة، في عدد قليل، فهذا الإحصاء ـ وهذا أمر لا بد من التنبه له ـ حصر نسبي، لم يقم على ما نعرفه الآن من الأساليب العلمية، لقواعد الإحصاء. كما سبق أن أشرنا إلى ذلك[١].

ولا يمنع هذا ـ أيضاً ـ كون المراجع لم تذكر إلا ما كان يقوم به هذه اليهودي.

وإن كنت أرى أن هذا العمل، الذي كان يقوم به هذا اليهودي دليل قوي على اشتهار الكتابة، ومعرفة فضلها، وإلا لما أرسل الآباء أبناءهم لتعلم الكتابة عند هذا اليهودي.

وختاماً:

فلعل وجود الكتابة في العرب بهذا الشكل ـ الذي تبين في هذا المبحث وما قبله ـ قبيل الإسلام، يعد إرهاصاً ـ كما يرى الدكتور أبو شهبة ـ لبعثة خاتم الرسل محمد ﷺ، ليجتمع للقرآن الكريم، الكتابة في الصحف

(١) انظر: كتّاب رسول الله ﷺ.

والتقييد في السطور، إلى الحفظ في الصدور، وبذلك يتهيأ للقرآن الكريم من دواعي الحفظ، ما لم يتهيأ لغيره، ويتحقق وعد الحق جل وعلا ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1].

وأيضاً: بعد صلح الحديبية، فقد كانت الكتابة من أسباب تبليغ الرسالة المحمدية، إلى الملوك والأمراء، فقد كاتبهم النبي ﷺ، داعياً إلى عبادة الله وحده، والانضواء تحت لواء الإسلام، ونبذ الشرك وعبادة الأوثان[2].

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) المدخل ص ٣٢٦.

المبحث الرابع

موقف الإسلام من الكتابة

منذ أن هلَّت شمس الإسلام على العرب ـ الذين شغلتهم حروبهم، وغاراتهم، وعدم حبهم لقيود الحضارة، والمدنية، ونفورهم من أسباب الترف الذي يورث الخمول، ويطفىء جذوة الشجاعة فيهم، والتي أحالت هي وغيرها عن عموم الكتابة فيهم، بما يمنع عنهم صفة «الأمية» التي لصقت بهم خلال التاريخ ـ وهو يحاول جاهداً، وبسرعة، إلى استئصال صفة الأمية هذه من قاموس صفاتهم؛ حيث إنهم قادمون على الجهاد الأكبر، الذي لا تسير هذه الصفة في قافلته، ألا وهو الجهاد الفكري، في سبيل نشر الدعوة الكبرى، التي غيرت ـ وسوف تغير ـ كل ملامح الجزيرة، ومنها هذه الصفة، التي تتنافى وعالمية الدعوة الإسلامية، إن هي ظلت بهم لاصقة، ويتبين لنا حربه لها فيما يلي: ـ

المطلب الأول: موقف القرآن الكريم:

إن من أقدم المصادر العربية المدونة عن تاريخ العرب ـ بعامة ـ وأصحها: القرآن الكريم[1]؛ ولذلك يكون من ألزم الأحاديث وأصدقها، بيان موقف القرآن من الكتابة، خاصة في هذا العهد المتقدم.

ولقد حارب القرآن ـ فيما حارب ـ أمية العرب، وعمل على محوها، وطفق يرفع من شأن الكتابة والقراءة، ويعلي من مقامهما[2]، ومن مقام من

(١) العرب قبل الإسلام ص ١٧.

(٢) مناهل العرفان ١/ ٣٥٦.

يجيدهما، ولذا فنجد في آياته الكريمة الكثير، والكثير من ألفاظ القراءة، والكتابة، بل ذكر أدوات الكتابة نفسها.

ومن ذلك.

١ ـ ما يخص القراءة.

أ ـ اقرأ: وهي أول لفظة نزلت ـ في أول آية نزلت ـ في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾[1]، وفي هذه الآيات، يشيد الحق تبارك وتعالى بالقلم، وهو من أدوات الكتابة.

وقد وردت لفظة «اقرأ»، وما اشتق منها سبع وثمانون مرة[2].

ب ـ مادة التلاوة: وما اشتق منها، وردت في القرآن الكريم ثنتان وستون مرة[3].

٢ ـ ما يخص الكتابة:

وردت مادة الكتابة وما اشتق منها في القرآن الكريم، ثلاثمائة وتسع عشرة مرة[4].

٣ ـ ما يخص مواد الكتابة:

أ ـ القلم: وقد نزلت سورة من القرآن، وسميت باسمه، ويقسم فيها سبحانه بالقلم فيقول تعالى: ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ ﴾[5].

---

(١) سورة العلق، الآيات: ١ ـ ٥.
(٢) انظر: المعجم المفهرس ـ مادة قرأ ـ ص ٥٣٩.
(٣) المعجم المفهرس ص ١٥٥.
(٤) المعجم المفهرس ص ٥٩١.
(٥) سورة القلم، الآيتين: ١ ـ ٢.

ب ـ المداد: ورد في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[1].

جـ ـ القرطاس: في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾[2].

د ـ الصحف: في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[3]، وقد ذكرت هذه المادة في القرآن الكريم مرات ثمان[4].

هـ ـ الرق: في قوله تعالى: ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ ﴾[5].

و ـ السجل: في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾[6].

كل هذا، وغيره، فضلاً عن دعوة القرآن للعلم، والمعرفة بعامة، ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[7].

المطلب الثاني: موقف الرسول ﷺ.

ولقد اهتم الرسول ﷺ، بهذا الأمر، البالغ الخطورة، والجليل الشأن، في نشر هذه الدعوة العالمية، التي يجب أن تتوافر لها كل وسائل التبليغ.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧.
(٣) سورة الأعلى، الآيتين: ١٨ ـ ١٩.
(٤) المعجم المفهرس.
(٥) سورة الطور، الآيتين: ٢ ـ ٣.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.
(٧) سورة الزمر، الآية: ٩.

والقراءة والكتابة: من أقوى الوسائل لنقل الأفكار، والمعتقدات، وتبليغها إلى من هم بعيدون عن منبعها، زماناً، ومكاناً.

ولـذلـك: ورد فـي السنـن كثيـر مـن الأحـاديـث، التـي يحـث فيهـا الرسول ﷺ، على تعلم الكتابة وتحسينها، كما «وردت آثار بمعرفته، ﷺ، حروف الخط، وحسن تصويرها»[1]، فضلاً أنه ﷺ، وضع اللبنات الأولى للتعليم الجماعي العام، بعد غزوة بدر، كما سنرى.

ويتبين لنا موقفه عليه الصلاة والسلام بهذه الثمرات اليانعة من الأحاديث التي نقتطفها من حقل سنته الطاهرة:

أولاً: من السنة القولية.

(١) دعاؤه عليه الصلاة والسلام، لمعاوية رضي الله عنه، بقوله: «اللَّهُمْ علم معاويةَ الكتابَ والحسابَ»[2]، وهذا الدعاء، إعلاءٌ منه عليه السلام، لشأن الكتابة، وتعلمها، ورفع لمنزلتها، وحثٌ على الإقبال على تعلُّمها.

(٢) قوله عليه الصلاة والسلام، لأصحابه: «قَيِّدُوا الْعِلْمَ بالكتَابِ»[3]. حتى يكون حافظاً وسجلاً لما يتلقونه من العلم، وفي هذا غاية الحث على تعلم الكتابة.

(٣) قوله عليه الصلاة والسلام، لرجل شكا إليه سوء حفظه «اسْتَعِنْ بِيَمِينِكَ وَأَوْمأَ بِيَدِهِ لِلْخَطّ»[4]، وفي هذا ـ أيضاً ـ دعوة منه عليه الصلاة

---

(١) الشفاء ١/ ٢٣٥.

(٢) رواه ابن حنبل في مسنده من حديث العرباض بن سارية.

(٣) رواه الدارمي في روايتين: عن عمر بن الخطاب، وكذلك: عن عبد الله ابنه.

(٤) رواه الترمذي عن أبي هريرة.

والسلام، إلى كل مَنْ لم تسعفه ذاكرته في اختزان ما يتلقاه، أن يتعلم الكتابة، ليحفظ بها من العلم ما يريد.

(٤) قوله للكتبة من أصحابه عليه السلام: «مَنْ كَتَبَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ مُجَوَّدَة، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ»[١]، وهذا طلب منه عليه الصلاة والسلام إجادة الكتابة، وتحسينها وتوضيحها، لتؤدي الغرض منها، وتعين صاحبها على الاستفادة منها.

(٥) قوله عليه الصلاة والسلام، لكاتب وحيه معاوية، رضي الله عنه - «أَلِقِ الدَّوَاةَ، وحَرِّفِ القَلَمَ، وانْصِبِ البَاءَ، وفَرِقِ السِّينَ، ولا تُعَوِرِ الْمِيْمَ، وحَسِّنِ اللَّهَ، ومُدَّ الرَّحْمٰنَ، وجَوِدِ الرَّحِيمَ»[٢].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان، وابن أشته في المصاحف، من طريق «أبان» عن «أنس» مرفوعاً، (انظر الإتقان ٢/ ١٧٠).

(٢) الشفاء ١/ ٢٣٦، وشرح هذا الحديث - كما هو عند شراح الشفاء: قوله: «ألق الدواة» أي اجعل نحو حرير أو صوف في المداد لأن ذلك: أولاً: يمنع من اصطدام رأس القلم بقعر الدواة، فيحفظ من الكسر والتحريف، وثانياً: أن القلم لا يرفع بسبب وجود الليقة حبراً كثيراً، وفي هذا من سهولة الكتابة، وتحسينها، ونظافتها، ما لا يخفى...

وقوله: «وحرف القلم» أي اجعل مقدمة سنه منحرفة، سواء كان كثيراً، أو قليلاً، بحسب قاعدة كل خط، لأن ذلك يساعد في تحسين الخط، ولذا قيل: إن أتقنت قلمك، اتقنت خطك، وإن أهملت قلمك، أهملت خطك.

وقوله: «وانصب الباء» أي اجعل الباء منصوبة، مرفوعة عن أسنان السين؛ لئلا تلتبس بها، فلو كانت مائلة إلى اليسار لأشبهت رأس الحاء في الخط الكوفي، إذ قاعدتها أن تكتب كشرطة مائلة إلى اليسار - كما هو معلوم عند الخطاطين.

وقوله: «وفرق السين»، فالمراد: إظهار أسنان السين الثلاثة، ووضوحها وضوحاً تاماً، وانفصالها عن سنة الباء، حتى لا يحصل هناك لبس، فلو نقصت من الكلمة سنة واحدة، أو لم تظهر أسنان السين الثلاثة لتغير لفظ الكلمة ومعناها.

وقوله: «ولا تعور الميم» فالمراد: عدم طمسها، ففي طمسها تشويه لنفس الحروف، كما هو ظاهر. =

(٦) قوله عليه الصلاة والسلام، لأصحابه: «قِرَاءَةُ الرَّجُلِ فِي غَيْرِ الْمُصْحَفِ أَلْفُ دَرَجَةٍ، وقِرَاءَتَهُ فِي الْمُصْحَفِ تُضَاعِفُ عَلَى ذَلِكَ بِأَلْفَيْ دَرَجَةٍ»[1]، وذلك لن يكون إلا بتعلم القراءة والكتابة، فهو حث على ذلك بطريق آكد، فيه تشويق للثواب.

(٧) أمره عليه الصلاة والسلام لأصحابه أن يكتبوا لبعض الصحابة بعض مواعظه، كما في حديث أبي شاه.

حيث إن النبي ﷺ، خطب، فذكر قصة في الحديث فقال أبو شاه: اكتبوا لي يا رسول الله، فقال عليه السلام: «اكْتُبُوا لأَبِي شَاهٍ»[2].

(٨) قوله لمعاذ بن جبل، حين بعثه إلى اليمن: «لاَ تَقْضِيَنَّ، ولا تَفْصِلَنَّ إلاَّ بِمَا تَعْلَمْ، وإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ أَمْرٌ، فَقِفْ حَتَّى تَتَبَيَّنه، أَوْ تَكْتُبَ إِلَيَّ فِيهِ»[3]، وفي ذلك حثٌ لرسله[4] ـ الذين كان يرسلهم عليه الصلاة والسلام إلى الملوك، أو عامة الناس لدعوتهم للإسلام ـ على تعلم الكتابة، حتى يكتبوا إليه عليه الصلاة والسلام، ويراسلوه، بأنبائهم، وما يعنّ لهم من الأقضية.

(٩) قوله عليه الصلاة والسلام في أوّل الأمر، لما كثر الكاتبون عنه،

= وقوله: «وحسن الله، ومدّ الرحمٰن، وجود الرحيم» فالمراد: إجادة كتابة القرآن الكريم، وتحسين الخط، والاعتناء بذلك، تعظيماً لله عز وجل ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾.

انظر: نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ٣/ ٢٣٦ وشرح الشفا لعلي القاري بهامش الشرح المذكور.

وانظر أيضاً: تاريخ الخط العربي وآدابه ص ١١ وما بعدها.

(١) قال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه أبو سعيد بن عون، وثقه ابن معبد في رواية، وضعفه في أخرى، وبقية رجاله ثقات. (انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧/ ١٦٥).

(٢) رواه الترمذي في سننه، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه.

(٤) انظر: جوامع السيرة ص ١٧ ـ ٢١.

وكثر ما يكتبونه، محاولين كتابة كل شيء يصدر منه عليه السلام، فخاف ﷺ، أن يختلط عندهم القرآن بغيره فقال: «لا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئاً سِوَى الْقُرآنِ، فَمَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئاً سِوَى الْقُرآنِ، فَلْيَمْحُه»[1]، وفي هذا توجيه منه عليه الصلاة والسلام لأصحابه، فيما يكتبون، وما يدعون، ودعوة منه لكتابة القرآن، حيث إن إفراده بالكتابة في ذلك الوقت فيها نوع اهتمام بذلك، وهذا يستتبع بالتالي الدعوة إلى تعلم الكتابة وتعليمها.

(١٠) نهيه ﷺ عن أخذ الأجرة على تعليم الكتابة، حيث قال لعبادة بن الصامت حينما سأله على الهدية التي أخذها نظير تعليمه بعض الناس ـ كما سبق ـ الكتابة «إنْ سَرَّكَ أَنْ تُطَوَّقَ بِهَا طَوْقاً مِن نَار فَاقْبَلْهَا»[2] وفي ذلك ما فيه من أسس «لمجانية التعليم»، وضعها محمد ﷺ، منذ أربعة عشر قرناً.

ثانياً: من السنة الفعلية.

(١) أرسل ﷺ إلى الملوك والرؤساء الكتب، لدعوتهم إلى الإسلام[3].

وفي ذلك دعوة عملية إلى تعلم الكتابة والقراءة؛ حيث لا يتسنى إرسال هذه الكتب، وقراءة الردود عليها، إلا بتعلم ذلك.

(٢) أرسل ﷺ إلى أهل الإسلام الكتب، لتعليمهم أحكام الدين وشرائعه[4].

وفي هذا حث عملي ـ أيضاً ـ على تعلم الكتابة والقراءة.

---

(١) رواه ابن حنبل في مسنده عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه ابن حنبل في مسنده، ابن ماجه في سننه، وأبو داود في سننه، وانظر: مبحث «شيوع الكتابة قبل الإسلام وإبان ظهوره ـ المعلمين» من هذا المدخل.

(٣) انظر: زاد المعاد ١/ ٣٠، سنن الترمذي، جوامع السيرة ص ٢٩ ـ ٣١.

(٤) انظر: زاد المعاد ١/ ٣٠.

(٣) ما رواه الرواة الأثبات، مما يعتبر اللبنة الأولى للتعليم الجماعي ـ حيث إن المسلمين لما أسروا في غزوة بدر سبعين رجلاً من المشركين، من قريش، وغيرهم، وفيهم الكثير من الكتاب، قبل النبي ﷺ، من الأميين منهم الافتداء بالمال، وأما الذين يعرفون الكتابة، فقد فرض على كل واحد منهم، أن يعلم عشرة من صبيان المدينة الكتابة. وقيل إن هذا الفرض كان على من عجز عن الافتداء بالمال، كما في بعض الروايات[١].

وهذا: وإن كان إعلاناً منه ﷺ، بأن القراءة والكتابة عديلان للحرية، وهو منتهى ما تصل إليه الهمم في تحرير أمة من رق الأمية[٢]، فهو في نفس الوقت يبين لنا قيمة القراءة والكتابة في نظر الرسول عليه الصلاة والسلام؛ وبخاصة، عندما نعرف القيمة المالية للفدية، والتي كانت تسقط بتعليم الأسير عشرة من صبيان المسلمين[٣]، في وقت كان المسلمون فيه أحوج ما يكونون إلى درهم، ليزيلوا به خصاصتهم، ويتقووا على أعدائهم به.

ولكن ذا المواهب ﷺ، أدرك أن تعليم الأمة القراءة والكتابة خير من المال، وأنها من عوامل تقدم الأمة ورقيّها.

وبهذه السياسة الحكيمة، كان النبي ﷺ، أول من وضع لبنة في إزالة الأمية من الأمم والشعوب، وأن الإسلام ـ بهذا ـ سبق إلى محاربة الأمية والجهل، من قرابة أربعة عشر قرناً، على حين كان غيرهم ممن بيدهم مقاليد الأمور، يحرصون على أن تبقى شعوبهم منغمسة في حمأة الجهل، والخرافات.

---

(١) انظر: السيرة الحلبية ١/ ٥٧٤، فجر الإسلام ص ١٤٢، الإسلام وحضارة العرب ص ١٦٢.
(٢) فصل الخطاب ص ١٥.
(٣) كان مقدار الفدية عن الأسير الواحد هي (٤٠٠٠ درهم) أي يقابل كل طفل (٤٠٠) درهم.

ولقد كان لهذه السياسة الرشيدة، أثرها، فقد انتشرت الكتابة بين المسلمين، وانتشر العلم والمعرفة، وصارت تنتشر في كل قطر فتحه المسلمون[1].

ومما نلاحظه على ما ترويه كتب السيرة، من الأسر والفداء في غزوة بدر، مما يوضح لنا مقدار الكتابة وقتها.

أ ـ أن الافتداء بهذا الشكل: سواء كان لمن يعرف القراءة والكتابة، أو لمن يعجز عن دفع المال ـ كما في بعض الروايات ـ يدل دلالة واضحة، على أنه كان فداءً لعدد كثير، كان يجيد القراءة والكتابة.

ب ـ أن القراءة والكتابة: كانت شائعة في القوم المعاصرين لهذه الموقعة؛ إذ أن هؤلاء الأسرى ما هم إلا عينة، ونماذج غير مختارة، تمثل جموع القوم آنذاك، والكثرة التي تجيد الكتابة بين هؤلاء، تقابلها كثرة بين من لم يكن أسيراً، ممن حضر الموقعة، أو ممن لم يحضر أصلاً.

جـ ـ أنه كانت درايتهم للكتابة تتخطى درجة المعرفة السطحية، إلى درجة الإتقان والإجادة، التي يتسنى معها ممارسة تعليم عدة من الصبيان الذين اشترط تعليمهم بدل الفدية.

د ـ أن النبي ﷺ، عمل بذلك على نشر تعلم الكتابة، وتعليمها، بطريقة عامة، ورسمية، انتشر الخط بعدها بصورة عامة، وجماعية، وشاملة، في المدينة، والأمصار التي دخلت تحت لواء الإسلام.

وهكذا ظهر لنا موقف الإسلام جلياً من الكتابة والقراءة، بما ينير لنا الطريق من ناحية كتابة القرآن الكريم، وطريقة رسمه على النحو الذي يلي قريباً.

---

(١) المدخل ص ٣٣٧.

المبحث الخامس

(مناقشة حول مفهوم «أمية العرب»)

المطلب الأول: معناها في اللغة:

الأمي: هو الذي لا يكتب.

قال الزجاج: الأمي، هو الذي على خلقة الأمة، لم يتعلم الكتاب، فهو على جبلته.

وقال أبو إسحاق: معنى الأمي: المنسوب إلى ما عليه جبلته أمه، أي لا يكتب، فهو في أنه لا يكتب أمي، لأن الكتابة مكتسبة، فكأنه نسب إلى ما يولد عليه، أي على ما ولدته أمه عليه.

وقيل للعرب الأميون: لأن الكتابة، كانت فيهم عزيزة، أو عديمة[1].

المطلب الثاني: ورودها في القرآن الكريم:

وردت هذه المادة (أُمِّي) في القرآن الكريم، ست مرات[2] في الآيات التالية: ـ

١ ـ في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾[3].

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ﴾[4].

---

(١) انظر: لسان العرب ١٤/ ٢٩٩، تاج العروس ٨/ ١٩١ ـ مادة (أمم) فيهما ـ.

(٢) المعجم المفهرس مادة «أمم» ص ٨١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

٣ ـ في قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ﴾[١].
٤ ـ في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾[٢].
٥ ـ في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾[٣].
٦ ـ في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾[٤].

ونلاحظ: أن المراد بلفظ (الأمي) في الآية رقم ١، ٢ هو النبي محمد ﷺ، قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ كان نبيكم ﷺ، أمياً لا يكتب، ولا يقرأ، ولا يحسب[٥].

وإن المراد بلفظ (الأميين) في الآيات أرقام ٣، ٤، ٥ هم العرب، وكانوا مشهورين بهذا الاسم، ومعروفين به، لغلبة الأمية فيهم، بمعنى أنهم لا يكتبون، ولا يقرؤن، وكذلك كانت قريش[٦].

وأما المراد بلفظ (أميون) في الآية الأخيرة، فهم فريق من اليهود، لا يكتب ولا يقرأ[٧].

ومن هنا ندرك أن هذا اللفظ (أمي) حيث ورد في القرآن الكريم، سواء كان مقصوداً به النبي ﷺ، أو مقصوداً به العرب، أو مقصوداً به فريق من اليهود؛ فالمراد به في الجميع: هو من لا يقرأ ولا يكتب.

وهذا هو الموافق للمراد به في اللغة، والموافق لما اشتهر به العرب، من هذا الوصف، الغالب عليهم.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٠.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.
(٣) سورة الجمعة، الآية: ٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٧٨.
(٥) القرطبي ٧/ ٢٩٨.
(٦) انظر: القرطبي ٤/ ٤٥، ١١٨.
(٧) القرطبي ٢/ ٥.

المطلب الثالث: موقف بحثنا من ذلك:

لقد وصل بنا البحث: إلى أن الكتابة كانت موجودة في العرب، لدرجة تمكن بعضهم منها تمكناً جعلهم يتخصصون في أنواع الكتابة كما سبق توضيحه، ويجيدونها، بل يتعلمون غيرها من كتابات اللغات الأخرى، إلا أننا لا ندّعي أن معرفتهم هذه، يمكن لها أن تناطح، أو تلغي شهرتهم بالأمية، إذْ أن هذه الصفة ظلت هي الغالبة عليهم، والسائدة فيهم، حتى عمل الإسلام جاهداً إلى إزالتها من قاموس صفاتهم.

ولكن الذي كان يهدف إليه بحثنا هو: إثبات أن الكتابة كانت موجودة، ومعروفة، وكان هناك من يجيدونها، إجادة، ودفعت عن الصحابة رضوان الله عليهم، شر الوقوع في الخطأ عند كتابتهم للقرآن الكريم بين يدي الرسول ﷺ، أو عند كتابتهم له في جمع أبي بكر رضي الله عنه، أو نسخهم له في عهد عثمان رضي الله عنه.

ولا يذهب بنا الغلو والشطط ـ عند الحديث عن معرفة العرب للكتابة في الجاهلية، وإبّان ظهور الإسلام ـ درجة نحاول فيها نفي، أو الموافقة على نفي صفة الأمية، التي كانت غالبة على العرب، قبل أن تسطع على ظلامهم شمس الإسلام، والتي وصفهم بها القرآن، حيثما وردت هذه الصفة فيه، مثلما فعل بعض الباحثين كما سنرى من مناقشته في النقطة التالية.

المطلب الرابع: رأي الدكتور ناصر الدين الأسد في «أمية العرب»:

يرى الدكتور ناصر الدين: غير ذلك في وصف العرب «بالأمية». فهو يقول[1]: بعد أن ذكر ـ في كتابه ـ طرفاً من حديث القرآن عن الكتابة.

---

(١) انظر: مصادر الشعر الجاهلي ص ٤٥ وما بعدها.

«فلا ريب أن تكون صفة الأمية، التي لصقت بالعرب خلال التاريخ، لم تكن أمية جهل بالقراءة والكتابة، وإنما هي وثنية، كانوا يدينون بها، لا علاقة لها بعلم أو جهل».

ويستدل لرأيه هذا:

بأن القرآن الكريم: قد وصف فريقاً من أهل الكتاب، بالأميين في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[1].

ويقول:

«فأمية هذا الفريق: ليست أمية كتابية، لأنه أخبر عنهم أنهم كانوا يكتبون بأيديهم، وإنما هي أمية دينية، أي جهل بالدين، وإنكار له، وعدم تصديق».

ثم يقول:

ومن أجل هذا: فسر ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ هاتين الآيتين فيما رواه ابن جرير الطبري بإسناده إليه، قال: (ومِنْهُمْ أُمِّيُونَ) قال: الأميون قوم لم يصدقوا رسولاً أرسله الله، ولا كتاباً أنزله الله، فكتبوا كتاباً بأيديهم، ثم قالوا لقوم سفلة، جهال: هذا من عند الله، وقال: قد أخبر عنهم، أنهم يكتبون بأيديهم، ثم سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله».

ويجيب الدكتور ناصر عن التعارض بين هذا الرأي ـ الذي يدعيه ـ وبين حديث الرسول ﷺ «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لا نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسِبُ»[2]، بقوله: ـ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٨.

(٢) متفق عليه: من حديث سعيد بن عمرو القرشي، عن ابن عمر مرفوعاً، (المقاصد الحسنة ص ٩٩).

أ ـ إن النبي ﷺ قال ذلك في حديث الصيام عن رؤية الهلال.

ب ـ إن الحديث لا يعني إلا ضرباً خاصاً من الكتابة والحساب، لم يكن للعرب عهد به، وهو الحساب الفلكي.

جـ ـ إن ذلك لا يعني نفي الكتابة والحساب نفياً مطلقاً، وإنما ذلك نفي لأن تكون الكتابة والحساب نظاماً عاماً، متبعاً، كما كان عند بقية الأمم الأخرى، ذات التقاويم الفلكية.

هذا هو رأي الدكتور ناصر: أراد به أن ينفي صفة «الأمية» عن العرب، ليصل بذلك إلى أن الكتابة ومعرفتها وإجادتها، أمر كان فاشياً، ومنتشراً فيهم.

المطلب الخامس: ردنا على الدكتور ناصر في رأيه:

ودفعنا لما يذهب إليه الدكتور ناصر كالتالي: ـ

١ ـ إن علماء اللغة، مجمعون على أن المراد بهذا اللفظ، ما هو المشهور من معناه، وهو أن «الأمي»، هو الذي لا يعرف القراءة والكتابة.

٢ ـ إن هذه اللفظة: حيثما وردت في القرآن الكريم، فالمراد بها هذا المعنى نفسه، حسبما رأينا قريباً.

٣ ـ إن إطلاقها على النبي ﷺ ـ في القرآن ـ ينفي هذا الفهم تماماً، ذلك أنه ﷺ، قد وصف بهذا الوصف في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ ﴾[1]، ولم يكن ـ حاشاه ﷺ ـ وثنياً، أو تنطبق عليه أي جزئية من جزئيات تعريف الأمية، التي يحاول إثباتها الدكتور للعرب.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

ويقول تعالى في الآية التالية:

﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[1].

٤ ـ وعلى فرض صحة ما يذهب إليه الدكتور بالنسبة لليهود ـ وهو ليس صحيحاً كما سنرى ـ فإن هذا الحكم لا يصح تعميمه على أبناء الجزيرة العربية، من العرب أنفسهم؛ حيث إن اليهود، قوم طارؤون عليها فلا يعم الجزيرة حكمهم.

٥ ـ وقد قال ابن جرير نفسه ـ عقب النص الذي يستشهد به الدكتور ـ وهذا التأويل، تأويل على خلاف ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم، وذلك أن الأمي عند العرب: هو الذي لا يكتب.

ثم يقول ابن جرير:

وفي صحة هذا عن ابن عباس بهذا الإسناد نظر، والله أعلم[2].

٦ ـ ويذكر ابن كثير معنى حديث «إِنَّا أُمَّةٌ أُميَّة لاَ نَكْتُب وَلاَ نَحْسِب» بقوله: «إنا لا نفتقر في عباداتنا ومواقيتها إلى كتاب أو حساب»[3].

وبهذا المعنى يتضح أن النبي ﷺ، لا يتعرض لنفي أو إثبات «الأمية»، بقدر ما يشير إلى سماحة الإسلام في عباداته، وأحكامه.

وبهذا لا تزيل تأويلات الدكتور ناصر، التعارض الموجود بين الحديث وبين ما يذهب هو إليه في أمية العرب.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٢) تفسير ابن كثير ١/١١٦ نشر المكتبة التجارية الكبرى ١٩٣٧م.

(٣) نفس المرجع.

٧ ـ وأخيراً: فلو نظرنا إلى الآيتين نظرة متأنية، نرى أن التوفيق لم يحالفه في فهم تفسير هاتين الآيتين.

ذلك أن:

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ وصف لعوام اليهود.

وقوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ وصف لعلمائهم.

ولذا يقول الشيخ المراغي في تفسيره عقب هذه الآية:

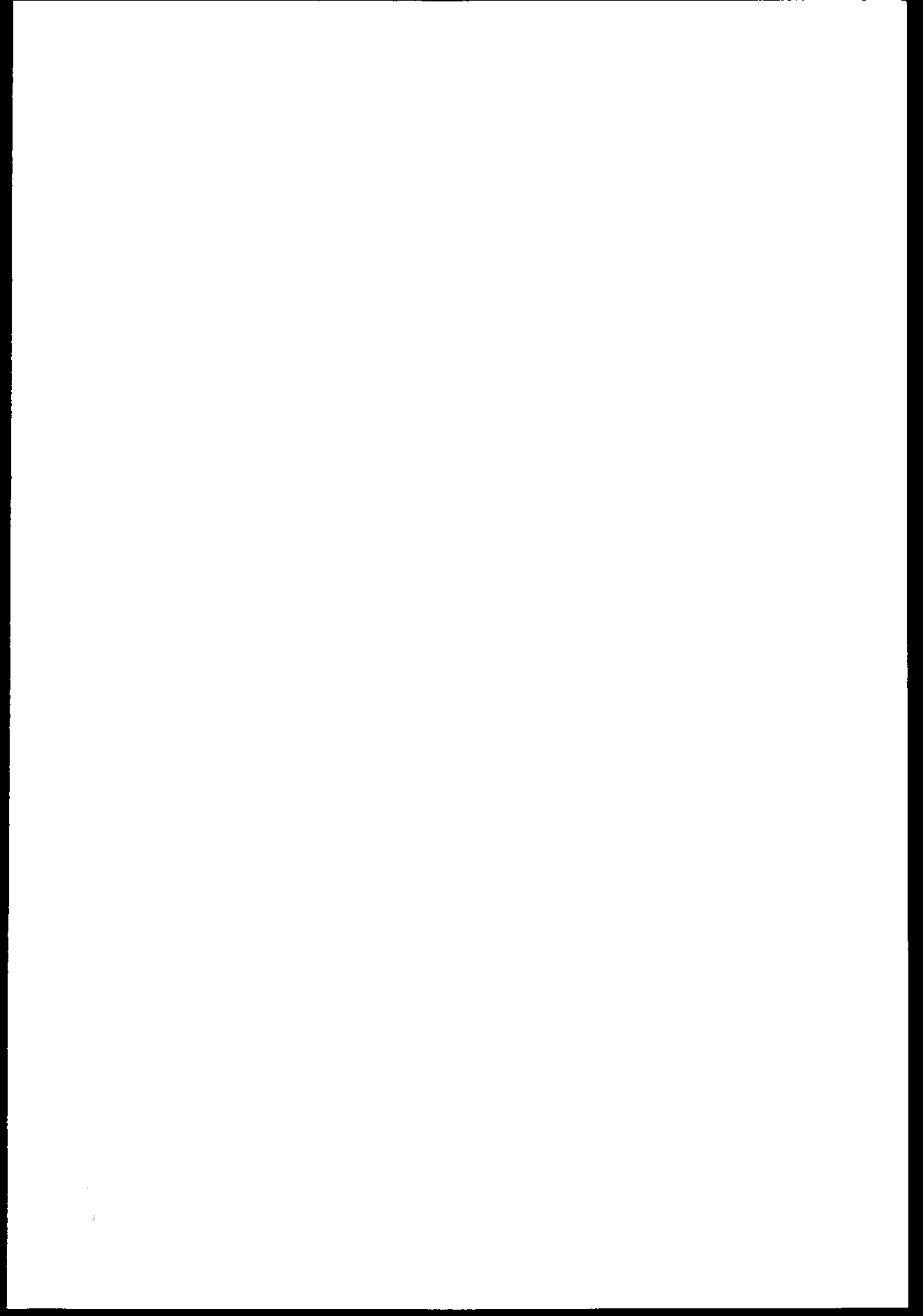
﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي هلاك عظيم لأولئك العلماء، الذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون لعوامهم: هذا المحرف، من عند الله، في التوراة[1].

وعليه فالأميون في الآية غير الذين يكتبون الكتاب بأيديهم، وهذا يخالف تماماً، ما فهمه الدكتور ناصر.

ويبقى في النهاية: وصف العرب بالأمية، ثابت لا ينازعه منازع.

---

(١) تفسير المراغي ١/ ١٥١ ط الحلبي.



الباب الأول

(رسم المصحف)

١ ـ **الفصل الأول:** رسم المصحف وكتابة القرآن الكريم خلال جمع القرآن.

المبحث الأول: كتابة القرآن في العهود الثلاثة.

المبحث الثاني: لماذا كتب القرآن؟

المبحث الثالث: طريقة الكتابة في العهود الثلاثة.

٢ ـ **الفصل الثاني:** رسم المصحف والقراءات.

المبحث الأول: طريقة عثمان في رسم المصاحف.

المبحث الثاني: رسم المصحف والقراءات.

المبحث الثالث: القراء وموقفهم من رسم المصحف.

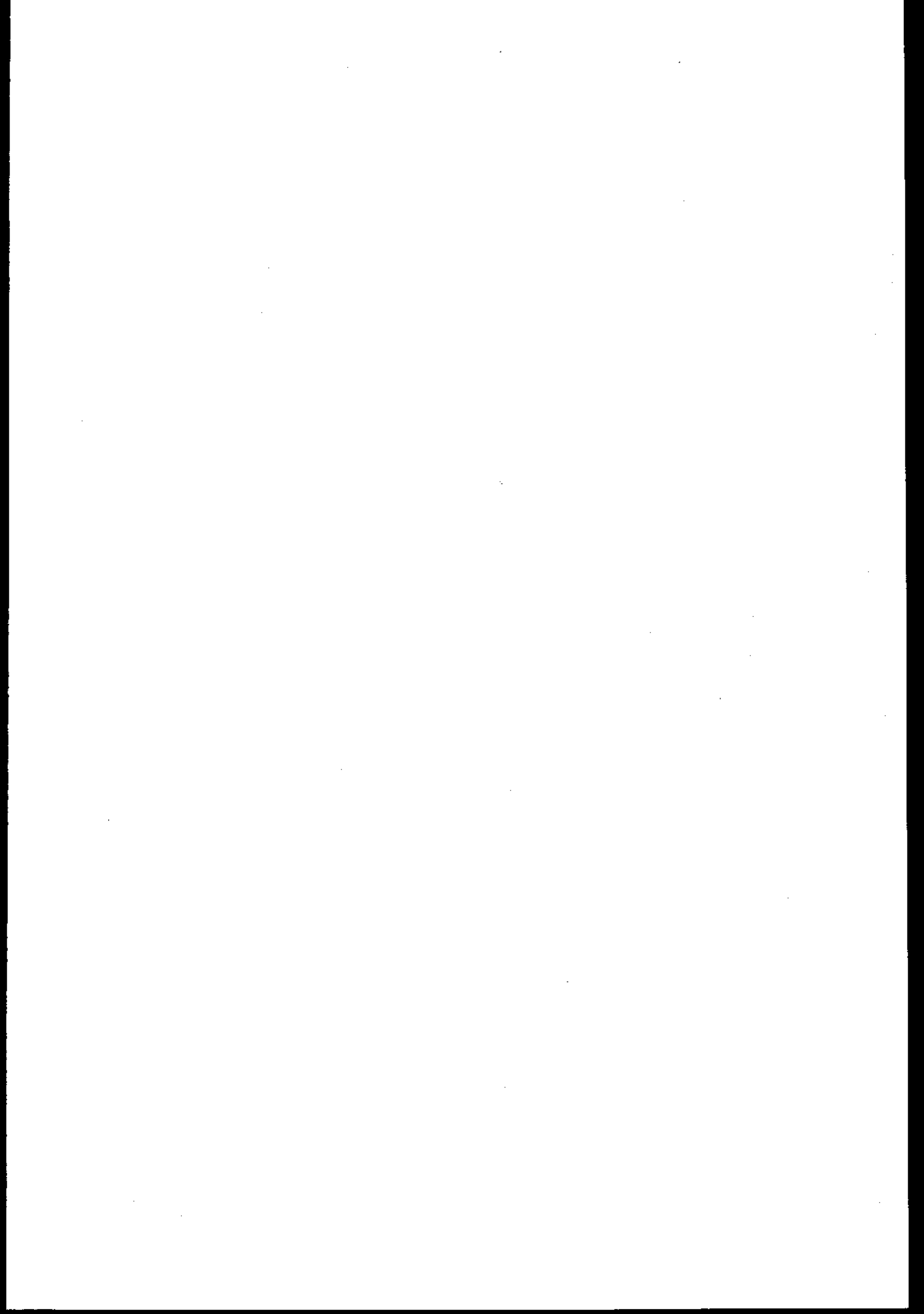
٣ ـ **الفصل الثالث:** سمات وخصائص رسم المصحف.

المبحث الأول: أنواع الخط في الكتابة العربية.

المبحث الثاني: مؤلفات في رسم المصحف.

المبحث الثالث: سمات وخصائص رسم المصحف.

٤ ـ **الفصل الرابع:** طباعة المصحف ورسومه الحالية.



الفصل الأول

رسم المصحف في مرات الكتابة خلال جمع القرآن

١ ـ **المبحث الأول:** كتابة القرآن في العهود الثلاثة.

المطلب الأول: في عهد النبي عليه السلام.

المطلب الثاني: في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

المطلب الثالث: في عهد عثمان رضي الله عنه.

٢ ـ **المبحث الثاني:** لماذا كتب القرآن؟

المطلب الأول: في عهد النبي عليه السلام.

المطلب الثاني: في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

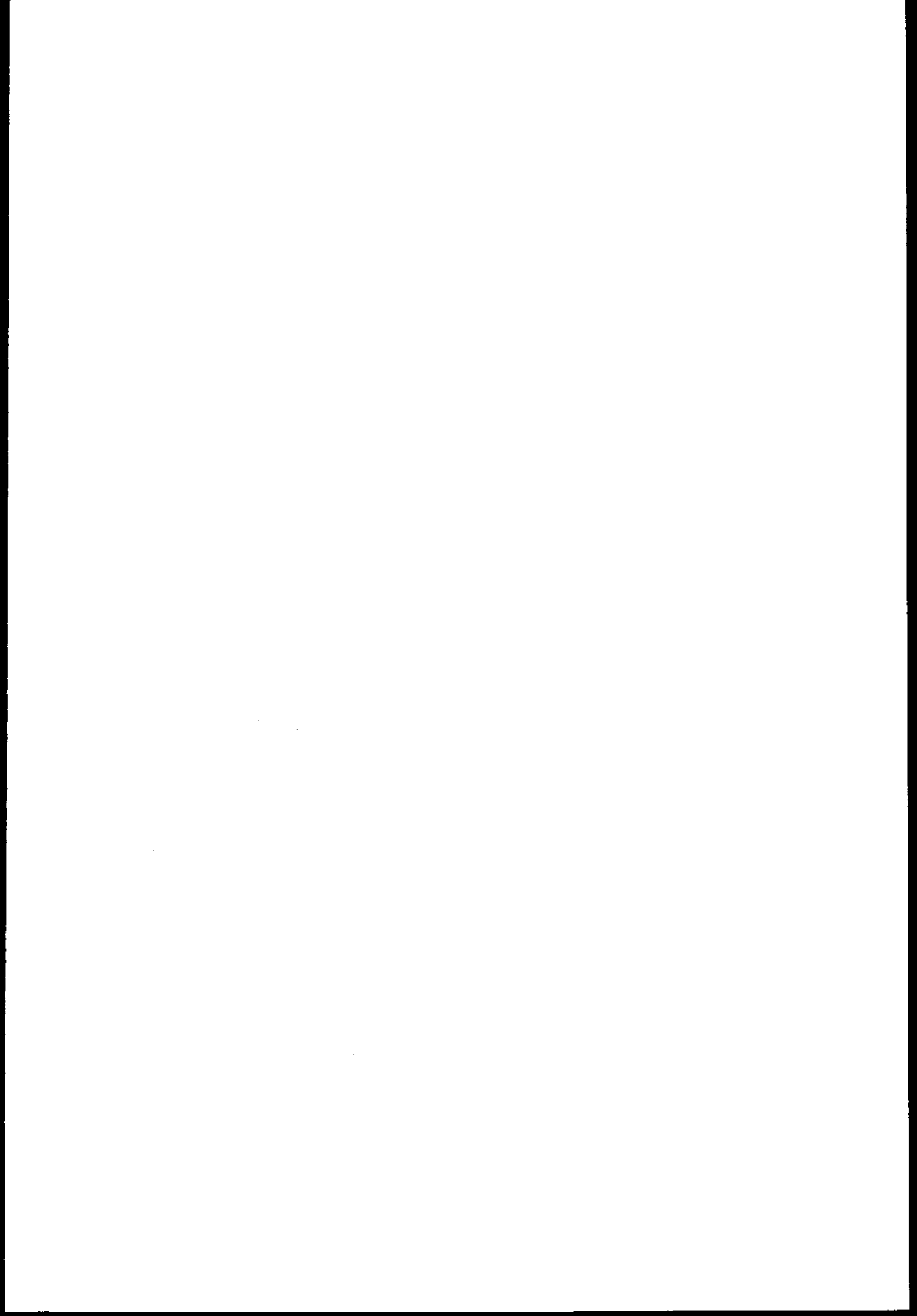
المطلب الثالث: في عهد عثمان رضي الله عنه.

٣ ـ **المبحث الثالث:** طريقة الكتابة في العهود الثلاثة.

المطلب الأول: في عهد النبي ﷺ.

المطلب الثاني: في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

المطلب الثالث: في عهد عثمان رضي الله عنه.



المبحث الأول

كتابة القرآن الكريم في العهود الثلاثة

المطلب الأول: في عهد النبي ﷺ.

تشير المراجع: إلى أن النبي ﷺ قد اتخذ لنفسه كتّاباً لكتابة القرآن الكريم ـ كما مر ـ ممن برعوا في فن الكتابة يومئذٍ، ووضع فيهم ثقته، لأنهم مع حذقهم الكتابة، جمعوا فضائل الكاتب: من الأمانة، والضبط، وإرهاف السمع، ووعي القلب[(١)].

وقد كتب هؤلاء الكتّاب آيات القرآن الكريم، كما أملاها عليهم النبي ﷺ، وفي المكان الذي يحدده لهم ﷺ بهذه الآية، أو تلك[(٢)].

فقد كان ﷺ «إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ ـ مِنَ الْقُرْآنِ ـ دَعَا بَعْضَ مَنْ يَكْتُب، فَيَقُول: ضَعُوا هٰذِهِ الآياتِ فِي السُّورَةِ التي يُذكَرُ فيها كَذَا وكَذَا»[(٢)].

وبهذا الشكل: كان النبي ﷺ يملي عليهم مباشرة، فيكتبون ما نزل بحضرته، ويعرضون عليه مرة بعد أخرى، حتى يقرهم[(٣)].

ولم تقتصر كتابة القرآن في عهد النبي ﷺ: على ما كان يكتب بين

---

(١) تحقيق معنى الأحرف السبعة ص ١٠٨.

(٢) فتح الباري ٩/١٨.

(٣) تاريخ القرآن والمصاحف ص ٢٣.

يديه، ومن إملائه فقط، بل كان بعض الصحابة رضوان الله عليهم يكتب ما تعلمه من القرآن فيما تيسر له من الصحف وغيرها بعيداً عنه؛ نظراً لمشاغله، وعدم فراغه، أو نظراً لكونه في غزوة أو سرية منعته من كتابة ما نزل وقت نزوله، وبين يديه ﷺ[١].

ولعله لوجود فريق من الناس يكتبون القرآن بعيداً عنه ﷺ، ورد عنه ـ حفظاً للقرآن من التخليط ـ قوله نهياً «لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئاً سِوَى الْقُرْآنِ، فَمَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئاً سِوَى الْقُرآنِ فَلْيَمْحُه»[٢].

وبهذا النهي انصرفت همة الناس إلى كتابة القرآن الكريم ـ وحده ـ آنذاك وتسجيله، حتى زمن الاختفاء في أوائل الإسلام، لم تمنعهم ظروفهم من ذلك، فكانوا يكتبون، ويتدارسون القرآن من هذه الصحائف في البيوت، وكان المشركون يسمون هذه الدراسة إذ ذاك «الهينمة»[٣]، ومن شواهد ذلك: حديث عمر بن الخطاب مع أخته قبل إسلامه، وهي المشهورة بقصة إسلام عمر[٤].

وقد حفلت كتب السنة بالروايات التي تدل على أن النبي ﷺ اهتم بكتابة القرآن، وأنه اتخذ كتّاباً ـ كما أشرنا ـ لهذا الغرض، وأن القرآن كتب كله في عهده وحضرته بمكة والمدينة بكل إتقان وضبط[٥] من أوله إلى آخره في صحائف وقراطيس متفرقة.

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن ص ٣٢.

(٢) رواه ابن حنبل في مسنده عن أبي سعيد الخدري انظر: ٣/ ١٢، ٢١، ٣٩، ٥٦ ط المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ـ بيروت.

(٣) تاريخ القرآن والمصاحف ص ٢٣.

(٤) انظر: جمع القرآن ص ٢٢.

(٥) انظر: مقدمتان في علوم القرآن ص ٢٦، جمع القرآن ص ٢٣.

وكانت هذه الصحائف والقراطيس أغلى عندهم من أنفسهم، وأنفس من كل نفيس، وأحب إليهم من كل حبيب وجليس[1]، لتيقنهم أن القرآن هو السبب في عزهم، وسعادتهم، وأنه أساس دينهم وشريعتهم[2].

وبهذا الشكل:

كتب القرآن جميعه في زمان الرسول ﷺ: بإقرار منه، وبمحضر من جميع الصحابة الذين كانوا أهلاً لمعرفة الكتابة، وكيفية الرسم، وهم عدد لا يحصى كثرة يفيد نقلهم العلم الضروري[3].

قال معاذ: عرضنا القرآن على النبي ﷺ، فلم يعب أحداً منا، وقد ظهر الإسلام في جميع أنحاء جزيرة العرب: كاليمن، والبحرين، وعمان، ونجد، وبلاد مضر، وربيعة، وقضاعة، والطائف، ومكة، ليس فيها مدينة، ولا قرية، ولا حلة عرب، إلا وقد قرىء فيها القرآن، وعلمه الصبيان والنساء، وكتب، وحفظ في الصدور[4].

المطلب الثاني: في عهد أبي بكر رضي الله عنه:

إذا كان القرآن الكريم، عندما كتب في عهد النبي ﷺ كان في صحائف متفرقة عند أصحابه، وكتبة الوحي، رضوان الله عليهم.

فإن الأمر يختلف عن ذلك عند أبي بكر رضي الله عنه في كتابته للقرآن الكريم.

وبيان ذلك:

---

(١) تاريخ القرآن والمصاحف ص ٢٣.
(٢) خلاصة النصوص الجلية ص ٦.
(٣) تنزيه القرآن ص ٤٤.
(٤) خلاصة النصوص الجلية ص ٧.

أن كتابته في عهد أبي بكر يراد بها جمعه في مكان واحد بعد تفرقه، وضم آياته إلى بعضها البعض بعد توزعها، كل ذلك في صحف مجتمعة في موضع واحد، مرتب الآيات في سورها، على ما وقف النبي ﷺ أصحابه عليه، بإرشادهم ـ كما مر ـ عند نزول كل آية أو آيات إلى موضعها من سورتها، وبقراءة سور كاملة في الصلاة وغيرها، وإقراء الصحابة والاستماع منهم[1].

وقد قام بكتابة القرآن هذه المرة زيد بن ثابت، كاتب وحي رسول الله ﷺ[2]، وقد خصه أبو بكر رضي الله عنه لهذه الفضيلة ـ وتبعه كما سنرى ـ الإمام عثمان رضي الله عنه، على ذلك، وإن ساواه غيره في كمال العدالة، وكَتْب الوحي للنبي ﷺ، وجمع القرآن على عهده ـ لأنه قرأ عليه بعد العرضتين الأخيرتين، وهي حاكمة على المتقدمات[3]، وكان يقرىء بهذه القراءة الأخيرة حتى مات[4].

وأيضاً: فقد كان زيد هذا من ألزم الناس للكتابة بين يدي النبي ﷺ، في الوحي وغير الوحي، لا عمل له غير ذلك[5].

فكان يرى ـ دائماً ـ إملاءَ النبي ﷺ القرآن عليه، ولذا كان يشاهد من أحوال القرآن ما لا يشاهده غيره، مع أن الكتابة باب من العلوم جليل الخطر، دون سائر العلوم والأثر[6].

وهذا بالإضافة إلى:

---

(١) انظر: جمع القرآن ص ٣٦.
(٢) انظر: البخاري ٣/ ٢٢٥ ط. عيسى الحلبي، فتح الباري ٩/ ٨، الإتقان ١/ ٥٧.
(٣) فتح المنان ص ١٣ ب.
(٤) البرهان ١/ ٢٣٧.
(٥) جوامع السيرة ص ٢٧.
(٦) مقدمتان في علوم القرآن ص ٢٥.

الصفات التي قالها له ـ أبو بكر رضي الله عنه في ترشيحه للقيام بهذا العمل الجليل ـ في عبارته الشهيرة.

«إنك: رجل، شاب، عاقل، لا نتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ»[1].

وتم جمع الصحف التي كتبت بين يدي النبي ﷺ، وتم كذلك ـ بمحضر الصحابة رضوان الله عليهم ـ تفريغ ما فيها وكتابته في الصحف البكرية، على النحو الذي سنفصله قريباً.

وبعد الفراغ من هذا العمل، وتمام الكتابة.

قال أبو بكر: سموه.

فقال بعضهم: سموه إنجيلاً، فكرهوه.

وقال بعضهم: سموه السفر، فكرهوه من يهود.

فقال ابن مسعود: رأيت بالحبشة كتاباً يدعونه المصحف.

فسموه به[2].

وعلى هذا:

فأبو بكر، رضي الله عنه، هو أول من سمى الكتاب الكريم «المصحف»[3].

ويناقش الدكتور لبيب السعيد حداثة هذه التسمية فيقول[4]:

---

(١) فتح الباري ـ نفس الموضع.
(٢) الإتقان ١/ ٥١.
(٣) نفس المرجع.
(٤) الجمع الصوتي: ص ٨٤.

«على أن هذا اللفظ ـ مصحف ـ وإن يكن ـ حسب هذه الرواية، معرباً عن الحبشية، فقد كان ـ منذ ما قبل الرواية ـ مما استعمل العرب».

ويستدل لذلك بقول امرىء القيس:

أتت حجج بعدي عليها فأصبحت   كخط زبور في مصاحف رهبان

ثم لا يستبعد أيضاً:

أن يكون لفظ «المصحف» مما تداول المسلمون أنفسهم قبلاً بنفس المعنى الذي قصدته التسمية البكرية، بل لعله الأقرب ـ كما يرى ـ والأكثر قبولاً.

ويستدل لذلك أيضاً بما يلي:

أ ـ عن أبي هريرة أن النبي ﷺ، قال: «الغرباء في الدنيا أربعة، وعد منها مصحفاً في بيت لا يقرأ فيه»[١].

ب ـ وروى ابن ماجه وغيره، عن أنس ـ مرفوعاً ـ: سبع يجري للعبد أجرهن بعد موته، وهو في قبره «وعد منهم ـ أيضاً ـ من ورَّث مصحفاً»[٢].

جـ ـ وعن نافع، عن ابن عمر، قال: «نهى النبي ﷺ، أن يسافر بالمصاحف إلى أرض العدو، مخافة أن ينالوها»[٣].

د ـ ونضيف إلى أدلة الدكتور: الحديث الذي ذكر فيه لفظ «مصحف»، والذي ذكر عند بيان موقف الرسول عليه السلام من الكتابة[٤].

---

(١) فيض القدير ٤/ ٤٠٩.

(٢) رواه ابن ماجه من طريق أبي هريرة باب «ثواب معلم الناس الخير».

(٣) انظر: ابن ماجه، وأبو داود، وابن أبي داود ـ واللفظ له ـ في المصاحف ١٨٠، ١٨١.

(٤) انظر: مبحث موقف الإسلام من الكتابة.

المطلب الثالث: في عهد عثمان رضي الله عنه.

أما عهد الخليفة الثالث: فإن الأمر في كتابة القرآن الكريم، جد مختلف.

إذ أن المراد بكتابته هذه المرة كان مقصوداً منها: كتابة القرآن المتواتر المتلو جميعه، مرتب الآيات والسور في مصاحف، ونشرها في الأمصار، لتكون مثابة للناس عند الاختلاف[1].

وذلك عندما تنازع أهل الشام وأهل العراق في القرآن:

أهل الشام: يقرأون بقراءة أبي بن كعب، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق.

وأهل العراق: يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود، فيأتون بما لم يسمع أهل الشام.

فيكفر بعضهم بعضاً[2].

وكان قد وقع مثل هذا عند الخليفة الثالث:

فقد كان المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم ـ الآخر ـ يعلم قراءة الرجل؛ فجعل الغلمان يتلقونه فيختلفون، حتى كفر بعضهم بعضاً، فبلغ ذلك عثمان، فتعاظم في نفسه، فقال: أنتم عندي تختلفون، فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافاً[3].

---

(١) جمع القرآن: ص ١٠٣.
(٢) فتح الباري ٩/ ١٤.
(٣) نفس المرجع، المصاحف ٢١.

ولذلك:

كان قراره رضي الله عنه بعد التشاور، يتضمن هذه البنود الثلاثة:

أ ـ أن يكتب القرآن الكريم في عدة مصاحف.

ب ـ أن يرسل من هذه المصاحف إلى الأمصار الإسلامية.

جـ ـ أن يؤمر الناس بإحراق ما سوى هذه المصاحف، أو إقامة ما عندهم عليها[1].

وبذلك يجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا اختلاف[2].

(١) جمع القرآن ص ١٠٧.
(٢) فتح الباري ٩/ ١٥.

المبحث الثاني

لماذا كتب القرآن؟

ظهر لنا في المبحث الأول: أن القرآن كتب ثلاث مرات، في الأولى كان مفرقاً بين الألواح والعسب واللخاف، زمن النبي ﷺ.

وفي الثانية: كان جمعه من هذه القطع، وكتابته في مصحف، زمن الصديق رضي الله عنه.

وفي الثالثة: كان نَسْخُه في المصاحف، زمن عثمان رضي الله عنه.

وهنا: ينبغي لنا أن نلقي الضوء على سبب كتابته في كل مرة من هذه المرات، حتى نتبين بجلاء موضوع رسم المصحف خلال مرات الكتابة هذه، ونتعرف...

هل هذا الرسم من اصطلاح الصحابة؟

أم أنه كان بإرشاد النبي ﷺ لأصحابه، وإقراره؟

ونرى أيضاً: متى بدأ هذا الرسم يتخذ الطابع الرسمي الذي صنفت على أساسه القراءات القرآنية.

ويتبين لنا ذلك - إن شاء الله - في هذا المطلب، وكذلك في المبحث التالي من نفس هذا الفصل.

سبب كتابة القرآن الكريم، والهدف من ذلك...

المطلب الأول: في عهد النبي ﷺ.

وهي فيما يرى الشيخ محمد فريد حامد العبادي[1].

---

(١) جمع القرآن ص ٢٧، وانظر: مقدمتان في علوم القرآن ص ٢٣.

١ ـ تبليغ الوحي على الوجه الأكمل؛ نظراً لأن الكتابة لا يتطرق إليها الشك، أو النسيان.

٢ ـ تبليغ الشاهد الغائب، وتبليغ الصحابة لمن بعدهم.

٣ ـ معاضدة المكتوب للمحفوظ.

٤ ـ تنبيه المسلمين إلى المحافظة على القرآن بكل الوسائل.

ويمكن أن يضاف إلى هذه الأسباب:

٥ ـ تعليم الرسم الخاص بكلمات القرآن؛ حيث إن غيره من الرسوم، لم تكن ـ ولا تصلح أن ـ تتحمل ما يتحمله هذا الرسم من وجوه الإعجاز[١].

المطلب الثاني: في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

لئن كانت ردة بعض المسلمين عن الإسلام هي التي أدت إلى الاشتباك بين المسلمين والمرتدين..!!

ولئن كانت موقعة اليمامة هي التي أودت بحياة الكثيرين من قرّاء القرآن الكريم وحفاظه..!!

ولئن كان موت هؤلاء القراء من المسلمين، هو الذي دفع بعمر رضي الله تعالى عنه إلى التفكير في جمع القرآن..!!

فإن الذي لا يخفى: أن خوف عمر رضي الله عنه الذي عبر عنه بقوله في رواية البخاري «وإني أخشى أن يستمر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن»[٢].

---

(١) انظر: أحاديث الرسول ﷺ المذكورة عن موقفه من الكتابة.

(٢) فتح الباري ٨/ ٣٩.

لم يكن هذا ـ الخوف ـ ناشئاً عن احتمال ذهاب الحفظة؛ فإن سبعين رجلاً، أو سبعين ألفاً لو ذهبوا من حفظته في ذلك الوقت، لم يكن شيئاً مذكوراً، فقد قال الإمام ابن تيمية في فتاويه: توفي رسول الله ﷺ والقرآن لا يشك في كلمة منه، أو حرف من حروفه أحد من أصحابه، بل سارت به الركبان، وشاع في أنحاء جزيرة العرب، وتدارسه ثلاثون مليوناً من أهل الجزيرة، كلهم يتلقى ما يقرأه عن رسول الله ﷺ، أو عن أحد أصحابه[1].

وإنما خاف عمر أن يذهب كثير من أحرف القرآن السبعة المحفوظة في الصدور بذهاب حملته، أو يذهب كثير من صحائف القرآن المكتوبة بين يدي الرسول ﷺ، بذهاب أصحابها، فلا يدرى طريق كتابته الذي أقره النبي ﷺ[2] وحقاً ما كان يخشى ـ مع وعد الله بحفظ كتابه ـ ضياع أصل القرآن بموت القراء، وإنما يخشى ضياع بعض الأحرف دون بعض، أو ضياع الرسم[3].

وبذلك يذهب العارفون برسم المصحف الذي أقر عليه النبي ﷺ أصحابه، لما يعلم من الحروب المقبلة الطاحنة، ولما رآه من ترامي القراء على شفار السيوف.

رأى عمر رضي الله عنه ذلك، فشدد في جمع القرآن حتى تم جمع تلك الصحف بمصحف واحد، وتم إعلان الناس بكيفية الرسم الذي أقر عليه الرسول ﷺ[4]، على النحو الذي سنفصله قريباً.

---

(١) تنزيه القرآن ص ٤١.
(٢) جمع القرآن ص ٣٨.
(٣) نفس المرجع ص ٥١.
(٤) تنزيه القرآن ص ٤٢.

المطلب الثالث: أما في عهد عثمان رضي الله عنه.

فنرى أن الخلاف الذي وقع بين المسلمين في غزو أرمينية وأذربيجان، والذي دفع بحذيفة بن اليمان أن يفزع إلى المدينة، ثم لا يدخل بيته، حتى يأتي عثمان فيقول له:

يا أمير المؤمنين: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى[١].

ووافق ذلك ما كان عثمان رضي الله عنه عرفه عن المعلمين عنده[٢]، كما قدمنا.

وفكر عثمان رضي الله عنه في الأمر ملياً، فوجد أن الأسباب التي دعت إلى هذا التنازع تنحصر في:

١ ـ اختلاف الصحابة الذين تفرقوا في الأمصار في القراءة، ويقطع ابن الجزري: بأن كثيراً منهم، كانوا يقرأون بما يخالف رسم المصحف العثماني ـ قبل الإجماع عليه ـ من زيادة كلمة فأكثر، وإبدال أخرى بأخرى، ونقص بعض الكلمات[٣].

٢ ـ عدم معرفة الآخذين عن هؤلاء الصحابة أن هذه الخلافات مردها إلى النبي ﷺ، مما أدى إلى أن يكفر بعضهم بعضاً، كما في «فتح الباري».

٣ ـ اختلاف رسوم القرآن بكثرة المصاحف الخاصة التي كتبها الصحابة لأنفسهم، مثل مصحف عمر بن الخطاب[٤]، ومصحف علي بن أبي

---

(١) فتح الباري ٩/ ١٤.
(٢) انظر: نفس المرجع.
(٣) انظر: الإبانة ص ٢٠، النشر ١/ ٣١، منجد المقرئين ص ٢١، ٢٢.
(٤) انظر: المصاحف من ص ٥٠ ـ ٨٧.

طالب، ومصحف أبي بن كعب، ومصحف عبد الله بن مسعود، ومصحف عبد الله بن عباس، ومصحف عبد الله بن الزبير، ومصحف عائشة زوجة النبي ﷺ، ومصحف حفصة زوجة النبي ﷺ، ومصحف أم سلمة زوجة النبي ﷺ[1].

مما أدّى إلى تخالف المسلمين في القراءة نتيجة أخذهم عن أصحاب هذه المصاحف المختلفة، والتي لم تتوفر لها مميزات الصحف البكرية.

ولذلك كان الحل الذي ارتآه لرأب هذا الصداع: هو إعادة كتابة القرآن الكريم نقلاً من نسخة أبي بكر، التي كتب ما فيها مما كتب بين يدي النبي ﷺ، وتعميم رسمها في البلاد، كما سنرى.

---

(١) المرجع السابق.

المبحث الثالث

طريقة كتابة القرآن الكريم

المطلب الأول: في عهد النبي ﷺ.

كُتِبَ القرآن الكريم في عهده ﷺ جميعه، على الألواح، واللخاف، والعسب، والحجارة الرقيقة، وغير ذلك.

وتنقسم هذه القطع من حيث ما كتب فيها إلى قسمين:

القسم الأول: ما كتب بين يدي النبي ﷺ، وبإملائه.

القسم الثاني: ما كتب بعيداً عنه عليه الصلاة والسلام.

وسنتناول لبيان طريقة الكتابة في عهده عليه الصلاة والسلام الحديث حسب هذا التقسيم.

القسم الأول: ما كتب بين يديه ﷺ وبإملائه.

كان النبي ﷺ، كلما نزل عليه شيء من القرآن دعا بعض كتبة الوحي، وأملى عليهم ما نزل عليه، ثم يستحفظ أصحابه في هذا الذي نزل، فيحفظون، ويعرض عليهم، ويعرضون عليه، المرة بعد الأخرى، حتى يقرهم[1].

وهكذا كان دأبه عليه الصلاة والسلام.

«إذا نزل عليه شيء دعا بعض من يكتب، فيقول ضعوا هذه الآيات،

---

(١) تاريخ القرآن والمصاحف ص ١٩، ٢٣.

في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»[1].

بل إنه ما من آية نزلت إلا وقد أمر رسول الله ﷺ من يكتب له، أن يضعها في موضع كذا من سورة كذا، ويمليها عليهم بنفسه[2].

روى البخاري عن البراء قال[3]:

لما نزلت: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

قال النبي ﷺ: «ادع فلاناً».

فجاء: ومعه الدواة، واللوح، أو الكتف.

فقال: اكتب (لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ).

وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم.

فقال: يا رسول الله: أنا ضرير، فهل من رخصة؟

فنزلت مكانها. ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[4].

وأمر زيداً أن يكتبها فكتبها.

قال زيد: كأني أنظر إلى موضعها عند صدع الكتف.

وأثناء ذلك: كان يرشد الكتاب إلى ما يجعل كتابتهم حسنة، ومتقنة، ويرشدهم إلى تجويدها، وتحقيقها، حتى تزداد وضوحاً، ولرسالتها أداءً[5].

---

(١) فتح الباري ٩/١٨.
(٢) مقدمتان في علوم القرآن ص ٢٧.
(٣) فتح الباري ٩/١٨.
(٤) سورة النساء، الآية: ٩٥.
(٥) انظر: مبحث موقف الرسول ﷺ من الكتابة.

ومن ذلك ـ فوق ما مر من الأحاديث ـ قوله لكاتب وحيه معاوية:

«ألق الدواة، وحرف القلم، وانصب الباء، وفرق السين ولا تعور الميم، وحسن الله، ومد الرحمٰن، وجود الرحيم»[1].

ويقول القاضي عياض: وهذه الإرشادات النبوية لا يبعد أن يرزق عليه الصلاة والسلام علمها، وإن لم يثبت تعلمه للقراءة وللكتابة[2].

ومن الضروري أنه: كانت تعاد كتابة الآية، أو الآيات: مرة، أو مرات، إذا لزم الأمر إلى ذلك، كأن تعاد الكتابة من أجل الترتيب لهذه الآية، أو الآيات في سورها.

فقد أخرج الحاكم بسنده على شرط الشيخين، عن زيد بن ثابت:

قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: نُؤَلِّفُ الْقُرآنَ مِنَ الرِّقَاعِ» الحديث.

قال البيهقي: يشبه أن يكون المراد به:

تأليف ما نزل من الآيات المفرقة في سورها، وجمعها فيها بإشارة من النبي ﷺ[3].

ومن الضروري أيضاً: أنهم كانوا يراجعون مكتوباتهم لأنفسهم أولاً، ولبعضهم ثانياً، مبالغة منهم في التثبت، والدقة، وصيانة النص الشريف، وقد كانوا يرون خلال هذه المراجعات خطوط بعضهم البعض.

وقد كانت بالضرورة ـ جميعها ـ متوافقة، وإلا لتناقشوا في ذلك، ولو تناقشوا لنقل إلينا، ولكنه لم ينقل إلينا مثل هذا؛ فدل على أن كتاباتهم كانت

---

(١) الشفاء ١/ ٢٣٦.
(٢) نفس المرجع.
(٣) الإتقان ١/ ٥٧، وانظر: المستدرك ٢/ ٦١١.

متفقة مع بعضها البعض، ومطابقة لإملاء النبي ﷺ لهم، الذي كان يتابعهم أولاً بأول، ويملي عليهم بنفسه مباشرة.

والمسلمون مجمعون على أن الصحابة رضوان الله عليهم، ما كانوا يكتبون إلا ما كانوا يقطعون بسماعه من النبي ﷺ[١].

ومن الضروري كذلك: أنهم هم الذين كتبوا بعض الكلمات في بعض المواضع برسم، وفي بعضها الآخر برسم آخر.

مثل كلمة: «سبحان».

حيث وردت في القرآن الكريم كله في ثمانية عشر موضعاً[٢]، كتبت فيها كلها محذوفة الألف[٣]، إلا في قوله تعالى: ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾[٤]، فقد كتبت بالألف.

وإنهم كانوا يرون ذلك، ويعرفونه، ولا يتخالفون، وما ذلك إلا لأنه كان بإملاء وإرشاد من النبي ﷺ، ولم يكن باصطلاحهم، وإلا لتنافسوا ـ كما قلنا ـ في ذلك، وهم ليسوا بأقل حرصاً على إتقان عملهم، ودقة كتابتهم، من الذين تناقشوا في كلمة «التابوت» ـ كما سيأتي ـ على عهد عثمان.

وهكذا:

كانت العناية تشمل هذا المكتوب بين يدي النبي ﷺ من حيث:

١ ـ ترتيب آياته في سورها.

---

(١) الكلمات الحسان ص ٤٨.
(٢) المعجم المفهرس ص ٣٣٩.
(٣) إتحاف فضلاء البشر ص ٣٤٦.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩٣.

٢ ـ خلوه من الإبدال، أو النقص والزيادة، أو التقديم والتأخير.

٣ ـ كونه بإملاء النبي ﷺ، وخاضعاً لإرشاداته في تحسين الكتابة، ورسم الكلمات.

٤ ـ إقرار النبي ﷺ ـ بعد المراجعات ـ لما فيها لفظاً، وخطاً.

القسم الثاني: ما كتب بعيداً عنه ﷺ.

وقدمنا: أن السبب في كتابة هذه القطع كذلك، هو ما كان يحول بين أصحابها وبين كتابتهم لها بين يدي النبي ﷺ. من شواغل حياتهم، وشؤون معايشهم. وكذلك، خروجهم في الغزوات وفي السرايا.

ولهذا: لم يكن لهذه المكتوبات من الدقة، والإصابة، والمطابقة الحقيقية للفظ المنزل، ما كان للذي كتب بين يديه عليه الصلاة والسلام.

إذ كان الواحد ـ من الصحابة ـ إذا حفظ سورة أنزلت على رسول الله ﷺ، أو كتبها، ثم خرج في سرية، فنزل وقت تغيبه سور، فإنه كان إذا رجع، فأخذ في حفظ ما ينزل ـ بعد رجوعه ـ وكتابته، ويتتبع ما فاته على حسب ما يتسهل له: يقع فيما يكتبه تقديم وتأخير، من هذا الوجه، وقد كان منهم من يعتمد على حفظه فلا يكتب[١].

وكذلك ـ أيضاً ـ من كانت تمنعه شواغله الخاصة، وشؤون حياته، من الكتابة بين يدي النبي ﷺ: كان يقع فيما يكتبه من التقديم والتأخير، والزيادة والنقصان، والإبدال، ما يقع.

وسوف نرى وفيما بعد ـ أن هذه هي القطع التي رفض زيد بن ثابت ـ

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن ص ٣٢.

حين كتابة القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه، اعتمادها، وأبى التعويل عليها في جمع القرآن.

فهي: لم تكتب بين يديه ﷺ.

ولم تشرف بإملائه وإرشاداته النبوية.

ولم تحظ بالمراجعات الدقيقة التي كانت تتم بين الصحابة، وأمام رسول الله ﷺ، للمكتوبات بين يديه.

ولم تكرر كتابتها مرة أو أكثر، كما كان يحدث، عند تأليف القرآن في سوره من الرقاع.

ولم تسلم من وقوع التقديم والتأخير ـ وغير ذلك ـ فيها.

ولم تسلم ـ كذلك ـ من خلط ما ليس بقرآن بها، كالتفسير والحديث، مما دعا النبي ﷺ، أول الأمر، إلى أن يبادر بوقاية ألفاظ القرآن أن يختلط بها ما ليس منها.

فكان أمره الشريف ـ كما قدمنا ـ.

«لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ»[1].

وفي الرواية الأخرى: «لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي شيئاً سِوَى الْقُرْآنِ؛ فَمَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئاً سِوَى الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ»[2].

وهذا حتى لا يختلط الأمر، عند أمثال هؤلاء الذين يكتبون بعيداً عنه، فيكتب ما ليس من القرآن في القرآن.

---

(١) سبق.

(٢) المصاحف ص ٤.

وبهذا: كان رسول الله ﷺ يعمل على تقليل مظان الخلاف بين المسلمين، بعد ذلك.

وقد أمرهم ﷺ بعدم كتابة غير القرآن، وقاية من الخلط المؤدي إلى الخطأ، المؤدي بالتالي إلى الخلاف والتنازع.

ولم يأمرهم بعدم الكتابة بعيداً عنه، وقصرها على أن تكون بين يديه؛ إذ أن في ذلك من المشقة والصعوبة ما فيه، كما أن الخطر، الذي يمكن له أن يترتب على كتابة القرآن بعيداً عنه، لا يمكن له أن يتجاوز وعد الله سبحانه وتعالى بحفظه لكتابه الكريم، وصدق الله سبحانه وتعالى، فقد عولجت هذه الثغرة بجمع القرآن من الصحف، والقطع التي كتبت بين يدي النبي ﷺ بإرشاده وإملائه فقط. وأبعدت القطع الأخرى التي لم تكتب بين يديه، وكذلك القطع التي لم تجزها لجنة الفرز.

المطلب الثاني: في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

يروي البخاري في صحيحه قصة الحوار ومحاولات الإقناع التي كانت بين عمر بن الخطاب، وبين أبي بكر رضي الله عنهما، ثم ما كان من أمر أبي بكر لزيد بن ثابت وتكليفه له بالقيام بهذه المهمة الشاقة التي عبر عن مشقتها بقوله: «والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل علي مما أمروني به من جمع القرآن». وهكذا حتى آخر الحديث[1].

وتبدأ قصة الكتابة في هذا العهد بعد هذا الحوار، وهذا الإقناع والاقتناع، «وفق هذا المنهج الدقيق، الحريص، المتحرج، الذي أعان على

(١) انظر: فتح الباري ٨/٩ ـ ١٣، الإبانة ص ٢٣ ـ ٢٥، البرهان ١/٢٣٣، ٢٣٤، الإتقان ١/٥٧.

وقاية القرآن الكريم من كل ما لحق النصوص الأخرى من مظنة الوضع والانتحال، وعوامل النسيان والضياع»[1].

وكانت خطة هذا المنهج ـ فيما نرى ـ وفقاً للنقاط التالية[2]:

١ ـ جمع أبو بكر الحفظة المشهود لهم بالضبط والإتقان، وكان بينهم: زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وعثمان، وعلي، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن السائب، وخالد بن الوليد، وطلحة، وسعد، وحذيفة، وأبو هريرة، وأبو زيد، وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص[3].

وقد اختار أبو بكر هؤلاء الرجال، لأنهم مارسوا كتابة الوحي في زمن النبي ﷺ، إذ كتابة الوحي لها طريقة معلومة، وكيفية مخصوصة، أقر عليها الرسول ﷺ[4].

٢ ـ واجتمعت هذه اللجنة برئاسة زيد بن ثابت، في منزل سيدنا عمر بن الخطاب.

وتشاورت هذه اللجنة فيما بينها، وتناقشت، حتى وصلت في اجتماعها هذا بالاتفاق على شيئين:

---

(١) الجمع الصوتي ص ٤٣.

(٢) استفدت استفادة مباشرة في تحديد نقاط هذا المنهج، وكذلك منهج الكتابة في عهد عثمان رضي الله عنه، مما فعله د. لبيب السعيد في «الجمع الصوتي» ص ٤٣ وما بعدها وكذلك ص ٧١ وما بعدها.
وما فعله أيضاً المرحوم الشيخ العبادي في «جمع القرآن» ص ٥٥ وما بعدها، ص ١١٣ وما بعدها.

(٣) خلاصة النصوص الجلية ص ٨.

(٤) تنزيه القرآن ص ٤٣.

أ ـ خطة العمل التي سوف يسير عليها الجمع، والكتابة.

ب ـ تخصيص دور كل واحد منهم، والعمل المنوط به(١).

٣ ـ وبعد ذلك انتقلت هذه اللجنة إلى مسجد المدينة، وأخذوا يوالون فيه هذه الاجتماعات لتنفيذ الجمع، والكتابة(٢).

٤ ـ أحضر كل من كتب منهم مصحفاً لنفسه، به، وكذلك الصحائف والقراطيس ـ وكذلك المصاحف ـ التي كتبوا فيها القرآن بحضرة النبي ﷺ، واملائه(٣).

٥ ـ وعهدوا إلى بلال رضي الله عنه، أن ينادي بأنحاء المدينة، ليعلم الناس بأمر هذا الجمع، وكتابة القرآن الكريم، وحتى: ـ

أ ـ يعلمَ الناسُ جميعاً بأمر هذا الجمع، واعتزام أبي بكر رضي الله عنه على كتابة القرآن الكريم في مكان واحد.

وفي هذا ما يشبه أن يكون دعوة عامة لمن أراد أن يشهد هذا الجمع وهذه الكتابة منهم، فهو اجتماع عام، في مكان عام، لخير عام.

ب ـ يُحضِرَ الناسُ ما عندهم من القطع المختلفة التي كتبوا فيها القرآن الكريم، والذهاب بها حيث اللجنة المذكورة.

جـ ـ تسليم هذه القطع إلى هذه اللجنة(٤).

ومن الملاحظ: أنهم بهذا العمل تبين أنهم:

لم يكتفوا بحفظهم، ولا بالصحف والمصاحف التي كتبوها لأنفسهم،

---

(١) خلاصة النصوص ص ٨، ٩.
(٢) انظر: خلاصة النصوص ص ٩.
(٣) نفس المرجع ص ٩.
(٤) انظر: نفس المرجع ص ٩.

من ذاكرتهم؛ لأنها لا تزيد عن الحفظ شيئاً، بل طلبوا ما كتب بين يدي الرسول ﷺ، مما عندهم، وعند غيرهم، ليكتبوا من عينه ـ كما سنرى ـ فيوافق رسمهم الرسم الذي أقره النبي ﷺ، حينما كتب بين يديه[1].

ونتيجة هذا الإعلام:

جيء بعدد كثير من القطع.

٦ ـ وبدأت اللجنة، أول عملها في فرز هذه القطع، التي ما كانوا يقبلون قطعة منها حتى يتحققوا من أنها كتبت بين يدي النبي ﷺ، إذ كان غرضهم ألا يكتب إلا من عين ما كتب بين يديه ﷺ؛ وما كانوا يفعلون ذلك إلا مبالغة منهم في الاحتياط، ومغالاة في التحفظ، وإيغالاً في الضبط، وكانوا يقابلون القطع المكررة بعضها ببعض، لئلا يبقى مجال شك في تمام الضبط.

وكان من منهج هذه اللجنة في عملية الفرز هذه أثناء الكتابة: ـ

أ ـ أنها قبلت من القطع: ـ

١ ـ ما ثبت أنه: عرض على النبي ﷺ، عام وفاته، دون ما كان مأذوناً فيه قبلها[2].

٢ ـ ما وافق رسمها الرسم الذي كتب به بين يدي النبي ﷺ، والذي كتب به الصحابة، بين يدي النبي ﷺ، ومنهم زيد بن ثابت.

٣ ـ ما ثبت أنها كتبت بين يدي النبي ﷺ.

ولم يكن يكتفى لثبوت هذا الشرط إلا بشهادة شاهدين، يشهدان ـ كما

---

(١) جمع القرآن ص ٥٦.

(٢) لطائف الإشارات (نقلاً عن الجمع الصوتي ص ٤٤).

قال الإمام السخاوي ـ على أن هذا المكتوب كتب بين يدي النبي ﷺ. أو أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن[1].

ب ـ ورفضت من القطع: ـ

١ ـ ما نسخت تلاوته من كلمة أو آية، أو قراءة[2].

٢ ـ ما لم يحفظه عدد التواتر.

ولذلك: رفضت آية الرجم التي أتى بها عمر، ولم تكتب لأنه كان وحده[3].

٣ ـ ما لا يوافق رسمه قرآناً متواتراً متلواً.

ومخالفة الرسم هذه قد تكون:

بالتقديم والتأخير مثل: «إذا جاء فتح الله والنصر»[4].

أ ـ بالإبدال مثل «كالصوف المنفوش»[5].

أ ـ بالنقص والزيادة[6] مثل «والذكر والأنثى»[7].

إلى غير ذلك.

---

(١) الإتقان ١/٥٨.
(٢) جمع القرآن ص ٥٦.
(٣) الإتقان ١/٥٨.
(٤) في قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ ﴾، انظر: المصاحف ص ٨١.
(٥) في قوله تعالى: ﴿ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ ﴾ سورة القارعة، الآية: ٥، انظر: الإبانة ص ٣٨.
(٦) انظر: الكثير من هذا في المصاحف لأبي داود ص ٥٠ وما بعدها.
(٧) في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ ﴾ سورة الليل، الآية: ٣، انظر القرطبي ٢٠/ ٨١.

وكان جل[1] هذا المرفوض ـ عند هذه اللجنة ـ هو مما كتب بعيداً عن النبي ﷺ، كما بينا آنفاً، في كتابة القرآن في عهد النبي ﷺ.

ووفق هذا المنهج في عملية فرز هذه القطع:

كانوا[2] يجلسون في المسجد، أو غيره.

ويستدعون من أقرأه رسول الله ﷺ، أو أملى عليه سورة كذا.

فيحضرون.

فيقول زيد:

من معه من الكتّاب الآية الأولى من السورة، وهي قول الله عز وجل كذا.

فيجيب الكاتبون.

فيطلب من أحدهم إبرازها، فيبرزها، ويقرؤها، ويبين كيفية رسمها، بمسمع من باقي الكتاب والحفاظ.

فإذا وافقه الجميع عليها: كتبها زيد على الرسم الذي عنده.

وإن خالفه أحد الكتاب: في الرسم، أو أحد الحفاظ: في القراءة، كان هذا محل المقارنة، والموازنة.

فأول شيء من ذلك:

تبعد القطع التي رفضت، حسب منهج فرز هذه القطع، كما تبين.

وبعد هذا:

ينظر في الرسم، أو الرسوم التي توافق ما تواتر من القراءات المتلوة:

---

(١) لم نقل «كل»؛ لأن بعض ما رفض مما نسخ، كان مكتوباً بين يديه ﷺ.

(٢) جمع القرآن ص ٥٦، ٥٧.

أ ـ فإن صلح رسم واحد منها، لجميعها، اكتفى بها.

ب ـ وإن لم يصلح إلا رسمان أو أكثر، كتب أحدهما بالأصل.

وكتب ما يخالفه، تحته، أو فوقه، أو بهامش الآية، أو بغير ذلك من الطرق التي يعرفون بها أن للكلمة رسمين، أو أكثر[1].

وهذا الاحتمال وإن كان بغير دليل كما نرى، إلا أنه لا يوجد ـ أيضاً ـ ما يمنع من قبوله.

فإذا كتب زيد هذه الآية، طلب الآية الثانية التي يحفظها القراء، ويعلمون أنها الثانية، ومع بعضهم مصاحفهم ينظرون إليها، لئلا تنسى آية في أثناء الطلب، ويفعل بالثانية ما فعل بالأولى.

وهكذا يفعل بسائر آيات السورة؛ حتى إذا تمت عرضها زيد عليهم، خوف نسيان شيء منها في الوسط، أو في الآخر.

فإذا أقروا جميعاً بالتمام، شرع في سورة أخرى، وصنع بها، مثل ما صنع بالأولى.

وقد كان من بديع حفظ الله تعالى لكتابه ـ كما يقول الشيخ العبَّادي ـ أنه ما طلب زيد آية متواترة متلوة، إلا وجدها مكتوبة عند جمع من الصحابة، الذين كتبوها بإملاء الرسول ﷺ، أ. هـ.

وبعد أن كتبوا ما كلفوا بكتابته:

جمع الصديق القراء، وقارنوا بين الصحف ـ القطع ـ وبين ذلك

(١) ويبرر لهم فعل ذلك أن هذه الصحف لم تكن مجموعة لقراءة العامة فيها، وإنما جمعت لحفظ القرآن بين دفتين، خشية الضياع، فلا ضرر في كتابة رسمين مع الإشارة التي يعلم بها أولوا العلم أنهما رسمان صحيحان، بخلاف المصاحف العثمانية ـ كما سنرى ـ (جمع القرآن ص ١١٥).

المصحف، ثم أعلن الناس: بأن ما في الصحف التي كتبت في زمان الرسول ﷺ، وأقر عليها، قد كتب مثلها، في مصحف مجموع، خوفاً من ذهاب من يعرف كيفية الرسم الذي أقر عليه الرسول ﷺ[1].

وقد ترتب على هذا الجمع ـ وبهذه الكيفية:

إرشاد الناس إلى كيفية الرسم الذي أقر عليه الرسول ﷺ، حتى لو ذهب جميع القراء الذين كانوا في زمان الرسول عليه السلام ـ بعد ذلك ـ لم يؤثر ذلك في معرفة الرسم[2].

المطلب الثالث: في عهد عثمان رضي الله عنه.

سبق أن أنهينا الفقرة الخاصة ببيان السبب الذي دفع بعثمان رضي الله عنه إلى التفكير في إعادة كتابة القرآن الكريم بهذه العبارة.

«كان الحل لتلاشي هذا التنازع الذي ظهرت بوادره ـ الذي أرتاه، لرأب هذا الصدع: هو إعادة كتابة القرآن الكريم نقلاً من نسخة أبي بكر، التي كتب ما فيها مما كتب بين يدي النبي ﷺ، وتعميم رسمها في البلاد».

وبذلك: يكون هذا الرسم بعد تعميمه جامعاً مانعاً للقراءات الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

وكان هذا الحل في صورة قرار، اتخذ بعد تشاور، يتضمن بنوداً ثلاثة كما سبق أن شرنا: وهي: ـ

أ ـ أن يكتب القرآن في عدة مصاحف.

ب ـ أن يرسل من هذه المصاحف إلى الأمصار.

---

(١) تنزيه القرآن ص ٤٣.

(٢) نفس المرجع.

جـ ـ أن يحرق ما عداها، أو يقوّم عليها[١].

وكلامنا هنا: سوف يتناول بالبيان تنفيذ البند الأول من هذا القرار، الذي لولاه «لترك عثمان الناس يقرأون القرآن قراءات مختلفة، بلغات متباينة في ألفاظها؛ ولكان هذا مصدر فرقة لا شك فيها، ولكان من المحقق أن هذه الفرقة حول الألفاظ؛ ستؤدي إلى فرقة شر منها حول المعاني، بعد أن كان الفتح، وبعد أن استعرب الأعاجم، وبعد أن أخذ الأعراب يقرأون القرآن»[٢].

وتتناول النقاط الست الآتية بيان تنفيذ هذا البند.

النقطة الأولى: أول هذه النقاط التي بدأ بها عثمان هي:

أخذ الموافقة الجماعية من الصحابة، حتى يكون هذا العمل شرعياً، وحتى لا يقول أحد أنه نفذ بقوة سيف الحاكم، وحتى يشاركه هؤلاء الصحابة ـ وهم مقتنعون ـ القيام بهذه المهمة الجليلة الشاقة.

ففي «فتح الباري»[٣]:

قال الصحابة ـ «وبعد التشاور» ـ لعثمان: فما ترى؟

قال: أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة، ولا اختلاف.

قال الصحابة: فنعم ما رأيت[٤].

---

(١) انظر: جمع القرآن ص ١٠٧.
(٢) الفتنة الكبرى ص ١٨٢.
(٣) ٩/١٥.
(٤) وانظر كذلك مقدمتان في علوم القرآن ص ٢٢، ٢٣.

وبهذا حصل عثمان على الموافقة الجماعية، وأخذ في:

النقطة الثانية: تشكيل اللجنة.

وشكلت هذه اللجنة من: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمٰن بن الحارث[1].

وعلى هذا فاللجنة مكونة من أربعة أشخاص فقط.

لكن جاء في بعض الروايات:

أن عثمان لما أراد أن يكتب المصاحف، جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار، فيهم أبي بن كعب، وزيد بن ثابت[2].

ولا تناقض بين هاتين الروايتين في عدد اللجنة، كما يقول الحافظ ابن حجر في فتح الباري، حيث يقول: وكأن الأمر كان ـ لمن ذكر في التشكيل الأول، ثم احتاجوا إلى من يساعد في الكتابة بحسب الحاجة إلى عدد المصاحف التي ترسل إلى الآفاق، فأضافوا لزيد من ذكر، ثم استظهروا بأبي بن كعب في الإملاء[3].

وربما كان القصد من كل هذه الجماعة المساعدة، المشتهر أعضاؤها بالضبط والمعرفة، أن ينضم العدد إلى العدالة[4].

النقطة الثالثة: إحضار الصحف التي جمع فيها القرآن في عهد أبي بكر، إذ أرسل عثمان إلى حفصة ـ وكانت هذه الصحف عندها ـ أن أرسلي

---

(١) انظر: فتح الباري ١٦/٩، النشر ٧/١، البرهان ٢٣٦/١ (وفيه سعد بن وقاص، وليس كذلك) مقدمتان ص ١٩.

(٢) انظر: المصاحف ص ٢٥، ٢٦ طبقات ابن سعد (في ترجمة أبي بن كعب) ٦٣/٣.

(٣) ١٥/٩.

(٤) انظر: مقدمتان ص ٢٢، ٢٣، الكواكب الدرية ص ٢٢.

إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان[١].

النقطة الرابعة: التعليمات العامة التي صدرت لهذه اللجنة.

أصدر عثمان رضي الله عنه لهذه اللجنة بعض التعليمات العامة قبل أن تبدأ في عملها، حتى تكون مسترشدة بها في خطة عملها، بل في عملها نفسه، وحتى لا يكون هناك مظان خلاف بين أعضاء هذه اللجنة في هذا العمل الحساس الشاق، الضخم الجسامة.

من هذه التعليمات:

أ ـ تخصيص عمل كل واحد من أعضاء هذه اللجنة.

فجعل الإملاء من اختصاص: سعيد بن العاص، بعد أن عرف أنه أعرب الناس[٢]، ويقال أنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ[٣].

وجعل الكتابة من اختصاص: زيد بن ثابت، بعد أن سأل من أكتب الناس؟ وقالوا له: كاتب رسول الله زيد بن ثابت[٤].

وكأن عثمان رضي الله عنه، بهذا السؤال: أحب أن يزيل من نفوسهم كل مظنة لتفضيل زيد على غيره، بجعلهم يعترفون بسبب اختياره، وإلا فإن عثمان يعرف أنه كان كاتب الوحي، وأنه هو الذي نسخ الصحف في عهد أبي بكر، وبذلك تكون له أولية ليست لغيره[٥].

وجعل عثمان ـ رضي الله عنه ـ لبقية أعضاء اللجنة، ما يناط بها من الأعمال المختلفة، التي تكون في مثل هذا العمل عادة.

---

(١) نفس المرجع، الإتقان ١/٥٩.
(٢) فتح الباري ٩/١٥، المصاحف ص ٢٤.
(٣) المصاحف ص ٢٤.
(٤) المصاحف ص ٢٤.
(٥) فتح الباري ٩/١٦.

وكذلك: «ما يناط بها من المساعدة في كتابة بعض النسخ، أو الإملاء»[1].

وجعل لنفسه ـ رضي الله عنه ـ الإشراف العام[2].

وليس هذا بمستكره، أو منتقد، فإن مثل هذا العمل الجاد، الخطير، لا بدّ له من مشرف عام يرجع إليه عند وجود أي خلاف، أو يستفسر منه عند أي غموض أو لبس في التنفيذ، وليس أولى بهذا الإشراف من الخليفة الذي يملك بسلطته التشريعية إصدار القرارات، وبسلطته التنفيذية تنفيذها، فهو ليس إشراف تشريف بقدر ما هو إشراف مسؤولية.

ب ـ قاعدة في اختلاف اللجنة على كتابة شيء، بهذا الرسم أو ذاك.

حيث قال لهم:

«إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم»[3].

أي إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء اختلافاً يؤدي إلى اختلاف الكتابة، فاكتبوه بالكتابة التي توافق قراءتكم، فإن ذلك الذي تختلفون فيه نزل بلسان قريش نزولاً مع استقرار، ولم ينزل بلغة غيرهم إلا مدة[4]، وكان رخصة على غير استقرار، «وقد توسع في قراءة القرآن بلغة غيرهم، رفعاً للحرج والمشقة في ابتداء الأمر، ورأى عثمان الآن أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت، فاقتصر على لغة واحدة، وكانت هذه اللغة هي لغة قريش، وحجته

---

(١) فتح الباري ٩/ ١٥.

(٢) الإتقان ١/ ٥٩.

(٣) الإتقان ١/ ٥٩، مقدمتان في علوم القرآن ص ١٩.

(٤) جمع القرآن ص ١١٨.

أن القرآن، نزل بلغتهم[1]، وقد قدر لها بالإضافة إلى هذا ـ كما يرى الدكتور إبراهيم مدكور ـ أن تسود، حيث صارعت اللهجات الأخرى، وتغلّبت عليها، وأعانها على ذلك ما للكعبة من قدسية، وما للقرشيين من منزلة، وما أحرزته هي من نصر في الأسواق التجارية والأدبية[2].

وإن كنا نرى أن الفضل ـ كل الفضل ـ في تغلبها هذا، وفوزها في هذا الصراع، يرجع بالدرجة الأولى إلى نزول القرآن الكريم عليها.

ويقول بعض الأجلاء: وبهذا يتم الجمع على القراءة المتواترة، المعلوم عند الجميع ثبوتها عن النبي ﷺ، وإن اختلفت وجوهها، حتى لا تكون فرقة واختلاف، فإن ما يعلم الجميع أنه قراءة ثابتة عن رسول الله ﷺ، لا يختلفون فيها، ولا ينكر أحد منهم ما يقرأه الآخر[3].

والحمد لله تعالى: «فلم يختلفوا إلا في كتابة كلمة «التابوت»[4] أهي تكتب «التابوه» بالهاء، أم «التابوت» بالتاء[5].

جـ ـ جَعْل العمل علانية، وعلى مرأى من جميع المسلمين.

وذلك: حتى يشترك الجميع في علم ما جمع، فلا يغيب عن جمع القرآن أحد عنده منه شيء ـ سواء كان مكتوباً، كما سنرى، أو محفوظاً ـ ولا يرتاب أحد فيما يودع المصحف، ولا يشك أحد في أنه جمع عن ملأ منهم[6].

---

(١) الإتقان ١/ ٦٠.
(٢) مقدمة كتاب لهجات العرب ص ٨.
(٣) الكلمات الحسان ص ٢٨.
(٤) مقدمتان ص ٢١.
(٥) المقنع ص ٣، المصاحف ١٩، مقدمتان ص ١٩.
(٦) انظر: البرهان ١/ ٢٣٩.

النقطة الخامسة: خطة اللجنة في عملها.

وقد وضعت هذه اللجنة، خطة سارت عليها في هذا العمل الذي لا بد فيه من تخطيط دقيق، ونظام محكم، وتثبت هادف، وتأنّ وأمانة في كل ما يثبتون وما يرفضون، وكان سيرهم في عملية الكتابة وفقاً للبنود التالية: ـ

البند الأول: الاعتماد فيما يكتبون في المصاحف على:

١ ـ عمل اللجنة الأولى، التي قامت بالكتابة في عهد أبي بكر رضي الله عنه، أي على مصحف أبي بكر[١].

وإنما أمرهم أن ينسخوا من هذه الصحف مع أنهم كانوا حفظة، لتكون مصاحفهم مستندة إلى أصل أبي بكر المستند إلى أصل النبي ﷺ، المكتوب بين يديه، وبأمره ﷺ؛ فينسدّ باب القالة، أو أن يزعم زاعم أن في هذه الصحف قرآناً لم يكتب، أو أن يرى إنسان فيما كتبوا شيئاً مما لم يقرأ به فينكره.

من أجل ذلك: كانت هذه الصحف البكرية شاهدة بصحة جميع ما كتبوه[٢].

٢ ـ الصحف والقطع التي يملكها الأفراد؛ إذ طلب عثمان رضي الله عنه من كل من كان عنده من كتاب الله شيء، إلا جاء به، فكان الرجل يجيء بالورقة، والأديم فيه القرآن، حتى جمع من ذلك كثرة[٣].

بشرط أن تتوافر لكل قطعة من هذه القطع الشروط التي كانت وضعتها لجنة الفرز في جمع أبي بكر لقبولها.

---

(١) فتح الباري ٩/ ١٥.

(٢) الكواكب الدرية ص ٢١.

(٣) المصاحف ٢٤، مقدمتان في علوم القرآن ص ٢٢.

ويروى أن عثمان، رضي الله عنه، دعى من أحضروا هذه الصحف، رجلاً رجلاً، وناشدهم «لَسمعتَ رسول الله ﷺ، وهو أملاه عليك؟ فيقول: نعم»[1].

وفائدة ضم هذه القطع إلى صحف أبى بكر ـ كما يذكر الشيخ العبادي ـ: الإمعان في التأكد، وضم اليقين إلى اليقين، حيث إنه كان بين جمع أبي بكر، وجمع عثمان، زمان يقرب من أربعة عشر عاماً، وقد شبّ فيه قوم كانوا في أيام الجمع الأول أطفالاً، ودخل في الإسلام قوم لم يحضروا ذلك الجمع أصلاً، فليطمئن هؤلاء وأولئك، ويرتفع كل وهم عندهم، مما تتحدث به النفس عادة، ومما قد يدخله في روعهم بعض أعداء الإسلام من شبهات.

وذلك لا يكون إلا بضم الصحف المجموعة بإشراف أكابر الصحابة، ومعها كل القطع التي كتبها الصحابة بإملاء النبي ﷺ، والتي هي المصدر الأول[2].

ولهذا الضم فائدة أخرى:

وهي أنه قد يكون بعض الكلمات في الصحف مكتوباً بغير لغة قريش، فإذا أرادوا كتابته بلغة قريش، لم يكن لهم بدّ من الرجوع إلى مستند لذلك من هذه الرقاع المكتوبة بين يدي النبي ﷺ، فلا يكون في المصاحف حرف مكتوب، إلا وهو موافق لما كتب بين يديه، وبإملائه ﷺ[3].

---

(١) المصاحف ٢٤.
(٢) جمع القرآن ص ١١٠.
(٣) نفس المرجع.

٣ ـ التثبت الشفاهي ـ بقدر الإمكان ـ قبل كتابة الكلمة، بمعنى أنهم إذا اختلفوا في كتابة كلمة: أهي ترسم هكذا أم هكذا؟

فإنهم كانوا في هذه الحالة: يلجأون إلى التثبت الشفاهي، حيث يسألون:

من أقرأها رسولُ الله ﷺ؟

فيقال: فلان.

فيتركون مكانها خالياً.

ثم يرسل إليه، وإن كان على رأس ثلاث من المدينة.

حتى إذا أتى، سألوه: كيف أقرأك رسول الله آية كذا وكذا؟

فيقول: كذا وكذا.

فيكتبونها[١].

ولم ينقل إلينا أنهم اختلفوا في شيء إلا ـ كما تقدم ـ في كتابة «التابوت».

البند الثاني: الامتناع عن كتابة:

١ ـ ما نسخت تلاوته[٢].

فلا يكتب إلا ما استمر متلواً طول حياته ﷺ، دون ما نسخت تلاوته بتوقيف منه في العرضة الأخيرة، أو غيرها، فإن ما نسخت تلاوته ليس بقرآن وإن بقي حكمه[٣].

---

(١) انظر: الإتقان ١/ ٥٩.
(٢) البرهان ١/ ٢٣٥، ٢٣٦، الإتقان ١/ ٦٠.
(٣) جمع القرآن ص ١١٣.

٢ ـ ما لم يثبت من القراءات، وما كانت روايته آحاداً[١]، مهما كانوا ثقاتاً حفاظاً، فإن الواحد يجوز أن يسمع من النبي ﷺ، تفسيراً لكلمة قرآنية، فيعتقد أنه قرآن، ويجوز أن يسمع منه ذكراً على هيئة خاصة، فيعتقد أنه قرآن، ويجوز أن يسمع قرآناً ثم يرفع وينسخ وهو غائب لم يدر بنسخه، فيستمر على اعتقاد أنه قرآن.

فلهذا لا يكتفى في القرآن بنقل الآحاد، بل لا بد من التواتر، الذي تتيقن معه القرآنية[٢].

٣ ـ ما لم تعلم قرآنيته، أو ما ليس بقرآن.

كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة، شرحاً لمعنى، أو بياناً لناسخ أو منسوخ، أو نحو ذلك[٣].

ولهذه النقاط الثلاث ـ كما يقول الشيخ العبادي ـ لم يكتبوا «فامضوا إلى ذكر الله» بدل «فاسعوا»[٤]، ولم يكتبوا «كل سفينة صالحة غصباً» بزيادة كلمة «صالحة»[٥]. إلى غير ذلك، مما روى من قراء بعض الصحابة، لكونه تفسيراً، أو منسوخاً لعدم تواتره، الذي يحتمل معه ذلك[٦].

البند الثالث: أن يكتب القرآن كله في كل نسخ هذا المصحف، مرتب الآيات ـ كما في مصحف أبي بكر ـ ويعتبر توقيفياً[٧]، ومرتب السور على ما نشاهده اليوم في المصاحف، وهذا: إما بتوقيف، وإما باجتهاد، وإما بهما،

---

(١) الإتقان ١/ ٦٠.
(٢) جمع القرآن ص ١١٣.
(٣) البرهان ١/ ٢٣٥، ٢٣٦.
(٤) من قوله تعالى: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ سورة الجمعة، الآية: ٩.
(٥) من قوله تعالى: ﴿كل سفينة غصبا﴾ سورة الكهف، الآية: ٧٩.
(٦) جمع القرآن ص ١١٣.
(٧) فتح الباري ٩/ ٣٢ ـ ٣٦.

على خلاف في ذلك بين العلماء[1]، وليس هذا محله.

البند الرابع: أن تكتب المصاحف بالرسم الذي كتبت به الكلمات بين يدي النبي ﷺ، بطريقة تجعلها صالحة لجمع وتحمل جميع القراءات الثابتة المتواترة عن النبي ﷺ[2].

وهذه الطريقة هي التي جعلت هذا الرسم ينسب إلى عثمان رضي الله عنه، فيقال الرسم العثماني.

وما هو في الحقيقة من وضع عثمان.

بل إن هذه الطريقة التي تخالفت بها المصاحف العثمانية في رسومها، هي التي من وضع عثمان وابتكاره.

وهذا البند ـ أي هذه الطريقة ـ سوف نتحدث عنها في الفصل الثاني تحت عنوان «رسم المصحف والقراءات». فلنؤجل الحديث عن ذلك حتى نصل إليها.

النقطة السادسة: أن تكتب مصاحف متعددة ليرسل إلى كل مصر مصحف منها للرجوع إليه[3].

النقطة السابعة: مراجعة هذه المصاحف.

وذلك بعد الفراغ من كتابتها، وقبل حمل الناس على كتابة مصاحفهم على نمطها.

يراجعها زيد بن ثابت ثلاث مرات.

ثم يراجعها خليفة المسلمين بنفسه.

---

(١) نفس المرجع.

(٢) انظر: الجمع الصوتي ص ٧٣، جمع القرآن ١١٣.

(٣) الإبانة ص ٢٩، جمع القرآن ص ١١٣.

كل هذا وقاية من النسيان والخطأ[1].

والآن:

وبعد انتهاء هذه اللجنة من عملها، نرى أنه مما ترتب على ما قامت به بخصوص الرسم النتائج التالية:

١ ـ إعادة كتابة القرآن الكريم ـ في موضع واحد للمرة الثانية ـ كتابة توافق الرسم الذي كتبت به صحف حفصة، التي يوافق رسمها الرسم الذي كتب بين يدي النبي ﷺ وبإملائه[2].

٢ ـ انها لم تخالف في شيء من الرسم أثناء الكتابة، وكانت في ذلك متبعة لا مبتدعة.

وأن ما نسب إليها في الاختلاف عند كتابة كلمة «التابوت» لم يكن أمر الخلاف فيها على الرسم أساساً، بل كان على القراءة، والرسم جاء بالتبعية[3].

٣ ـ تعميم رسم المصحف، بالطريقة العثمانية، ولذلك نسب إليه تعبير «الرسم العثماني»، وليس المراد بها نفس رسم المصحف، بل المراد طريقة توزيع هذا الرسم على المصاحف؛ بحيث يتحمل كل القراءات القرآنية المتواترة.

ولذلك نسب إليه لهذا السبب ـ لا لابتكارهم له، ولا لمخالفتهم به رسماً تم بين يدي النبي ﷺ، وأيضاً: لأن الفضل يرجع إلى نسخهم التي عممته وأذاعته، ومسحت كل رسم يخالفه، بعد وصولها إلى الأمصار، والأقطار.

---

(١) الجمع الصوتي ص ٧٧.

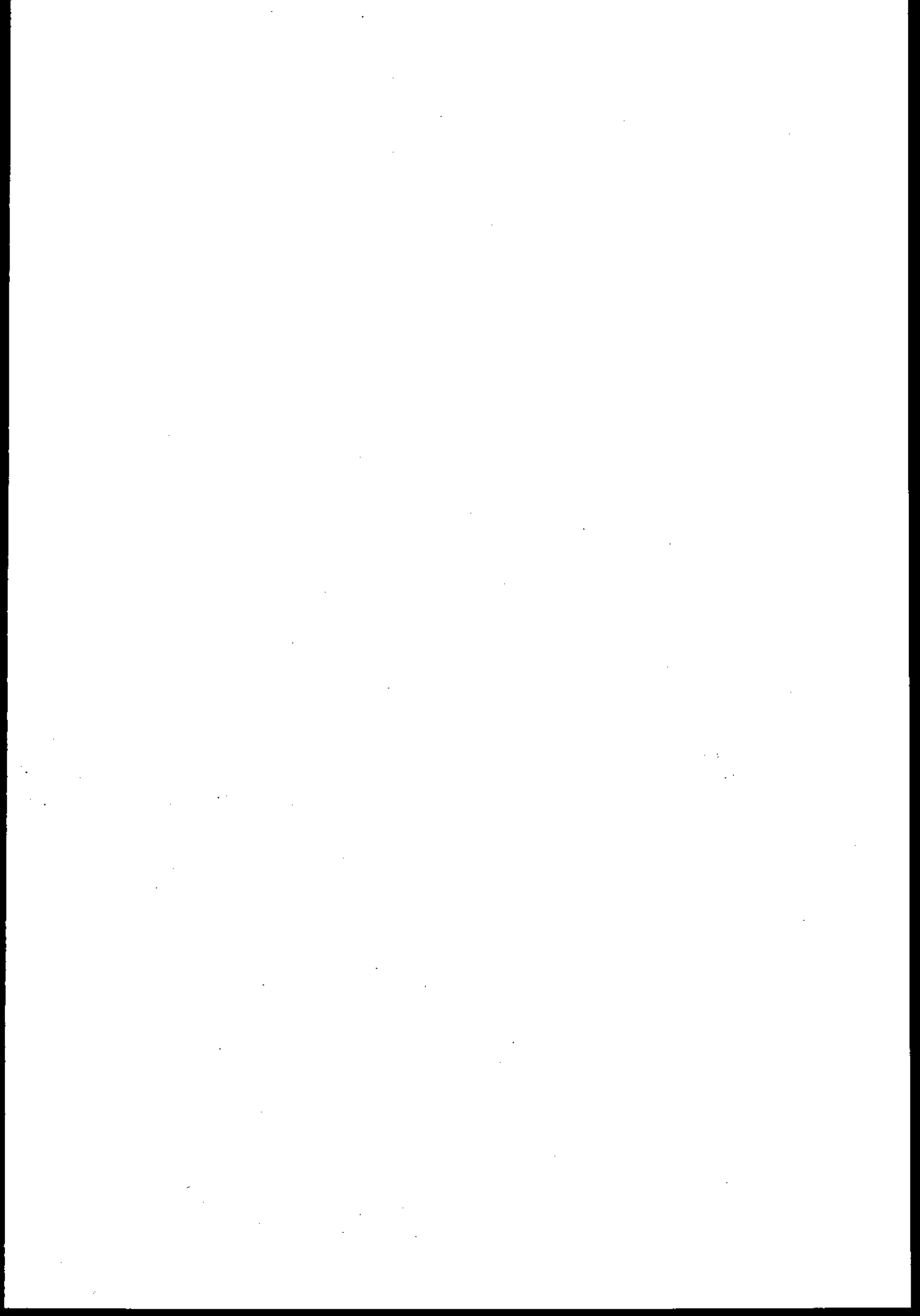
(٢) انظر: مقدمتان في علوم القرآن ص ٢٢.

(٣) انظر: القرطبي ١/ ٥٤.

٤ ـ أنه بعمل اللجنة هذه:

تم إجماع المسلمين للمرة الثالثة في الكتابة الثالثة للقرآن الكريم، على هذا الرسم الذي كتب بين يدي النبي ﷺ، فكتب في صحف أبي بكر، ونسخ في مصاحف عثمان تحت الإشراف الدقيق، والتنفيذ الأمين الجاد المتأني من كل من اشترك في كتابة القرآن الكريم، واستمتع بالكتابة بين يديه ﷺ، واستمع إلى إملائه الشريف.

وكذلك: كل من اشترك في مرّتي الكتابة في عهدي أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، أو في إحداهما.



الفصل الثاني

(رسم المصحف والقراءات)

وفيه:

المبحث الأول: طريقة عثمان في رسم المصاحف.

المطلب الأول: منهج الطريقة.

المطلب الثاني: ضمانات عثمانية لرسم المصحف.

المبحث الثاني: الرسم والقراءات.

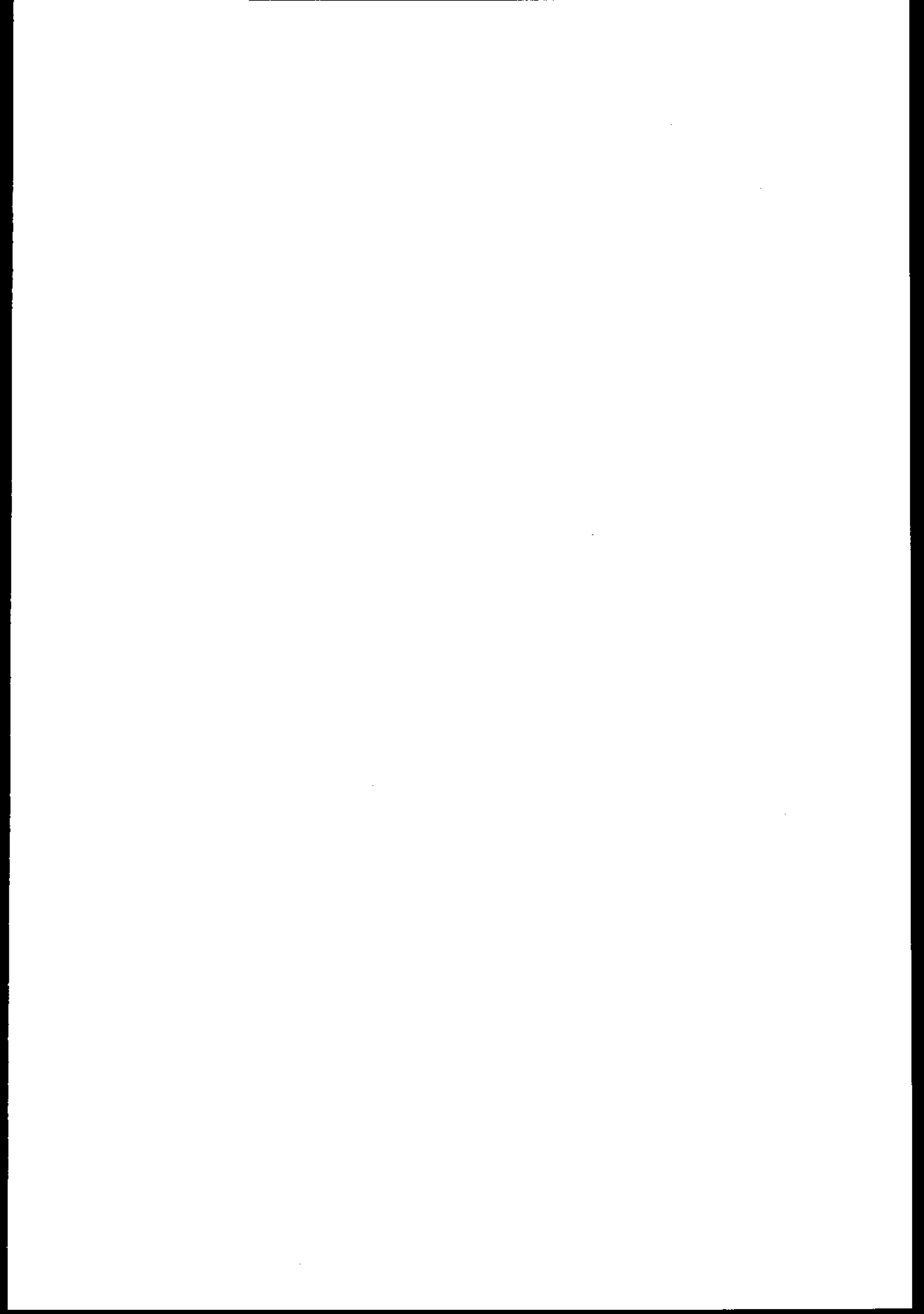
المطلب الأول: من اشتهر بالإقراء عقب إرسال المصاحف.

المطلب الثاني: أنواع القراءات بالنسبة لرسم المصحف.

المبحث الثالث: القراء وموقفهم من رسم المصحف.

المطلب الأول: وضعهم ضابط القراءة الصحيحة.

المطلب الثاني: وقفهم على مرسوم المصحف.



المبحث الأول

(طريقة عثمان في رسم المصاحف)

سبق أن قلنا في كتابة عثمان رضي الله عنه للقرآن الكريم: أن لجنة الكتابة، قد وضعت خطة لعملها، وتتكون هذه الخطة ـ كما سبق بيانه ـ من أربعة بنود».

وقلنا في البند الرابع: «أن عثمان رضي الله عنه، عمل على أن تكتب المصاحف كلها، بالرسم الذي كتبت به الكلمات القرآنية بين يدي النبي ﷺ، وبطريقة تجعلها صالحة لجمع، وتحمل، جميع القراءات الثابتة المتواترة عن النبي ﷺ».

وفي هذا المبحث نتناول هذه الطريقة بالتفصيل على النحو التالي:

المطلب الأول: منهج الطريقة.

نهجت هذه اللجنة بإشراف الخليفة الثالث منهجاً فريداً في رسم المصاحف العثمانية يقوم على النقاط التالية: ـ

١ ـ تجريد كل الكلمات القرآنية في كل المصاحف عن النَّقْط، والشكل، وذلك: «لتحتمل ما صح نقله، وثبت تلاوته عن النبي ﷺ، إذ كان الاعتماد على الحفظ، لا على مجرد الخط»[1].

---

(١) النشر ١/٧.

٢ ـ الكلمات التي لم يرد فيها سوى قراءة واحدة، تكتب في جميع المصاحف برسم واحد، وهو الرسم الذي رسمت به بين يدي النبي ﷺ، وفق ما اختطت اللجنة لإثبات ذلك.

ومثال ذلك: معظم الكلمات القرآنية.

٣ ـ الكلمات التي رويت على الأصل، وعلى خلاف الأصل.

كانوا يكتبونها بالحرف الذي يخالف الأصل. ليتعادل مع الأصل الذي لم يكتب، في دلالة الصورة الواحدة على القراءتين؛ إذْ يدل على إحداهما بالحرف المكتوب، وعلى الثانية بالأصل[١].

ومثال ذلك: كلمة «الصراط»، فقد كتبت بالصاد حيث وردت[٢]، والأصل فيها «السين» ويقول الشيخ الزرقاني: «وهذا من بعد نظر الصحابة في رسم المصحف»[٣]، وذلك حق حيث إن في هذا تقليل لصور الخلاف بقدر الإمكان مع عدم الإخلال.

٤ ـ والكلمات التي تشتمل على أكثر من قراءة، ولم ينسخ من هذه القراءات شيء، ويحتملها رسم واحد للكلمة، إذا جردت من العلامات التي تحدد طريقة واحدة للنطق بها.

فإنها ـ كذلك ـ تكتب في جميع المصاحف برسم واحد.

أ ـ سواء كان اختلاف القراءات لا يفرقه إلا علامات الشكل الإعرابي مثل:

١ ـ كلمة «البخل» في قوله تعالى: ﴿ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾[٤].

---

(١) مناهل العرفان ١/ ٤١٢.

(٢) إتحاف فضلاء البشر ص ١٥٣.

(٣) مناهل العرفان ١/ ٤١٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٧، وسورة الحديد، الآية: ٢٤.

فقد قرئت: بضم الباء وسكون الخاء.

وكذلك: بفتح الباء والخاء أيضاً[1].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾[2].

فقد قرئت: بتخفيف الزاي، من نزل، ورفع الحاء من الروح والنون من الأمين، على إسناد الفعل للروح، والأمين نعته.

وقرئت كذلك: بتشديد الزاي، من نزل، ونصب الحاء من الروح والنون من الأمين، مبنياً للفاعل الحقيقي، وهو الله تعالى، والروح منصوب على المفعولية، والأمين صفته أيضاً[3].

ب ـ أو كان الاختلاف في القراءات لا يفرقه إلا نقط الإعجام. مثل:

١ ـ كلمة «لتنذر» من قوله تعالى: ﴿ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾[4] فقد قرئت: بتاء الخطاب.

وكذلك قرئت: بياء الغيبة[5].

٢ ـ كلمة «ننشزها» من قوله تعالى: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾[6].

فقد قرئت: ننشرها بالراء المهملة.

وكذلك: ننشزها بالزاي المنقوطة[7].

---

(١) إتحاف فضلاء البشر ص ٢٢٥، ٢٢٦، ٥٠٦.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣.

(٣) إتحاف فضلاء البشر ص ٤٠٥، ٤٠٦.

(٤) سورة يس، الآية: ٧٠.

(٥) النشر ٢/ ٣٥٥.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٧) النشر ٢/ ٢٣١.

وكل ذلك: كان ممكناً حيث إنهم ـ كما قلنا ـ تركوا الكلمات عريّة عما يفرق بين القراءات الواردة فيها، من نقط الإعراب، ونقط الإعجام، وهذا منهم ذكاء خارق، وفهم دقيق ثاقب، وتحوط عميق، و«دليل على عظيم فضلهم وثقوب فهمهم في تحقيق كل علم»[1].

وسوف يتأكد لنا ذلك: عندما نثبت في مبحث قادم معرفتهم للنقط والشكل، وتعمدهم لتجريد كتابة القرآن من ذلك.

٥ ـ أما الكلمات التي تشتمل على أكثر من قراءة ـ كذلك ـ ولم ينسخ منها شيء في العرضة الأخيرة، ولا يحتملها رسم واحد للكلمة حتى ولو جُرِّدت من كل العلامات التي تحدد طريقة واحدة للنطق بها.

فهذه الكلمات توزع رسومها حسب القراءات، على المصاحف المتعددة، فتكتب في بعضها برسم يدل على قراءة، وفي بعضها الآخر برسم يدل على قراءة أخرى وهكذا[2].

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ ﴾[3].

فقد وردت فيها: (وأَوْصَى بِهَا إِبْرَاهِيم بَنِيْه).

وهي قراءة المدنيين، وابن عامر، بهمزة مفتوحة، صورتها ألف بين الواوين مع تخفيف الصاد.

وكذلك: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ ﴾.

وهي قراءة الباقين بتشديد الصاد من غير همز بين الواوين[4].

---

(١) المواهب الفتحية في علوم العربية ١/ ١٧.
(٢) انظر سمير الطالبين ص ١٠١ ـ ١٠٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.
(٤) النشر ٢/ ٢٢٢، ٢٢٣.

ولأن هاتين القراءتين، لا يمكن ـ بعد تعريتهما من الشكل ـ أن يجمعهما رسم واحد. . !!

والاثنتان واردتان عن النبي ﷺ، ووجد بهما دليل مكتوب بين يدي النبي ﷺ.

ولا يمكن والحال هذه إلغاء إحداهما، بل لا بد من كتابتهما.

فقد وُزِّع الرسمان على المصاحف هكذا.

كتب (وَأَوْصَى) بألف بين الواوين، في المصحف الإمام، والمصحف المدني، والمصحف الشامي.

وكتب (وَوَصَّى) بدون ألف بينهما، في باقي المصاحف[1].

وبهذا التوزيع: تصير المصاحف صالحة للقراءات المتواترة، التي لا يصلح لها رسم واحد[2].

فإن قيل: لم لم يكتبوا الرسمين في مصحف واحد؟

فالجواب: أنهم: لو كرروها في الأصل: لتوهم أن اللفظ نزل مكرراً بالوجهين في قراءة واحدة، وليس كذلك، بل هما قراءتان، نزل اللفظ في إحداهما بوجه واحد، وفي الثانية بوجه آخر، من غير تكرار في واحدة منهما.

ولو أنهم: كتبوا أحد الرسمين في الأصل، والآخر في الحاشية، لتوهم أن الثاني تصحيح للأول[3].

---

(١) إتحاف فضلاء البشر ص ٢٠١.
(٢) جمع القرآن ص ١١٥.
(٣) نفس المرجع.

ونتيجة لهذه الطريقة:

فقد وجدت بعض الخلافات بين المصحف الإمام وبين مصاحف الأمصار التي انتسختها اللجنة منه وكذلك بين مصاحف الأمصار وبعضها البعض من: زيادة بعض الحروف، ونقصان بعضها الآخر... إلى غير ذلك.

ومن ذلك:

أن مصحف أهل المدينة العام، كان يتخالف مع المصحف الإمام في اثني عشر حرفاً[1].

ومصحفا أهل الشام وأهل العراق، فقد كان الخلاف بينهما في نحو من أربعين حرفاً[2].

ومصحفا أهل الكوفة وأهل البصرة، فقد كان الخلاف بينهما في خمسة أحرف[3].

ومصحفا أهل المدينة وأهل العراق، فقد كان الخلاف بينهما في اثني عشر حرفاً[4].

ويصرح أبو عمرو الداني بالسبب الموجب لهذه الاختلافات، بقوله:

«والسبب في ذلك عندنا: أن أمير المؤمنين عثمان، رضي الله عنه، لما جمع القرآن في المصاحف، ونسخها على صورة واحدة، وآثر في رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصح ولا يثبت، نظراً للأمة، واحتياطاً على أهل الملة، وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله تعالى كذلك منزلة، ومن

---

(١) انظر: المصاحف ص ٣٧ وما بعدها.

(٢) انظر: مقدمتان في علوم القرآن ص ١١٨ وما بعدها.

(٣) انظر: المصاحف ص ٤٠ وما بعدها، مقدمتان في علوم القرآن ص ١٢١، وما بعدها.

(٤) انظر: المصاحف ص ٤٢ وما بعدها.

رسول الله ﷺ مسموعة. وعلم أن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير ممكن إلا بإعادة الكلمة مرتين، وفي رسم ذلك كذلك من التخليط، والتغيير للمرسوم ما لا خفاء فيه، ففرقها في المصاحف لذلك.

فجاءت مثبتة في بعضها، ومحذوفة في بعضها، لكي تحفظها الأمة، كما نزلت من عند الله عز وجل، وعلى ما سمعت من رسول الله ﷺ.

فهذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف الأمصار[1].

وعلى هذا:

«فكلها صحيحة المعنى، متقنة الفحوى، لا مطعن للطاعن فيها، وقد كتبت على الصحة والإيقان، والعمد والقصد، والإيثار لحفظ قراءتين على المسلمين، قرأهما كلتيهما رسول الله ﷺ، في وقتين من أوقات مختلفة، وأن الذي وقع من النقص والزيادة والتبديل، لم يكن عن سهو ناقل، ولا لإسقاط ناسخ غافل.

والدليل على ذلك ـ أيضاً كما يذكر في مقدمة كتاب المباني في نظم المعاني ـ هو أن جملتها يجمعها الصحة والبيان، ولكل حرف منها شاهد من البرهان، وحجة من الحق والرجحان»[2].

المطلب الثاني: ضمانات لرسم المصحف.

ولما رسم عثمان رضي الله عنه المصاحف، وِفْق الرسم المكتوب بين يدي النبي ﷺ، ووفّق ـ أيضاً ـ إلى أن يحتوي هذا الرسم جميع القراءات المتواترة، حسب الطريقة التي وضعها، كما أسلفنا:

فقد أحب عثمان رضي الله عنه: أن يضمن لهذا الرسم:

---

(١) المقنع ص ١٢٣.

(٢) مقدمتان في علوم القرآن ص ١٢١، ١٢٢.

١ ـ الثبوت والاستقرار.

٢ ـ الذيوع والانتشار.

١ ـ ولتنفيذ الهدف الأول: «فقد أمر بجمع مصاحف المدينة، وصحفها، لديه، حتى يمحو منها ما يسهل محوه كالعظام، وقطع الأديم، ويحرق ما لا يسهل محوه بعد تشقيقه، وتمزيقه، لتسرع النار إلى التهامه.

وأرسل إلى أمرائه في الآفاق، أن يقبضوا المصاحف، فيفعلوا بها مثل ذلك.

ولعله بعد المحو والإحراق، دفن ما تخلف من الرماد ونحوه، بين القبر والمنبر صيانة له عن الوطء بالأقدام»[1].

وقد استجاب الناس لأمر عثمان ـ هذا ـ رضي الله عنه، فأعدموا ما عندهم من صحف، أو مصاحف، وأقاموا ما سهلت إقامته عليها.

واجتمعوا على المصاحف العثمانية؛ لما عرفوه من شدة ضبطها، وإحكامها، وجمعها للمتواتر، ولأن ذلك لم يكن من عثمان إلا عن مشاورة لأعلام الصحابة، ورضا سابق، وكان عددهم يومئذٍ اثني عشر ألفاً[2].

ولكن يبدو أن استجابة الناس لم تكن عامة كما يقطع الشيخ العبادي، وأن بعضهم ظل محتفظاً بمصحفه، وأن هذه المصاحف المخالفة ظلت تنسخ على غرارها مصاحف أخرى، بدليل ما ذكر عن الحجاج الثقفي، الذي يحكي لنا عنه ابن قتيبة: أنه «وكل «عاصماً» و«ناجية بن رمح» و«علي بن أصمع» بتتبع المصاحف، وأمرهم أن يقطعوا كل مصحف وجدوه مخالفاً

---

(١) جمع القرآن ص ١٣١، ١٣٢.

(٢) نفس المرجع.

لمصحف عثمان، ويعطوا صاحبه ستين درهماً»[1].

أما بالنسبة لصحف أبي بكر رضي الله عنه:

فقد كان عثمان رضي الله عنه، يبغي إعدامها، لكن لم يفعل ذلك ـ كما يقول الشيخ العبادي ـ لأن أم المؤمنين حفصة، كانت معتزة بحفظها، وقد وعدها عند أخذها أن يردها إليها، ورأى أن إعدامها لا بد منه، ولكن في فرصة أخرى، وليس يخشى من وجودها حالاً شيء، وإنما يخشى من بقائها فتنةً بعدَ مُضِي زمان طويل، فجمع عثمان رضي الله عنه، بين البر بوعده، وبين المصلحة العامة، بأن ردها إليها واعتزام أن يعدمها إذا وجد ما يدعو إلى إعدامها، لكن لم تحن الفرصة في حياته رضي الله عنه، لإعدامها.

فلما كان «مروان بن الحكم» أميراً على المدينة من قبل معاوية، أرسل إلى حفصة، يطلبها لإعدامها، كما كان يعتزم عثمان، فامتنعت، فلما توفيت في سنة ٤٥هـ، ورجعوا من جنازتها، أرسل إلى أخيها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فدفعها إليه فأعدمها[2].

وللشيخ العبادي تعليل لطيف في حِكْمَة إعدامها:

حيث يقول ـ رحمه الله ـ:

لما كانت هذه الصحف محفوظة لدى حفصة أم المؤمنين، ثم لدى أخيها عبد الله، لم يكن يخشى منها شيء.

لكن ربما آل ـ بمرور الزمان ـ أمر هذه الصحف إلى بعض أعداء الإسلام على طول الزمان.

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٥١.
(٢) جمع القرآن ص ١٣٨.

وهذا غير مستبعد؛ فكم في خزائن أهل الكفر من مصاحف قديمة، وكتب إسلامية قديمة وصلت إليهم من لصوص الآثار ونحوهم.

فإذا آل أمر هذه الصحف إليهم أمكن فيها التبديل والزيادة.

وهذا غير مستبعد أيضاً.

فإن مريد التزوير، لا يَبْعُد عليه تقليد الخط، والحبر، والقرطاس، لا سيما وهي صحف منثورة غير متصلة.

وحينئذٍ يقول:

يا أهل الإسلام: هذه الصحف التي هي أصل كتابكم تخالف مصاحفكم، ويروج لدعوته بتقرير الخبراء من أمثاله: «أن الخط والحبر والقرطاس، أصلية لم يطرأ عليها التغيير».

وهذا وإن لم يرج لدى المسلمين الذين أخذوا القرآن بطريق التلقي والسماع، والحفظ في الصدور، جيلاً عن جيل على سبيل التواتر، لأنهم موقنون بصحة ما تلقوه، وخطأ ما يخالفه.

فقد يروج على:

بعض من يريدون اعتناق الإسلام، فيمنعه من الدخول فيه.

وعلى بعض من يكيدون للإسلام، فيتخذه سلاحاً لكيده.

فسداً لهذه الذريعة، ودرءاً لهذه المفسدة: رأى مروان: أن يحرق الصحف، وتأول في ذلك: ما تأوله عثمان في إحراق المصاحف، والصحف الأخرى، وهو عمل مشكور، وسعي مبرور[1].

وبإعدام عثمان للصحف والمصاحف الخاصة التي كانت بأيدي

---

(١) نفس المرجع ص ١٣٩.

الناس، وكذلك باعتزامه إعدام صحف حفصة: تصبح الساحة القرآنية خالية مما سوى الرسم العثماني، الذي هو نفسه رسم صحف أبي بكر رضي الله عنها، المنسوخة مما كتب بين يدي النبي ﷺ، الذي توافر له بجانب إقرار الرسول ﷺ له، الإجماع على هذا الشكل الواضح.

ويتعيّن على الناس التزامهم لهذا الرسم في الكتابة والتلاوة، لا يجوز لهم تجاوزه إلى ما أعدم من الرسوم، ولا إلى ما قد يجدّ منها.

وبهذا يكون الثبوت والإستقرار قد كفلا لهذا الرسم، الذي وضحت ملامحه، وظهرت سماته، ووزعت نسخه بين الأمصار والأقطار.

٢ ـ ولتنفيذ الهدف الثاني، وهو: ضمان ذيوع الرسم وانتشاره.

فقد أرسل عثمان، رضي الله عنه، بالمصاحف التي نسختها اللجنة إلى الأمصار الإسلامية.

ولئن اختلف في عدد هذه المصاحف، اختلافاً ليس هذا محل الخوض فيه[١].

إلا أن العقل والنقل ـ كما يرى الشيخ غزلان ـ كليهما يؤيدان من يزيد في عدد المصاحف، لا من يقلل منها.

أما العقل: فهو أن الغرض من إرسال المصاحف إلى الأمصار هو القضاء على الفتنة، التي كانت قائمة حينئذٍ بسبب اختلاف المسلمين في القراءة، والمنع من حدوث هذه الفتنة مرة أخرى في بلد من بلاد المسلمين، وهذا الغرض لا يتحقق بإرسال المصاحف إلى بعض الأمصار دون بعض.

وأما النقل: فهو قول «أنس بن مالك» في حديث البخاري: «إنّهم لمّا

---

(١) انظر في ذلك: فتح الباري ٩/١٦، المصاحف ص ٣٤، النشر ١/٧، الإبانة ص ٢٩.

نسخوا الصحفَ في المصاحفِ أرسلَ عثمان إلى كل أفقٍ بمصحفٍ مما نَسَخوا»[1]، فكلمة «إلى كل أفق» تدل بعمومها على أنه أرسل المصاحف إلى جميع الأمصار، لا إلى بعضها دون بعض[2].

وهو تخلّص منطقي ومفيد من هذا الاختلاف حول عدد المصاحف؛ إذْ أنه يركز فقط على بيان الهدف من هذا الإرسال، وما يناسبه من كثرة العدد، أو قلته.

ولما كان الاعتماد في نقل القرآن ـ كما يقول العلامة النويري ـ متفقاً، ومختلفاً، على الحفاظ ـ لا على المصاحف فقط ـ أنفذهم عثمان إلى أقطار بلاد المسلمين للتعليم، وجعل هذه المصاحف أصولاً ثواني، حرصاً على الإنفاذ ولذلك أرسل إلى كل إقليم مصحفه، مع من يوافق قراءته في الأكثر، وليس بلازم[3].

ولذلك:

فقد أمر زيدَ بن ثابت: أن يقرىء بالمصحف المدني.

وبعث عبد الله بن السائب: مع المصحف المكي.

وبعث المغيرة بن شهاب: مع المصحف الشامي.

وبعث أبا عبد الرحمٰن السلمي: مع المصحف الكوفي.

وبعث عامر بن عبد قيس: مع المصحف البصري[4].

وعند ذلك: اجتمع الناس في الأمصار على مصحف عثمان، وقرأ أهل

---

(١) فتح الباري ٩/ ١٢.

(٢) البيان ص ٢٠٩.

(٣) انظر: شرح النويري على الطيبة ـ مخطوط ـ (١٧ أ)، الكلمات الحسان ص ٢٤.

(٤) الكواكب الدرية ص ٢٤.

كل مصر من قراءتهم التي كانوا عليها بما يوافق خط المصحف، وتركوا من قراءتهم ما خالف خط المصحف[1] ـ وتلقوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقوه عن النبي ﷺ[2].

ولما كان المصحف إذْ كتبوه لم ينقطوه، ولم يضبطوا إعرابه، تمكن لأهل كل مصر أن يقرأوا الخط على قراءتهم التي كانوا عليها، مما لا يخالف صورة الخط[3].

وهكذا: أجمعت الأمة المعصومة من الخطأ، على ما تضمنته هذه المصاحف، وترك ما خالفها من زيادة ونقص، وإبدال كلمة بأخرى، مما كان مأذوناً فيه، توسعة عليهم، ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن[4].

وبهذا الإجماع، توفر للرسم العثماني الذيوع والانتشار في جميع الأقطار والبلاد الإسلامية.

ونجحت خطة عثمان رضي الله عنه في تعميمه، وتثبيته. كما نجحت في توضيح ملامح هذا الرسم، وتبيين خصائصه.

المطلب الثالث: السر في نجاح رسم المصحف والطريقة العثمانية.

ولقد نجح هذا الرسم، وبهذه الطريقة العثمانية في أداء مهمته في نقل القراءات المتواترة إلينا أفضل نجاح.

ويقول بعض الباحثين: إن أي نظام آخر ـ سواء من حيث الرسم أو الطريقة ـ كان عاجزاً تماماً عن أداء المهمة التي قام بها هذا النظام، فلقد

---

(١) الإبانة ص ٢٩.
(٢) النشر ١/٨.
(٣) الإبانة ص ٣١.
(٤) النشر ١/٧.

أرادوا أن يؤدي من وجوه القراءة ما صح لديهم، مما لقنه إياهم الرسول ﷺ، على اختلاف قبائلهم.

ولو كان رسم المصحف غير ذلك: لعجز الصحابة الكاتبون عن القيام بما كلفوا به من جمع ما انتهى - وصح - إليهم من وجوه القرآن؛ إذ كانوا حينئذٍ بحاجة إلى كتابة عشرات المصاحف المختلفة الضبط، ثم نسخ أعداد من كل منها لتوزيعه على الأمصار، وفي ذلك ما فيه من الاستحالة المادية، بل إن تحقق هذه الاستحالة، كان يفوت على عثمان وأصحابه، ما أرادوا من جمع الناس على مصحف إمام[1].

(١) القراءات القرآنية - ص ٢٦٠ - ٢٦١ (بتصرف يسير).

المبحث الثاني

«الرسم والقراءات»

لما بعث عثمان رضي الله عنه المصاحف إلى الأمصار، ومع كل مصحف أحد الصحابة ممن تتوافق قراءته وما كتب في هذا المصحف..!!

ولما وصلت المصاحف ـ كذلك ـ إلى الأمصار..!!

«قرأ أهل كل مصر بما في مصحفهم، وتلقوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقوه عن النبي ﷺ، ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبي ﷺ»[1]، وبذلك اشتهر في الأمصار جماعة من القراء، نذكر منهم ما يلي:

المطلب الأول: من اشتهر من القراء في الأمصار المختلفة عقب إرسال المصاحف العثمانية.

أ ـ فممن كان بالمدينة[2]

ابن المسيب، وعروة، وسالم، وعمر بن عبد العزيز، وسليمان وعطاء ابنا يسار، ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القارىء، وعبد الرحمٰن بن هرمز الأعرج، وابن شهاب الزهري، ومسلم بن جندب، وزيد بن أسلم.

وممن كان بمكة:

عبيد بن عمير، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، وعكرمة، وابن أبي مليكة.

---

(١) النشر ١/٨.

(٢) نفس المرجع.

وممن كان بالكوفة:

علقمة، والأسود، ومسروق، وعبيدة، وعمرو بن شرحبيل، والحارث بن قيس، والربيع بن خثيم، وعمرو بن ميمون، وأبو عبد الرحمٰن السلمي، وزر بن حبيش، وعبيد بن نضلة، وأبو زرعة بن عمرو بن جرير، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، والشعبي.

وممن كان بالبصرة.

عامر بن عبد القيس، وأبو العالية، وأبو رجاء، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، وجابر بن زيد، والحسن، وابن سيرين، وقتادة.

وممن كان بالشام.

المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، صاحب عثمان بن عفان في القراءة، وخليد بن سعيد، صاحب أبي الدرداء[1].

وفي هذه الأثناء: زاد العدد، وكثر الداخلون في الإسلام، وانتشر اللحن، ونبت نشء جديد، ظهر اللحن على ألسنتهم، وقلَّ الضبط في قراءاتهم.

وكثرت الحمراء ـ على حد تعبير زياد بن أبيه إلى أبي الأسود ـ وأفسدت من ألسن العرب[2].

مما اقتضى:

أن يوضع النقط ليصلح الناس به كلامهم، ويعربون به كتاب الله تعالى، على النحو الذي سنفصله في الباب الثاني من هذه الرسالة.

وأن يتجرد قوم للقراءات.

---

(١) نفس المرجع.

(٢) المحكم ص ٣.

ب ـ ولذلك:

«تجرد قوم للقراءة والأخذ، واعتنوا بضبط القراءة، أتم عناية، حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم، ويُرحل إليهم، ويؤخذ عنهم، وقد أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول، ولم يختلف عليهم فيها اثنان، ولتصديهم للقراءة؛ نسبت إليهم.

فكان بالمدينة: أبو جعفر: يزيد بن القعقاع، ثم شيبة بن نصاح، ثم نافع بن أبي نعيم.

وكان بمكة: عبد الله بن كثير، وحميد بن قيس الأعرج، ومحمد بن محيصن.

وكان بالكوفة: يحيى بن وثاب، وعاصم بن أبي النجود، وسليمان بن الأعمش، ثم حمزة، والكسائي.

وكان بالبصرة: عبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وأبو عمرو بن العلاء، ثم عاصم الجحدري، ثم يعقوب الحضرمي.

وكان بالشام: عبد الله بن عامر، وعطية بن قيس الكلابي، وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ثم يحيى بن الحارث الذماري، ثم شريح بن يزيد الحضرمي»[1].

وكانت غالبية قراءات هؤلاء موافقة لرسم المصحف، الذي يتحمل ـ كما قلنا ـ كل القراءات المتواترة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

---

(١) النشر ١/٨، ٩.

ولكن:

بعد هؤلاء القراء المذكورين، «كثر القراء[1]، وتفرقوا في البلاد، وانتشروا، وخلفهم أمم بعد أمم، وعرفت طبقاتهم، واختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن للتلاوة، المشهور بالرواية والدراية، ومنهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف، فكثر بينهم لذلك الاختلاف، وقل الضبط، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق».

وأصبحت القراءات بالنسبة للرسم أنواعاً شتى حتى أنه يمكن، كما قسم العلماء أنواع القراءات بالنسبة للسند[2]، أن نقسم القراءات بالنسبة للرسم على النحو التالي.

المطلب الثاني: أنواع القراءات بالنسبة للرسم.

النوع الأول:

قراءات يحتملها رسم المصحف، وهي صحيحة في العربية، وصحيح سندها إلى النبي ﷺ.

وما اجتمع فيه هذه الخلال الثلاث:

قرىء به، وقطع بصدقه، وكفر من جحده؛ لأنه أخذ عن إجماع من جهة موافقته لخط المصحف[3].

ومثاله: معظم القراءات المتواترة.

---

(١) النشر ١/ ٩.
(٢) انظر: مناهل العرفان / ٤٢٢.
(٣) الإبانة ص ١٨.

النوع الثاني:

قراءات يحتملها الرسم، وتصح في العربية، ولكنها لم تنقل إلينا.

مثل: كلمة «مُكْث» من قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾[1].

فإن الرسم: يحتمل في الميم من «مكث» الضم، والفتح، والكسر، كما هو واضح، دون أن يختلف رسم الكلمة.

واللغة: تجوز فيها الحركات الثلاث أيضاً[2].

ولكن لم ينقل إلا القراءة بضم الميم، ولم يرد عن واحد من القراء الأربعة عشر غير القراءة بضم الميم[3].

ولذلك: لا يجوز القراءة بغير ضم الميم، حيث إن «القراءة ـ كما يقول أبو شامة ـ نقل، فما وافق منها ظاهر الخط كان أقوى، وليس اتباع الخط بمجرده واجباً ما لم يعضده نقل»[4].

وتسمية هذا النوع من القراءات هو من باب التقسيم فقط وليس من باب الواقع الموجود.

النوع الثالث:

قراءات يحتملها رسم المصحف، ولم تصح في العربية، ولم تنقل.

ومثالها: (ذلك الكتاب لا زيت فيه)[5].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.

(٢) البحر المحيط ٦/٨٨.

(٣) إتحاف فضلاء البشر ص ٢٨٧.

(٤) إبراز المعاني ص ٤٠٦.

(٥) في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ سورة البقرة، الآية: ٢، انظر: الإبانة هامش ص ١٩.

وهـذا النـوع: لا يقـرأ، ولا يقبـل، ولا يعمـل بـه، وإن وافـق خـط المصحف[1].

النوع الرابع:

قراءات: يحتملها رسم المصحف، ولا تصح في العربية، ونقلت.

ومثالها:

(أ) قراءة الحسن والمطوعي ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴾[2]، بضم العين والمد، من «العشوة» بالضم والكسر، وهي الإظلام[3].

ولا وجود لهذا اللفظ بهذا الضبط، في معاجم اللغة، التي بأيدينا ـ كما يقول الشيخ أبو زيتحار ـ على كثرتها، حتى قال أبو حيان، والألوسي: إنه على غير قياس[4].

(ب) قراءة المطوعي ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾[5]، بفتح «اللام»، وإسكان «السين»، من غير ألف[6].

وليس في كتب اللغة «اللسن» مفتوح «اللام»، ساكن «السين»، بمعنى «اللغة»، وإنما هو: «اللسان» أو «اللسن» بكسر اللام؛ ولذا قال أبو حيان، والقاضي زادة، في حواشي البيضاوي ـ والألوسي، في تفسيره: إن القراءة بكسر «اللام»، لا بفتحها[7].

---

(١) انظر: الإبانة ص ١٩.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٦.

(٣) إتحاف فضلاء البشر ص ٣١٤.

(٤) انظر: لطائف البيان ٢/ ٧٩، ٨٠.

(٥) في الآية رقم ٤ من سورة إبراهيم.

(٦) إتحاف فضلاء البشر ص ٣٢٦.

(٧) انظر: لطائف البيان ٢/ ٨٠.

ومثل هذا النوع:

لا يصدر ـ كما يقول ابن الجزري ـ إلا على وجه السهو، والغلط، وعدم الضبط، ويعرفه الأئمة المحققون، والحفاظ الضابطون، وهو قليل جداً، بل لا يكاد يوجد[1].

وهو: إما أن يكون منقولاً عن ثقة، ولا سبيل إلى ذلك، فهو مما لا يقبل، إذ لا وجه له.

وإما أن يكون منقولاً عن غير ثقة، فمنعه أحرى، وردّه أولى[2].

النوع الخامس:

قراءات: لا يحتملها الرسم، وتصح في العربية، ونقلت نقل آحاد[3].

ومثالها:

(إنا أنطيناك الكوثر)[4].

وهي قراءة مروية عن رسول الله ﷺ، قال التبريزي: وهي لغة العرب العاربة، من أولى قريش[5].

قال في القاموس: وقد قرىء بها شاذاً[6].

وهذا النوع: هو ما طالب عثمان رضي الله عنه، وعزم على الناس، بإحراقه، أو تمزيقه، أو تعديله؛ لعدم تواتره عن النبي ﷺ، إذ «لو كانت غير

---

(١) النشر ١٦/١.
(٢) نفس المرجع ١٧/١.
(٣) الإبانة ص ١٨.
(٤) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ ﴾ سورة الكوثر، الآية: ١.
(٥) البحر المحيط ٥١٩/٨.
(٦) انظر: لهجات العرب ص ١١٤.

ذلك لكتبت في أحد المصاحف العثمانية، طبقاً للطريقة العثمانية، التي سبق ذكرها.

وقد حكم العلماء على هذا النوع بالشذوذ.

ولهم في حكم القراءة بها، وغير ذلك، كلام طويل[1]، لا محل لذكره هنا.

إلا أننا نقتطف هنا كلمتين نفيستين بخصوص هذا النوع:

الأولى: للإمام مكي بن أبي طالب.

والثانية: للعلامة النويري.

يقول مكي بن أبي طالب[2]:

إن هذا النوع يقبل، ولا يقرأ به، لعلتين:

إحداهما: أنه لم يؤخذ بإجماع، إنما أخذ بأخبار الآحاد، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد.

والثانية: أنه مخالف لما قد أجمع عليه، فلا يقطع على صحته، وما لم يقطع على صحته لا تجوز القراءة به، ولا يكفر من جحده.

ويقول العلامة النويري:

اعلم أن الذي استقرت عليه المذاهب وآراء العلماء:

أن من قرأ بالشواذ غير معتقد أنها قرآن، ولا موهم أحداً بذلك، بل لما فيها من الأحكام الشرعية عند من يحتج بها، أو الأحكام الأدبية، فلا كلام

---

(١) انظر: منجد المقرئين ص ١٦، ١٧، الجمع الصوتي ص ٢٨٥.
(٢) الإبانة ص ١٨، ١٩.

في جواز قراءتها؛ وعلى هذا يحمل حال من قرأ بها من المتقدمين، وكذلك يجوز: تدوينها في الكتب والتكلم على ما فيها.

وإن قرأها باعتقاد قرآنيتها، أو لإيهام قرآنيتها، حرم ذلك[1].

ويقول الإمام مكي[2]:

وهذا الذي يخالف خط المصحف، وما جاء منه، مما هو زيادة على خط المصحف أو نقصان من خط المصحف، وتبديل لخط المصحف ـ وذلك كثير جداً ـ هو الذي سمعه حذيفة في المغازي، وسمع رد الناس بعضهم على بعض، ونكير بعضهم على بعض، فجرأه ذلك على إعلام عثمان، رضي الله عنه، وهو الذي دفع عثمان على جمع الناس على مصحف واحد، ليزول ذلك الاختلاف.

ثم يقول[3]:

وإنما قرىء بهذه الحروف التي تخالف المصحف قبل جمع عثمان، رضي الله عنه الناس على المصحف، فبقي ذلك محفوظاً في النقل، غير معمول به عند الأكثر لمخالفته للخط المجمع عليه.

النوع السادس:

ما لا يحتمله رسم المصحف، ولا يصح في العربية، ولم ينقل.

ولا مثال لهذا النوع، إذ يكون من المكذوب المختلق.

---

(١) شرح النويري على الطيبة ص ٢١ أ.

(٢) الإبانة ص ٧٩ وما بعدها.

(٣) نفس المرجع ص ٨٠.

وليست هذه التقسيمات من فراغ، وإنما كانت وليدة أمثلة وجدت في البيئة الإسلامية، نتيجة «قلة الضبط، واتساع الخرق، ومقاربة التباس الباطل بالحق»[1].

ولهذا: قام العلماء والقراء بدور طيب في هذا المجال نفصله في المبحث التالي:

(١) انظر: النشر ١/٩.

المبحث الثالث

(القراء وموقفهم من رسم المصحف)

لما قلّ الضبط، واتسع الخرْق، وكاد أن يلتبس ـ كما قدمنا ـ الباطل بالحق.

قام ـ كما قال ابن الجزري ـ جهابذة علماء الأمة، وصناديد الأئمة، وعزوا الوجوه والروايات، وميّزوا بين المشهور والشاذ، والصحيح والفاذ، بأصول أصّلوها، وأركان فصّلوها[1].

ويتبين ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: وضعهم ضابط القراءة الصحيحة.

وذلك أنهم لما وجدوا أن القراءات تعددت، والروايات تكاثرت، والطرق تخالفت، والأوجه تخالطت[2]: أرادوا أن يميزوا بين صحيح هذه القراءات، وشاذها، وباطلها، فوضعوا لذلك ضابطاً يزنون به القراءات والروايات الواردة في القرآن الكريم. وفي هذا الضابط ـ كما سنرى ـ جعلوا رسم المصحف ركناً هاماً في قبول القراءة أو ردها.

---

(١) النشر ١/٩.

(٢) الفرق بين القراءة والرواية والطريق والوجه: أن ما ينسب ـ من الخلاف ـ لأحد الأئمة السبعة، أو العشرة، أو نحوهم: فهو قراءة، وما ينسب للآخذين عنه ولو بواسطة: فهو رواية، وما ينسب لمن أخذ عن الرواة وإن سفل: فهو طريق، وما ينسب لغير هؤلاء: فهو وجه. (انظر: الإضاءة في أصول القراءة ص ٦).

وكان هذا الضابط:

هو أن «كل قراءة وافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، ووافقت العربية ولو بوجه، وصح سندها: فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أو عن العشرة، أو عن غيرهم من الأئمة المقبولين.

ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة: أطلق عليها، شاذة، أو ضعيفة، أو باطلة، سواء كانت عن السبعة، أو عمن هو أكبر منهم[1].

وبهذا يتبين أنهم وضعوا لتمييز القراءات من بعضها البعض ثلاثة شروط:

أحدها: من ناحية رسم المصحف.

والثاني: من ناحية اللغة العربية.

والثالث: من ناحية الإسناد.

ولكل شرط من هذه الشروط تقسيمات في القراءات بالنسبة إليه، ولكن الذي يهمنا هنا، هو شرح الشرط الأول الذي يتعلق بالرسم، والذي يقولون فيه:

«أن توافق القراءة أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالاً».

ومعنى موافقتها لأحد المصاحف، أي موافقتها لرسم أحد المصاحف العثمانية، وهذه الموافقة تنقسم إلى قسمين:

---

(١) النشر ٩/١.

أ ـ موافقة تحقيقية.

ب ـ أو موافقة احتمالية.

أ ـ فالموافقة التحقيقية:

وهي التي يتوافق اللفظ بها مع الرسم الموجود في كل المصاحف، أو في بعضها[1]، وهي التي يسميها ابن الجزري: الموافقة الصريحة[2].

ولها من الصور ثلاث:

الصورة الأولى: أن تكون الكلمة، ليس لها في اللفظ بها إلا جهة واحدة، فترسم إذاً على وفقها، والقراءة بها على هذا النحو، تكون موافقة للرسم موافقة تحقيقية، ويكون الرسم حاصراً لها ـ بهذا الشكل ـ من جهة اللفظ.

ومثالها: جميع الكلمات القرآنية التي لم يرد من القراءة بها إلا وجهاً واحداً.

ومخالفها ـ حينئذٍ ـ مناقض، حيث إنه لم يوافق الرسم تحقيقاً، ولا هو يوافقه احتمالاً، كما سنعرف الآن[3].

الصورة الثانية: أن تكون الكلمة، لها في اللفظ أكثر من جهة، وقد ورد من القراءات فيها أكثر من قراءة، حسب هذه الجهات الملفوظ بها، فإن أمكن رسم هذه الكلمة برسوم متعددة، حسب ما ورد فيها من قراءات، فموافقة هذه القراءات ـ أيضاً ـ موافقة تحقيقية، والرسم حاصر لجهات اللفظ بهذه الكلمة.

---

(١) انظر: النويري (بتصرف) ص ١٨ أ.

(٢) النشر: ١/١١.

(٣) انظر: النويري.

ومثالها:

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾[1].

فكلمة «وَسَارِعُوا» من الآية الكريمة، يمكن أن يلفظ بها بالواو، ويلفظ بها كذلك من غير الواو، وقد وردت فيها القراءتان[2].

وقد رسمت: في المصحف المكي، والمصحف الكوفي، والمصحف البصري، «بواو» قبل «السين»، ورسمت في المصحف المدني، والمصحف الشامي، بغير الواو[3].

ولذلك: فكل من القراءتين موافقة لرسم المصحف موافقة تحقيقية.

الصورة الثالثة: أن تكون الكلمة، لها في اللفظ ـ كذلك ـ أكثر من جهة، وقد ورد فيها ـ كذلك ـ من القراءات أكثر من قراءة، وفق الملفوظ بها، ولكن لم ترسم إلا على جهة واحدة من هذه الجهات الملفوظ بها[4] مع تحمله لباقي الجهات، فالرسم في هذه الحالة لا يحصر جهة اللفظ.

فالقراءات الملفوظ بها حسب هذا الرسم، تكون موافقة تحقيقية، والقراءات الملفوظ على غير هذا الرسم تكون موافقتها احتمالية ـ وسوف نمثل لها قريباً.

ومثال التحقيقية هنا:

قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٢) قرأها نافع، وابن عامر، وأبو جعفر بالواو، وقرأها الباقون بغير الواو. (النشر: ٢/ ٢٤٢).

(٣) إتحاف فضلاء البشر ص ٢٢٠.

(٤) النويري.

(٥) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

فقد رسمت كلمة: «مالك» في كل المصاحف بغير ألف[1].

وعلى هذا: فكل من قرأ هذه الكلمة «ملك» بغير ألف، فقراءته موافقة للرسم تحقيقاً[2].

ب ـ والموافقة الاحتمالية:

وهي التي لا يتوافق اللفظ بها مع الرسم الموجود في كل المصاحف، ومثالها:

قراءة من قرأ «مَالِكِ يَوْمِ الدِّين» بالألف[3].

فقراءة هؤلاء موافقة للرسم احتمالاً، حيث أن الألف حذفت من هذه الكلمة اختصاراً[4].

وبناءً على هذا: أطلق علماء القراءات على القراءات التي لا توافق الرسم تحقيقاً، أو احتمالاً، أنها شاذة[5].

المطلب الثاني: وقفهم على رسم المصحف.

وقد جعل علماء فن القراءات والرسم هذا الموضوع باباً مستقلاً، في كتبهم[6]. وذلك منهم غاية الاهتمام، وتجديدٌ متصل لذكر هذا الرسم.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر ص ١٥٣، النشر ١/١١.

(٢) وقد قرأها «مِلِك» على وزن سمع، صفة مشبهة: نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة، وأبو جعفر (إتحاف فضلاء البشر ص ١٥١) وقرأ علي بن أبي طالب: «مَلَكَ يوم الدين» بنصب اللام والكاف، ونصب يوم جعله فعلاً ماضياً (الإبانة ص ٧٥) وهي الآن تعتبر شاذة، وروي عن أبي عمرو أنه قرأ «مَلْكِ يوم الدين» بإسكان اللام وخفض الكاف، وهي قراءة منسوبة إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (الإبانة ص ٧٦) وهي الآن تعتبر شاذة.

(٣) وهي قراءة عاصم والكسائي، ويعقوب وخلف (إتحاف فضلاء البشر ص ١٥١).

(٤) النشر ١/١١.

(٥) منجد المقرئين ص ١٦، ١٧.

(٦) انظر: النشر ٢/١٢٨، إبراز المعاني ص ١٩٧، كنز المعاني ص ٢٢٠.

وذلك أعظم دليل على اعتنائهم «بمتابعة خط المصحف في الوقف»[1].

«وقد أجمع أهل الأداء، وأئمة الإقراء، على لزوم مرسوم المصاحف، فيما تدعوا الحاجة إليه»[2].

(أنواعه):

وأنواع الوقف في هذا الباب ثلاثة[3]:

الأول: الوقف الاختياري، وهو الذي قصد لذاته.

الثاني: الوقف الاختباري، وهو الذي قصد لاختبار حال القارىء، ومعرفته لحقيقة رسم هذه الكلمة، أو تلك، «وكانت هذه الكلمة، أو تلك ليست بموضع وقف»[4].

الثالث: الوقف الاضطراري، وهو الذي يضطر القارىء له، لانقطاع النفس.

(مكانه):

ويكون هذا الوقف على أواخر الكلمة الموقوف عليها، أو المسؤول عنها، على وفق رسمها في الهجاء[5].

(الهدف منه):

الدلالة على بيان كيفية رسم المصحف، فيما يوقف عليه[6].

---

(١) كنز المعاني ص ٢٢٠.
(٢) النشر ٢/١٢٨.
(٣) انظر: اتحاف فضلاء البشر ص ١٢٨.
(٤) النشر ٢/١٢٨.
(٥) شرح ابن القاصح ص ١٠٤.
(٦) كنز المعاني ص ٢٢٠.

(أقسامه):

وينقسم الوقف في هذا الباب إلى قسمين:

١ ـ متفق عليه.

٢ ـ ومختلف فيه.

١ ـ ومثال لما اتفقوا عليه: كل كلمة اتصل بها ضمير متصل سواء كان على حرف واحد أو أكثر، نحو «ربي» و«ربكم».

فقد اتفقوا على الوقف عليها موصولة في جميع القرآن، حيث إن جزئي هذه الكلمة لكثرة دورهما، نُزِّلا منزلة الكلمة الواحدة[١].

٢ ـ وأما ما اختلفوا فيه:

فينقسم إلى خمسة أقسام[٢]:

الأول: الإبدال، وهو إبدال حرف بآخر.

ومثاله: كلمة (يا أبت).

وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾[٣] بيوسف، ووردت في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا ﴾[٤] بمريم، ووردت في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ﴾[٥] بالقصص، ووردت في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾[٦] بالصافات.

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر ص ١٣٣، ١٣٤.

(٢) إتحاف فضلاء البشر ص ١٢٨.

(٣) سورة يوسف: آية رقم ٤.

(٤) سورة مريم: آية رقم ٤٣.

(٥) سورة القصص: آية رقم ٢٦.

(٦) سورة الصافات: آية رقم ١٠٢.

وقد وقف عليها: بالهاء خلافاً للرسم: ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب.

ووقف الباقون عليها: بالتاء على الرسم[1].

الثاني: الإثبات.

ومثاله:

الكلمات الخمس الاستفهامية، المجرورة، وهي: «عم، وفيم، وبم، ولم، ومم».

فقد وقف عليها بإثبات هاء السكت ـ عوضاً عن الألف المحذوفة لأجل دخول حرف الجر على ما الاستفهامية، البزي، وكذا يعقوب، بخلاف عنهما، وبغير الهاء وقف آخرون[2].

وكذلك:

﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾[3] و﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ﴾[4] و﴿ يَدْعُ ٱلدَّاعِ ﴾[5]، و﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨ ﴾[6].

وقف عليها يعقوب بالواو، على الأصل.

ووقف الجميع بحذف الواو، على الرسم[7].

---

(١) النشر ٢/ ١٣١.

(٢) إتحاف فضلاء البشر ص ١٣٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١١.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٢٤.

(٥) سورة القمر، الآية: ٦.

(٦) سورة العلق، الآية: ٨.

(٧) الإتحاف ص ١٣١، ١٣٢.

الثالث: الحذف.

ومثاله:

«كأيِّن» في سبعة مواضع[1].

وقد وقف أبو عمرو، ويعقوب، واليزيدي، والحسن: على الياء في السبعة.

ووقف الباقون على النون كذلك[2].

الرابع: المقطوع رسماً.

ومثاله:

كلمة «أيّاً مَا» في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[3].

فقد وقف حمزة، والكسائي، ورويس، على «أيّا» دون «ما»، والوقوف على «ما» دون «أيّا» للباقين.

هذا ما نص عليه الداني في التيسير[4].

ولكن الجمهور على الوقف على كل من «أيّا» و«ما» لكونهما كلمتين انفصلتا رسماً، كسائر المنفصلات رسماً.

ويقول ابن الجزري: وهذا الذي عليه الجمهور، هو الأقرب إلى الصواب، وهو الأولى بالأصول، وهو الذي لا يوجد عن أحد منهم نص

---

(١) بآل عمران، ويوسف، وموضعي الحج، وبالعنكبوت، والقتال، والطلاق.

(٢) الإتحاف ص ١٣٢.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٤) إتحاف فضلاء البشر ص ١٣٢.

بخلافه، وقد تتبعت نصوصهم فلم أجد ما يخالف هذه القاعدة، ولا سيما في هذا الموضع[1].

الخامس: الموصول رسماً.

ومثاله:

كلمة، «ويكأنَّ» في قوله تعالى: ﴿ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ﴾[2]، وكذلك، ﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[3].

فقد وقف فيهما: الكسائي، والحسن، وابن محيصن ـ من المفردة ـ والمطوعي: على الياء، والابتداء ـ بعد ذلك ـ «بالكاف».

ووقف الباقون على الكلمة برأسها[4]. ووقف فيهما: أبو عمرو، واليزيدي، وابن محيصن ـ من المبهج ـ على «الكاف»، والابتداء ـ بعد ذلك ـ بالهمزة.

يقول ابن الجزري[5]:

«و ـ اتباع رسم المصحف في الوقف ـ هو الذي عليه العمل، عن أئمة الأمصار، في كل الأعصار.

وقد ورد ذلك نصاً، وأداءً عن نافع، وأبي عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبي جعفر، وخلف.

---

(١) النشر ٢/ ١٤٤، ١٤٥.
(٢) سورة القصص، الآية: ٨٢.
(٣) سورة القصص، الآية: ٨٢.
(٤) إتحاف فضلاء البشر ص ١٣٣.
(٥) النشر ٢/ ١٢٨.

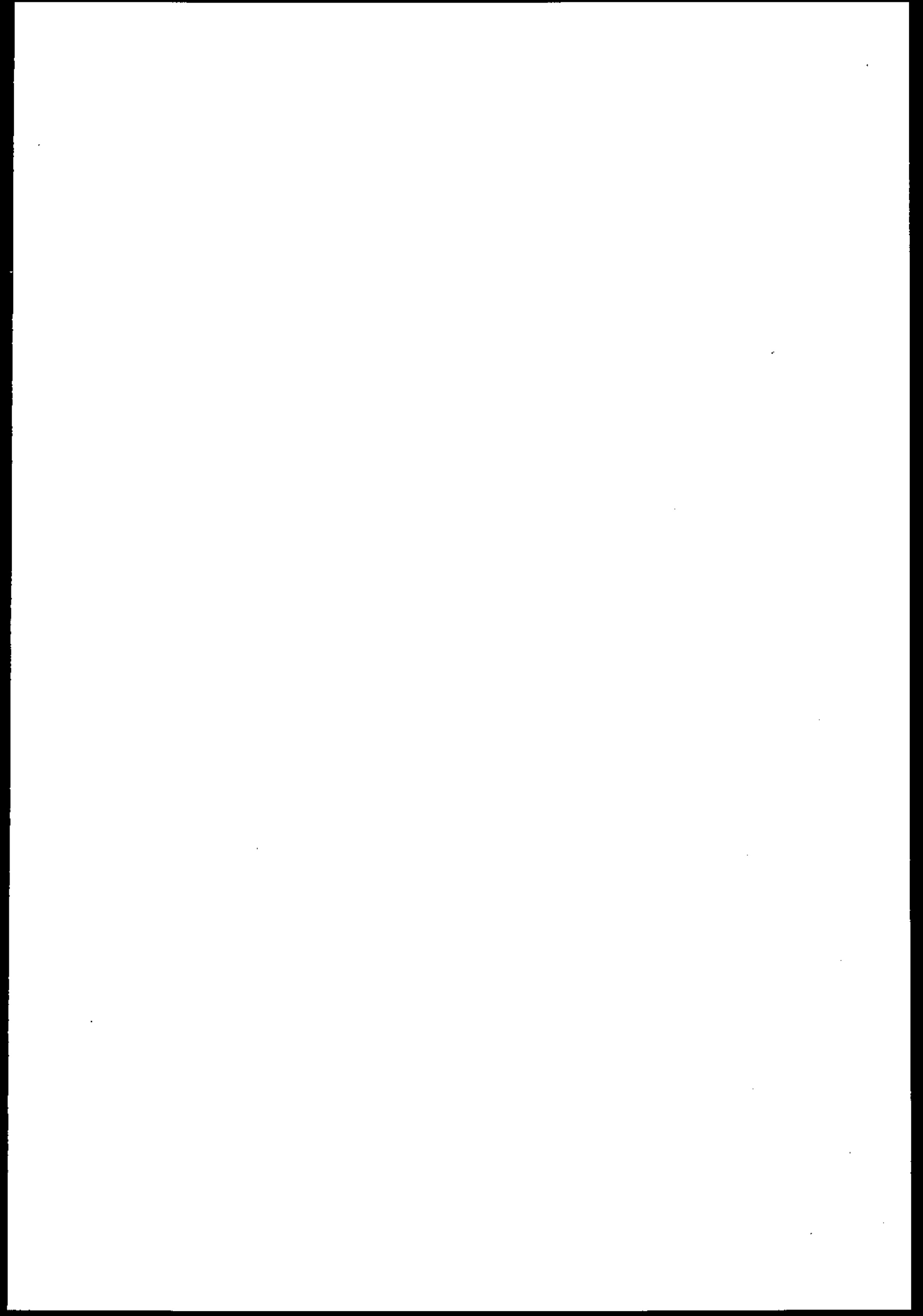
ورواه كذلك نصاً الأهوازي، وغيره، عن ابن عامر.

ورواه كذلك أئمة العراقيين عن كل القراء بالنص والأداء.

وهو المختار عندنا، وعند من تقدمنا للجميع.

وهو الذي لا يوجد نص بخلافه، وبه نأخذ لجميعهم، كما أخذ علينا».

وهذا منهم: كما نرى اعتناء برسم المصحف، الذي كتب به الصحابة بين يدي النبي ﷺ، وهو الذي رسمت به المصاحف العثمانية، وهو الذي يعد المصفاة الحقيقية لبيان صحيح القراءات وشاذها، ولولاه، بالنسبة للقراءات، لاختلط فيها الصحيح بالفاسد، ولفات كثير من القرآن المنزل علينا، وضاع دون نقله إلينا.



الفصل الثالث

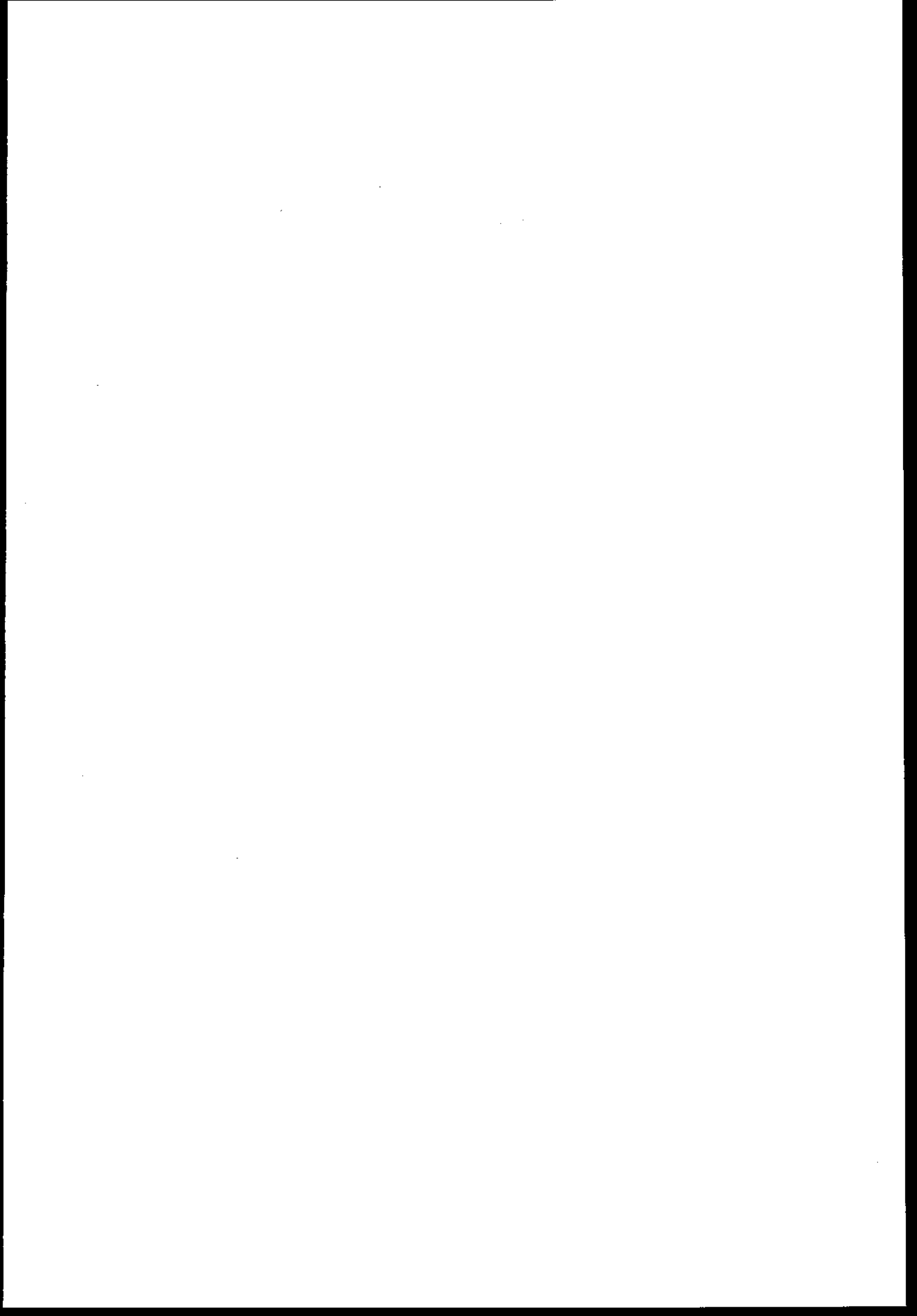
(سمات رسم المصحف)

وفيه:

المبحث الأول: أنواع الخط في الكتابة العربية.

المبحث الثاني: مؤلفات في رسم المصحف.

المبحث الثالث: سمات وخصائص رسم المصحف.



المبحث الأول

(أنواع الخط في الكتابة العربية)

يرى بعض الباحثين: أن أهم اختراع عرفته البشرية، في جميع عصورها، هو اختراع الخط، الذي يصور الآراء والأفكار والتجارب، ويحفظ الأنباء والأخبار، وينقل الحضارات من جيل إلى جيل، ومن مكان إلى مكان، وهو الذي قامت عليه أسس المدنية والعمران، وامتاز به الإنسان على جميع الكائنات.

والتعبير: كما يكون باللسان يتم أيضاً بالكتابة، واللسان أثره ـ في الغالب ـ مقصور على مجلس خاص، وزمن محدود، أما الكتابة: فهي تنتقل عبر الأجيال، وعبر الممالك والشعوب، ولولا ما سجله قدماء المصريين، والإغريق، والرومان؛ ما عرفنا شيئاً عن مدنيتهم العريقة، ولا أدركنا شيئاً يذكر من معارفهم، وعلومهم، التي تعتبر أساساً ثابتاً لجميع ما وصلت إليه الإنسانية من حضارات.

هذا... ومما لا شك فيه، أن أهم وسائل التعبير إيضاحاً وشمولاً هي الكتابة الخطية[1].

وأشاروا ـ أيضاً ـ إلى أن الخط العربي: شيء يعبر به عن الواقع الصوتي للعربية، وهو محاولات لتدوين هذا الواقع الصوتي[2].

---

(١) انظر: مجلة الأزهر ٥/ ٤٩٥ سنة ٤٣.

(٢) اللغة العربية عبر القرون ص ٩.

أي أن الخط: هو تصوير اللفظ بحروف هجاءه، بأن يطابق المكتوب المنطوق في ذوات الحروف، وعددها، مراعى في ذلك: الوقف والابتداء[1].

وذلك: لأن الكتابة، محاولة لنقل الظاهرة الصوتية السمعية إلى ظاهرة كتابية مرئية، أو محاولة نقل اللغة من بعدها الزمني المنطوق، إلى بعد مكاني مرئي[2].

فهل هذا هو المتبع في أقسام الرسم الخطي؟ أو أن هذه القاعدة، وهذا المفهوم، غير مطبق في كل ما يكتب؟

يتضح لنا ذلك من الأقسام الثلاثة التالية:

(١) الخط الاصطلاحي، ويسمى الرسم الإملائي:

وهو الرسم الذي وضع علماء البصرة والكوفة قواعده، مستمدين ذلك من المصحف العثماني، ومن علمي النحو والصرف[3].

وأصول هذا الخط خمسة:

أولها: تعيين نفس حروف الهجاء دون أعراضها.

ثانيها: عدم النقصان منها.

ثالثها: عدم الزيادة عليها.

رابعها: فصل اللفظ عما قبله، مع مراعاة الملفوظ في الابتداء.

خامسها: فصله عما بعده، مع مراعاة الملفوظ في الوقف[4].

---

(١) نتيجة الإملاء وقواعد الترقيم ص ٤.

(٢) اللغة العربية عبر القرون ص ٩.

(٣) نتيجة الإملاء ص ٥.

(٤) إرشاد القراء ص ٢٨، وسمير الطالبين ص ٢٧.

وموضوع هذا الخط أربعة[1].

الأول: الحروف التي تبدل: كالهزة، والنونات الثلاث، والألف اللينة، وتاء التأنيث، وهاءه.

الثاني: الحروف التي تزاد كواو «أولئك».

الثالث: الحروف التي تحذف كألف «لكن».

الرابع: الكلمات التي توصل، والتي تفصل، مثل ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾[2].

أما قواعد هذا الرسم. فهي وإن كانت قد فصلت، وبوبت، إلا أنه لم يتفق عليها واضعوها، وهي عرضة للتغيير، والتبديل، ومتطورة مع الزمن[3].

وهذا الرسم: هو الذي نستعمله في كتاباتنا العادية.

ونرى فيه: أنه لم تراع الموافقة التامة بين المكتوب والمنطوق[4].

(٢) الخط العروضي:

وهو ما اصطلح عليه أهل العروض في تقطيع الشعر، واعتمادهم في ذلك على ما يقع في السمع دون المعنى، إذ المعتد به في صنعة العروض إنما هو اللفظ، لأنهم يريدون به عدد الحروف، التي يقوم بها الوزن متحركاً، وساكناً، فيكتبون التنوين نوناً ساكنة، ولا يراعون حذفها في الوقف، ويكتبون الحرف المدغم بحرفين، ويحذفون اللام مما يدغم فيه في

---

(١) نتيجة الإملاء ص ٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠.
(٣) الجمع الصوتي ص ٣٨٤.
(٤) وذلك في مثل: مائة، مائتان، وثلاثمائة إلى تسعمائة، ففي هذا المثال: زيدت الألف كتابة، بينما لا يظهر لها في النطق صوت (انظر: نتيجة الإملاء ص ٢٥).

الحرف الذي بعده، كالرحمٰن، والذاهب، والضارب، ويعتمدون في الحروف على أجزاء التفعيل، فقد تنقطع الكلمة بحسب ما يقع من تبيين الأجزاء[1].

مثاله:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكـــل رداء يـــرتـــديـــه جميـــل

يكتب هذا البيت حسب هذا الخط هكذا:

إذا لمرء لميدنس منللؤ معرضهو فكلـــل ردائنيـــر تـــديـــه جميلـــو[2]

وهذا هو الخط الوحيد الذي تراعى فيه المطابقة التامة بين المنطوق والمكتوب.

(٣) الخط العثماني:

ويسمى الرسم المصحفي، ويسمى ـ كذلك الرسم القرآني.

وهو الرسم المخصوص الذي كتبت به حروف القرآن وكلماته أثناء كتابة القرآن الكريم في جميع مراحله الكتابية، التي كان آخرها كتابته في عهد عثمان رضي الله عنه.

وهو علم جليل تعرف به مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم الإملائي وقواعده المقررة فيه[3].

وإذا كان هذا الرسم يسمى الرسم العثماني، نسبة إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه، فليس ذلك لابتكاره إياه، أو لمخالفته به رسماً تم بين يدي

---

(١) مفتاح السعادة ١/ ٩٣.

(٢) انظر: نتيجة الإملاء ص ٤.

(٣) دليل الحيران ص ٣١، ٣٢.

النبي ﷺ، وإنما كانت هذه النسبة لأن الفضل يرجع إلى نسخ سيدنا عثمان رضي الله عنه، في تعميم هذا الرسم وإذاعته في الآفاق والأمصار بعد وصول المصاحف إليها، وإلى الطريقة التي رسمت بها هذه المصاحف، كما سبق ذكر ذلك.

وموضوعه: حروف المصاحف العثمانية من حيث: الحذف والزيادة، والإبدال والفصل والوصل، ونحو ذلك[١].

وفي هذا الخط: لم تراع الموافقة التامة بين المكتوب والمنطوق؛ لأن رسمه يتحمل أكثر من صورة منطوقة لعلل وحكم سنشير إلى بعضها في المبحث الثالث من هذا الفصل.

ومن هنا قيل: خطان لا يقاس عليهما خط المصحف، وخط تقطيع العروض[٢].

وقال الإمام الزركشي[٣]:

الخط ثلاثة أقسام: ـ

١ ـ خط يتبع به الاقتداء السلفي، وهو رسم المصحف.

٢ ـ وخط جرى على ما أثبته اللفظ، وإسقاط ما عداه، وهو خط العروضيين.

٣ ـ وخط جرى على العادة المعروفة، وهو الذي يتكلم عليه النحوي.

---

(١) دليل الحيران ص ٣١، ٣٢.

(٢) فصل الخطاب ص ١٦.

(٣) البرهان ١/ ٣٧٦.

(المبحث الثاني)

(مؤلفات في رسم المصحف)

علمنا أن رسم المصحف علم جليل تعرف به مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم الإملائي وقواعده المقررة فيه[1].

وقد اهتم العلماء بهذا العلم اهتماماً يدلّنا على تعظيم فن الرسم، وعناية المسلمين به[2]. فصنفوا فيه كتباً كثيرة قديماً وحديثاً: كأبي حاتم، ونصير[3]، وأبي بكر ابن أبي داود، وأبي بكر بن مهران، وأبي عمرو الداني، وصاحبه أبي داود، والشاطبي، والحافظ أبي العلاء[4]. تكلموا فيها على هذا المرسوم الذي جعله سيدنا عثمان في المصاحف أصلاً متبعاً، كل واحد منهم يبين عن المرسوم كيفية كتابته: من حذف وإثبات، ونقص وزيادة، وقطع ووصل، ونحو ذلك[5].

من هذه الكتب:

١ ـ كتاب «المقنع» لأبي عمرو الداني ت ٤٤٤هـ وهو أجمع الكتب التي تكلمت على رسم المصحف[6]، وقد تكفل فيه صاحبه برسم القراءات السبع كلها[7]، أتى فيه بنص صريح مقنع، كاف لمن اقتصر عليه، وهو مفيد

---

(١) دليل الحيران ص ٣١، ٣٢.
(٢) لطائف البيان ص ٨.
(٣) انظر: طبقات القراء ٢/٣٤١.
(٤) النشر ٢/١٢٨.
(٥) دليل الحيران ص ٢١.
(٦) فصل الخطاب ص ١٧.
(٧) دليل الحيران ص ٣٤١.

في الرسم، وعليه اعتمد كثير ممن اعتنى بعلم القرآن[1].

وعن هذا الكتاب يقول اللبيب في شرح العقيلة: رأيت لأبي عمرو الداني ١٢٠ تأليفاً منها أحد عشر تأليفاً في الرسم، أصغرها جرماً كتاب المقنع[1].

٢ ـ كتاب «التنزيل». لأبي داود سليمان بن نجاح ت ٤٩٦هـ، وهو من أشهر كتبه، ويشتمل على رسم جميع القرآن[2]، وتكفل فيه صاحبه ـ مثلما تكفل صاحب المقنع ـ برسم القراءات السبع كلها[3]، ولكنه زاد فيه على ما في المقنع[4]، بمعنى أن جملة المرسوم التي اشتمل عليها «التنزيل» أكثر من جملة المرسوم التي اشتمل عليها المقنع[5].

ومما تجدر الإشارة إليه أن أبا داود هذا له في علم الرسم كتاب آخر يسمى «التبيين لهجاء التنزيل»[6].

٣ ـ كتاب «العقيلة». للإمام الشاطبي ت ٥٩٠هـ.

وهي قصيدة تسمى «عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد» ذكر فيها الشاطبي جميع مسائل كتاب المقنع للداني، وزاد عليه أحرفاً، أي كلمات قليلة، وجملتها ست كلمات[7].

ولقد اهتم كثير من العلماء بشرح نظمها في مؤلفات لهم منها: ـ

أ ـ شرح تغريد الجميلة لمنادمة العقيلة للإمام الزبيدي.

---

(١) دليل الحيران ص ٢١.
(٢) الفتوى المحمدية ص ٤٢.
(٣) دليل الحيران ص ٣٤١.
(٤) لطائف البيان ص ٩.
(٥) دليل الحيران ص ٢٣.
(٦) طبقات القراء ١/٣١٧.
(٧) دليل الحيران ص ٢٢.

ب ـ شرح الإمام الجعبري على العقيلة[1].

وقد أحسن فيه كل الإحسان[2].

جـ ـ كتاب «الوسيلة إلى شرح العقيلة»[3] للإمام السخاوي.

د ـ «فتح الوصيد» للسخاوي.

والإمام السخاوي هذا هو أول من شرحها، بل هو والله أعلم سبب شهرتها في الآفاق[3].

هـ ـ شرح الإمام علي القاري على العقيلة.

و ـ شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد.

لأبي البقاء علي بن عثمان بن محمد بن القاصح.

٤ ـ كتاب: عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل.

تأليف: أبو العباس المراكشي، المعروف بابن البناء. ولد ٦٥٤هـ، ت ٧٢١هـ.

وقد ألفه في توجيه ما خالف قواعد الخط، وبين فيه أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها[4]، وهو يعتبر من أندر الرسالات في موضوعه[5].

٤ ـ كتاب: «مورد الظمآن في حكم رسم أحرف القرآن» للخراز.

---

(١) طبقات القراء ١/ ٢١.

(٢) مفتاح السعادة ٢/ ٥٤.

(٣) مفتاح السعادة ٢/ ٥٣، ويُنبّه إلى أنَّ «فتح الوصيد» هو شرحٌ للشاطبيّة في القراءات لا للعقيلة.

(٤) الإتقان ٤/ ١٤٥، البرهان ١/ ٣٨٠.

(٥) وقد أصدرت مجلة «الميثاق» المغربية بياناً أذاعت فيه أنه قد عثر لهذا العالم على عدة مؤلفات منها هذا السفر النفيس. انظر: (مجلة الأزهر جـ ٥، ص ٥٠٦، عدد رجب ١٣٩١هـ ـ أغسطس ١٩٧١م).

وهي منظومة لطيفة تكفل فيها صاحبها بذكر خلافيات المصاحف في الرسوم باعتبار قراءة الإمام «نافع» فقط[1].

وقد أتى فيها بزوائد على الشاطبية، والمقنع للداني، من التنزيل لأبي داود وغيره[2].

وقد لخص ناظمها ما جاء في المقنع، والعقيلة، والتنزيل بلفظ وجيز[4]، ثم أتى في تلخيصه هذا بزوائد على ما في هذه الكتب[3]، فقد ذكر مثلاً اثني عشر موضعاً ـ لا توجد في هذه الكتب ـ من كتاب «المنصف» للبلنسي، وذلك إما لانفراد مؤلفه بها، وإما لاشتهارها في زمنه دون بقية ما انفرد به[4].

وقد شرحه الإمام ابن عاشر في كتاب سمّاه «فتح المنان بشرح مورد الظمآن».

٥ ـ كتاب: الإعلان بتكميل مورد الظمآن. للإمام ابن عاشر ١٠٤٠هـ.

لما كان مورد الظمآن مقصوراً على ذكر خلافيات المصاحف باعتبار قراءة الإمام «نافع»، فقد تكفل ابن عاشر في كتابه هذا بذكر بقايا خلافيات رسوم المصاحف باعتبار قراءات غير الإمام «نافع»، من باقي القراء السبعة[5].

٦ ـ كتاب: الجوهر الفريد في رسم القرآن المجيد.

تأليف الشيخ سيد بركات بن يوسف عريشه الهوريني من رجال القرن

---

(١) دليل الحيران ص ٣٤١.
(٢) لطائف البيان ص ٩.
(٣) طبقات القراء ٢/ ٢٣٧.
(٤) لطائف البيان ص ٩.
(٥) دليل الحيران ص ٣٤١.

الرابع عشر، والكتاب اختصار لكتاب «تغريد الجميلة لمنادمة العقيلة» للزبيدي.

وهو ينقسم إلى مقدمة، واثني عشر باباً، وخاتمة، تناول المؤلف في المقدمة الكلام عن: أصل نسخ المصاحف العثمانيـة، وكم هي؟ وسبب شكل ما استجد بعدها، وفي أبواب الكتاب تناول المؤلف الكلام عن قواعد الرسم العثماني، وختم الكتاب بحديثه عن «الحروف النورانية ومعانيها وخواصها»[1].

٧ ـ كتاب: إرشاد القراء والكاتبين. تأليف: الشيخ رضوان بن محمد المخللاتي.

وهو كتاب جليل يقع في ٢٥٤ ورقة من القطع المتوسط، تناول المؤلف موضوع الرسم في ٢٠١ ورقة، وتناول في الباقي، وهو خاتمة الكتـاب ـ كمـا يسميهـا ـ طرفـاً يسيـراً مـن أحكـام الضبـط، اقتـداءً بـالأئمـة السابقين، تتميماً للفائدة.

وكان سبب تأليف الكتاب ـ كما يقول المؤلف: سألني بعض الأعزة من الإخوان أن أقتطف له كتاباً من أزهار غصون حدائق تلك الكتب ـ كتب الرسم العثماني ـ الشذية، سهل العبارة، مرتباً على السور، موفياً بتصوير الكلمات القرآنية، ملوحاً فيه إلى بعض أسرار المرسوم، مصرحاً بأوضاع الضبط[2].

٨ ـ كتاب: فتح الرحمٰن وراحة الكسلان في رسم القرآن.

---

(١) الكتاب مخطوط يقع في ٥٧ ورقة من القطع المتوسط ضمن مجموعة من الكتب، وهو بمكتبة الأزهر تحت رقم (١٣٩٧ مجاميع) ٢٢٢٨٨ قراءات.

(٢) والكتاب ألف عام ١٣٠٢هـ، وهو مخطوط بمكتبة الأزهر تحت رقم (٢٤١)، ٢٢٢٤٨ قراءات، وقد طبع الكتاب بتحقيق عبد الرزاق موسى في المدينة المنورة.

تأليف الشيخ محمد أبو زيد سنة ١٣١٥هـ.

وقد تناول المؤلف فيه إحصاءً تمثيلياً للكلمات القرآنية المرسومة بالرسم العثماني بترتيب حروف المعجم من أول صفحة حتى ص ٢٤، ثم يتناول بعد ذلك فيما بقي من الكتاب ـ البالغ صفحاته ٣٢ ـ نذراً يسيراً في الضبط.

ويقول المؤلف في مقدمة كتابه: لما كان رسم المصحف الشريف على ما كتبته الصحابة رضي الله عنهم فرض كفاية، فقد تتبعته، في هذه الرسالة الصغيرة مستصحباً جملة كتب نفيسة، وجريت فيها على ما جرى عليه المحققون مثل: صاحب المقنع، وابن عاشر، وتغريد الجميلة، والسخاوي، وعدة كتب أخرى[١].

٩ ـ كتاب: إرشاد الحيران. تأليف الشيخ محمد بن خلف الحسيني.

جمع فيه المؤلف ـ كما يقول ـ ما يدل على أن الرسم القرآني ـ وهو ما كتب الصحابة القرآن الكريم به في المصاحف في زمن عثمان ـ رضي الله عنه ـ توقيفي[٢].

١٠ ـ كتاب: الفتوى المحمدية على الأسئلة الهندية عن المرسومات القرآنية.

وهو عبارة عن ست مقالات نشرت في صحيفتي الأهرام، والبلاغ القاهريتين في الفترة من ٢٧/ ٥/ ١٩٢٤م حتى ١٠/ ٦/ ١٩٢٦م.

وقد طبعت هذه الفتاوى في كتاب يقع في ٤٧ صفحة من القطع الصغير.

---

(١) يوجد الكتاب بمكتبة الأزهر تحت رقم (٣١٤) ٢٢٣٢١ قراءات.

(٢) يقع الكتاب في ٧٢ صفحة، وهو مطبوع بهامش كتاب «الرحيق المختوم في نثر اللؤلؤ المنظوم» بمطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر عام ١٣٤٢هـ.

والكتاب على هذا هو مجموعة أجوبة ـ على هذه الأسئلة المشار إليها ـ التي أجابها الشيخ محمد قنديل الرحماني من علماء الأزهر الشريف.

١١ ـ كتاب: إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام.

يقول الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي مؤلف الكتاب ـ جعلته محصوراً في مقدمة، ومقصد واحد، وخاتمة، ففي المقدمة ذكر أموراً هامة تتعلق بعلم الخط، وفي المقصد بيان وجوب اتباع رسم المصحف العثماني إجماعاً، وفي الخاتمة تعرض ـ رحمه الله ـ لكون رسم القرآن معجزاً كنظم ألفاظه، وتعرض كذلك لقواعد الرسم العثماني[1].

ويلاحظ أن هذه الكتب الثلاثة كانت عبارة عن إجابة لمجموعة الأسئلة التي وردت من الأقطار الهندية بخصوص الرسومات القرآنية إلى دار الإفتاء المصرية، وإلى المدرسة الصولتية بمكة المكرمة في ٣ نوفمبر ١٩٢٣م[2].

١٢ ـ كتاب: لطائف البيان في رسم القرآن.

تأليف الشيخ أحمد محمد أبو زيتحار.

وهو عبارة عن شرح «مورد الظمآن» للخراز، وكتاب «الإعلان» لابن عاشر.

وطبع الكتاب في جزئين بمطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر.

١٣ ـ كتاب: سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين.

تأليف الشيخ علي محمد الضباع.

---

(١) والكتاب مطبوع عام ١٣٤٥هـ بمطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر.

(٢) انظر: الفتوى المحمدية ص ٥.

وقد جعله المؤلف في مقدمة، ومقصدين، وخاتمة، فالمقدمة في فوائد مهمة تدعو الحاجة إليها، والمقصد الأول في فن الرسم، والثاني في فن الضبط، والخاتمة في آداب كتابة القرآن وما يتعلق بذلك.

وقد اقتصر فيه ـ كما يقول ـ على ما تدعو الحاجة في هذه الأزمنة إليه مما ذكر في المقنع والتنزيل والعقيلة؛ إذ ما فيها هو المعول عليه[١].

والكتاب يقع في ١٨٩ ص، وقد طبع بمطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة.

---

(١) انظر: سمير الطالبين ص ٤.

المبحث الثالث

(سمات وخصائص رسم المصحف)

تمهيـــد:

يرى المتصفّح لكتاب الله تعالى أن أكثر كلماته موافق لقواعد الرسم الإملائي[1]، وهناك كلمات يخالف رسمها القواعد الإملائية المعروفة وهي كلمات معينة لا يصعب على أحد ـ إذا لُقِّنَها ـ أن ينطق بها صحيحة[2]، كما وردت في رسمها العثماني، وقد تتبع علماء الرسم العثماني هذه الكلمات التي يختلف رسمها عن نطقها، وأحصوها ودونوها في تآليفهم، وعللوا لها بما يعرف منه أن مرجع الخلاف: هو ما في الكلمات من قراءات يحتملها الرسم، أو ما فيها من قراءة واحدة تستدعى أن تكتب بصورتها التي لا تحتمل ما سواها[3].

وقد أحصاها العلماء في كتبهم التي سبقت الإشارة إليها في المبحث المتقدم.

أما عن تسمية هذه الخصائص الواردة في الرسم العثماني: ـ

فنجد أن الإمام الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ذكرها في فصول من كتابه «البرهان» تحت عنوان «اختلاف رسم الكلمات في المصحف والحكمة فيه»[4].

---

(١) سمير الطالبين ص ٢٧، دليل الحيران ص ٣٢، إرشاد القراء والكاتبين ص ٢٩.
(٢) انظر: مجلة الأزهر عدد صفر ١٣٦٨هـ.
(٣) د. لبيب السعيد: رسم المصحف ص ٣٠.
(٤) البرهان: جـ ١ ص ٣٨٠ وما بعدها.

أما الإمام السيوطي (ت ٩١١هـ ـ ١٥٠٥م) فقد أسماها «قواعد الرسم العثماني»[١].

وحينما ألف الشيخ الزرقاني كتاب «مناهل العرفان»، تابع الإمام السيوطي في تسميته لها بالقواعد[٢].

ولما ظهر كتاب «البيان» للدكتور عبد الوهاب غزلان، لم يتابع فيه صاحبه الإمام السيوطي في تسميتها بالقواعد كما فعل الشيخ الزرقاني، ولم يسكت عن تسميتها كما فعل الإمام الزركشي، بل أطلق عليها «أنواع من المخالفة في رسم المصحف»[٣]. وقد التمس فضيلته تعليلاً لتسمية الإمام السيوطي بقوله: «ولعله سماها بذلك نظراً إلى أن في هذه الأنواع أشياء تنضبط بقاعدة كقولهم: تحذف الألف من «يا» التي للنداء حيث وقعت، ومن «ها» التي للتنبيه حيث وقعت... ونحو ذلك».

ومع أني أميل إلى تسمية فضيلة الدكتور غزلان لها بالأنواع، حيث إن كثيراً جداً من تفاصيل هذه الأنواع لا ينضبط بضابط، ولا تقعد له قواعد: أرى أن تسمى هذه الاختلافات «سمات وخصائص الرسم العثماني» وهو عنوان هذا المبحث.

وذلك الاختيار بسبب أن هذه المخالفات تميّز وتفرّق بين الرسم العثماني وغيره، وهي في نفس الوقت خاصة به، كما هو خاص بها، فهي من خصائصه التي تخفي وراءها من الحكم والعلل الشيء الكثير، وفي هذه التسمية ـ في نفس الوقت ـ إبعاد لكلمة «مخالفات» التي قد توهم للوهلة الأولى أن ثمة خطأ في هذا الرسم.

---

(١) الإتقان: جـ ٤ ص ١٤٧.

(٢) المناهل: ١/ ٣٦٢ الطبعة الثانية.

(٣) البيان: ص ٢٤٢.

وفيما يلي: تقسيم لهذه الأنواع، وتوضيح لهذه السمات والخصائص مع التمثيل لها بالقدر الذي يتسع له مجال هذه الدراسة، دون قصد في هذا التقسيم أو التمثيل. . الإحاطة والاستيعاب.

أولاً: الحذف.

ثانياً: الزيادة.

ثالثاً: الهمز.

رابعاً: الإبدال.

خامساً: الوصل والفصل.

سادساً: ما فيه قراءتان.

السمة الأولى: الحذف.

جاء الحذف في المصاحف العثمانية على ثلاثة أقسام[1]:

أ ـ حذف إشارة.

ب ـ حذف اختصار.

جـ ـ حذف اقتصار.

أ ـ أما حذف الإشارة:

فهو ما يكون موافقاً لبعض القراءات، نحو ﴿ وَإِذْوَٰعَدْنَا ﴾[2] فقد قرىء بحذف الألف، وإثباتها[3]، فحذفت الألف في الخط إشارة لقراءة الحذف.

ولا يشترط في كونه حذف إشارة؛ أن تكون القراءة المشار إليها متواترة، بل لو شاذة[4]؛ لاحتمال أن تكون غير شاذة حين كتب المصاحف[5].

ب ـ وأما حذف الاختصار:

فهو ما لا يختص بكلمة دون مماثلها، فيصدق بما تكرر من الكلمات وما لم يتكرر منها، وذلك كحذف ألف جموع السلامة (كالعالمين)[6].

جـ ـ وأما حذف الاقتصار:

فهو ما اختص بكلمة أو كلمات دون نظائرها (كالميعاد)[7] في الأنفال.

---

(١) سمير الطالبين ص ٣١، لطائف البيان ص ١٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥١.

(٣) قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب واليزيدي، وابن محيصن بحذف الألف بعد الواو من الوعد، والوعد من الله تعالى وحده، وقرأ الباقون بالألف من المواعدة. النشر ٢/ ٢١٢، إتحاف فضلاء البشر ١٦٤.

(٤) مثل قراءة عمر بن الخطاب (غير المغضوب عليهم وغير الضالين) انظر: الإبانة ص ٢٠.

(٥) سمير الطالبين ص ٣١.

(٦) سمير الطالبين ص ٣١.

(٧) اتفقوا على حذف الألف بعد العين هنا خاصة، وإثباتها فيما عداه في جميع القرآن (إتحاف ٢٨٤).

وربما جامع القسم الأول أحد القسمين الأخيرين، وربما اجتمع القسمان الأخيران[١].

والذي يحذف في المصاحف من حروف الهجاء خمسة: حروف المد الثلاثة، الألف، والياء، والواو، وهذه يكثر الحذف فيها، واللام، والنون، وهذه يقل الحذف فيها[٢].

(الأول) - حذف الألف:

وحذف الألف جاء في القرآن على قسمين:

الأول: ما يدخل تحت قاعدة وهو خمسة أنواع: -

١ - حذف ألف جمع المذكر السالم. نحو (عالمين).

٢ - حذف ألف جمع المؤنث السالم. نحو (مسلمات).

٣ - حذف ألف ضمير الرفع المتصل. نحو (زدناهم).

٤ - حذف ألف التثنية. نحو (الأوليان).

٥ - حذف ألف الأسماء الأعجمية. نحو (إبراهيم).

الثاني: ما لا يدخل تحت قاعدة، وهو الجزئيات، تكررت أو لا.

ولعلماء الرسم خلافات وتفاصيل يطول شرحها حول شروطهم لصحة الحذف في هذه الأنواع[٣].

وفي تعليل حذف الألف - مما سبق - أو إثباتها:

---

(١) انظر: سمير الطالبين ص ٣١.

(٢) سمير الطالبين ص ٣٢، لطائف البيان ص ١٤.

(٣) انظر: المقنع ص ١٠ - ٢٩، لطائف البيان ص ١٥ وما بعدها، سمير الطالبين ٣٢ - ٦٤، شرح تلخيص الفوائد ص ٢١، ٢٢.

يقول الإمام الزركشي: كل ألف تكون في كل كلمة لمعنى له تفصيل في الوجود له اعتباران: ـ

اعتبار من جهة ملكوتية، أو صفات حالية، أو أمور علوية مما لا يدركه الحس؛ فإن الألف تحذف في الخط علامة لذلك.

واعتبار من جهة ملكية حقيقية في العلم، أو أمور سفلية؛ فإن الألف تثبت[١].

(**الثاني**) ـ حذف الياء:

والياء إما حرف أصلي من بنية الكلمة، أي تقع في مقابلة اللام التي هي ثالثة أصول الكلمة في الميزان الصرفي.

وهذه حذفت من إحدى وعشرين كلمة[٢].

وإما أن تكون زائدة عن بنية الكلمة التي اتصلت بها.

وهذه حذفت من تسع وستين كلمة[٣].

والياء الناقصة في الخط ـ على هذا، كما يقول أبو العباس المراكشي ـ ضربان:[٤] ـ

ضرب محذوف في الخط، ثابت في التلاوة.

وضرب محذوف فيهما.

فالضرب الأول: هو باعتبار ملكوتي باطن (أي غيبي)، وهو ينقسم إلى قسمين: ـ

---

(١) البرهان ١/ ٣٨٨.

(٢) انظر: سمير الطالبين ص ٦٤.

(٣) انظر: سمير الطالبين ص ٦٥.

(٤) البرهان ١/ ٣٩٩.

١ ـ ما هو ضمير المتكلم؟

ومثاله «تَسْأَلْن» من قوله تعالى: ﴿ تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّيٓ ﴾[1]، وعلة حذفها ـ كما يقولون ـ هنا: الإشارة إلى أن علم هذا المسؤول غيب ملكوتي.

٢ ـ وما هو لام الكلمة؟

ويكون ذلك في الاسم والفعل:

أ ـ ومثاله في الاسم: كلمة «الجواب» في قوله تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ﴾[2]. وعلة حذفها: أن هذه الكلمة صفة تشبيه لا ظهور لها في الإدراك الملكي.

ب ـ ومثالها في الفعل: كلمة «يأت» في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[3]. والسر في حذفها: أنه إتيان ملكوتي أخروي متصل بما وراءه من الغيب.

والضرب الثاني: وهو ما تحذف فيه الياء في الخط والتلاوة، وينقسم ـ أيضاً إلى قسمين:

١ ـ ما هو ضمير المتكلم؟

ومثاله كلمة «يَعْبُدُون» من قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[4]، وكلمة «فَارْهَبُون». في قوله تعالى: ﴿ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٦، انظر: إتحاف فضلاء البشر ٣١٢.

(٢) سورة سبأ، الآية: ١٣، انظر: إتحاف فضلاء البشر ٤٤٠.

(٣) سورة هود، الآية: ١٠٥، انظر: إتحاف فضلاء البشر ٣١٢.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٦، انظر: إتحاف فضلاء البشر ٤٩٢.

﴿ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾[1]، وكلمة «فاتقون» في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾[2].

والسر في حذفها من هذه الأمثلة: أنه لما كان الغرض من القرآن جهة الاستدلال، واعتبار الآيات، وضرب الأمثال ـ دون التعرض لصفة الذات ـ كان الحذف في خواتم هذه الآيات، وغيرها كثير جداً.

٢ ـ وما هو لام الكلمة؟

وتكون في الاسم، وتكون في الفعل.

مثالها في الاسم: كلمة «الجَوَارِ» في قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴾[3]، والسر في حذفها[4]: التنبيه على أنها لله تعالى، أنشأها سبحانه بعد أن لم تكن؛ فهي آية يدل ملكها على ملكوتها، فآخرها بالاعتبار يتصل بالملكوت بدليل قوله تعالى: ﴿ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ ﴾[5].

ومثالها في الفعل: كلمة «يُؤتِ» من قوله تعالى: ﴿ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾[6]. والسر في حذفها: أن هذا الذي سوف يؤتيه الله للمؤمنين شيء غيبي لا يدرك إلا إيماناً وتسليماً.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٠، انظر: إتحاف فضلاء البشر ٢٠٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٤١، انظر: إتحاف فضلاء البشر ٢٠٣.
(٣) سورة الرحمٰن، الآية: ٢٤.
(٤) البرهان ١/٤٠٣.
(٥) سورة الشورى، الآية: ٣٣.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٤٦.

(الثالث) ـ حذف الواو:

والواو التي تحذف من الكلمة قسمان:

مفردة، وغير مفردة[1].

أ ـ فالمفردة سقطت من أربعة أفعال:

١ ـ «سندع» في قوله تعالى: ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝١٨ ﴾[2].

٢ ـ «يمح» في قوله تعالى: ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾[3].

٣ ـ «يدع» في قوله تعالى: ﴿ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ﴾[4].

٤ ـ «يدع» في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾[5].

والسر في حذفها من هذه الأفعال الأربعة: التنبيه على سرعة وقوع الفعل، وسهولته على الفاعل، وشدة قبول المتأثر به في الوجود[6].

ب ـ وغير المفردة:

وهي التي اجتمعت معها في نفس الكلمة واو أخرى، فتحذف في هذه الحالة إحداهما قصداً للتخفيف. سواء كانت إحداهما للدلالة على الجمع، أو كانت من بنية الكلمة[7].

مثال الأولى: «يستوون» في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ

---

(١) لطائف البيان ٢/ ١٢.

(٢) سورة العلق، الآية: ٨، انظر: إتحاف فضلاء البشر ٥٤٥.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٤.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١١.

(٥) سورة القمر، الآية: ٦.

(٦) انظر: الإتقان ٢/ ١٦٨.

(٧) لطائف البيان ٢/ ١٣.

فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾[1].

ومثال الثانية: كلمة «الموؤدة» في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾﴾[2]، وقد رسمت هذه الكلمة في جميع المصاحف بواو واحدة. وحذفت الأخرى، وهذا الحذف مشروط بشرطين[3] الأول: أن تقع الثانية منهما بعد ضمة، الثاني تلاصق الواوين في الخط صورة وتقديراً.

أما عن أيهما حذفت، فيقول: أبو عمرو الداني[4].

فالمحتمل أن تكون المرسومة: الواو الأولى، التي هي فاء من الفعل، والمحذوفة الواو الثانية التي جاءت لبناء «مفعولة».

وتحتمل أن تكون المرسومة: الثانية، والمحذوفة الأولى، من حيث كانت السابقة منهما.

والاحتمال الأول أرجح لثلاثة أوجه:

أحدها: أن الأولى من نفس الكلمة، والثانية زائدة فيها، والأصلي أولى بالإثبات من الزائد.

الثاني: أن ضمة الهمزة الواقعة بين الواوين تدل على الواو الثانية إذا حذفت من الرسم، ولا شيء في الكلمة يدل على الأولى إذا حذفت؛ فلزم رسمها دون الثانية إذا وجب حذف صورة إحداهما.

الثالث: أن من العرب من إذا سهل الهمزة في ذلك أسقطها والواو التي بعدها، طلباً للتخفيف، فيقول (المَوْدَة) على لفظ (الجَوْزَة) و(المَوْزَة). وهي

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٨.

(٢) سورة التكوير، الآية: ٨.

(٣) لطائف البيان ٢/ ١٣.

(٤) انظر: المحكم ص ١٧.

قراءة الأعمش في ذلك[١].

(الرابع) ـ حذف اللام:

إذا اجتمع لامان، وتلاصقا في كلمة واحدة.

فإما أن يكثر ورود هذه الكلمة في القرآن الكريم، أو لا.

فإن كانت الكلمة لم تكثر كثيراً احتمل فيهما اجتماع المثلين وكتبت بهما. مثل اللعنة، اللغو، اللؤلؤ... إلخ باتفاق المصاحف[٢].

وإن كانت الكلمة تدور كثيراً في القرآن، فقد أجمعت المصاحف على حذف أحد حرفي اللام فيها اختصاراً[٣]، مثل: اليل ـ الذي ـ الذين [٤].

ولكن ما هي المحذوفة فيهما اللام الأصلية، أم لام أل التعريف؟

يرى أبو عمرو الداني:

أن الأرجح أن يكون المحذوف هي اللام الأصلية لامتناع انفصال لام التعريف من ألف الوصل[٥]. وتبعه في هذا الإمام الخراز[٦].

واختار أبو داود سليمان بن نجاح: أن تكون المحذوفة هي لام أل التعريف[٧]. لذهابها بالإدغام وكونها مع ما أدغمت فيه حرفاً واحداً[٨].

---

(١) انظر: المحكم ص ١٧١، إتحاف فضلاء البشر ٥٣٥.
(٢) لطائف البيان ٢/ ١٥.
(٣) شرح تلخيص الفوائد ص ٨٥.
(٤) وفي هذا لا تخالف بين الرسم العثماني والإملائي. انظر: نتيجة الإملاء ص ٣٧.
(٥) شرح تلخيص الفوائد ص ٨٥.
(٦) انظر: لطائف البيان ٢/ ١٥.
(٧) لطائف البيان: ٢/ ١٥.
(٨) شرح تلخيص الفوائد ص ٨٥.

(الخامس) ـ حذف النون:

تحذف النون في الرسم العثماني من الكلمة:

١ ـ للتخفيف مثل نون «ننجي» في قوله تعالى: ﴿ فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ﴾[١].

٢ ـ للإدغام مثل نون «تأمننا» في قوله تعالى: ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا ﴾[٢].

فإنه جاء مرسوماً في جميع المصاحف بنون واحدة على لفظ الإدغام الصحيح[٣].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١١٠، أجمعت المصاحف على كتابتها بنون واحدة، بالرغم من ورود القراءتين فيها، الحذف والإثبات ـ (انظر: النشر ٢/٢٩٦، إتحاف فضلاء البشر ٣٢٢).

(٢) سورة يوسف، الآية: ١١، (انظر: إتحاف فضلاء البشر ٣١٣).

(٣) المحكم ٨٢.

السمة الثانية: الزيادة.

والذي يزاد في المصاحف من حروف الهجاء ثلاثة[1]:

أ ـ الألف.

ب ـ والياء.

جـ ـ والواو.

أولاً: زيادة الألف.

وتكون على ثلاثة أوضاع: ـ

١ ـ في أول الكلمة.

٢ ـ في وسط الكلمة.

٣ ـ في آخر الكلمة.

١ ـ ففي أول الكلمة: مثل كلمة «لأذبحنه» من قوله تعالى: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾[2].

ولكن أي الألفين هي المزيدة؟

أهي المنفصلة عن اللام في الرسم، وتكون الهمزة هي المتصلة بها...؟ أو المزيدة هي المتصلة باللام في الرسم، وتكون الهمزة هي المنفصلة عنها؟

الاحتمال الأول: هو قول كُتَّابِ المصاحف[3].

وعلى هذا فزيادة الألف ـ عندهم ـ هنا لمعان أربعة: ـ

---

(١) سمير الطالبين ص ٧٢.

(٢) سورة النمل، الآية: ٢١.

(٣) المحكم ص ١٧٦.

الأول:

أن تكون المزيدة صورةً لفتحة الهمزة، من حيث كانت الفتحة مأخوذة منها؛ فلذلك جعلت صورة لها، ليكون دليلاً على أنها مأخوذة من تلك الصورة.

الثاني:

أن تكون ـ المزيدة ـ هي الحركة نفسها، وليست صورة لها؛ وذلك أن العرب لم تكن أصحاب شكل ونقط، فكانت تصور الحركات حروفاً، لأن الإعراب قد يكون بها كما يكون بهن، فتصور الفتحة ألفاً، والكسرة ياءً، والضمة واواً، فتدل هذه الأحرف الثلاثة على ما تدل عليه الحركات الثلاث من الفتح والكسر والضم.

الثالث:

أن تكون ـ المزيدة ـ دليلاً على إشباع فتحة الهمزة، وتمطيطها في اللفظ؛ لخفاء الهمزة وبعد مخرجها، وفرقاً بين ما يحقق من الحركات وبين ما يختلس منهن، وليس ذلك الإشباع والتمطيط بالمؤكد للحروف، إذ ليس من مذهب أحد من أئمة القراءة، وإنما هو إتمام الصوت بالحركة لا غير.

الرابع:

أن تكون ـ المزيدة ـ تقوية للهمزة وبياناً لها؛ ليتأدّى بذلك معنى خفائها[1].

والاحتمال الثاني: وهو أن المزيدة هي المتصلة باللام في الرسم.

هو قول الفراء، وأحمد بن يحيى، وغيرهما من النحاة.

---

(١) المحكم ص ١٧٧.

وزيادتها عندهم لمعنيين[1]: ـ

الأول: الدلالة على إشباع فتحة اللام، وتمطيط اللفظ بها.

الثاني: تقوية للهمزة، وتأكيداً لبيانها بها.

وإنما قويت بزيادة الحرف في الكتابة، من حيث قويت بزيادة المد في التلاوة، لخفائها وبعد مخرجها[2].

هذا تعليل النحويين، وسبقه تعليل أبي عمرو الداني.

وهناك تعليل لبعض العلماء في زيادتها هنا وهو: ـ

«التنبيه على أن المؤخر أشد في الوجود من المقدم عليه لفظاً، إذ الذبح أشد من العذاب»[3].

٢ ـ وتكون زيادة الألف في وسط الكلمة:

مثل زيادتها في كلمة «جيء»[4] من قوله تعالى: ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾[5] فإنها رسمت في مصاحف أهل المدينة ـ دون مصاحف أهل العراق القديمة ـ بألف زائدة بين الجيم والياء[6]، وكذلك في مصحف الأندلسيين، معولين على المدني العام[7].

---

(١) المحكم ص ١٧٨.

(٢) المحكم ص ١٧٨.

(٣) البرهان ١/ ٣٨١.

(٤) لم يذكرها الداني في المقنع، وهي من زيادات صاحب العقيلة عليه (سمير الطالبين ص ٧٤).

(٥) سورة الفجر، الآية: ٢٣.

(٦) المحكم ص ١٧٤، ١٧٥.

(٧) إتحاف فضلاء البشر ص ٥٤١.

وأيضاً مثل زيادة الألف في كلمة مائة، ومائتين.

ويعللون لزيادتها هنا بأحد أمرين[1]: ـ

الأول:

للفرق بين «مائة» وبين «منه» من حيث اشتبهت صورتهما، ثم ألحقت التثنية بالواحدة، فزيدت فيها الألف، لتأتيا معاً على طريقة واحدة من الزيادة.

وهو قول عامة النحويين.

والثاني:

أن تكون زيادتها تقوية للهمزة، من حيث كانت حرفاً خفياً بعيد المخرج، فقووها بالألف لتحقق بذلك نبرتها[2].

ويعلل بعض العلماء لزيادة الألف هنا: بأن ذلك للتدليل على أن هذا المجيء هو بصفة من الظهور ينفصل بها عن معهود المجيء[3].

٣ ـ وتكون زيادتها في آخر الكلمة:

مثل كلمة «يَرْجُو» في قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾[4]، وكذلك كلمة «يَدْعُو» في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾[5].

وكذلك: زيادة الألف بعد واو الجمع المتطرفة المتصلة بالفعل، أو باسم الفاعل، نحو: آمنوا، ولا تفسدوا، فاسعوا، وكاشفوا، إلا ما استثنى[6].

---

(١) المحكم ص ١٧٥.

(٢) المحكم ص ١٧٥.

(٣) البرهان ١/ ٣٨٤.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٥) سورة الانشقاق، الآية: ١١.

(٦) سمير الطالبين ص ٧٤.

والسر في زيادتها هنا: أن الفعل أثقل من الاسم، لأنه يستلزم فاعلاً، فهو جملة، والاسم مفرد لا يستلزم غيره؛ فالفعل أزيد من الاسم في الوجود، والواو أثقل حروف المد واللين، والضمة أثقل الحركات، والمتحرك أثقل من الساكن، فزيدت الألف تنبيهاً على ثقل الجملة، وكل هذا معنى خارج الكلمة يحصل في الوجود[1].

ثانياً: زيادة الياء:

تنقسم الكلمات التي زيدت فيها الياء إلى قسمين[2]:

أ ـ كلمات وقعت فيها همزة مكسورة.

وهي نوعان: ـ

١ ـ ما تقدمت فيه الألف على الهمزة، نحو «تلقاء» في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ ﴾[3]، لكن الياء هذه غير مزيدة في بعض المصاحف[4].

٢ ـ ما لم تتقدم فيه الألف على الهمزة، نحو: «نبأ» في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[5].

والياء في هذين النوعين ترسم بعد الهمزة، ووجه رسمها، أنها زائدة لتقوية الهمزة وبيانها، أو للدلالة على إشباع حركة الهمزة تمييزاً لها عن الحركة المختلسة[6].

---

(١) البرهان ١/ ٣٨٢.

(٢) لطائف البيان ٢/ ٤٠.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٥.

(٤) إتحاف فضلاء البشر ص ٣٠٣.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٣٤، إتحاف فضلاء البشر ٢٦٣.

(٦) لطائف البيان ٢/ ٤١.

ب ـ كلمات لم تقع فيها همزة مكسورة.

وهو كلمة «بأيكم» في قوله تعالى: ﴿ بِأَيِيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ ﴾[1] الياء الأولى أصلية والثانية زائدة ووجه زيادتها هنا: الدلالة على أن الحرف المدغم الذي يرتفع اللسان به، وبما أدغم فيه ارتفاعة واحدة، حرفان في الأصل والوزن[2].

وكلمة «بأيد» في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ ﴾[3] رسمت بيائين الأولى أصلية والثانية مزيدة.

ووجه زيادتها: الفرق بين (الأيد) الذي معناه القوة، وبين (الأيدي) التي هي جمع (يد)[4]، لأن ما زيدت فيه الياء مفرد بمعنى القوة، وحروفه أصلية، فهمزته فاء الكلمة، وياؤه عينها، وداله لامها، وما لم تزد فيه الياء جمع مفرده (يد) بمعنى الجارحة، وهمزته زائدة[5].

ولا شك أن القوة التي بنى الله تعالى بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي، فزيدت الياء، لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر ـ في الإدراك الملكوتي ـ في الوجود[6].

وقد يقال ـ اعتراضاً على هذه العلة ـ يمكن الفرق بينهما بوجود الياء بعد الدال في التي بمعنى الجارحة، وانعدامها في التي بمعنى القوة، فزيادة الياء للفرق بينهما غير محتاج إليها.

---

(١) سورة القلم، الآية: ٦، إتحاف فضلاء البشر ٥١٩.
(٢) لطائف البيان ٢/ ٤١.
(٣) سورة الذاريات، الآية: ٤٧.
(٤) المحكم ص ١٧٧.
(٥) انظر: لطائف البيان هامش ص ٤١.
(٦) البرهان ١/ ٣٨٧.

والجواب: أنهم أرادوا بزيادة الياء رفع توهم أنها كلها بمعنى الجوارح، ولم تكن مضافة حتى توجد ياء الإضافة بعد الدال، ووجدت بعد الدال في (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ)، فزادوا الياء في «بأيد» رفعاً لهذا التوهم، وبياناً للفرق بينهما، وخصوا «أيد» الذي بمعنى القوة بالزيادة لخفته بسبب كونه مفرداً سالماً من الإعتلال بخلاف الأيدي بمعنى الجوارح، فإنه ثقيل بسبب كونه جمعاً معتل اللام[١].

وقد اغتفر الجمع بين صورتين متماثلتين في هذين اللفظين، للتنبيه على الأصل في بأييكم، وعلى الفرق في بأييد[٢].

ثالثاً: زيادة الواو:

زيدت الواو في كلمات اتفق كُتَّابُ المصاحف على زيادتها فيها، وفي كلمات أخر وقع بينهم الخلاف فيها بين مصاحفهم[٣].

أ ـ فالمتفق عليه:

أربع كلمات حيث وقعن. وهن: ـ

١ ـ «أولى» في مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ ﴾[٤]. وعلة زيادتها هنا: ليفرقوا بينها، وبين إلى[٥].

٢ ـ «أولات» في مثل قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[٦].

(١) لطائف البيان هامش ص ٤١.
(٢) لطائف البيان هامش ص ٤١.
(٣) انظر: سمير الطالبين ٧٦، لطائف البيان ٢/ ٤١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.
(٥) شرح تلخيص الفوائد ص ٧٠.
(٦) سورة الطلاق، الآية: ٤.

٣ ـ «أولئك» في مثل قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[١] وعلة زيادتها هنا: ليفرقوا بينها، وبين إليك، وإليكم[٢].

٤ ـ «أولاء» في مثل قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ ﴾[٣].

ب ـ والمختلف فيه:

١ ـ «سأوريكم» في قوله تعالى: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[٤]، كتبت في أكثر المصاحف بزيادة واو بعد الألف[٥]، وفي قوله تعالى: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي ﴾[٦] كتبت في أكثر المصاحف بزيادة واو بين الألف والراء[٧].

٢ ـ «لأوصلبنكم» في قوله تعالى: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾[٨]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٩].

كتبت الكلمة ـ في الآيتين ـ في بعض المصاحف بواو بين الألف والصاد[١٠].

وخصَّ الداني زيادتها هنا في المدنية، وأكثر العراقية[١١].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٥.
(٢) شرح تلخيص الفوائد ص ٧٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٩.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٤٥.
(٥) إتحاف فضلاء البشر ٢٧٩.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٣٧.
(٧) إتحاف فضلاء البشر ٣٧٩.
(٨) سورة طه، الآية: ٧١.
(٩) سورة الشعراء، الآية: ٤٩.
(١٠) إتحاف فضلاء البشر ٣٧٤.
(١١) سمير الطالبين ص ٧٦.

السمة الثالثة: الهمز.

تمهيـــد:

والهمز لغة: الضغط والدفع.

واصطلاحاً: النطق بالهمزة، وهي الحرف المعلوم المسمى همزة، لاحتياجه في إخراجه من أقصى الحلق إلى ضغط الصوت، ودفعه لنقله[١].

والأصل فيه: التحقيق، الذي هو لغة قيس وتميم[٢].

ولكن لثقلها توسعت العرب في تخفيفها ـ على لغة أهل الحجاز ـ استغناءً عن إدغامها، إلا ما شذ[٣].

وأنواع تخفيفها ثلاثة[٤]: ـ

١ ـ التسهيل بين بين، وهو أصل في الهمزة المتحركة بعد حركة، نحو «أأنذرتهم» في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾[٥]، عند من قرأها بالتسهيل[٦].

٢ ـ والإبدال: وهو أصل في الساكنة، مثل كلمة «أؤتمن» من قوله: ﴿ فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾[٧]، فإن الهمزة الثانية منهما تبدل حرف مدّ من جنس حركة ما قبلها[٨].

---

(١) سمير الطالبين ص ٧٦.

(٢) سمير الطالبين ص ٧٧.

(٣) لطائف البيان ٢/ ١٦.

(٤) لطائف البيان ٢/ هامش ١٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٦.

(٦) انظر: النشر ١/ ٣٦٣، إتحاف فضلاء البشر ١٥٦.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.

(٨) النشر ١/ ٣٨١.

٣ ـ والحذف: ولا يكون إلا في المتحركة، وهو قسمان: ـ

أ ـ حذف لها مع حركتها، ويعبر عنه بالإسقاط.

ب ـ حذف لها بعد نقل حركتها، ويعبر عنه بالنقل نحو همزة «أحصيناه» من قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[1] نقلت حركة الهمزة إلى الحرف الساكن قبلها، فسقطت من اللفظ وحذفت لسكونها[2].

ويلاحظ: أن الأصل في الهمزة أن ترسم بصورة ما تؤول إليه أو تقرب منه عند تخفيفها.

فإن خففت ألفاً، أو كالألف؛ فقياس رسمها الألف.

وإن خففت واواً، أو كالواو؛ فقياس رسمها الواو.

وإن خففت بغير ذلك، كالحذف والنقل؛ فقياسها الحذف.

وكل ذلك إذا لم تكن أوّلاً؛ فإنها ترسم ألفاً سواء اتصل بها حرف زائد نحو: سأحذف، أو لا، نحو: أنعمت عليهم.

وعلى هذا قياس العربية، وخط المصاحف.

إلا أنه خرجت أحرف في المصحف عن هذا القياس[3].

أقسام الهمز ثلاثة:

١ ـ مبتدأة.

٢ ـ متوسطة.

٣ ـ متطرفة.

---

(١) سورة يس، الآية: ١٢.

(٢) النشر ١/٤٠٨.

(٣) لطائف البيان ٢/١٦.

القسم الأول: الهمزة المبتدأة.

اتفق الشيوخ[1] على أن الهمزة التي تقع أول الكلام تصور ألفاً، سواء فتحت نحو: ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[2]، أم كسرت نحو: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[3]، أم ضمت نحو: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[4]، سواء كانت همزة قطع ـ كما تقدم ـ أم همزة وصل نحو ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[5].

أما ما يزاد قبل الهمزة، فلا يعتبر به، ولا يخرجها عن حكم الابتداء، بشرطين:

الأول: ألا ينزل الزائد منزلة الجزء من الكل. نحو: بأن، سألقى.

الثاني: أن لا يخل إسقاطه ببنية الكلمة، كيوم من يومئذٍ، وميمى إسم الفاعل والمفعول[6].

ومن هذا الحكم المتقدم استثنيت كلمات أحصاها علماء الرسم[7].

القسم الثاني: الهمزة المتوسطة.

وهي إما أن تكون: ـ

١ ـ ساكنة.

٢ ـ أو متحركة، وهذه إما أن تكون:

---

(١) لطائف البيان ٢/١٧.
(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٧.
(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٥.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٧.
(٥) سورة الفاتحة، الآية: ٢.
(٦) لطائف البيان ٢/١٧.
(٧) لطائف البيان ٢/١٧.

أ ـ بعد ساكن.

ب ـ بعد متحرك.

١ ـ فالساكنة:

تكتب الهمزة بحرف من جنس حركة ما قبلها: ـ

فإن كان ما قبلها مكسوراً، كتبت ياءً، مثل: «إئذن» من قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي ﴾[١].

وإن كان ما قبلها مضموماً، كتبت واواً، مثل: «أؤتمن» من قوله تعالى: ﴿ فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾[٢].

وإن كان ما قبلها مفتوحاً، كتبت ألفاً، مثل: «بأساء» من قوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ ﴾[٣].

٢ ـ والمتحركة:

أ ـ إذا كان قبلها حرف ساكن، فالقياس في مثل هذه الهمزة ألاَّ ترسم، لأن تخفيفها يذهبها بالكلية، لأنه يكون بنقل حركتها إلى ما قبلها[٤].

إلا في كلمتين، خولف فيهما القياس، وقال عنهما أبو عمرو الداني في المقنع «لا أعلم همزة متوسطة قبلها ساكن رسمت في المصحف إلا فيهما»[٥].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.
(٤) شرح تلخيص الفوائد ص ٧٥.
(٥) شرح تلخيص الفوائد ص ٧٥، وانظر: لطائف البيان ص ٢٠ ففيه كلمات غيرهما.

الأولى: كلمة «النشأة» رسمت بألف بعد الشين في كل المصاحف حيث وقعت[1]، ﴿ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ﴾[2]، ﴿ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ﴾[3]، ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ﴾[4].

الثانية: كلمة «موئلا» رسمت بياء بعد الواو[5] في قوله تعالى: ﴿ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ۝٥٨ ﴾[6].

ب ـ وإذا كان ما قبلها حرف متحرك[7].

رسمت ألفاً: إذا كانت مفتوحة بعد فتح مثل: كلمة «سأل» من قوله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ ﴾[8].

وترسم واواً: إذا كانت مضمومة بعد فتح مثل كلمة «رؤوف» من قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٢٠ ﴾[9] أو مفتوحة بعد ضم.

وترسم ياءً إذا كانت مكسورة بعد الحركات الثلاث، أو متحركة بالفتح، أو الضم، بعد الكسر، مثل: يئسوا، سئلت، بارئكم، فئة، سنقرئك.

القسم الثالث: الهمزة المتطرفة.

وهي إما أن تكون:

---

(١) إتحاف فضلاء البشر ٤٣٢.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.
(٣) سورة النجم، الآية: ٤٧.
(٤) سورة الواقعة، الآية: ٦٢.
(٥) إتحاف فضلاء البشر ٣٥٢.
(٦) سورة الكهف، الآية: ٥٨.
(٧) سمير الطالبين ص ٧٨.
(٨) سورة المعارج، الآية: ١.
(٩) سورة النور، الآية: ٢٠.

١ ـ ساكنة.

٢ ـ أو متحركة، وهذه إما أن تكون:

أ ـ بعد ساكن.

ب ـ أو بعد متحرك.

١ ـ فالساكنة:

اتفق الشيوخ على أنها تصور بحرف من جنس حركة ما قبلها[١].

فإن كان ما قبلها مكسوراً، كتبت ياءً، مثل: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ ﴾[٢].

وإن كان ما قبلها مفتوحاً، رسمت ألفاً، مثل: ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ ﴾[٣].

وإن كان ما قبلها مضموماً، رسمت واواً، مثل: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ ﴾[٤].

وهناك كلمات مستثناة من هذه القاعدة[٥].

٢ ـ والمتحركة:

أ ـ إذا كان قبلها حرف ساكن، فقد اتفق الشيوخ على أنها تحذف[٦]، إلا أنه قد اتفق كتاب المصاحف على رسم ألف بعد الواو في قوله تعالى:

---

(١) لطائف البيان ٢/ ٢١.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٩.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٣٣.
(٤) سورة الرحمٰن، الآية: ٢٢.
(٥) انظر: لطائف البيان ٢/ ٢٢.
(٦) لطائف البيان ٢/ ١٩.

﴿ أَن تَبُوٓاْ بِإِثۡمِي ﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ ﴾[2]، ويقول أبو عمرو الداني: «ولا أعلم همزة متطرفة قبلها ساكن صورت خطّاً إلا في هذين الموضعين لا غير»[3].

ب ـ وإذا كان قبلها حرف متحرك، فقد اتفقوا على أنها تصور بحرف من جنس حركتها[4]، كما في الهمزة المتطرفة الساكنة.

وقد استثنى من كل هذا أشياء جاءت خارجة عن القياس، لمعنى مقصود، ووجه مستقيم، يعلمه من قدر للسلف قدرهم، وعرف لهم حقهم[5].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٩.
(٢) سورة القصص، الآية: ٧٦.
(٣) شرح تلخيص الفوائد ٧٥.
(٤) لطائف البيان ٢/ ٢١.
(٥) سمير الطالبين ص ٧٩.

السمة الرابعة: الإبدال.

وهو إبدال حرف مكان حرف ويسمى البدل.

وهو لغة: العوض.

وينقسم إلى[1]: -

أ - إبدال ياء من ألف.

ب - إبدال واو من ألف.

جـ - إبدال صاد من سين.

د - إبدال تاء من هاء.

هـ - إبدال ألف من نون.

القسم الأول: إبدال ياء من ألف.

اعلم أن الألفات المرسومة في المصاحف ياءً أربعة أقسام[2]: -

١ - منقلبة عن ياء:

إتفق الشيوخ على أن الألف إذا كانت منقلبة عن ياء ترسم ياءً، تنبيهاً على أصلها، وجواز إمالتها، إلا ما استثنى من هذا الضابط.

ومثالها في الاسم: هدى، ومثالها في الفعل اهتدى وسواء كانت في الوسط، كهداهم، أو في الطرف كأعطى.

ويعرف انقلاب الألف ياءً بتصريف الكلمة، وذلك بتثنيتها إن كانت إسماً، وإسنادها إلى تاء الضمير إن كانت فعلاً، فنقول في نحو فتى، فتيان،

---

(١) سمير الطالبين ص ٨٥.

(٢) لطائف البيان ٢/ ٤٤.

وفي نحو رمى: رميت[1].

٢ ـ **ألف التأنيث المشبهة بالألف المنقلبة عن ياء:**

وهذه ـ أيضاً ـ ترسم ياءً، وتجري مجرى الألف المنقلبة عن ياء في التثنية، وجمعها بألف وتاء، كأخريان، وأخريات، إلا ما استثنى[2].

٣ ـ **الألف المجهولة الأصل:**

وهي التي لا يعرف هل أصلها الياء، أو الواو.

وقد أخبر الإمام الخراز عن الداني والشاطبي أنها كتبت ياءً في سبع كلمات[3]:

١ ـ أسماء وهي: أنَّى، متى، لدى[4].

٢ ـ حروف وهي: إلى، حتى، على، بلى.

ووجه رسم هذه الكلمات بالياء:

في: أنى: ومتى، وبلى، فعلى إرادة إمالة الألف.

وفي: على: للتفرقة بين الحرفية منها والفعلية.

وفي: إلى: للفرق بينها وبين إلاَّ المشددة.

---

(١) لطائف البيان ٢/ ٤٤.

(٢) انظر: لطائف البيان ٢/ ٤٥.

(٣) لطائف البيان ٢/ ٥١.

(٤) ورد أن المصاحف اختلفت في ألف (لدى) بغافر من قوله تعالى: ﴿ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ﴾ ففي بعضها بالياء وهو الأكثر، وفي بعضها بالألف، أما (لدا) في (لَدَا الْبَاب) بيوسف فقد اتفقت المصاحف على رسمها بالألف. ووجه الفرق بينهما أن (لدى) بمعنى (عند) في يوسف، (ولدى) في غافر بمعنى (في)، وفرق النحويون بينهما أن ما رسم بالألف فعلى اللفظ، وما رسم بالياء فلإنقلاب الألف ياءً مع الإضافة إلى الضمير. (لطائف البيان ٢/ ٥٢).

وفي: حتى: فلمشابهة ألفها بألف التأنيث حيث كانت رابعة كألف دعوى.

وفي: لدى: فلأنه لما كانت لدى (غافر) بمعنى في، وهي مرسومة بالياء جاز في لدى التي بمعناها رسمها بالياء بخلاف التي بمعنى عند[1].

٤ ـ الألف المنقلبة عن واو:

وتكون في الاسم والفعل الثلاثيين[2].

وقد اتفقت المصاحف على رسم كل اسم أو فعل ثلاثي من ذوات الواو بالألف، نحو: الصفا، وشفا، وخلا، ودعا.

إلا ما استثنى[3].

القسم الثاني: إبدال واو من ألف.

اتفق شيوخ النقل على أن الواو رسمت عوضاً من الألف في ثمانية ألفاظ[4]:

الربا: حيث وقع[5] أما لفظ (ربا) في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾[6] فقد كتب في بعض المصاحف بالألف، وفي بعضها بالواو، والعمل على الأول[7].

---

(١) انظر: لطائف البيان ٢/ ٥٢.

(٢) لطائف البيان ٢/ ٥٣.

(٣) انظر: لطائف البيان ٢/ ٥٣.

(٤) لطائف البيان ٢/ ٥٥، سمير الطالبين ٨٧.

(٥) جاء لفظ الربا في سبعة مواضع خمسة بالبقرة، وواحد بآل عمران، وواحد بآخر النساء وواحد في الروم.

(٦) سورة الروم، الآية: ٣٩.

(٧) سمير الطالبين ٨٨، إتحاف فضلاء البشر ٢٠١.

الغداة: في قوله تعالى: ﴿ بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾[1].

مشكاة: في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾[2].

النجاة: في قوله تعالى: ﴿ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ ﴾[3].

مناة: في قوله تعالى: ﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ﴾[4].

الصلاة، الزكاة، الحياة: حيث وقعن محلّيات بأل، أو مضافات إلى ظاهر.

فإن كنّ مضافات إلى ضمير، نحو: صلاتي، صلاتهم، حياتي، حياتكم، فأكثر المصاحف بالألف، وعليه العمل[5].

وإن كن مُنكرات: فعن أبي داود: لا خلاف في رسمهن بالواو، وعن أبي عمرو: أنهن رسمن بالألف في بعض المصاحف العراقية، وبالواو في بعض المصاحف، والعمل على رسمهن بالواو[6].

ووجه رسمهن بالواو.

قال ابن مقسّم: إنما كتبوا الصلاة بالواو ردًّا إلى الأصل، لأنها مأخوذة من الصلوين، وهما الجانبان من أصل ذنب الدابة، فإذا الفرس ورأسه بهذا الموضع من الفرس السابق يسمى مصلياً، لاتباعه الصلوين، ويسمى الإنسان لاتباعه ما نصب من القبلة والأئمة مصلياً، وسمي فعله الصلوة لذلك، فردت في الخط إلى أصلها.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٢، سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٣) سورة غافر، الآية: ٤١.

(٤) سورة النجم، الآية: ٢٠.

(٥) سمير الطالبين ص ٨٧، انظر: إتحاف فضلاء البشر ٢٠٠.

(٦) سمير الطالبين ٨٨.

وكذلك (الزكاة) ردت إلى أصلها؛ على أنها من زكا يزكو.

وردت (الحياة) على أنها من الحيوان، و(المشكاة) على أنها مفعلة من شكوت[1].

وكذلك (مناة، وغداة) إذ الأصل في ألفها الواو منوه، وغدوه، تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً[2].

أما (النجاة، والربا) فهما مصدران لنجوت وربوت[3].

القسم الثالث: إبدال الصاد من السين.

في مثل «الصراط»: فقد قرىء بالسين على الأصل؛ لأنه من السَّرط وهو البلع واللقم، فكأنه يبلع المارة فيه، ولذا سمى الطريق لقما، وعليه عامة العرب.

وقرىء بالصاد؛ لقصد المجانسة والخفة، لأن السين لا تجانس الطاء للتنافر، فأبدلت السين صاداً لتجانس الإطباق والإستعلاء، فيسهل اللفظ، ويجري اللسان على طريقة واحدة، وهي الفصحى، وهي لغة قريش[4].

هذا في القراءة.

أما في الكتابة: فقد اتفقوا على كتابتها بالصاد، معرفاً ومنكراً، بأي إعراب كان[5]، لتتحمل القراءتين الأولى يتحملها الأصل، والثانية يتحملها الخط.

---

(١) شرح تلخيص الفوائد ص ٨١.

(٢) لطائف البيان ٢/ هامش ٥٥.

(٣) لطائف البيان ٢/ هامش ٥٦.

(٤) صحيفة الميثاق المغربية عدد ١٤٨ ص ٤، نقلاً عن كتاب «الإيضاح لما ينبهم عن الورى في قراءة عالم أم القرى» تأليف: أبو زيد بن القاضي ت ١٠٨٢هـ.

(٥) إتحاف فضلاء البشر ١٥٣.

القسم الرابع: إبدال التاء من الهاء.

واختلف في أيهما الأصل - التاء أم الهاء - فذهب البصريون إلى أن الأصل التاء، وذهب الكوفيون إلى أن الأصل الهاء[١].

وقد اتفق القراء على الوقف بالهاء في ما رسم منها هاءً، واختلفوا في ما رسم منها تاء[٢].

والكلمات المختومة بهاء التأنيث، ورسمت في المصاحف تاء ثلاث عشرة كلمة[٣].

الأولى: كلمة (رحمة) فإنها رسمت بتاء مفتوحة إتفاقاً في سبعة مواضع فقط[٤]:

١ - ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾[٥].

٢ - ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[٦].

٣ - ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾[٧]

٤ - ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[١].

٥ - ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾[٨].

---

(١) لطائف البيان ٢/ هامش ٧٢.
(٢) لطائف البيان ٢/ هامش ٧٣.
(٣) لطائف البيان ٢/ ٧٣ وهناك غير ذلك انظر ٢/ ٧٦.
(٤) لطائف البيان ٢/ ٧٣، اتحاف فضلاء البشر ٢٠٢.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١٨.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.
(٧) سورة الزخرف، الآية: ٣٢
(٨) سورة هود، الآية: ٧٣.

٦ ـ ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ ﴾[١].

٧ ـ ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ ﴾[٢].

الثانية: كلمة (نعمة) رسمت بالتاء اتفاقاً في أحد عشر موضعاً[٣]:

١، ٢ ـ ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾[٤].

٣ ـ ﴿ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ ﴾[٥].

٤ ـ ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾[٦].

٥ ـ ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[٧].

٦ ـ ﴿ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾[٨].

٧ ـ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ ﴾[٩].

٨ ـ ﴿ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[١٠].

٩ ـ ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾[١٠].

١٠ ـ ﴿ وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾[١٠].

١١ ـ ﴿ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[١١].

---

(١) سورة مريم، الآية: ٢.

(٢) سورة الروم، الآية: ٥٠

(٣) إتحاف فضلاء البشر ٢٠٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٣١، وسورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١١

(٦) سورة إبراهيم، الآية: ٢٨.

(٧) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

(٨) سورة فاطر، الآية: ٣.

(٩) سورة لقمان، الآية: ٣١.

(١٠) سورة النحل، الآيات: ٧٢، ٨٣، ١١٤.

(١١) سورة الطور، الآية: ٢٩.

الثالثة: كلمة (سُنَّة).

رسمت بالتاء إتفاقاً في خمسة مواضع[1]:

١ ـ ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[2].

٢ ـ ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[1].

٣ ـ ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾[1].

٤ ـ ﴿ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[3].

٥ ـ ﴿ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ ﴾[4].

وتخصيص رسمها بالتاء في هذه المواضع يقتضي رسمها بالهاء في غيرها[5].

الرابعة: كلمة (ابنة).

رسمت بالتاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ﴾[6]، فقط.

الخامسة: كلمة (شجرة).

رسمت بالتاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ ﴾[7]، فقط.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر ٤٤٣.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٣.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٨.
(٤) سورة غافر، الآية: ٨٥.
(٥) لطائف البيان ٢/ ٧٤.
(٦) سورة التحريم، الآية: ١٢، إتحاف فضلاء البشر ٥١٦.
(٧) سورة الدخان، الآية: ٤٣. لطائف البيان ٢/ ٧٥.

السادسة: كلمة (امرأة).

رسم بالتاء كل امرأة أضيفت إلى زوجها[1]، وهي في سبعة مواضع[2]:

١ - ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾[3].

٢ - ﴿ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ﴾[4].

٣ - ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ ﴾[5].

٤ - ﴿ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ ﴾[6].

٥ - ﴿ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ﴾[7].

٦ - ﴿ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾[7].

قال الطبلاوي: والحكمة في أن امرأة المذكورة معها زوجها ترسم بتاء مجرورة، الإشارة إلى عدم ربطها عن زوجها، وطلب الإنجرار إليه[8].

السابعة: كلمة «قرة».

رسمت بالتاء في قوله تعالى: ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾[9]. فقط[10].

---

(١) إتحاف فضلاء البشر ٢٢٠.

(٢) لطائف البيان ٢/ ٧٥، الرحيق المختوم ١٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٥.

(٤) سورة يوسف، الآيات: ٣٠، ٥١.

(٥) سورة القصص، الآية: ٩.

(٦) سورة التحريم، الآية: ١٠.

(٧) سورة التحريم، الآيتين: ١٠ - ١١.

(٨) الرحيق المخوم ١٤.

(٩) سورة القصص، الآية: ٩، انظر: إتحاف فضلاء البشر ٤١٩.

(١٠) انظر لطائف البيان ٢/ ٧٥، سمير الطالبين ٨٨، الرحيق المختوم ١٥.

الثامنة: كلمة «بقية».

رسمت بالتاء في قوله تعالى: ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[1]، فقط[2].

التاسعة: كلمة «فطرة».

رسمت بالتاء في قوله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ﴾[3]، فقط[4].

العاشرة: كلمة «لعنة».

رسمت بالتاء في موضعين فقط[5]: في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾[6]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾[7].

الحادية عشر: كلمة «معصية».

رسمت بالتاء في موضعين فقط[8]: في قوله تعالى: ﴿ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾[9]، وفي قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾[9].

الثانية عشر: كلمة «كلمة».

١ ـ في قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[10]

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٦.
(٢) إتحاف فضلاء البشر ٣١٢.
(٣) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٤) لطائف البيان ٢/ ٧٥.
(٥) إتحاف فضلاء البشر ٢٢٠.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٦١.
(٧) سورة النور، الآية: ٧.
(٨) البيان ٢/ ٧٦، سمير الطالبين ٨٨.
(٩) سورة المجادلة، الآيتين: ٨ ـ ٩.
(١٠) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.

اختلفت مصاحف الأمصار في رسمها، ففي بعضها بالتاء، وفي بعضها بالهاء[1].

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾[2].

٣ ـ في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ ﴾[3] رسمت «كلمة» في هذين الموضعين بالتاء إتفاقاً[4] لكن صاحب التنزيل يروي أنهما كتبا في مصاحف أهل المدينة بالتاء، واختلفت فيهما مصاحف الأمصار[5].

٤ ـ في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾[6] نص الشاطبي في العقيلة على خلاف المصاحف في رسم هذه الآية[7]، ففي بعض المصاحف بالهاء، وفي بعضها بالتاء، وعليه العمل[8].

٥ ـ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[9].

نص الشاطبي ـ أيضاً ـ في العقيلة على أنها في هذه الآية مرسومة بالهاء في مصاحف أهل العراق، وبالتاء في مصاحف أهل الشام والمدينة[10].

الثالثة عشر: كلمة «جنة».

رسمت بالتاء في موضع واحد[11]، وهو قوله تعالى: ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ

---

(١) لطائف البيان ٢/٧٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

(٣) سورة يونس، الآية: ٣٣.

(٤) لطائف البيان ٢/٧٦، سمير الطالبين ٨٩.

(٥) لطائف البيان.

(٦) سورة غافر، الآية: ٦.

(٧) لطائف البيان ٢/٧٧.

(٨) سمير الطالبين ٨٩.

(٩) سورة يونس، الآية: ٩٦.

(١٠) لطائف البيان ٢/٧٧.

(١١) الرحيق المختوم ص ١٦.

﴿ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾[1].

والسر في كتابة هذه الكلمات بالتاء المفتوحة: أنه إذا كان مقتضاها فعلا، أو أثراً، حاصلاً بالفعل في الوجود، وليس بباطن مغيب، تفتح فيه التاء للدلالة على ذلك[2].

القسم الخامس: إبدال ألف من نون.

أ ـ ترسم «ن» إذن «ألفاً». حيث وقعت[3]، مثل قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾[4].

ب ـ ترسم «ن» التوكيد الخفيفة «ألفاً» في «وليكونن» من قوله تعالى: ﴿ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[5]، وفي «لنسفعن» من قوله تعالى: ﴿ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾[6]، فقط[7].

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٨٩.
(٢) انظر: البرهان ١/ ٤١٠.
(٣) سمير الطالبين ص ٩٠.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٤٢.
(٥) سورة يوسف، الآية: ٣٢.
(٦) سورة العلق، الآية: ١٥.
(٧) سمير الطالبين ٨٩، الرحيق المختوم ٦٣.

السمة الخامسة: الوصل والفصل.

تمهيــــد:

المراد بالفصل: قطع الكلمة وفصلها عما بعدها في الرسم، وهو الأصل، والوصل مقابله[1].

وقد قيل: إذا كان الفصل هو الأصل؛ فكان حق العلماء أن لا يتعرضوا إلا لما خرج عن الأصل، وهو الموصول.

وأجيب: بأنه إنما تعرض علماء الرسم للمفصول لقلته بالنسبة إلى الموصول، ولو تعرضوا إلى جميع ما جاء مفصولاً على خلاف الأصل لطال الكلام، وفات الاختصار[2].

وعلى هذا سوف يكون حديثنا عن الكلمات المقطوعة عما بعدها على النحو التالي:

(١) «أنْ» (المفتوحة الهمزة الخفيفة النون) مع «لا».

قطعت «أنْ» عن «لا» باتفاق في عشرة مواضع:[3] ـ

١ ـ في قوله تعالى: ﴿ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ في الأعراف[4].

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ في الأعراف[5].

٣ ـ في قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ في هود[6].

---

(١) سمير الطالبين ٩٠

(٢) لطائف البيان ٢/ هامش ٥٨.

(٣) سمير الطالبين ٩٠، لطائف البيان ٢/ ٥٩، الرحيق المختوم ٢٥.

(٤) سورة الأعراف: آية رقم ١٦٩.

(٥) سورة الأعراف: آية رقم ١٠٥.

(٦) سورة هود: آية رقم ١٤.

٤ ـ في قوله تعالى: ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ في هود[١].

٥ ـ في قوله تعالى: ﴿ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ في التوبة[٢].

٦ ـ في قوله تعالى: ﴿ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا ﴾ في الحج[٣].

٧ ـ في قوله تعالى: ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ ﴾ في الأعراف[٤].

٨ ـ في قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾ في الدخان[٥].

٩ ـ في قوله تعالى: ﴿ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ في ن[٦]

١٠ ـ في قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ في الممتحنة[٧].

وهناك موضع واحد اختلفت المصاحف في قطع «أن» عن «لا» فيه ووصلهما[٨]، قال أبو عمرو هو في بعض المصاحف بالنون، وفي بعضها بغير نون والذي عده من المفصول حمزة والخراز وابن الأنباري، وغيرهم[٩]. وقد استحب أبو داود فصله، وعليه العمل[١٠]. وهذا الموضع هو قوله تعالى: ﴿ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ ﴾ في الأنبياء[١١].

---

(١) سورة هود: آية رقم ٢٦.
(٢) سورة التوبة: آية رقم ١١٨.
(٣) سورة الحج: آية رقم ٢٦.
(٤) سورة يس: آية رقم ٦٠.
(٥) سورة الدخان: آية رقم ١٩.
(٦) سورة ن: آية رقم ٢٤.
(٧) سورة الممتحنة: آية رقم ١٢.
(٨) الرحيق المختوم ص ٢٧.
(٩) شرح تلخيص الفوائد ص ٨٦.
(١٠) سمير الطالبين ص ٩٠، لطائف البيان ٢/ ٥٩.
(١١) سورة الأنبياء: آية رقم ٨٧.

وتخصيص هذه الكلمات بالقطع يقتضي أن ما عداها يكتب موصولاً[1].

وثمرة معرفة المقطوع والموصول.

جواز الوقف على إحدى الكلمتين المقطوعتين باتفاق، ووجه به على الأخيرة من الموصولتين باتفاق.

وأما ما اختلف في وصله وفصله، فيجوز الوقف على كلتا الكلمتين نظراً إلى فصلهما، ويجب على الأخيرة نظراً إلى فصلهما[2] أيضاً.

(٢) أَنْ (المفتوحة الهمزة الخفيفة النون) مع لَمْ.

قطعت «أَنْ» هذه عن «لم»، حيث وقعت[3]. نحو قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾[4] و﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ ﴾[5].

(٣) أَنْ (المفتوحة الهمزة، الخفيفة النون) مع لَوْ.

رسمت مفصولة عن بعضها في: -

١ - قوله تعالى: ﴿ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ في الأعراف[6].

٢ - قوله تعالى: ﴿ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ في الرعد[7].

٣ - قوله تعالى: ﴿ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ ﴾ في سبأ[8].

---

(١) لطائف البيان ٢/ ٥٩.
(٢) الرحيق المختوم ص ٢٧.
(٣) لطائف البيان ٢/ ٦١، الرحيق المختوم ص ٣٠.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٣١.
(٥) سورة البلد، الآية: ٧.
(٦) سورة الأعراف: آية رقم ١٠٠.
(٧) سورة الرعد: آية رقم ٣١.
(٨) سورة سبأ: آية رقم ١٤.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم ﴾ في الجن[١].

وذكر أبو داود في التنزيل: وصلها في سورة الجن[٢]، ولكن العمل على القطع في أن لو في السور الأربع[٣].

(٤) أنْ (المفتوحة الهمزة، الخفيفة النون) مع لَنْ.

رسمت «أنْ» مفصولة عن «لن» في كل القرآن اتفاقاً[٤] فيما عدا موضعين وصلت فيهما اتفاقاً[٥] أيضاً، وهما: ـ

١ ـ قوله تعالى: ﴿ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾ بالكهف[٦].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ ﴾ بالقيامة[٧].

والسر في وصلهما بالإدغام وسقوط النون منهما في الخط في هذين الموضعين: التنبيه على أن ما زعموا وحسبوا هو باطل في الوجود، وحكم ما ليس بمعلوم نسبوه إلى الحي القيوم؛ فأدغم حرف التوكيد الكاذب في حرف النفي السالب[٨].

وهناك موضع واحد اختلف في وصل «أنْ» «بلَنْ» فيه، وقطعها عنها وهو: ـ

قوله تعالى: ﴿ عَلِمَ أَلَّن تُحْصُوهُ ﴾ بالمزمل[٩].

---

(١) سورة الجن: آية رقم ١٦.
(٢) سمير الطالبين ص ٩١.
(٣) لطائف البيان ٢/ هامش ٦٦.
(٤) البرهان ١/ ٤٢٦.
(٥) لطائف البيان ص ٦٨.
(٦) سورة الكهف، الآية: ٤٨.
(٧) سورة القيامة: آية رقم ٣.
(٨) البرهان ١/ ٤٢٦.
(٩) سورة المزمل: آية رقم ٢٠.

فذكر أبو عمرو في المقنع: وصله عن بعضهم، وهو غير مشهور عنهم، ولكن المشهور فيه القطع، وعليه العمل[1].

(٥) «أَنَّ» (بفتح الهمزة، وتشديد النون) مع «ما».

١ ـ فالمفصول[2] منها: ـ

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ ﴾ في لقمان[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ في الحج[4].

والسر في فصلها عن حرف التوكيد في هذين الموضعين، أنه ليس لدعوى غير الله تعالى وصل في الوجود[5].

٢ ـ والمختلف فيه[6]: ـ

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ ﴾ بالأنفال[7].

فعند الداني: بالوجهين ـ الوصل والفصل ـ والأرجح فيه الوصل، أما عند أبي داود فلم يذكر فيها إلا الوصل[8]. كما في العراقية[9].

---

(١) لطائف البيان ص ٦٨.

(٢) في إتحاف فضلاء البشر ٣٨٥، الإتفاق على الفصل في هذين الموضعين، وفي لطائف البيان ٢/٦٢، وسمير الطالبين ص ٩١ الإتفاق على الأول فقط، وتصريح الداني بالفصل فيهما، وسكوت أبو داود عن الثاني منهما.

(٣) سورة لقمان: آية رقم ٣٠.

(٤) سورة الحج: آية رقم ٦٢.

(٥) البرهان ١/٤١٧.

(٦) إتحاف فضلاء البشر ٢٨٤.

(٧) سورة الأنفال: آية رقم ٤١.

(٨) لطائف البيان ٢/٦٢.

(٩) سمير الطالبين ص ٩١.

٣ ـ وما عدا هذه المواضع الثلاثة، فموصول باتفاق[١].

(٦) «إنَّ» (بكسر الهمزة، وتشديد النون) مع «ما».

على قطعها[٢] في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ﴾ بالأنعام[٣] واختلف في قطعها ووصلها[٤] في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ ﴾ بالنحل[٥] والأشهر وصلها، وعليه العراقية والعمل[٦].

وفيما عدا ذلك: فموصول اتفاقا[٦].

(٧) «إن» (الشرطية) مع «ما».

قطعت «إن» الشرطية عن «ما» في موضع واحد فقط[٧] وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى ﴾ بالرعد[٨].

ورسمت مفصولة فيما عدا هذا الموضع[٩].

(٨) «إنْ» (الشرطية) مع «لَمْ».

رسمت هذه مفصولة في جميع القرآن عن «لم»، إلا في موضع واحد[١٠]، فقد وصلت فيه «بما»، وهو قوله تعالى: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ ﴾ في

---

(١) إتحاف فضلاء البشر ٢٨٤، لطائف البيان ٢/ ٦٤، سمير الطالبين ص ٩١.
(٢) إتحاف فضلاء البشر ٢٦٣، شرح تلخيص الفوائد ص ٩٠.
(٣) سورة الأنعام: آية رقم ١٣٤.
(٤) إتحاف فضلاء البشر ٢٦٣.
(٥) سورة النحل: آية رقم ٩٥.
(٦) سمير الطالبين ص ٩١.
(٧) شرح تلخيص الفوائد ص ٨٦.
(٨) سورة الرعد: آية رقم ٤٠.
(٩) سمير الطالبين ص ٩١، كنز المعاني ص ٢٢١.
(١٠) شرح تلخيص الفوائد ص ٨٩، سمير الطالبين ص ٩١.

هود[1].

ووجه الفصل: الأصل، ووجه الوصل: إتحاد عمل «إِنْ وَلَمْ»[2].

(٩) «إنْ» (الشرطية) مع «لا».

رسمت بالوصل في كل القرآن[3].

(١٠) «من» (الجارة) مع «ما» (الموصولة).

اتفقوا على رسمها مفصولة عنها في موضع واحد[4]، وهو قوله تعالى: ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ بالنساء[5].

أما في قوله تعالى: ﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم ﴾ بالروم[6]، فقد روى الخلاف في رسمها مفصولة أو موصولة عن أبي داود[7]. وروى صاحب شرح التلخيص الإتفاق على الفصل في هذه الآية[8].

وأما قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾[9]، فقد روى الخلاف في رسمها مفصولة أو موصولة عن أبي عمرو الداني[10].

والعمل على القطع في هذه الثلاثة[11]، وما عدا ذلك فقد رسم

---

(١) سورة هود: آية رقم ١٤.
(٢) الرحيق المختوم ص ٣٤.
(٣) سمير الطالبين ص ٩٢.
(٤) سمير الطالبين ص ٩٢، لطائف البيان ٢/ ٥٩.
(٥) سورة النساء: آية رقم ٢٥.
(٦) سورة الروم: آية رقم ٢٨.
(٧) سمير الطالبين ص ٩٢، لطائف البيان ٢/ ٦٠.
(٨) ص ٨٧.
(٩) سورة المنافقون، الآية: ١٠.
(١٠) سمير الطالبين ص ٩٢، لطائف البيان ٢/ ٦٠.
(١١) سمير الطالبين ص ٩٢.

موصولاً[1].

(١١) «مِنْ» (الجارة) مع «مَنْ» الموصولة.

قال أبو عمرو: لا خلاف في شيء من المصاحف في وصلها بمن وحذف النون[2].

في مثل ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾[3].

(١٢) «عن» مع «ما».

اتفقوا[4] على فصل «عن» عن «ما» في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ﴾ بالأعراف[5]، ووصلت فيما عداها[6].

(١٣) «عن» مع «من».

قطعت «عن» عن «من» في موضعين اتفاقاً[7] وهما: ـ

١ ـ قوله تعالى: ﴿ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ﴾ بالنور[8].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ ﴾ بالنجم[9].

وليس ثم غيرهما[10].

---

(١) وما رواه القرطبي عن الشاطبي من قطعها في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ سورة النور، الآية: ٣٣، فلا يعول عليه، سمير الطالبين ص ٩٢.

(٢) شرح تلخيص الفوائد ص ٨٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٤.

(٤) إتحاف فضلاء البشر ٢٨٠.

(٥) سورة الأعراف: آية رقم ١٦٦.

(٦) سمير الطالبين ص ٩٢، كنز المعاني ص ٢٢١.

(٧) سمير الطالبين ص ٩٢.

(٨) سورة النور: آية رقم ٤٣.

(٩) سورة النجم: آية رقم ٢٩.

(١٠) الرحيق المختوم ص ٣٨.

(١٤) «أم» مع «من».

اتفقت المصاحف على قطع «أم» عن «من» في أربعة مواضع[(١)] وهي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ بالنساء[(٢)].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ﴾ بالصافات[(٣)].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ ﴾ بالتوبة[(٤)].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ بفصلت[(٥)].

ووصلت فيما عدا ذلك[(٦)].

(١٥) «أم» مع «ما».

جاءت في قوله تعالى: ﴿ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ بالأنعام[(٧)]، وفي قوله تعالى: ﴿ أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ بالنمل[(٨)]، ورسمت بالوصل فيهما[(٩)].

(١٦) «كل» مع «ما».

اتفق[(١٠)] على قطع «كل» عن «ما» في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ

---

(١) لطائف البيان ٢/ ٦٢، الرحيق المختوم ص ٢٩، إتحاف فضلاء البشر ٢٣٤، شرح تلخيص الفوائد ٨٨.

(٢) سورة النساء: آية رقم ١٠٩.

(٣) سورة الصافات: آية رقم ١١.

(٤) سورة التوبة: آية رقم ١٠٩.

(٥) سورة فصلت: آية رقم ٤٠.

(٦) سمير الطالبين ص ٩٢.

(٧) سورة الأنعام: آية رقم ١٤٣.

(٨) سورة النمل: آية رقم ٨٤.

(٩) سمير الطالبين ص ٩٢.

(١٠) لطائف البيان ٢/ ٦٤.

﴿ مَاسَأَلْتُمُوهُۚ ﴾ بإبراهيم[1].

أما في:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَاۚ ﴾ بالنساء[2].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ ﴾ بالمؤمنين[3].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ ﴾ بالملك[4].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَاۖ ﴾ بالأعراف[5].

فقد اختلف كتّاب المصاحف في وصلها وفصلها، قال أبو عمرو الداني: هي في بعض المصاحف موصولة، وفي بعضها مقطوعة[6].

وما عدا هذه المواضع الخمسة فكتبت موصولة اتفاقاً[7].

(١٧) «في» مع «ما».

ذكر الخراز في «مورد الظمآن» أن «في» تقطع في الرسم عن «ما» في أحد عشر موضعاً[8] وهي: ـ

١ ـ في قوله تعالى: ﴿ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۗ ﴾ بالبقرة[9].

---

(١) سورة إبراهيم: آية رقم ٣٤.
(٢) سورة النساء: آية رقم ٩١.
(٣) سورة المؤمنين: آية رقم ٤٤.
(٤) سورة الملك: آية رقم ٨.
(٥) سورة الأعراف: آية رقم ٣٨.
(٦) شرح تلخيص الفوائد ص ٩٢.
(٧) لطائف البيان ٢/ ٦٤.
(٨) انظر: لطائف البيان ٢/ ٦٥.
(٩) سورة البقرة: آية رقم ٢٤.

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ ﴾ بالمائدة[(١)].

٣ ـ في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ بالأنعام[(٢)].

٤ ـ في قوله تعالى: ﴿ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ ﴾ بالأنعام[(٢)].

٥ ـ في قوله تعالى: ﴿ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ بالأنبياء[(٣)].

٦ ـ في قوله تعالى: ﴿ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ بالشعراء[(٤)].

٧ ـ في قوله تعالى: ﴿ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ بالواقعة[(٥)].

٨ ـ في قوله تعالى: ﴿ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ بالنور[(٦)].

٩ ـ في قوله تعالى: ﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ بالروم[(٧)].

١٠ ـ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ ﴾ بالزمر[(٨)].

١١ ـ في قوله تعالى: ﴿ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ بالزمر[(١)].

---

(١) سورة المائدة: آية رقم ٤٨.

(٢) سورة الأنعام: آية رقم ١٤٥، وآية رقم: ١٦٥.

(٣) سورة الأنبياء: آية رقم ١٠٢.

(٤) سورة الشعراء: آية رقم ١٤٦.

(٥) سورة الواقعة: آية رقم ٦١.

(٦) سورة النور: آية رقم ١٤.

(٧) سورة الروم: آية رقم ٢٨.

(٨) سورة الزمر: آية رقم ٣، وآية رقم ٤٦.

ثم ذكر أن أبا عمرو الداني نقل في كتابه «المقنع» الخلاف في قطعها في كل هذه المواضع[1]، ويحكي أبو عمرو الداني عن محمد بن عيسى: أنه قال: هذه كلها بالقطع، ومنهم من يصلها كلها، ويقطع الذي في الشعراء[2].

أما أبو داود فقد نقل الخلاف في قطعها في غير موضعي: الشعراء، والأنبياء[3].

والحق: ما صرح به علماء الرسم، واحتملته الجزرية، ودرج عليه أكثر شراحها، من جعل هذه الكلمات على قسمين: ـ

قسم مقطوع باتفاق: وهو ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا ﴾.

وقسم فيه الخلاف، وهو العشرة الباقية[4].

ويعلم أن غير ما ذكر فهو موصول بلا خلاف[5].

(١٨) «أين» مع «ما».

اتفق الشيوخ على وصل أين بما في موضعين[6] هما: ـ

١ ـ قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ بالبقرة[7].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ بالنحل[8].

---

(١) لطائف البيان ٢/ ٦٥.
(٢) شرح تلخيص الفوائد ص ٩٠.
(٣) لطائف البيان ٢/ ٦٥.
(٤) الرحيق المختوم ص ٣٧.
(٥) الرحيق المختوم ص ٣٧.
(٦) سمير الطالبين ص ٩٣.
(٧) سورة البقرة: آية رقم ١١٥.
(٨) سورة النحل: آية رقم: ٧٦.

واختلفوا في وصلها وقطعها في المواضع الثلاثة الآتية[1]: -

١ - قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ ﴾ بالنساء[2].

٢ - قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ ﴾ بالأحزاب[3].

٣ - قوله تعالى: ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ بالشعراء[4].

ولكن أكثر المصاحف على قطع ما في النساء، واستواء الأمرين في الشعراء والأحزاب[5].

وما عدا هذه المواضع الخمسة: فكتبت بفصل «أين» عن «ما»، اتفاقاً، كما يقتضيه تعيين هذه المواضع الخمسة بالوصل[6].

(١٩) «بئس» مع «ما».

أ - اتفق شيوخ الرسم على وصلهما[7] في قوله تعالى: ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ بالبقرة[8].

ب - واتفقوا على فصلهما في[9]: -

١ - قوله تعالى: ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ بالبقرة[10].

---

(١) لطائف البيان ٢/ ٦٧.
(٢) سورة النساء: آية رقم ٧٨.
(٣) سورة الأحزاب: آية رقم ٦١.
(٤) سورة الشعراء: آية رقم ٩٢.
(٥) الرحيق المختوم ص ٣٤.
(٦) لطائف البيان ٢/ ٦٧.
(٧) سمير الطالبين ص ٩٤.
(٨) سورة البقرة: آية رقم ٩٠.
(٩) لطائف البيان ٢/ ٦٧.
(١٠) سورة البقرة: آية رقم ١٠٢.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ بآل عمران[1].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ بالمائدة[2].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ بالمائدة[1].

٥ ـ قوله تعالى ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ المائدة[1].

٦ ـ قوله تعالى ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ المائدة[1].

جـ ـ واختلفوا في: ـ

١ ـ قوله تعالى: ﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ ﴾ بالبقرة[3].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ ﴾ بالأعراف[4].

ففي بعض المصاحف موصولة، وفي بعضها الآخر مقطوعة، في هذين الموضعين[5].

(٢٠) «كي» مع «لا».

أ ـ اتفق شيوخ الفن على وصلهما في ثلاثة مواضع[6]: ـ

١ ـ قوله تعالى: ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ بالحج[7].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ بالأحزاب[8].

---

(١) سورة آل عمران: آية رقم ١٨٧.

(٢) سورة المائدة: الآيات أرقام: ٦٢، ٦٣، ٧٩، ٨٠.

(٣) سورة البقرة: آية رقم ٩٣.

(٤) سورة الأعراف: آية رقم ١٥٠.

(٥) انظر: لطائف البيان ٢/٦٧، شرح تلخيص الفوائد ص ٩١.

(٦) سمير الطالبين ص ٩٤، لطائف البيان ٢/٦٨.

(٧) سورة الحج: آية رقم ٥.

(٨) سورة الأحزاب: آية رقم ٥٠.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ بالحديد[١].

ب ـ واتفقوا على فصلهما في ثلاثة مواضع[٢] هي: ـ

١ ـ قوله تعالى: ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ بالنحل[٣].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ ﴾ بالأحزاب[٤].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ ﴾ بالحشر[٥].

جـ ـ واختلفوا في موضع واحد وهو:

قوله تعالى: ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ بآل عمران[٦].

فقد نقل الشيوخ خلاف المصاحف في وصله وفصله، وحكى الشاطبي في «العقيلة» وصله من غير خلاف[٧]، وصرح الدمياطي البنا: بأنهم اتفقوا على وصله كما في الحج والأحزاب والحديد[٨].

ووجه الفصل: مراعاة الأصل، ووجه الوصل التقوية[٩]، في كل.

(٢١) لام الجر الواقعة بعد ما في كلمة «مال».

تقطع «لام» الجر هذه عن مجرورها في أربعة مواضع[١٠] وهي: ـ

---

(١) سورة الحديد: آية رقم ٢٣.
(٢) لطائف البيان ٢/ هامش ٦٨.
(٣) سورة النحل: آية رقم ٧٠.
(٤) سورة الأحزاب: آية رقم ٣٧.
(٥) سورة الحشر: آية رقم ٧.
(٦) سورة آل عمران: آية رقم ١٥٣.
(٧) لطائف البيان ٢/٦٨.
(٨) إتحاف فضلا البشر ص ٢٢٠.
(٩) الرحيق المختوم ص ٣٥.
(١٠) لطائف البيان ٢/٦٣.

١ ـ قوله تعالى: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾ بالنساء[١].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ ﴾ بالكهف[٢].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ ﴾ بالفرقان[٣].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ بالمعارج[٤].

ووصلت بمجرورها فيما عدا ذلك اتفاقا[٥].

ووجه القطع: التنبيه على أنها كلمة برأسها، ووجه الوصل: تقويتها؛ لأنها على حرف واحد[٦].

(٢٢) «يوم» مع «هم».

أ ـ إذا كان «يوم» مفتوح الميم «وهم» ضمير رفع منفصل: فصلا عن بعضهما، وذلك في موضعين، وليس في القرآن غيرهما[٧]، وهما: ـ

١ ـ قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ﴾ بغافر[٨].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ بالذاريات[٩].

ب ـ وإذا كان يوم (مكسور الميم) وهم (المجرورة): وصلا ببعضهما

---

(١) سورة النساء: آية رقم ٧٨.
(٢) سورة الكهف: آية رقم ٤٩.
(٣) سورة الفرقان: آية رقم ٧.
(٤) سورة المعارج: آية رقم ٣٦.
(٥) سمير الطالبين ص ٩٣، الرحيق المختوم ص ٤٠.
(٦) الرحيق المختوم ص ٤٠.
(٧) شرح تلخيص الفوائد ص ٩٣.
(٨) سورة غافر: آية رقم ١٦.
(٩) سورة الذاريات: آية رقم ١٣.

باتفاق[1] وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ بالذاريات[2].

ووجه القطع في النوع الأول: كونه ضمير رفع منفصل، ووجه الوصل في الثاني: كونه ضميراً مجروراً متصلاً[3].

(٢٣) «وَيْ» مع «كَأَنَّ».

جاءت موصولة في موضعين اتفاقاً[4] وهما: -

١ - قوله تعالى: ﴿ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ﴾ بالقصص[5].

٢ - قوله تعالى: ﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ بالقصص[1].

(٢٤) «حيث» مع «ما».

جاءت مفصولة عن بعضها في موضعين اتفاقاً[6]، وهما: -

١ - قوله تعالى: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ﴾ بالبقرة[7].

٢ - قوله تعالى: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا ﴾ بالبقرة[1].

ولم يقع في القرآن غيرهما[8].

---

(١) الرحيق المختوم ص ٣٩.

(٢) سورة الذاريات: آية رقم ٦٠.

(٣) الرحيق المختوم ص ٣٩.

(٤) لطائف البيان ٢/ ٦٨.

(٥) سورة القصص: آية رقم ٨٢.

(٦) الرحيق المختوم ص ٣٠، لطائف البيان ٢/ ٦٣.

(٧) سورة البقرة: آية رقم: ١٤٤، ١٥٠.

(٨) الرحيق المختوم ص ٣٠.

(٢٥) لات حين.

اقتصر أبو داود على رسمه مقطوعاً.

وذكر الداني بسنده إلى أبي عبيد. قال: في الإمام ـ وهو مصحف عثمان ـ التاء متصلة بحين. وأنكر عليه ما رآه[1].

وقد تعقب إنكار الداني كثير من العلماء، ومنهم ابن الجزري، والمقدسي بأنهم رأوه كذلك.

ويمكن حل هذا الإشكال ـ كما يرى الشيخ علي محمد الضباع ـ بوجود الرسمين في المصاحف العثمانية، وكل منهم تمسك بما رآه[2].

وهناك كلمات كثيرة تخضع لهذه السمة، لم نتعرض لها لأننا لا نهدف للإحصاء الدقيق، ولا الاستيعاب الكامل.

---

(١) لطائف البيان ٢/ ٦٢.

(٢) سمير الطالبين ص ٩٤.

السمة السادسة: «رسم ما فيه قراءتان فأكثر».

والكلام في هذا الموضوع يقتضي تقسيمه على النحو التالي: ـ

أولاً: كلمات فيها قراءتان ورسمت على إحداهما اقتصاراً.

الثاني: كلمات فيها قراءتان ورسمت صالحة لهما.

ثالثاً: كلمات فيها قراءتان ورسمت بهما كل منهما في مصحف على حدة.

القسم الأول: (ما فيه قراءتان ورسم واحد اقتصاراً).

من ذلك:

١ ـ صراط، ويبصط بالبقرة، وبصطة الأعراف، (والمصيطرون، وبمصيطر) كتب بالصاد، اقتصاراً عليها[١]. وقرئت بالسين، وبالصاد[٢].

٢ ـ «لأهب»: في قوله تعالى: ﴿ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾[٣]. كتب بالألف بعد اللام على قراءة الهمز[٤]. في الإمام وغيره[٥].

وقرئت بالياء والضمير للرب: أي ليهب لك الذي استعذت به مني، لأنه الواهب على الحقيقة، وقرئت بالهمز: والضمير للمتكلم وهو الملك، أسنده لنفسه على طريق المجاز[٦].

---

(١) سمير الطالبين ص ٩٥.
(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر ص ١٥١، المكرر فيما تواتر من القراءات السبع ص ٧، الكافي ص١٠.
(٣) سورة مريم، الآية: ١٩.
(٤) سمير الطالبين ص ٩٦.
(٥) إتحاف فضلاء البشر ص ٣٦٤.
(٦) إتحاف فضلاء البشر ٣٦٠، المكرر ص ٧٤، الكافي ٩٤، النشر ٢/٣١٧.

٣ ـ «لتخذت»: في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ ﴾[(١)].

رسمت بدون ألف بعد اللام، موافقة لقراءة التخفيف[(٢)].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: بتاء مفتوحة مخففة، وخاء مكسورة بلا ألف وصل من تَخِذَ بكسر عينه يتخذ، وافقهم ابن محيصن، واليزيدي، والحسن.

والباقون: بهمزة وصل، وتشديد التاء، وفتح الخاء[(٣)].

القسم الثاني: (ما فيه قراءتان أو أكثر ورسم واحد صالح للجميع).

من ذلك: ـ

١ ـ «مالك» من قوله تعالى: ﴿ مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ بالفاتحة[(٤)].

اتفقت المصاحف على كتابتها (ملك) بدون ألف[(٥)].

وفيها القراءات التالية: ـ

أ ـ مالِكِ: بالألف مداً، على وزن سامع اسم فاعل من مَلَكَ مِلْكاً بالكسر، وهي قراءة عاصم، والكسائي، ويعقوب، وخلف.

ب ـ مَلِك؛ على وزن سمع صفة شبهه، أي قاضي يوم الدين، وهي قراءة الباقين.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٧.

(٢) إتحاف فضلاء البشر ٣٥٨، سمير الطالبين ص ٩٦.

(٣) إتحاف فضلاء البشر ٣٥٤، المكرر ص ٧٢، الكافي ص ٩٢، النشر ٢/ ٣١٤.

(٤) سورة الفاتحة آية رقم ٤.

(٥) إتحاف فضلاء البشر ص ١٥٢.

جـ ـ مَالِكَ بفتح الكاف، نصباً على القطع، أو منادى مضافاً؛ توطئة لإياك نعبد. وقد رويت هذه عن المطوعي[1].

ورسمها بدون ألف يتحمل هذه القراءات.

د ـ (مَلَكَ يومَ الدين) بنصب اللام والكاف، ونصب يوم، جعله فعلاً ماضياً، وهي قراءة علي بن أبي طالب[2].

هـ ـ (مَلِكَ يوم الدين) بالنصب على النداء من غير ألف، وهي قراءة شريح بن يزيد الحضرمي[3].

٢ ـ «يخدعون» من قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾[4].

اتفقت المصاحف على رسمها بدون ألف[5].

وفيها القراءات التالية: ـ

أ ـ يُخَادِعُون: بضم الياء، وفتح الخاء، وألف بعدها، وكسر الدال، وهي قراءة: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وافقهم اليزيدي.

والمفاعلة هنا: إما بمعنى فعل فتتحد هذه القراءة والتي بعدها، وإما على بابها، فهم يخادعون أنفسهم أي يمنونها الأباطيل، وأنفسهم تمنيهم ذلك أيضاً.

ب ـ يَخْدَعُونَ: بفتح الياء، وسكون الخاء، وفتح الدال[6]. والرسم ـ كما نرى ـ يتحملهما.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر ص ١٥١.

(٢) الإبانة ص ٧٥.

(٣) نفس المرجع.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٩.

(٥) إتحاف فضلاء البشر ص ١ ـ ٢، المكرر ص ٨.

(٦) إتحاف فضلاء البشر ص ٥٧، النشر ٢/٢٠٧، المكرر ٨، الكافي ص ٤٣.

٣ ـ «الغرفات» من قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].
اتفقوا على كتابتها بالتاء المفتوحة[2].

وفيها القراءات التالية: ـ

أ ـ الغُرْفَة: بسكون الراء، بلا ألف بعدها، على التوحيد، مراداً به الجنس. وهي قراءة حمزة وحده[3].

ب ـ الغُرْفَات: بسكون الراء، وجمع السلامة، وهي قراءة الحسن والمطوعي.

جـ ـ الغُرُفَات: بضم الراء، وجمع السلامة، وهي قراءة الباقين[4] والرسم يتحمل هذه القراءات.

القسم الثالث: (ما فيه قراءتان ورسم بهما).

من ذلك:

١ ـ «وسارعوا» من قوله تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[5]، قرأها: نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: بغير واو قبل السين، على الاستئناف.

وقرأها الباقون بواو العطف[6].

ولما كانت القراءتان لا يتحملهما رسم واحد؛ فقد كتب في المكي، والكوفي، والبصري، بواو قبل السين.

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٣٧.
(٢) إتحاف فضلاء البشر ص ٤٤٠.
(٣) إتحاف فضلاء البشر ص ٤٣٩، الرحيق المختوم ص ١٩.
(٤) إتحاف فضلاء البشر ص ٤٣٩، المكرر ص ١٠٠، النشر ٢/ ٣٥١.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.
(٦) إتحاف فضلاء البشر ص ٢١٣، النشر ٢/ ٢٤٢.

وكتب بدونها في المدني، والشامي، والإمام[1].

ولذا فلكل من القراءتين رسم يحتملها.

٢ ـ «من يرتدد» من قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ ﴾[2] قرأها: نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: بدالين، مكسورة، فمجزومة، بفك الإدغام، على الأصل لأجل الجزم، وهي لغة الحجاز.

والباقون: بدال واحدة، مفتوحة، مشددة بالإدغام، وهي لغة تميم[3].

ولما كان رسم واحد لا يتحملهما كتبا برسمين في المصاحف العثمانية.

فرسم في المدني، والشامي، والإمام بفك الإدغام.

ورسم في الباقي: بالإدغام[4].

ووافقت كل من القرائتين رسماً مما في المصاحف العثمانية.

وهذه السمة هي التي ذكرت قبل ذلك تحت عنوان «الطريقة العثمانية في رسم المصحف[5]».

وهي التي كانت السبب في شهرة رسم المصحف باسم الرسم العثماني، كما سبق توضيح ذلك.

---

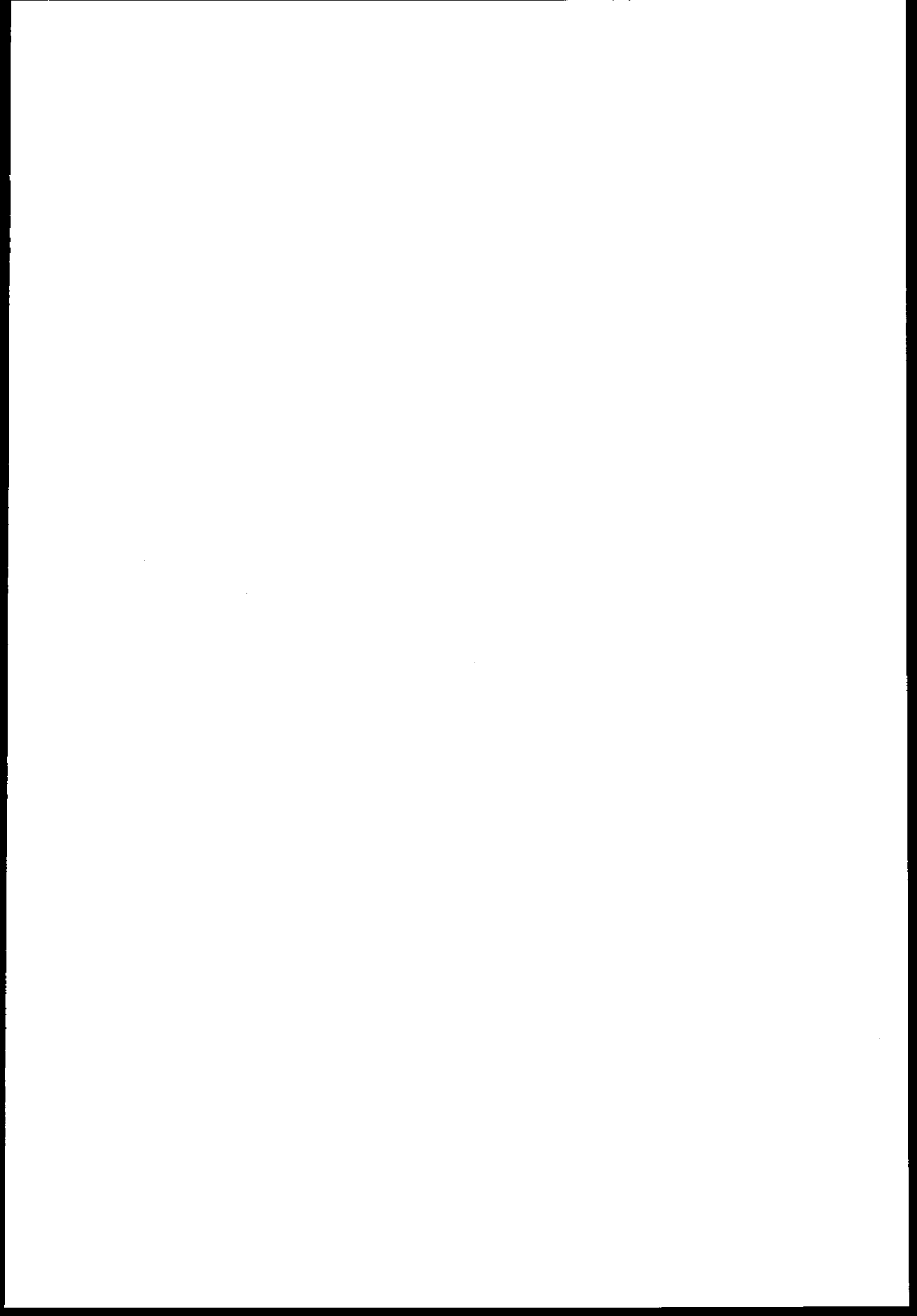
(١) إتحاف فضلاء البشر ص ٢٢٠، سمير الطالبين ص ١٠١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٣) إتحاف فضلاء البشر ص ٢٣٩.

(٤) إتحاف فضلاء البشر ص ٢٣٩، سمير الطالبين ص ١٠٢.

(٥) ص ٧٧.



الفصل الرابع

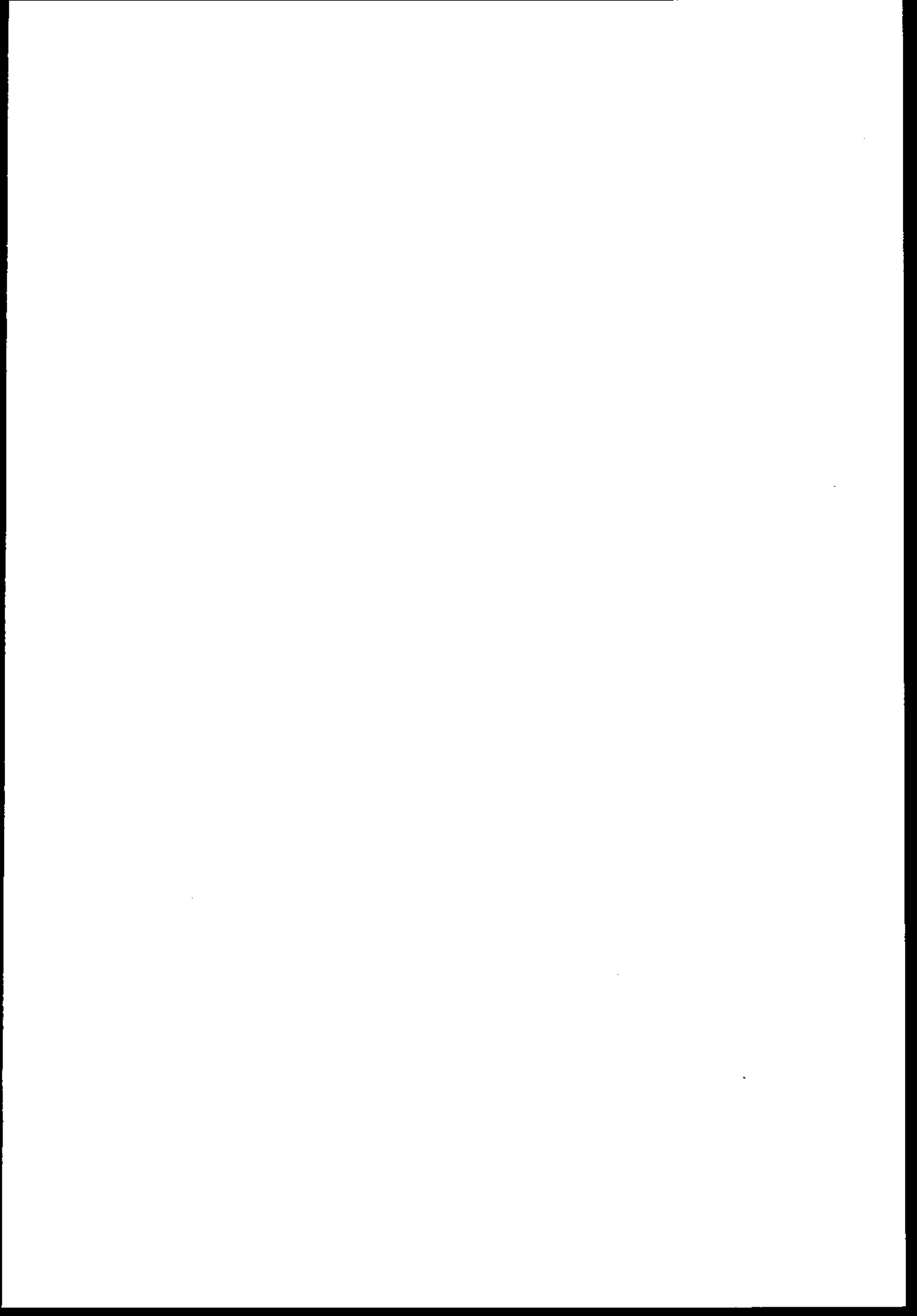
(طباعة المصحف ورسومه الحالية)

وفيه:

المبحث الأول: مرحلة نسخ المصاحف.

المبحث الثاني: المطابع والمصحف.

المبحث الثالث: الرسوم الحالية للمصاحف.



المبحث الأول
(مرحلة نسخ المصاحف)

ما إن أرسل عثمان، رضي الله عنه، المصاحف ـ التي نسخها من الصحف البكرية، إلى الآفاق الإسلامية، حتى أقبلت عليها الأمة من كل صوب وحدب، وكأنها أشبه بماء نزل من السماء، فأصاب أرضاً خصبة صالحة، ولكنها ظامئة ومتعطشة، فما كاد يصل إليها الماء حتى اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج.

فقد اجتمعت على هذه المصاحف الكلمة في الشرق والغرب.

ونسخت على غرارها الآلاف المؤلفة من المصاحف المقدسة في كل جيل وقبيل[1].

فنحن نجد ـ وعلى سبيل المثال ـ أنه بعد سبع سنين، وفي موقعة «صفين» التي كانت بين «علي» و«معاوية»: أنه لما أشار عمرو بن العاص ـ حين أحس ظهور علي على معاوية ـ برفع المصاحف، قد رفع من عسكر معاوية فقط نحواً من خمسمائة مصحف[2].

ويعلق الأستاذ إبراهيم الإبياري على هذه الحادثة بقوله:

وما نظن هذا العدد، الذي رفع من المصاحف في معسكر معاوية، كان كل ما يملكه المسلمون حينذاك، والذي نظنه: أنه كان بين أيدي المسلمين

---

(١) انظر: مناهل العرفان ١/ ٣٩٨.

(٢) انظر: مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٢٠.

ما يربو على هذا العدد بكثير[1].

ومما يرشدنا إلى عظمة المسلمين واهتمامهم بكتابهم المقدس، وحرصهم على كتابته ونسخه.

أن المصاحف كانت لا تباع أول الأمر، بالرغم من صعوبة الكتابة، وندرة أدواتها، ولكن كانت قلوبهم عامرة بالتقوى ممتلئة إيماناً ويقيناً، وكانوا أكثر تلاوة للقرآن، وأشد تمسكاً بأحكامه، وأكثر رغبة وتنافساً في نسخه وكتابته، وإهدائه لبعضهم البعض، وجعله في المساجد ودور العلم والتدريس؛ رجاء الأجر والثواب.

فقد روي عن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه كان يقول:

كانت المصاحف لا تباع، إنما يأتي الرجل بورقة عند المنبر، فيقوم الرجل المحتسب، فيكتب له من أول البقرة، ثم يجيء غيره ـ وهكذا ـ حتى يتم المصحف[2].

هكذا كان في ابتداء الإسلام.

ثم صار كثير من الناس يتفرغون لكتابة المصاحف لعدم وجود المطابع في ذلك الزمان.

فكان بعضهم يكتب مائة مصحف، وبعضهم مائتين، وبعضهم أقل أو أكثر، وتقاضى بعضهم على ذلك الأجر.

ومن هؤلاء على سبيل المثال.

---

(١) تاريخ القرآن للأستاذ / إبراهيم الإبياري ص ١٤١.
(٢) انظر: تاريخ القرآن وغرائب رسمه: ص ١٥٩.

خالد بن أبي الهياج.

ومالك بن دينار مولى أسامة بن لؤي بن غالب[1].

وكانت المصاحف في العهد الأول.

تكتب بأنواع متعددة بالخط الكوفي إلى القرن الخامس تقريباً.

ثم لما تنوعت الخطوط صاروا يكتبونها بخط الثلث إلى القرن الثامن أو التاسع.

ولما ظهر خط النسخ: الذي هو أجمل الخطوط صاروا يكتبونها به إلى عصرنا الحاضر.

والحق يقال: إن جمال المصاحف لا يظهر إلا إذا كتبت بخط النسخ فقط، أما بقية أنواع الخطوط فلا يستحسن كتابتها بها، كخط الرقعة، والديواني. وسِيَاقَتْ، وشِكَسْتَه؛ لأن قاعدة هذه الخطوط: عدم تشكيلها، والمصاحف يجب تشكيلها، صيانة للقارىء من اللحن.

بل قد يحرم كتابتها ببعض هذه الخطوط.

كخط «سِيَاقَتْ» و«شِكَسْتَه».

فإن هذين الخطين لا يعرفهما أحد في جميع البلدان العربية، ويندر جداً من يعرفهما في بلاد الترك والعجم[2].

---

(١) تاريخ القرآن للإبياري ص ١٤٤.

(٢) تاريخ القرآن وغرائب رسمه: ص ١٦٠.

المبحث الثاني
(المطابع والمصحف)

ولما ظهرت المطابع أول اختراعها في ألمانيا عام ١٤٣١م، وظهرت ـ تبعاً لذلك ـ أول طبعة للمصحف الشريف بالخط العربي عام ١١١٣هـ، وكان ذلك بمدينة همبرج بألمانيا[1]، ويوجد من هذه الطبعة مصحف بدار الكتب العربية بالقاهرة.

وبعد سنة ١٥١٦ م طبع المصحف أيضاً في مدينة البندقية بإيطاليا.

والسبب في طبع المصحف الشريف بمدينتي همبرج والبندقية ـ دون غيرهما من البلاد ـ هو وجود المطابع فيهما دون غيرهما من البلاد عامة والبلاد الإسلامية خاصة كما هو ظاهر[2].

وقد مضت ـ بحكم الضرورة ـ مدة طويلة، حتى أتقنت المطابع صناعتها، وظهرت صلاحيتها، وانتقلت بعد ذلك إلى البلاد الأخرى.

فدخلت أولاً إلى إيطاليا، ثم إلى فرنسا، ثم إلى إنجلترا، ثم انتشرت في جميع البلدان، ومنها البلاد العربية.

هذا. . .

ولما دخلت المطبعة إلى تركيا في زمن السلطان أحمد الثالث، أفتت

---

(١) حياة اللغة العربية ص ١٤٣.

(٢) تاريخ القرآن وغرائب رسمه ص ١٦٣، تاريخ القرآن للإبياري ص ١٤٤.

مشيخة الإسلام، بجواز استعمالها، وعدم جواز طبع المصحف.

وفيما بعد سنة ١١٤١هـ: استصدرت فتوى بطبع كتب الدين فقط، مع جواز تجليد القرآن الكريم.

ثم دخلت المطابع بعد ذلك إلى البلاد العربية.

فدخلت تونس بعد سنة ١٢٧١هـ.

ودخلت حلب سنة ١٦٩٨م.

ودخلت لبنان سنة ١٧٣٣م.

ودخلت مكة المكرمة سنة ١٣٠٣هـ.

ودخلت جدة سنة ١٣٢٩هـ.

ودخلت المدينة المنورة سنة ١٣٥٥هـ.

وأما بمصر:

فقد ظهرت أول مطبعة بها، هي مطبعة الحملة الفرنسية، جاء بها بونابرت سنة ١٧٩٨م لطبع المنشورات والأوامر باللغة العربية، وقد سميت بالمطبعة الأهلية، وكانت بالقاهرة إلى يونيو سنة ١٨٠١م حين انسحب الفرنسيون من مصر.

وبعد ذلك ظلت مصر نحواً من عشرين عاماً بغير مطبعة، حتى استقر الأمر لمحمد علي باشا، فأنشأ المطبعة الأهلية سنة ١٨٢١م، وتعرف بمطبعة بولاق؛ لأنها وضعت أخيراً في بولاق[١].

وكانت المطابع منذ ظهورها، والإفتاء بطبع المصاحف بها، تتسابق في إبرازه في أبهى صورة، وأروع منظر، وأبدع تنسيق، وذلك على أشكال

(١) تاريخ القرآن وغرائب رسمه ص ١٦٣، ١٦٤.

شتى، وألوان متنوعة، وأحجام مختلفة[1].

إلى غير ذلك من ضروب التجويد، والصقل، والتحسين التي أخذت تتناول المصاحف على ألوان شتى، وضروب متنوعة.

وكانت هذه التحسينات على قسمين:

أ ـ تحسينات مادية، أو شكلية ترجع إلى النسخ والطبع والحجم، والورق، والتجليد، والتذهيب، ونحو ذلك.

وهذه لا تعنينا كثيراً؛ لأن أمرها هيّن، وإن كان فيها بعض التيسير، أو التشويق للقرآن الكريم.

ب ـ وهناك تحسينات معنوية، أو جوهرية ترجع إلى تقريب نطق الحروف، وتمييز الكلمات، وتحقيق الفروق بين المتشابهات[2] عن طريق طبع المصحف موافقاً للرسم العثماني، ومعجماً، ومشكولاً، كل ذلك بخط واضح، وطبع جيد.

غير أنه مما يلفت النظر هنا بالذات.

أن هذه المطابع ـ على كثرة عنايتها الفائقة بطبع المصحف ـ لم تراع في طبعه أن يكون على قواعد الرسم العثماني، التي كتب عليها في عهد عثمان، رضي الله عنه، وفي عهد بقية الصحابة والتابعين، والأئمة المجتهدين.

بل طبعته مطابقاً لقواعد الإملاء الحديثة، اللهم إلا في النزر اليسير من الكلمات، كتبته على مقتضى الرسم العثماني[3].

---

(١) المصحف الشريف للقاضي ص ١٠٨.

(٢) مناهل العرفان ١/ ٣٩٩.

(٣) المصحف الشريف للقاضي ص ١٠٨.

وهذا ـ في رأينا ـ يرجع إلى : ـ

(أ) أن القائمين على شؤون الطبع حينذاك لم تكن لهم الدراية الكافية بسمات رسم المصحف، مما جعلهم يحيدون عنه.

(ب) عدم توقف طبع المصحف على تصريح من الهيئات الدينية، كما هو الحال الآن.

وقد ظلت المصاحف هكذا، زمناً غير قصير، حتى قيض الله تعالى لها علماً من أعلام القرآن، وجهبذاً من جهابذته.

وهو العلامة المحقق المغفور له: الشيخ رضوان بن محمد الشهير «بالمخللاتي». الذي كتب مصحفاً، جليل الشأن، عظيم الخطر.

عنى فيه بكتابة الكلمات القرآنية على قوانين الرسم العثماني.

كما عنى فيه ببيان عدد آي كل سورة في أولها عند علماء العدد المشهورين على اختلاف مذاهبهم، واضعاً على الفاصلة المختلفة فيها، اسم من يعدها.

كذلك: بيَّن أماكن الوقوف، ووضع على كل موضع منها العلامة الدالة على نوع الوقف.

وبعد الإستقراء والتتبع.

تبين أن الوقوف عنده ستة أقسام: التام، الكافي، الحسن، الصالح، الجائز، المفهوم.

وقد أشار إلى التام: بالتاء، وإلى الكافي: بالكاف، وإلى الحسن: بالحاء، وإلى الصالح بالصاد، وإلى الجائز: بالجيم، وإلى المفهوم بالميم[1].

---

(١) من الواضح أن هذه الحروف هي اختصار أسماء الوقوف عنده، رحمه الله.

وقد صدر ـ الشيخ المخللاتي ـ هذا المصحف بمقدمة جليلة[1]، أبان فيها: أن هذا المصحف، حرر رسمه، وضبطه، على ما في كتاب «المقنع» للإمام الداني وكتاب «التنزيل» لأبي داود، ولخص فيها تاريخ كتابة القرآن في العهد النبوي، وجمعه في عهدي أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، كما لخص فيها مباحث الرسم والضبط، وبين فيها علماء العدد المشهورين، وعرف فيها معنى السورة والآية، كل ذلك في عبارة وجيزة مفيدة، وتركيب سهل بديع.

وقد طبع هذا المصحف[2] في «المطبعة البهية» في القاهرة لصاحبها الشيخ محمد أبي زيد سنة ١٣٠٨هـ[3].

وكان هذا المصحف: هو المتداول بين أهل العلم، وعلماء القراءات، المعول عليه عندهم، المقدم على سائر المصاحف، لما اشتمل عليه من المزايا الآنفة الذكر.

بَيْدَ أنه لم يبرز في صورة حسنة تروق الناظر، وتنشط القارىء لرداءة ورقه، وسوء طبعه، إذْ أنه طبع في مطبعة حجرية[4].

ويلاحظ: أنه كانت تطبع بجواره وفي وجوده، المصاحف بالخط الإملائي، متابعة في ذلك الدولة العثمانية.

وظل ذلك لمدة سبع وخمسين سنة، حتى أصدرت مشيخة الأزهر في

---

(١) وتقع في ١٣ صفحة من صفحات هذا المصحف.

(٢) ويوجد من هذه الطبعة خمس نسخ بمكتبة الأزهرالشريف تحت أرقام ٥١٧٦، ٧٤٥٩، ١٠٧٤٤، ١٠٧٤٥ مصاحف.

(٣) انظر: المصحف الشريف للقاضي ص ١٠٨، ١٠٩.

(٤) نفس المرجع: ص ١١٠.

عام ١٩١٧م قراراً بتحريم طبع وتداول، بل مصادرة أي مصحف في مصر مطبوعاً بغير الخط العثماني[1].

وما زالت إدارة الثقافة والنشر بمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة تعمل جاهدة على تنفيذ هذا القرار، حيث تمنع تصاريحها لأي ناشر يرغب في طبع المصحف إلا إذا كان مكتوباً بالرسم العثماني.

وقد وجهت مشيخة الأزهر ـ منذ قديم ـ عنايتها إلى المصحف، فأمرت بتكوين لجنة من أساطين العلم، ونوابغ الأدب، وهم:

١ ـ المغفور له العلامة الشيخ مجمد علي خلف الحسيني الشهير بالحداد شيخ المقارىء المصرية الأسبق. وهو الذي كتبه بخطه[2].

٢ ـ والمرحوم الأستاذ حفني ناصف.

٣ ـ والمرحوم الأستاذ مصطفى عناني.

٤ ـ والمرحوم الأستاذ أحمد الإسكندري.

كونت هذه اللجنة للنظر في المصحف، في رسمه، وضبطه، وفيما يجب أن يكون عليه ـ في الطبع.

فاضطلعت اللجنة بهذه المهمة الشاقة، وقامت ـ أحسن الله جزاءها ـ بما أسند إليها على أتم وجه وأكمله.

فكتبت القرآن كله: على حسب قواعد الرسم العثماني، وضبطته على ما يوافق رواية حفص بن سليمان الكوفي، أحد راويي قراءة عاصم بن أبي النجود، وبينت في ترجمة كل سورة عدد آيها على مذهب الإمام حفص

---

(١) انظر: مجلة الوعي الإسلامي عدد ٨٦ ص ٤١.

(٢) انظر: عنوان البيان ص ٨٠.

المذكور، وأنها مكية أو مدنية، وأنها نزلت بعد سورة كذا، ووضعت لكل آية رقمها الخاص بها، كما وضعت علامات للوقوف والأجزاء، والأحزاب، والأرباع، والسجدات، والسكتات.

ثم قسمت الوقف إلى ستة أقسام[1]:

الأول:

ما يلزم الوقف عليه، ولا يصح وصله بما بعده، ووضعت له علامة هي الميم المفردة، هكذا «مـ».

الثاني:

ما يصح الوقف عليه، والابتداء بما بعده، كما يصح وصله بما بعده، غير أن الوقف عليه أحسن من وصله بما بعده، ووضعت له هذه العلامة «قلى» وهي كلمة منحوتة، وأصلها: الوقف أولى.

الثالث:

كالثاني، غير أن وصله بما بعده أرجح من الوقف عليه، ووضعت له هذه العلامة «صلى» وهي كلمة منحوتة، وأصلها: الوصل أولى.

الرابع:

ما يجوز فيه الوقف والوصل على السواء من غير ترجيح أحدهما على الآخر، ووضعت له هذه العلامة «ج».

الخامس:

ما لا يصح الوقف عليه والابتداء بما بعده، فإذا وقف عليه لانقطاع

---

(١) انظر: المصحف الشريف للقاضي ص ١١٠ وما بعدها.

نفس، أو استراحة، أو نحو ذلك، تعين عليه أن يرجع فيصله بما بعده، ووضعت له هذه العلامة «لا».

السادس:

وقف المعانقة، وهو أن يكون هناك موضعان يصح الوقوف على كل منهما، ولكن إذا وقف على أحدهما امتنع الوقف على الآخر، ووضعت لهما هاتين العلامتين هكذا ∴ ∴ ، ومثلت لكل قسم من الأقسام.

وقد ذكرت هذه اللجنة الموقرة في ذيل المصحف، تحت عنوان «تعريف بهذا المصحف الشريف» النهج الذي سارت عليه في كتابة المصحف، من حيث: رسمه، وضبطه، وعد آياته، وبيان أجزاءه، وأحزابه، وأرباعه، وبيان مكيه ومدنيه، وبيان وقوفه، وعلاماتها، وبيان سجداته ومواضعها، وعلاماتها، وبيان سكتاته، ومواضعها، وعلاماتها[1].

ثم توالت طبعات المصحف الشريف وكلها حسب هذا النظام بل زادت عليه دقة، وضبطاً، وتلافياً لما قد يكون قد وقع فيه من هنات بسيطة في الرسم والضبط.

هذا هو حال المصحف وطبعه في مصر.

أما في بقية بلاد العالم ـ الإسلامي منها وغير الإسلامي، فقد أصبح رسم المصحف فيها أنواعاً شتى وأصبح المسلم عندما ينتقل من بلده إلى آخر لا يكاد يعرف، أو لا يعرف بالمرة كيف يتلو في كتاب الله تعالى ـ في مصاحف أهل هذا البلد الآخر ـ[2] الذي هو تنزيل رب العالمين، لكل الناس في الأولين والآخرين.

---

(١) المصحف الشريف: ص ١١٢.

(٢) انظر: الجمع الصوتي ص ٤٨٣.

ولكن. . . لم لا يعرف؟

ذلك: لأن أعداء الوحدة الإسلامية الصحيحة، أدركوا أن سبيل تحقيق بغيتهم، هو أن لا يجتمع العرب والمسلمون على ذلك الكتاب وذلك اللسان، وأن تنشأ النابتة العربية المسلمة على غير اللغة العربية فينسلخوا تلقائياً من قوميتهم، فرأوا أنّ تقطيع أوصال العرب والمسلمين، لا يمكن أن يتم، ما دامت هناك لغة واحدة يتكلمها العرب، ويعبر بها العرب والمسلمون عن آرائهم، وما دام هناك حرف عربي يربط حاضر المسلمين إلى تراثهم الماضي[1].

ولذلك عمل المستعمرون والمبشرون على تفتيت وحدة المسلمين بشتى الطرق، وعملوا لهذا الهدف بكل الوسائل.

وكان مما يقربهم لهذا الهدف: العمل على تنويع رسم المصحف، والمساعدة على تخالفه بين البلاد الإسلامية وبعضها.

فكان على النحو التالي:

---

(١) انظر: الجمع الصوتي ص ٤٨٣.

المبحث الثالث

(الرسوم الحالية)

وظهرت المصاحف بالرسوم المختلفة التالية: ـ

١ ـ الرسم العثماني:

وهو ما يعرف برسم المصحف، وهو الذي نقرؤه في مصاحفنا هنا ـ الآن ـ في مصر.

وهذا الرسم لا يخضع في بعض كلماته لقواعد الإملاء الحديثة، بل ينهج في رسمها سبيلاً آخر.

ويرجع هذا الرسم تسمية: إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه، وشرعياً: إلى سيدنا رسول الله ﷺ.

وهذا الرسم هو مجال حديثنا في هذه الرسالة، وقد سبق توضيح سماته وملامحه.

والمصاحف العثمانية:

تطبع في: مصر، وبعض البلاد الإسلامية.

٢ ـ الرسم العثماني (بالخط المغربي):

وهو نفس الرسم العثماني المعروف.

ولكن... مع تصرف في رسم بعض الحروف:

مثل:

القاف: إذ تكتب بنقطة واحدة من فوق.

والفاء: إذ تكتب بنقطة واحدة من تحت.

والنون: إذ تكتب خالية من النقط إذا لم تكن متصلة بما بعدها في الكتابة[1].

وهذا المصحف:

هو الذي يطبع في بلاد المغرب العربي (ليبيا، وتونس، والجزائر، ومراكش).

٣ ـ الرسم الإملائي:

وهو الرسم المشهور في الكتابة العادية التي نستعملها.

وهذا الرسم: هو الذي وضع علماء البصرة، والكوفة، قواعده مستمدين ذلك من الرسم العثماني، ومن علمي النحو والصرف[2].

وهذا المصحف:

هو الذي يطبع ويتداول في:

لبنان، والعراق، وتركيا.

وفيما يلي جدول به بعض الأمثلة من الآيات القرآنية التي تتضح فيها الفروق بين هذه الرسوم المختلفة[3].

---

(١) راجع: المصحف الشريف: إصدار الشركة التونسية للتوزيع ـ الطبعة الأولى ١٩٦١م.

(٢) انظر: نتيجة الإملاء وقواعد الترقيم ص ٥.

(٣) هذه الأمثلة روجعت على:

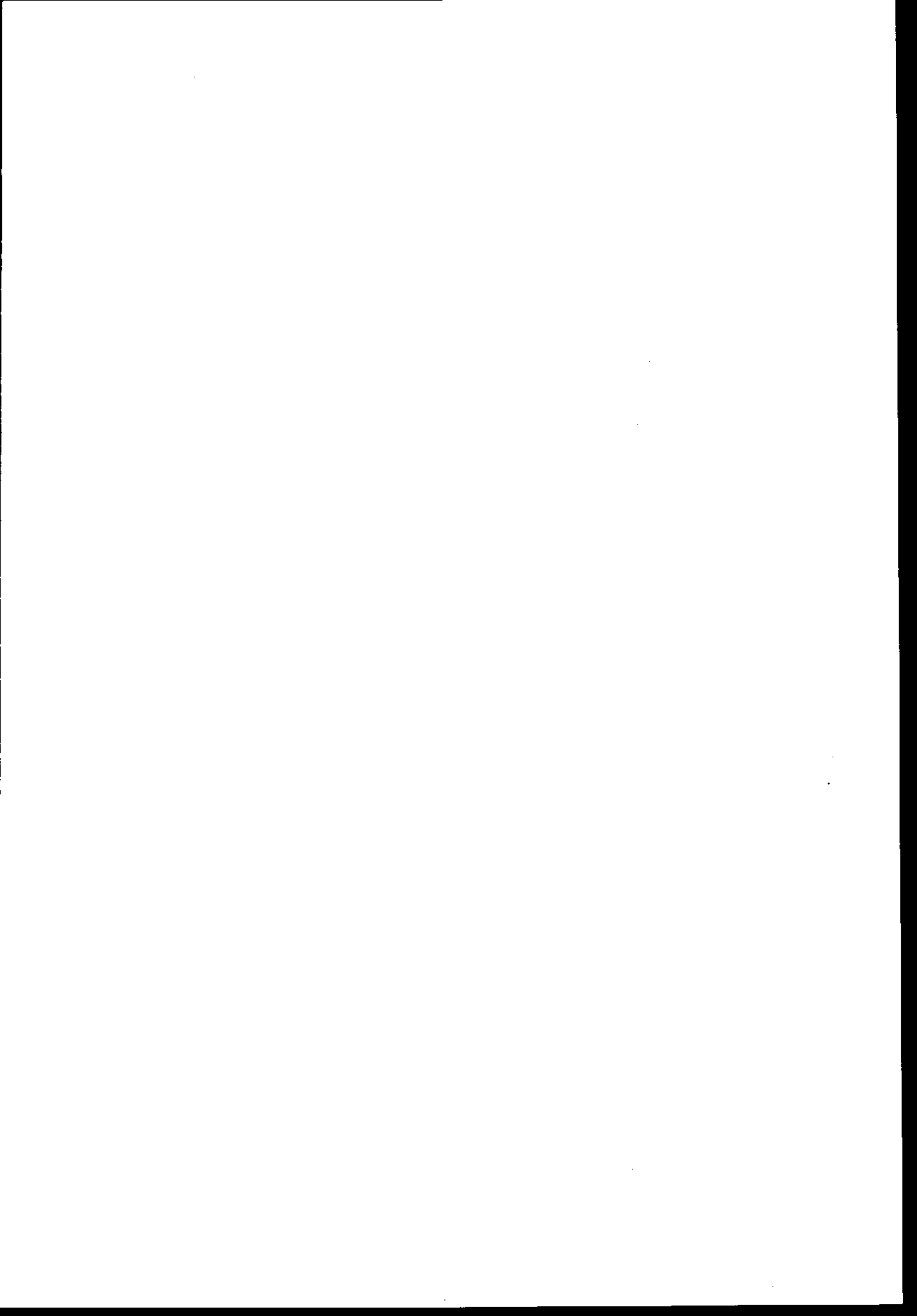
(أ) المصحف الشريف: طبع مغربي: إصدار الشركة المذكورة.

(ب) المصحف الميسر: للشيخ عبد الجليل عيسى.

(جـ) المصحف الشريف: طبع عثماني: نشر شركة الشمرلي.

مسلسل	نوع الاسم	الآيــــة	الفروق: بالنسبة للرسم الإملائي
١	إملائي عثماني مغربي	وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ بنُ اللَّهِ[١] وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ	ابن: كتبت بزيادة الألف. قالت: كتبت «القاف» بنقطة واحدة من فوق. ابن: كتبت بزيادة الألف أيضاً. وكتبت النون ـ وهي آخر الكلمة ـ دون نقط.
٢	إملائي عثماني مغربي	سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونَ[٢] سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونَ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونَ	سأريكم: كتبت بزيادة الواو سأريكم: كتبت بزيادة الواو ـ أيضاً ـ للرسم الإملائي فلا: كتبت الفاء بنقطة واحدة من تحت. تستعجلون: كتبت النون ـ وهي آخر الكلمة ـ دون نقط.
٣	إملائي عثماني مغربي	وإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى[٣] وإِيتَاىءِ ذِي الْقُرْبَى وَإِيتَاىءِ ذِي الْقُرْبَى	إيتاء: كتبت بزيادة الياء. إيتاء: كتبت بزيادة الياء ـ أيضاً. القربى: كتبت القاف بنقطة واحدة من فوق.
٤	إملائي عثماني مغربي	قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ[٤] قُلْ يَتَوَفَّيكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ قُلْ يَتَوَفَّيكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ	يتوفاكم؛ أبدلت الألف ياءً قل: كتبت القاف بنقطة واحدة من فوق يتوفاكم: كتبت الفاء بنقطة واحدة من تحت كما أن الألف فيها أبدلت ياءً.

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٠.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٧.
(٣) سورة النحل، الآية: ٩٠.
(٤) سورة السجدة، الآية: ١١.



الباب الثاني

(نقط المصحف وشكله)

١ ـ الفصل الأول: النقط والشكل قديماً.

المبحث الأول: ماهية النقط والشكل.

المبحث الثاني: النقط والشكل في غير العربية.

المبحث الثالث: النقط والشكل في العهد الجاهلي.

المبحث الرابع: النقط والشكل في عهد الصحابة.

٢ ـ الفصل الثاني: النقط والشكل في المصحف.

المبحث الأول: نقط الإعراب.

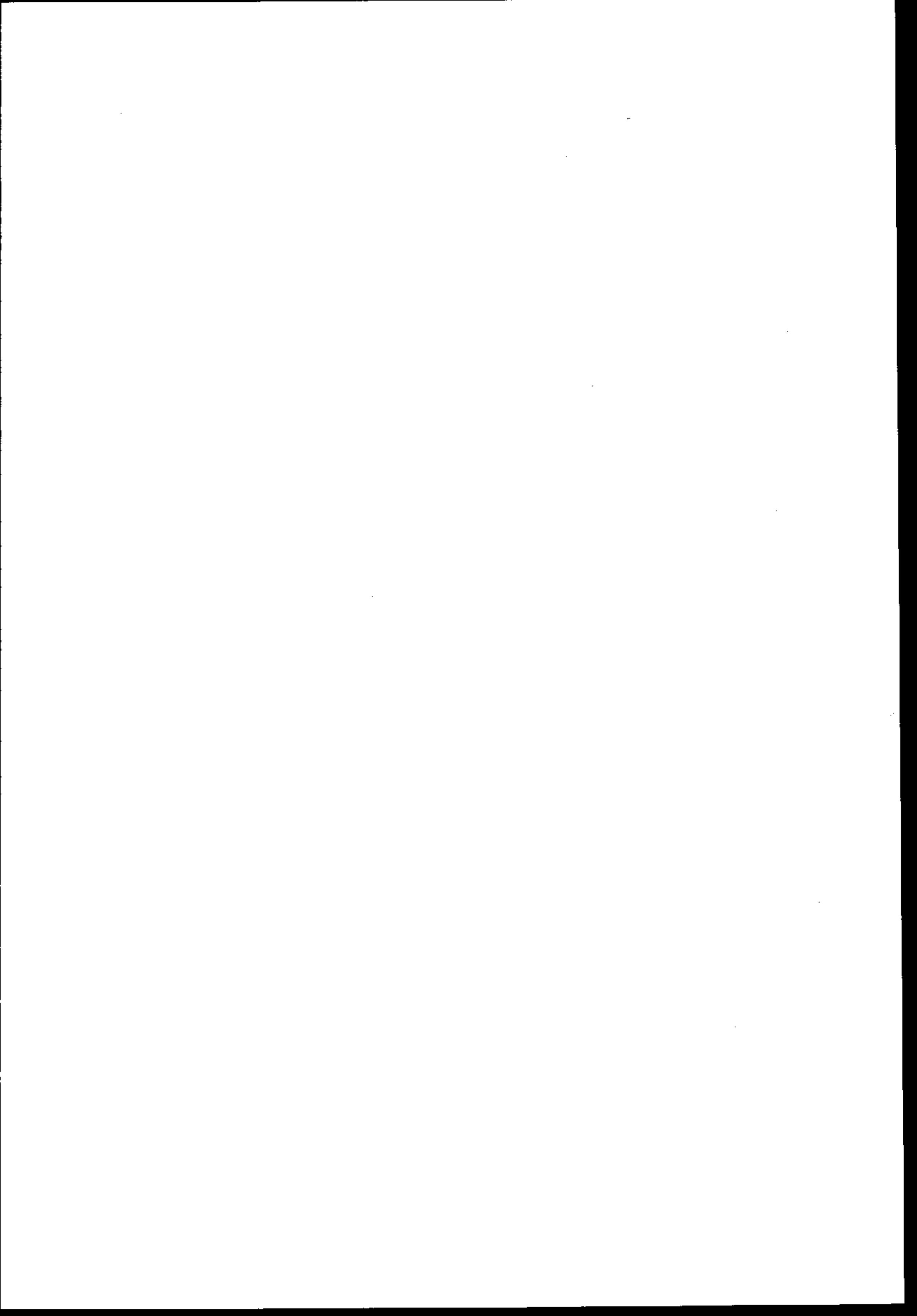
المبحث الثاني: نقط الإعجام.

المبحث الثالث: ألوان النقط والقراءات.

المبحث الرابع: نقط الخليل.

المبحث الخامس: الناس والنقط.

المبحث السادس: تحقيق أول من نقط.



الفصل الأول

النقط والشكل قديماً
(أي: قبل المصحف)

وفيه:

المبحث الأول: ماهية النقط والشكل.

المبحث الثاني: النقط والشكل في غير العربية.

المبحث الثالث: النقط والشكل في العهد الجاهلي.

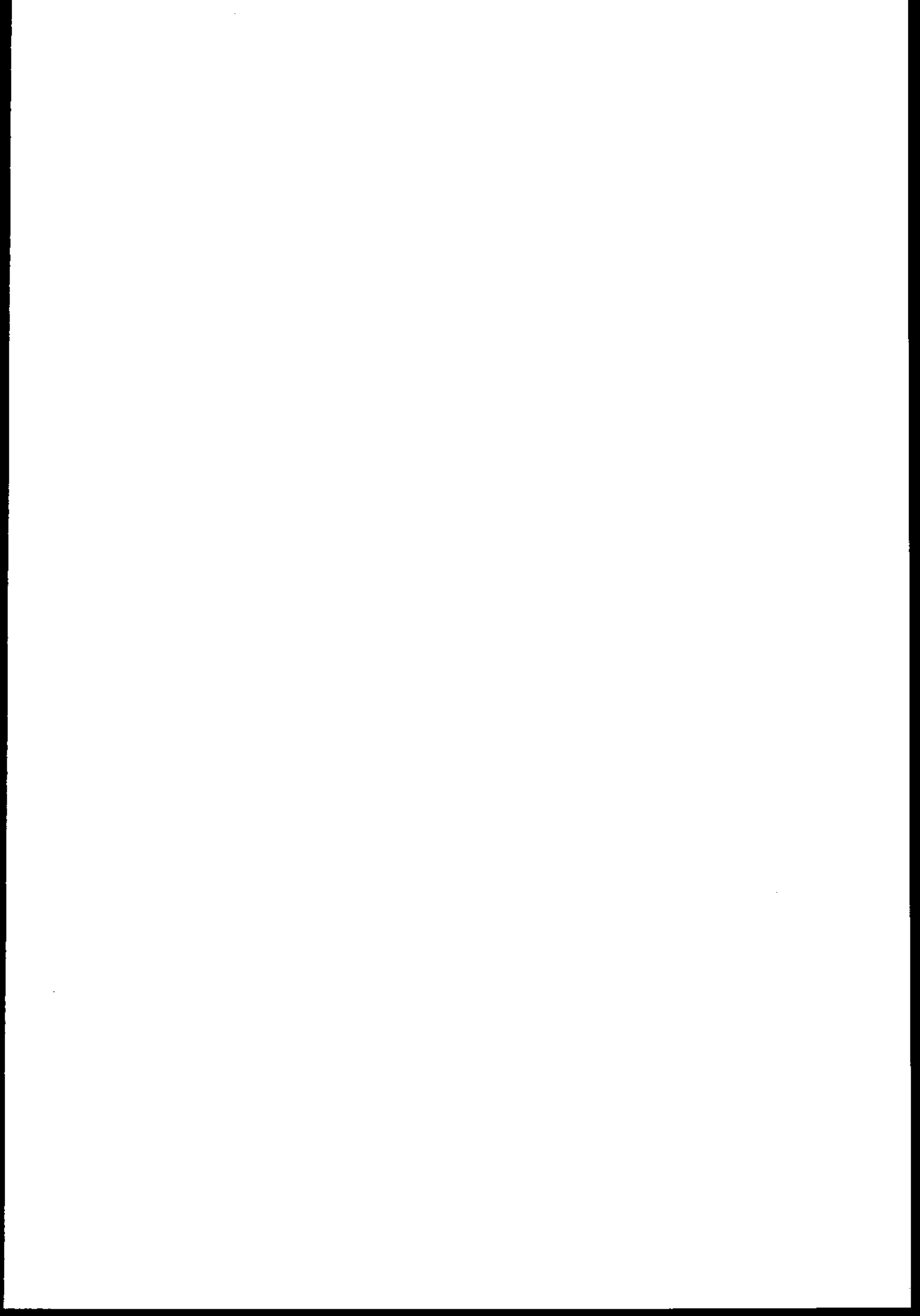
المبحث الرابع: النقط والشكل في عهد الصحابة.

المطلب الأول: كتابتهم لغير القرآن الكريم والنقط.

المطلب الثاني: كتابتهم للقرآن الكريم والنقط.

المطلب الثالث: صفة نقط الصحابة.

المطلب الرابع: سبب تجريدهم للمصحف من النقط والشكل.



المبحث الأول

(ماهية النقط والشكل)

للنقط معنيان:

١ ـ نقط الإعجام:

وهو نقط الحروف في ذواتها، للتفريق بين المشتبه منها في الرسم، كنقط الباء بنقطة واحدة من تحت، ونقط التاء باثنتين من فوق.

وهذا النوع: هو الذي ظل ـ حتى يومنا هذا ـ مستعملاً في النقط، سواء كان في المصحف، أو في غيره، بهذا المعنى نفسه.

٢ ـ نقط الإعراب:

وهو نقط الحركات، إذْ هو نقط الحروف للتفريق بين الحركات المختلفة في اللفظ.

مثل: جعل الفتحة نقطة من فوق الحرف، وجعل الكسرة نقطة من تحت الحرف.

وهذا النوع: وإن كان يختلف عن سابقه في الحقيقة، إلا أنه يتفق معه في التسمية، نظراً لأنه كان في بداية أمره ـ كما سنعرف قريباً ـ صورة نقطة توضع فوق الحرف، أو أسفله، أو بين يديه، أو عن شماله[١].

وهذا النقط نوعان:

(أ) النقط: ويقال له النقط المدور، وسمي كذلك لكونه على صورة

---

(١) انظر: حياة اللغة العربية ص ٦٧.

الإعجام الذي يرسم نقطاً مدورة، وسوف تتضح ملامحه في المرحلة الأولى من مراحل النقط التالية في الفصل التالي.

وهذا النوع هو الذي استعمله النقاط، وأصحاب القراءات لضبط المصاحف، أول الأمر، وهو من وضع أبي الأسود الدؤلي[1].

(ب) الشكل: وهو مرادف ـ من حيث اللغة ـ للإعجام قال صاحب القاموس. «والكتابَ ـ أي وشكل الكتاب ـ أعجمه، كأشكله، كأنه أزال عنه الإشكال»[2].

وسمي بذلك: لأنه يزيل ما في الكلام من إبهام، وإشكال، وهو من وضع الخليل بن أحمد، وقد أخذ أشكاله من الحروف، على ما سنرى.

ومعنى هذين النوعين، ومؤداهما واحد.

يقول أبو بكر بن مجاهد:

«والشكل والنقط: شيء واحد، غير أن الفهم يسرع إلى الشكل أقرب مما يسرع إلى النقط[3]، لاختلاف صورة الشكل[4]، واتفاق صورة النقط[5]، إذ كان النقط كله مدوراً، والشكل فيه: الضم، والكسر، والفتح، والهمز، والتشديد، بعلامات ـ مختلفة، وذلك كله مجتمع في النقط»[6].

---

(١) انظر: مقدمة كتاب المحكم ص ٢٧.
(٢) نقلاً عن مناهل العرفان ١/ ٤٠٠.
(٣) وذلك عند ذكر «الشكل».
(٤) أي عن صورة النقط.
(٥) أي اتفاق صورة نقط الإعراب مع صورة نقط الإعجام.
(٦) المحكم ص ٢٣.

ومما ينبغي أن يلاحظ[1]، أن الفرق بين نقط الإعجام، ونقط الإعراب، لم يتضح في الاستعمال تماماً، إلا بعد أن تمت مراحل نقط المصحف وشكله، كما سيتضح لنا ذلك قريباً.

(١) انظر: المحكم ص ٢١.

المبحث الثاني

(النقط والشكل في غير العربية)

إذا كانت المراجع تسجل وجود النقط بمعنى الشكل الإعرابي في مجموعة اللغات السامية، وتدلل على وجوده في غير العربية، كما سنذكر، فإنه لا يرد فيها ذكر لنقط الإعجام، أو الإشارة لوجوده فيها.

وذلك:

١ ـ حيث يذكر «إسرائيل ولفنسون»:

أن اليهود كانوا قديماً ـ كجميع الأمم السامية ـ لا يكتبون الحركات المعروفة الآن، بل كانت لديهم حروف مجردة عن الحركات، ثم أخذوا يستعملون بعض الحروف كعلامات للحركات، تساعدهم على ضبط النطق، وحفظ الكلمات من التحريف، وكانت الألف، والواو، والياء، هي التي تقوم بهذه الوظيفة؛ فجر ذلك إلى حدوث تغيير في هجاء الكلمات، وزيادة في حروفها، باعدت بينها وبين أصل اشتقاقها.

ولكن بعد أن تشتتوا في أقطار العالم، صارت هذه الحروف لا تكفي لضبط النطق في كل الكلمات، وخشي اليهود أن تنقرض لغتهم بسبب ذلك، فاخترعوا نظام الحركات[1].

٢ ـ بينما يذكر «أبو عمرو الداني»:

أن «السريان» هم أول من وضع الشكل في الكلمات.

---

(١) تاريخ اللغات السامية ص ١٠٣.

وذلك عندما دخلوا في النصرانية، ونقلوا الكتب المقدسة إلى لغتهم، ورأوا أن بعض الناس يلحنون في قراءتها، فخافوا أن ينشأ عن ذلك تحريف في اللفظ، قد يغير المعنى، ويؤدي إلى الكفر والزندقة.

فاخترع الأسقف «يعقوب الرهاوي ٤٦٠م، نقاطاً، كانت ترسم في حشو الحروف، ثم تحولت إلى نقطة مزدوجة، تنوب عن الحركات الثلاث[١].

وهذان النصان: وإن كانا يهدفان إلى تأريخ بداية لاختراع الشكل الإعرابي، والتدليل على وجوده في مجموعة اللغات السامية.

فإننا نرى:

أنه وإن كنا نستدل مما ذكراه على وجود النقط بمعنى الشكل الإعرابي في هذه المجموعة، إلا أن هذا يخالف ما يذهب إليه بعض المؤرخين على النحو التالي:

٣ ـ حيث يذكر «جرجي زيدان»:

أن الأنباط: «الذين أنشأوا دولة عربية قبل القرن الرابع قبل الميلاد، ظلت قائمة إلى أوائل القرن الثاني بعده»[٢]، وكان مقرها في الجنوب الشرقي من فلسطين»[٣].

كانوا يكتبون باللغة الآرامية ـ وهي غير الآرامية المعروفة اليوم ـ التي وجدوها منقوشة على آثارهم، مثل آثار «بطرآ»[٤]، وغيرها من أطلال الأنباط.

---

(١) انظر: مقدمة كتاب المحكم ص ٢٨، تاريخ الخط العربي وآدابه ص ٧٥، اللغة والنحو ص ٢٥٠.

(٢) العرب قبل الإسلام ص ٨٢.

(٣) نفس المرجع ص ٨١.

(٤) مدينة من مدن الأنباط. نفس المرجع ص ٨٣.

وأما لغة الكلام ـ عندهم ـ فكانت عربية.

والاثنتان مرتبطتان بأمهما القديمة، بعلامات تشتركان فيها، دون سائر اللغات السامية، أعنى علامات الإعراب في أواخر الكلمة في بعض الأحوال[١].

٤ ـ وبينما تحظى لغات سامية أخرى، بوجود هذا النقط فيها، منذ القدم القديم.

إذ يذكر الدكتور «محمود حجازي»:

أن اللغة «الأكادية»[٢] ـ وهي من اللغات السامية ـ وصلتنا مكتوبة كتابة مقطعية، أي أن الكلمات تقسم وفق مقاطعها، ولكل مقطع رمز على حدة.

ثم يقول:

ولو تصورنا ـ مثلاً ـ أن الأكاديين، أرادوا كتابة كلمة، قسموها إلى مقاطعها، فكلمة «كلب» تظهر عندهم في أشكال ثلاثة:

الرفع.

النصب.

الجر.

هكذا.

K al - bum
K al - bam
K al - bim

---

(١) نفس المرجع ص ٩٤، ٩٥.

(٢) الأكادية: لغة اكتشفت في العراق، آثارها مكتوبة بالخط المسماري، وهي التي نقلت إلينا حضارة العراق القديم. (اللغة العربية عبر القرون ص ٢٠).

ومعنى ذلك:

إن الأكاديين: كتبوا كتابة كاملة، تدون الحركات، كما تدون السواكن، أي تدون: الفتحة، والكسرة، والضمة، كما تدون: الطاء، واللام، والنون، وكل هذا في نفس الخط، ونفس السطر، لا فوقه ولا تحته، فالرمز المقطعي يدل على مقطع كامل:

K al : bum - bam - bim.

ولهذا أهمية كبرى في معرفة طبيعة اللغة، فمعظم الأسماء «الأكادية»[1]، وصلتنا في النقوش «المسمارية»، في ثلاث صور، إحداها بحركة هي الضم، والثاني بحركة هي الفتح، والثالثة بحركة هي الكسر.

ومعنى هذا بتتبع سياق هذه الحالات الثلاث: وجود نهايات إعرابية في «الأكادية، على النحو الثلاثي الذي تعرف العربية.

فالإعراب إذاً في «الأكادية» و«العربية» أقدم من سنة ٢٥٠٠ق.م. وعمره حتى الآن، أكثر من خمسة وأربعين قرناً[2].

من هذا يتبين:

أن النقط بمعنى «الشكل الإعرابي»، يوجد في مجموعة اللغات السامية ـ التي منها العربية ـ منذ القديم، والقديم جداً.

وأن اللغات تتأثر ببعضها البعض، فتأخذ هذه من تلك، وتقبس تلك من هذه.

---

(١) الأكادية، والآرامية، والسريانية، والعبرية، والعربية... إلخ من مجموعة «اللغات السامية» (انظر: اللغة العربية عبر القرون ص ١٦، ١٧).

(٢) اللغة العربية عبر القرون ص ٢٥.

خاصة: وأن اليهود على رأي و«الفنسون»، قد اختلطوا اختلاطاً كبيراً بالعرب، حتى كان لهم تأثير لا يستهان به في تكوين اللغة العربية الشمالية[١].

وكما يذكر جرجي زيدان: أن اللغة «العربية» التي كان يتكلمها النبط، أثرت في لغتهم «الآرامية»، التي كانوا يكتبون بها[٢].

وبهذا، وذاك: ندرك يقينا، وجود النقط بمعنى الشكل الإعرابي في غير اللغة العربية.

هذا: وقد خلت المراجع من الحديث عن النقط بمعنى الإعجام في غير العربية ـ كما قدمنا في هذا المبحث ـ لأن ذلك خاص بحروف العربية فقط، وأيضاً فهو من وضع العرب أنفسهم، كما سيتبين لنا في المبحث التالي.

---

(١) تاريخ اللغات السامية ص ١٠٣.

(٢) العرب قبل الإسلام ص ٩٤، ٩٥.

المبحث الثالث

(النقط والشكل في العهد الجاهلي)

بينما تؤكد المراجع[1] وجود نقط الإعجام في الكتابة العربية قبل نقط المصحف، مستبعدين أن تكون الحروف العربية مع تشابه صورها ظلت عريّة عن النقط والشكل إلى حين نقط المصاحف. . !!

نجد الاختلاف بين بعضها البعض في تحديد أول من وضع نقط الإعجام.

إذْ يروي السجستاني رواية عن ابن عباس قال فيها: «أول من كتب بالعربية، ثلاثة رجال من بولان ـ وهي قبيلة ـ سكنوا الأنبار، وأنهم اجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطعة، وموصولة، وهم: مرامر بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة:

فأما مرامر: فوضع الصور. (أي صور الكلمات).

وأما أسلم: ففصل، ووصل.

وأما عامر: فوضع الإعجام[2].

ثم نجد أن أبا عمرو الداني يروي عن هشام الكلبي أنه قال: أسلم بن خدرة، أول من وضع الإعجام والنقط[3].

---

(١) المصاحف: لأبي داود السجستاني ص ٤٩، ١١٧.
المحكم: لأبي عمرو الداني ص ٣٥، كشف الظنون: ١/ ٤٦٧، صبح الأعشى: للقلقشندي ٣/ ١٥١.

(٢) المصاحف ص ٤٩، ١١٧.

(٣) المحكم ص ٣٥.

وهؤلاء الثلاثة: -

مرامر بن مرة.

وأسلم بن سدرة.

وعامر بن خدرة.

هم الذين ينسب إليهم ابتكار الخط العربي، طبقاً للنظرية «الحيرية»[1].

والخلاف الواضح بين الروايتين في نسبة الإعجام والنقط، هو خلاف طفيف، ومرده - فيما نرى - إلى تشابه هذه الأسماء، وسهولة الوقوع في الخلط بينها، ولا ينهض هذا الخلاف على منعنا من الاستدلال على أن النقط من وضع هذه الطائفة التي ينسب إليها ابتكار الخط العربي، وقد وضعوه مع وضع الحروف نفسها أول الأمر، ومن المعقول أن يكون كذلك، صحت هذه النظرية، أم غيرها.

بهذا ندرك أن بداية تاريخ النقط مواكبة لتاريخ وضع الخط العربي.

يؤكد ذلك أننا نجد للباء والتاء والثاء مع اختلافها في النطق صورة واحدة، وكذلك للجيم والحاء والخاء، وللدال والذال، وهلم جرا.

ويبعد كل البعد أن تكون الحروف موضوعة في أول أمرها على هذا اللبس المنافي لحكمة الواضعين، الذاهب بحسن المخترعين[2].

ونود أن ننبه إلى أن الدقة في تعيين أول من وضع النقط لا تهمنا بقدر ما يعنينا التدليل على وجود النقط قبل نقط المصحف، بل قبل الإسلام في هذا المبحث بالذات.

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري القسم الخامس ص ٦٥٩، قصة الكتابة العربية ص ١٣، ١٤.

(٢) حياة اللغة العربية حفني ناصف ص ٨٨.

ومع وجود النقط قبل الإسلام واشتهار أمره، لم يكن يستعمل بكثرة ـ أو يكاد أن يكون متروكاً ـ للأسباب التالية: ـ

أولاً: أن العرب كانوا ينطقون بالكلمات طبق أوضاعها، وما يراد فيها من المعاني، من غير حاجة إلى ما يدل على بنية الكلمة وإعرابها؛ لما هو متأصل في نفوسهم من سليقة الفصاحة والبلاغة والإعراب.

ولذا كانوا يعدون نقط الكلام وشكله ـ حتى بعد أن اشتهر ذلك وكثر استعماله ـ سوء ظن بالمكتوب إليه.

ومن طريف ما يذكر لتصوير هذا السبب، قول الشاعر في كاتب نقط كتاباً أرسله إليه وشكله[1]:

يا كاتباً كتب الغداة يسبني	من ذا يطيق يراعة الكتاب
لم ترض بالإعجام حين كتبته	حتى شكلت عليه بالإعراب
أحسست سوء الفهم حين فعلته	أم لم تثق بي في قراة كتاب
لو كنت قطعت الحروف فهمتها	من غير وصلكهن بالأنساب

وثانياً: أن أدوات الكتابة ـ التي كانت تستعمل حينها ـ كانت تجعل في النقط من المشقة والصعوبة الفنية ما فيه؛ ذلك أنها ـ كما نعرف ـ كانت قطعاً من الحجارة والجلد، والعظم... إلخ.

فضلاً عن أن الذي كان يكتب ـ وقتها ـ سطوراً قلائل، لا تغيب معرفتها عن سلامة سليقتهم، وصفاء قرائحهم، وتوقد أذهانهم[2].

ثالثاً: ويمكن أن يقال: إن عدم الاستعمال نجم عن التساهل

---

(١) قصة الكتابة العربية ص ٥٤.

(٢) مصادر الشعر الجاهلي ص ٤٠.

والتناسي؛ وذلك لعدم استعمالهم للكتابة بكثرة تعمل على حفظ النقط من النسيان[1].

وبعد هذا كله: نجد أنه لا ينازع ما أثبته البحث سوى ما يعترض به المانعون لذلك، بقولهم: «إن النقوش الجاهلية التي تم العثور عليها وجدت خالية من النقط والشكل.

وقد كفانا الدكتور ناصر الدين الأسد مهمة الرد على هذا الاعتراض بقوله: ـ

إن جميع ما عثر عليه من نقوش الكتابة في الجاهلية، كان نقوشاً على الحجر والصخر، وكان ـ أيضاً ـ سطوراً قلائل، بل كلمات معدودات، على الرق أو البردى.

وربما كان عدم نقطها ناجماً عن اطمئنان الكاتب إلى أن كلماته هذه المنقوشة في نجاة من التحريف والتصحيف والخلط في القراءة، لأنها: أسماء أعلام وسنوات وكلمات ـ بينهم ـ من اليسير معرفتها.

وربما كان ـ أيضاً ـ مما يسوغ لهم إهمال النقط ـ فوق ذلك ـ صعوبة فنية، ومشقة عملية في النقش[2].

وغير خاف ـ بعد هذا كله ـ أنه إذا كانت هذه الأسباب مجتمعة، أو منفردة هي التي منعت من استعمال نقط الإعجام بعد وضعه مع الحروف أول الأمر، فلا مانع أن تكون هذه الأسباب نفسها هي التي منعت من استعمال النقط الإعرابي الذي هو أقدم ميلاداً ووجوداً من نقط الإعجام.

---

(١) حياة اللغة العربية ص ٨٩.

(٢) مصادر الشعر الجاهلي ص ٤٠.

المبحث الرابع

(النقط والشكل في عهد الصحابة)

المطلب الأول:

«كتابتهم لغير القرآن الكريم والنقط».

وصل البحث بنا فيما تقدم من هذا الفصل إلى أن الخط العربي اشتهر أمر نقطه وشكله في العرب، ولكن قلّ بل ندر استعماله في كتاباتهم للأسباب السالفة.

حتى كان عهد الرسول ﷺ وأصحابه، فماذا كان من أمر النقط والشكل في كتاباتهم؟

والمعروف أنه كان يُكتب في هذا الحين القرآن وغيره[1]، فلنبحث في هذا المطلب أمر النقط والشكل في كتاباتهم لغير القرآن الكريم.

الواقع أن الصحابة كانت لهم كتاباتهم المتعددة وكانت هذه الكتابات خالية من النقط والشكل ـ كما عرفنا ـ، غير أن البحث كشف عن وجود كتابات لهم بها بعض النقط والشكل، مما يدلنا على أنهم كانوا يعرفونه معرفة يقينية، وعملية، وهي وإن كانت قليلة حتى الآن إلا أنها تسجل وجوده، وتشير إلى حقيقة معرفتهم له.

ومن هذه الكتابات التي وجدها المنقّبون والباحثون عن الآثار: ـ

١ ـ وثيقة بردية ـ وهي خطاب صادر من أحد عمال عمرو بن العاص

(١) انظر كتّاب رسول الله ﷺ من هذه الرسالة.

على «اهناسية» في مصر - يرجع تاريخها إلى سنة ٢٢هـ - ٦٤١م - أي في عهد عمر بن الخطاب، وقد وجدت مكتوبة باللغتين العربية واليونانية، وفيها حروف: الخاء، الذال، الشين، النون، في هذه البردية، منقوطة[١].

٢ - نقشاً بقرب الطائف مؤرخ في ٥٨هـ ٦٧٦م - أي في عهد معاوية بن أبي سفيان، وأكثر حروفه التي تحتاج إلى نقط، منقوطة، ومعجمة(١).

ونلاحظ أنه في الوثيقة البردية التصريح بنقط الإعجام فقط، بينما التصريح في نقش الطائف عن نقط الإعراب ونقط الإعجام.

٣ - عثر على كتابات قديمة محررة قبل خلافة عبد الملك، فيها إعجام بعض الحروف، كالباء، وما يشبهها[٢].

من هذا يتبين لنا أن النقط كان موجوداً ومعروفاً لدى الصحابة، وكان الكتَّاب آنذاك منهم من لا ينقط لنفس الأسباب العامة، ومنهم من ينقط غير متأثر بهذه الموانع، أو لأسباب خاصة تدفعه لأن ينقط، ولعلها حكمة الله في حفظه لكتابه العزيز، تدخلت فجعلت هذا الفريق يخالف القاعدة العريضة وهي عدم النقط، حتى تكون هذه المخالفات دليلاً لنا نحاجج به من يدعي جهل الصحابة بالخط، وعدم الإجادة في كتابة الوحي.

ولما كان هذا حالهم في كتاباتهم العادية، فما هو الحال عند كتابة القرآن الكريم. . . ؟

المطلب الثاني: «كتابتهم للقرآن الكريم والنقط».

وحين نجيء إلى ساحة القرآن الكريم وكتابته، نجد الأمر يقارب ما هم عليه في الكتابات الأخرى.

---

(١) انظر: مصادر الشعر الجاهلي ص ٤٠، قصة الكتابة العربية ص ٢٦.

(٢) حياة اللغة العربية ٨٩.

فالقاعدة العريضة: أن لا تنقط الكتابة أو تشكل.

ولكن وجد بينهم من خالف هذه القاعدة العريضة، وكان ينقط كتابته للقرآن الكريم، مما حدا ببعض الصحابة رضوان الله عليهم إلى التحدث في هذا الموضوع، وإعلان كراهيتهم ذلك للناس...

(أ) ففي المحكم: أن ابن عمر كان يكره نقط المصاحف[1].

(ب) وفي الفائق للزمخشري: أن ابن مسعود قال: «جردوا القرآن[2]، ليربو فيه صغيركم، ولا ينأى عنه كبيركم، فإن الشيطان يخرج من بيت تقرأ فيه سورة البقرة».

يقول الزمخشري في شرح قول ابن مسعود هذا:

«أنه أراد تجريد المصحف من النقط، والفواتح، والعشور، لئلا ينشأ نشء فيه يرى أنها من القرآن»[3].

(جـ) وفي المحكم ـ كذلك ـ «سمعت قتادة يقول: بدؤوا فنقطوا، ثم خمسوا، ثم عشروا...».

قال الداني: هذا يدل على أن الصحابة، وأكابر التابعين، رضوان الله عليهم، هم المبتدؤون بالنقط، ورسم الخموس والعشور؛ لأن حكاية قتادة لا تكون إلا عنهم، إذْ هو من التابعين.

ثم يقول:

«وقوله ـ أي قتادة ـ بدؤوا... إلخ.

---

(١) ص ١٠.
(٢) وانظر أيضاً: المصاحف ص ١٣٩.
(٣) الفائق ١/١٨٦.

دليل على أن ذلك كان عن اتفاق من جماعتهم، وما اتفقوا عليه، أو أكثرهم، فلا شكول في صحته، ولا حرج في استعماله.

وإنما أخلى الصدر منهم المصاحف من ذلك، ومن الشكل، حيث أرادوا الدلالة على بقاء السعة في اللغات، والفسحة في القراءات، التي أذن الله تعالى في الأخذ بها، والقراءة بما شاء منها؛ فكان الأمر على ذلك، إلى أن حدث في الناس، ما أوجب نقطها وشكلها»[1].

وفي هذه النصوص الثلاثة:

نجد الأمر واضحاً، وجلياً بالنسبة لمعرفة الصحابة رضوان الله عليهم للنقط، بل استعمالهم له كذلك.

ولكنه لم يكن عن اتفاق من جماعتهم ـ كما يذكر الداني ـ بل كان في نطاق ضيق، واستعمال محدود، ومحكوم عليه بينهم بالكراهة، بل مطالبون بتركه، وتجريد القرآن والمصاحف منه.

اعتراض لحفني ناصف:

ولئن كان الأمر بتجريد المصاحف من النقط والشكل، يعد ـ في رأينا ـ بناءً على ما سبق، دليلاً على معرفة الصحابة له، بل استعمال البعض منهم ذلك في مصاحفهم.

فإن الأستاذ حفني ناصف: يرى غير ذلك.

حيث يقول:

«لا يصح الاستدلال بذلك على أن نقط الإعجام والشكل كان موجوداً في عهد الصحابة.

---

(١) المحكم ص ٢، ٣.

إذ أن النقط الذي كان في زمنهم، وأمروا بالتجريد منه ـ لم يكن نقط الإعجام أو الشكل بل ـ كان عبارة عن علامات خاصة باللغات التي نزل بها القرآن الكريم، والتي كان الصحابة يقرؤون بها، وقد كانت الصحف المودعة عند حفصة، رضي الله عنها، مبينة فيها هذه اللغات الأخرى، التي نزل بها القرآن غير لغة قريش، بنقط للحروف اصطلحوا على وضعها».

ثم يقول: وقد أمر عثمان، رضي الله عنه، الكتبة أن يجردوا القرآن من هذه النقط ويكتبوه على لغة قريش ففعلوا[1].

وقد تابعه في هذا الرأي الأستاذ أبو عبد الله الزنجاني[2].

وجوابنا على هذا الاعتراض:

أننا نكرر القول: بأن الأمر بتجريد المصاحف ـ على النحو السابق ـ من النقط والشكل، دليل على وجوده، ومعرفة الصحابة له، وأن الذي أمروا بتجريد المصاحف منه كان نقط الإعجام والإعراب، وليس ما يزعمه حفني ناصف.

والدليل على ذلك:

أولاً: أن اللغات السبعة التي نزل عليها القرآن، في أشهر تعريفاتها، سواء كان عند ابن قتيبة[3]، أو عند الطبري، لا يمكن أن تبين هذه اللغات، على أي من هذين التعريفين بنقط للحروف يصطلحون هم ـ الصحابة ـ أو غيرهم عليها، كما يرى ذلك.

---

(١) حياة اللغة العربية ص ٨٨، ٨٩.

(٢) انظر: تاريخ القرآن ص ٦٧.

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن ص ٣٦ وما بعدها. (بتصرف يسير).

وبيان ذلك:

أن ابن قتيبة يصور لنا رأيه في الأحرف السبعة بقوله[1]:

وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة:

١ ـ الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها، بما لا يزيلها عن صورتها في الكتابة، ولا يغير معناها، كقوله تعالى: ﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾[2] بالرفع، وبالنصب.

٢ ـ الإختلاف في إعراب الكلمة، وحركات بنائها، بما يغير معناها، ولا يزيل صورتها في الكتابة: كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[3]، وقراءة ﴿رَبَّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أسْفَارِنَا﴾.

٣ ـ الإختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها، ولا يزيل صورتها، كقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾[4] وقراءة ننشرها.

٤ ـ الإختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتابة ولا يغير معناها كقوله تعالى: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾[5] وقراءة (إلا زقية).

٥ ـ الإختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها، نحو قوله تعالى: ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩ ﴾[6] مع قراءة (وطلع منضود).

٦ ـ الاختلاف بالتقديم والتأخير؛ نحو قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ

---

(١) المرجع السابق.
(٢) سورة هود، الآية: ٧٨.
(٣) سورة سبأ، الآية: ١٩.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.
(٥) سورة يسٓ، الآية: ٢٩.
(٦) سورة الواقعة، الآية: ٢٩.

﴿ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾[1] مع قراءة (وجاءت سكرة الحق بالموت).

٧ ـ الاختلاف بالزيادة والنقصان: نحو قوله تعالى: ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾[2] وقراءة «نعجة أنثى».

وذهب الطبري:

«إلى أن الأحرف السبعة: هي سبع لغات، أو سبعة ألسن من بين ألسن العرب، التي يعجز عن إحصائها.

وأن هذه الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن، هي في حرف واحد، وكلمة واحدة، باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، كقول القائل: هلم، وأقبل، وتعال، وإليَّ، وقصدي، ونحوي، وقربي، ونحو ذلك مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق، وتتفق فيه المعاني، وإن اختلفت بالبيان به الألسن»[3].

وعلى هذين التعريفين للأحرف السبعة نرى أنه لا يمكن بيان هذه الأحرف بطريق النقط كما يدعي الأستاذ حفني ناصف، ولا يمنع من ذلك أنه يمكن بيان بعض الأوجه التي عدها ابن قتيبة بهذا النقط، حيث إن ذلك ـ إن أمكن في جزء ـ لا يمكن في الكل، وحكمه في هذه الحالة لا يصدق إلا إذا أمكن في الجميع، وهو لا يمكن كما تبين.

ثانياً: أن ما نسبه الأستاذ حفني ناصف إلى عثمان، رضي الله عنه، من أنه أمر الكتبة أن يجردوا القرآن من هذه النقط، التي كانت موجودة بصحف حفصة.

---

(١) سورة قَ، الآية: ١٩.

(٢) سورة صَ، الآية: ٧٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١/ ٤٦، ٤٧، ٥٧، ٥٨ (بتصرف يسير).

دعوى من شقين، بدون دليل على أيّ منهما.

الشق الأول: إدعاؤه أن الصحف التي كانت عند حفصة، كان مبيناً فيها بطريق النقط هذه اللغات.

الشق الثاني: إدعاؤه أن عثمان رضي الله عنه أمر بتجريدها من ذلك عند كتابته للقرآن في المصاحف العثمانية.

وما دامت الدعوى بدون دليل فهي غير مقبولة حتى تثبت بالدليل، وما دام الدليل على عكسها صحيحاً ـ وهو ما نفعله الآن ـ فقد أصبحت مرفوضة.

وفضلاً عن ذلك فالذي يراه بعض الباحثين ـ وإني أميل إلى رأيهم ـ أن بيان الأحرف السبعة في صحف حفصة، كانت بكتابة هذه الأحرف المتخالفة كلماتها في الرسم: أحدها بالأصل، وما يخالفه تحته، أو فوقه، أو بهامش الآية[1]. وهو ما يناسب ما تقدم في معنى الأحرف السبعة.

ثالثاً: أنه ثبت بالتحقيق العلمي، أن نقط الصحابة، لم يكن على هذه الصفة التي يدعيها الأستاذ ناصف، حيث لم يدع ـ بل لم يشر أحد إلى ـ ذلك، كما ثبت أنه كان يخالف نقط أبي الأسود وأتباعه، كما سيتبين لنا ذلك في المطلب التالي.

رابعاً: لعل الذي أوقع الأستاذ ناصف في هذا الفهم هو ما تشير إليه بعض المراجع من أن البعض كان يجمع القراءات في مصحف واحد بطريق النقط.

وقد بينا ذلك في الفصل الثاني من هذا الباب تحت عنوان «جمع القراءات بطريق الألوان في مصحف واحد».

---

(١) انظر: جمع القرآن ص ٥٦، ٥٧ للشيخ محمد فريد العبادي.

ويجب أن يعلم جيداً أن ذلك كان بعد انقضاء عهد الصحابة، واختراع أبي الأسود للنقط.

وبهذا كله: تبقى معرفة الصحابة للنقط والشكل كما أسلفنا حقيقية وثابتة.

المطلب الثالث: «صفة نقط الصحابة».

توصل بنا البحث ـ كما رأينا ـ إلى إثبات معرفة الصحابة للنقط والشكل.

فهل كان النقط الموجود عندهم، يطابق نقط أبي الأسود الذي سوف نعرفه في الفصل التالي...؟

وإذا كان يخالفه فما صفته...؟

أولاً:

كان النقط لدى الصحابة يخالف نقط أبي الأسود وأصحابه؛ لأنه لما وضع النقط في البصرة ـ على ما سيأتي تفصيله ـ ترك الناس ما هم عليه من نقط، واتبعوا نقط البصريين.

إذ يقول أبو عمرو الداني:

«والنقط لأهل البصرة، أخذه الناس كلهم عنهم، حتى أهل المدينة، وكانوا ينقطون على غير هذا النقط، فتركوه، ونقطوا نقط أهل البصرة»[١].

«وأن أهل مكة: كانوا على غير هذا النقط ـ نقط البصريين ـ فتركوا نقطهم، واتبعوا طريقة أهل البصرة»[٢].

---

(١) المحكم ص ٧.

(٢) نفس المرجع ص ٨، ٩.

ثانياً:

لم يحفظ لنا التاريخ وصفاً دقيقاً، أو غير دقيق، لنقط الصحابة الذي كانوا يستعملونه.

ولعل السبب في ذلك: أنهم «لم يضعوا ـ كما يقول الدكتور عزة حسن ـ للنقط طريقة خاصة اتبعوها حين بدؤوا بنقط المصاحف، ولم يجعلوا النقط نظاماً يشمل ألفاظ القرآن جميعاً، بل كان عملهم ـ في هذا الشأن ـ محاولات تيسيرية فحسب، فيما يبدو»[1]، وعلى هذا: فلم يكن له صفة التنظيم، ولا الشيوع، حتى يكتب لها التسجيل، ولنماذجها البقاء.

وإن كان يمكن لنا أن نقول:

لعلهم كانوا يصورون الحركات حروفاً، فيصورون الفتحة ألفاً، والكسرة ياءً، والضمة واواً، حتى تدل هذه الأحرف الثلاثة على ما تدل عليه الحركات الثلاث من الفتح، والكسر، والضم.

وذلك حسب ما كانت عليه العرب في هذا الخصوص[2].

المطلب الرابع: «سبب تجريدهم للمصاحف منه».

يقول ابن الجزري:

«وجردت المصاحف العثمانية جميعها من النقط والشكل؛ ليحتمل رسمها ما صح نقله، وثبت تلاوته عن النبي ﷺ ـ إذْ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط ـ وكان من جملة الأحرف السبعة»[3].

---

(١) مقدمة كتاب الحكم ص ٣٠.

(٢) انظر: المحكم ص ١٧٦.

(٣) النشر ١/٧.

ومعنى ذلك: أن الصحابة، رضوان الله عليهم، راعوا في ترك النقط والشكل عند كتابة القرآن الكريم ـ فوق الأسباب العامة السابقة ـ راعوا أن تكون «دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين، المنقولين، المسموعين، المتلوين، شبيهة بدلالة اللفظ الواحد، على كلا المعنيين، المعقولين، المفهومين»[1].

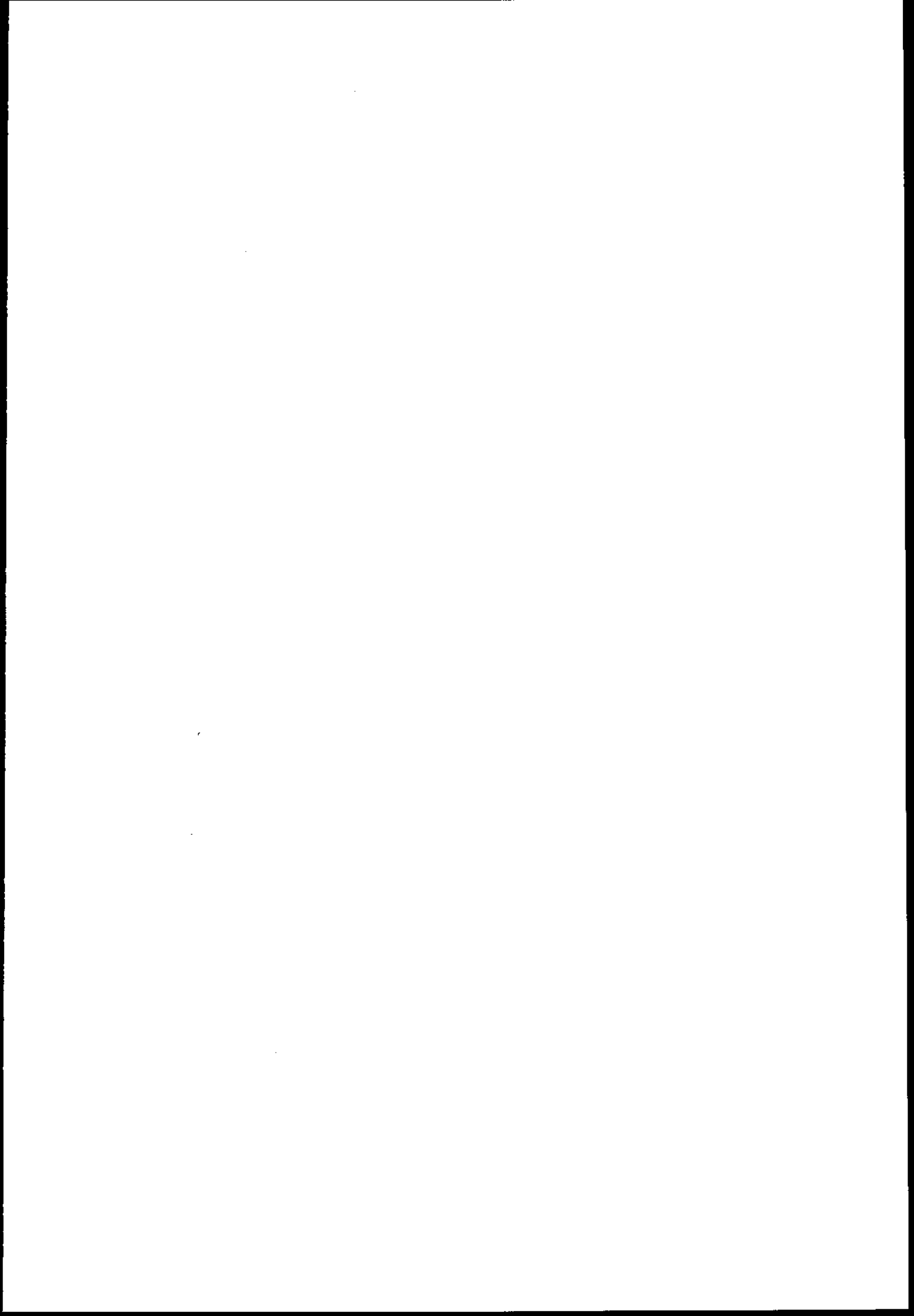
فيقرأ نحو قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ﴾[2] بالياء والنون[3]، وهذا مثال لتجريدها من نقط الإعجام.

ويقرأ نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ﴾[4] بخفض «الميم» من «قوم»، ونصبها[5].

وليس في تجريد الصحابة للمصاحف من النقط والشكل بهذا الشكل، ترك العنان «للقارىء نفسه، ينقط ويشكل هذا النص ـ أو ذاك ـ على مقتضى معاني الآيات، حسب تأويله للآية[6]، كما يزعم أرثر جفري، وأمثاله[7].

---

(١) النشر ١/ ٣٣.
(٢) سورة النساء، الآية: ٧٤.
(٣) انظر: إتحاف فضلا البشر ٢٢٨.
(٤) سورة الذاريات، الآية: ٤٦.
(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر ٤٩١.
(٦) انظر: مقدمة كتاب المصاحف ص ٧.
(٧) وانظر للرد عليهم بتوسع في هذا: (رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات)، (القراءات في نظر المستشرقين والملحدين).



الفصل الثاني

(النقط والشكل في المصحف)

وفيه:

المبحث الأول: نقط الإعراب (وهي المرحلة الأولى).

المطلب الأول: السبب.

المطلب الثاني: طريقة النقط.

المطلب الثالث: نسبة النقط لأبي الأسود.

المطلب الرابع: تعميم نقط الإعراب.

المبحث الثاني: نقط الإعجام (وهو المرحلة الثانية).

المطلب الأول: السبب.

المطلب الثاني: طريقة النقط.

المبحث الثالث: ألوان النقط، والقراءات.

المطلب الأول: ألوان النقط.

المطلب الثاني: النقط والقراءات.

المطلب الثالث: جمع القراءات في مصحف واحد بطريق النقط.

المبحث الرابع: نقط الخليل (وهو المرحلة الثالثة).

المطلب الأول: السبب.

المطلب الثاني: الطريقة.

المبحث الخامس: الناس والنقط.

المطلب الأول: مدى اتباع الناس للنقط.

المطلب الثاني: التأليف في النقط.

المبحث السادس: تحقيق أول من نقط.

المبحث الأول

المرحلة الأولى

(نقط الإعراب)

المطلب الأول: السبب.

مضى الصدر الأول من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ واللحن لا يلامس عربيتهم[1]، ولا يقارب ساحة القرآن على ألسنتهم، و ـ أيضاً ـ فكرة كراهة نقط المصحف وشكله متمكنة فيهم، منذ أن قال الصحابي الجليل: عبد الله بن مسعود: «جردوا القرآن، ولا تخلطوه بشيء»[2]، حتى كثرت الفتوحات، واختلط العرب بالعجم، وأصبحت العربية عربيتين، فصيحة نقية، يصطنعها العرب الخلص، ومحرفة، مشوبة، يصطنعها المستعربون في الحياة العامة، كل على مقدار ما تيسر له، وإذا كانت لغة الجيل المقبل من أبناء المستعربين خيراً من لغة الجيل الذاهب، لأنه كان يصطنع العربية ابتداءً قبل أن ينال العوج من لسانه، فإن لغة الجيل المقبل من العرب كانت شراً من لغة الجيل الذَّاهب، لأنه لا يسمع الفصيحة وحدها، ولكن يسمع معها ألواناً

---

(١) لا يناهض هذا الحكم بعض الأمثلة القليلة التي تحكي لحن بعض الناس فيها (انظر البيان والتبيين ٢/٢١٧، مراتب النحويين ٦).

(٢) انظر: المحكم: لأبي عمرو الداني ص ١٠، الفائق للزمخشري ١/١٨٦، مناهل العرفان ١/٤٠١.

من رطانات شتى[1]. ومع هذا الجيل الجديد أخذ اللحن ينتشر، وأخذ الفساد يتطرق إلى عربيتهم، وفصاحتهم، وأخذ يستفحل على الأيام، حتى خيف أن يتطرق إلى القرآن الكريم، كما تطرق إليها، وأن يغير من ترتيله كما غير من أدائها[2].

وإذا كان اللحن قد عدى على ألسنة أبناء الحكام[3]، فما هو الحال بأبناء العوام؟ ولذا سارع زياد بن أبيه إلى أبي الأسود الدؤلي قائلاً: «يا أبا الأسود: إن هذه الحمراء قد كثرت، وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعتَ شيئاً يصلح به الناس كلامهم، ويعربون كتاب الله تعالى»[4].

ولم يكن من السهل أن يسارع أبو الأسود ـ الرجل الأريب ـ في إجابة هذا الطلب الذي يتعلق بكتاب الله تعالى ـ لا لنقص في كفاءته، ولا لتخاذل في همته ـ إذ دفعه ورعه، ونزاهته، وتقواه: إلى التريث، والأناة، أمام هذا الأمر الذي لم يفعله الصحابة، وهم أحرص الناس على كتاب الله تعالى، وصيانته، بل فوق ذلك كرهوه، ونهوا ـ وامتنعوا بالفعل ـ عنه، ولهذا كان قراره ـ بعد التفكير والبحث ـ الرفض لمطلب زياد.

وهو فيما أرى أنسب ـ في تعليل امتناع أبي الأسود من القبول ـ أول الأمر ـ من تعليل الأستاذ حفني ناصف الذي يرى أن أبا الأسود كان ضنيناً بما تلقاه عن علي كرم الله وجهه، ومن جهة أخرى كان قد ضعف نشاطه بعزله

---

(١) أبو الأسود الدؤلي ١٤١.

(٢) أبو الأسود الدؤلي ١٤٢.

(٣) يروى: أن معاوية كتب إلى زياد يطلب عبيد الله ابنه، فلما قدم عليه كَلَّمَهُ، فوجده يلحن، فرده إلى زياد، وكتب إليه كتاباً يلومه فيه، ويقول: أمثل عبيد الله يضيع؟ (انظر: المحكم ص ٣).

(٤) المحكم ص ٣.

عن ولاية البصرة بعد قتل علي، وإفضاء الخلافة إلى الأمويين، أعدائه السياسيين[1].

والذي دفعني إلى ما أراه، أولاً: حرص الرجل على كتاب الله تعالى وخدمته، أقوى عند هذا العالم المؤمن من تدخل السياسة تدخلاً يؤثر في نفسه بمنعه عن هذا العمل الجليل الخطر، وثانياً: أن زياداً استند في اقناعه إلى حيلة يؤثر بها في إيمانه ليقنعه كما سنرى ولو كانت السياسة، لاستغل سلطته.

وما كان من زياد ـ أمام إصرار أبي الأسود على الرفض، وتصميمه هو في نفس الوقت على تنفيذ عزيمته ـ إلا أن لجأ لحيلة لإقناع أبي الأسود بهذا الأمر.

ذلك أنه أحضر رجلاً، ثم قال له: اقعد في طريق أبي الأسود، فإذا مر بك، فاقرأ شيئاً من القرآن وتعمد اللحن فيه، وكان هذا الرجل ـ فيما يبدو ـ مقتنعاً بعزيمة زياد، ووجاهة غرضه، إذ اختار آية يؤثر باللحن فيها على هذا الرجل الصالح الغيور على كتاب الله تعالى، فقد قرأ ـ عند مرور أبي الأسود ـ قوله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾[2] بجر اللام في كلمة «رسوله» بدل أن يقرأها مرفوعة، كما هو الصواب ـ ففزع أبو الأسود بمجرد سماعه هذا اللحن، واستعظم ذلك وقال: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله، وأدرك أن زياداً كان على صواب في طلبه، وأنه كان يجب عليه القبول بدل الامتناع، والاعتراف بالخطأ ـ كما يقولون ـ فضيلة، لا: أنه فقط ـ عندي ـ نصف فضيلة، أما نصفها الآخر، فهو

---

(١) حياة اللغة العربية ص ٨٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣.

الرجوع إلى الصواب وفعله، ولذا سارع أبو الأسود من فوره إلى زياد، وقال له: قد أجبتك إلى طلبك، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن[1].

ويقول الأستاذ علي النجدي ناصف: وإذا كانت اللجنة القرآنية هي سبب ضبط القرآن حقاً[2]، كان لنا أن نفهم، أن أبا الأسود ـ رحمه الله ـ لم يكن يعلم أن جر اللام في الآية قراءة مروية، يؤثر أن الحسن قد قرأ بها، ويخرجها العلماء على معنى القسم برسول الله على براءته ـ سبحانه ـ من المشركين[3]، أو أنه كان يعلم ذلك، ولكنه رآها قراءة مشتبهة، لا يرجى أن يفهمها العامة على وجهها الصحيح لدقته وبعد مناله، والأغلب أن يسبق إلى فهمهم المعنى القريب، الذي يدل على براءة الله من رسوله كما برىء من المشركين[4].

المطلب الثاني: طريقة النقط.

قلنا في نهاية المطلب الأول من هذا البحث أن أبا الأسود: سارع عقب سماع اللحن في الآية الكريمة، إلى زياد وقال له: قد أجبتك إلى طلبك ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن.

هذا. . . وقد طلب أبو الأسود من زياد ثلاثين رجلاً لهذا الغرض، وقد أحضرهم له زياد فرحاً، وجعل أبو الأسود يجري عليهم اختباراته الخاصة، بحثاً عن رجل لَقِن بينهم، حتى وجده، وكان رجلاً من «عبد القيس» من قبائل البصرة[5].

---

(١) المحكم ص ٤، صبح الأعشى ١/ ١٦٩، إنباه الرواة ص٥، ٦.

(٢) هناك خلاف بسيط حول السبب في ضبط أبي الأسود للقرآن: أهو اللحن في هذه الآية، أم هو اللحن في عبارة غير قرآنية، (انظر: أبو الأسود ص ١٦٦).

(٣) البحر المحيط ٥/ ٦.

(٤) أبو الأسود ص ١٦٧.

(٥) المحكم ص ٧.

ويبدو أن أبا الأسود بدأ فأحصى الحركات التي يمكن أن يتحركها الحرف، فإذا هي: ثلاث، يزاد على كل منها غُنَّة، تكون بعض الأحيان في أواخر أكثر الأسماء، ونظر في الحركات التي يتحركها الفم ليحدد صوت كل حركة، فإذا هي: انفتاح، وكسر، وضم، وفي الانفتاح اتجاه إلى أعلى، وفي الانكسار اتجاه إلى أسفل، أما الضم فوسط بينهما.

وبذلك حدد أماكن الحركات من الحروف[1].

واتفق أبو الأسود وهذا الرجل على خطة عملهما، وبدآ بمعونة الله تعالى، الرجل بيده المصحف والقلم، وأمامه مداد يخالف لون ما كتب به المصحف من المداد[2]، وأبو الأسود يتلو آيات القرآن الكريم أمام هذا الرجل بطريقة خاصة.

فإذا رأى الكاتب أبا الأسود: قد فتح شفتيه على آخر حرف، نقط نقطة واحدة ـ بالمداد المخالف ـ فوق الحرف، فيكون هذا هو الفتح.

وإذا رأى الكاتب أبا الأسود: قد خفض شفتيه عند آخر حرف، نقط نقطة واحدة ـ بالمداد المخالف ـ تحت الحرف، فيكون هذا هو الكسر.

وإذا رآه ـ الكاتب: يضم شفتيه، جعل النقطة بين يدي ـ أي أمام ـ الحرف، فيكون هذا هو الضم[3].

---

(١) أبو الأسود ١٦٨.

(٢) إذْ بهذا المداد المخالف لا يحدث تغيير في المرسوم ولا تخليط، والنقط بنفس مداد الكتابة ربما يحدث ذلك، ألا ترى أنه ربما زيد في النقط فتوهمت لأجل اتحاد اللون أنها من حروف الكلمة، فزيد في تلاوتها لذلك، ولأجل هذا وردت الكراهة عمن تقدم من الصحابة وغيرهم في نقط المصاحف (بتصرف من المحكم ص ١٩).

(٣) ولعل تسميتهم الفتحة، والضمة، والكسرة، مأخوذ من فتح الشفتين وضمهما وكسرهما، على هذا الوجه (انظر: السبيل إلى ضبط كلمات التنزيل هامش ص ٥).

فإن تبع الحرف الأخير غنة، نقط الكاتب نقطتين إحداهما فوق الأخرى، وهذا هو التنوين.

و ـ هكذا ـ أخذ أبو الأسود يقرأ المصحف بالتأني، والكاتب يضع النقط التي هي بمثابة الحركات[1].

ولم يشأ أبو الأسود أن يجعل للغنة علامة متميزة الصورة، اتقاءَ الاستكثار والتشعب، فجعل علامتها ـ كما قدمنا ـ نقطتين، إذ كانت تتألف من صوتين.

وأما السكون: فجعل علامته، عدم العلامة، لأنه عدم الحركة[2].

وكان موضع الفتحة من الحرف أعلاه؛ لأن الفتح مستعل، وموضع الكسرة منه أسفله؛ لأن الكسر مستفِل، وموضع الضمة منه وسطه، أو أمامه؛ لأن الفتحة لما حصلت في أعلاه، والكسرة في أسفله، لأجل استعلاء الفتح وتسفل الكسر، بقي وسطه، فصار موضعاً للضمة[3].

وفكرة النقط هذه ـ بهذا الشكل ـ من اليسر بمكان في صورتها، ووجازتها، وسرعة تحصيلها، ولذا كان الأمن من نسيانها والخطأ فيها مكفولاً، وهذا في رأي الأستاذ علي الجندي ناصف سر براعتها، ومناط الإعجاب بها[4].

وكان أبو الأسود: كلما أتم هذا الكاتب صحيفة، أعاد نظره عليها، وراجعها[5] حتى تم له شكل المصحف من أوله إلى آخره، ثم وضع

---

(١) انظر: النقط لأبي عمرو الداني ص ١٣٢، ١٣٣.

(٢) أبو الأسود ص ١٦٩.

(٣) المحكم ص ٤٢.

(٤) أبو الأسود ص ١٦٩.

(٥) حياة اللغة العربية ص ٥٨، تاريخ القرآن للزنجاني ص ٦٦، قصة الكتابة العربية ص ٥١، ٥٢.

المختصر ـ في النقط ـ المنسوب إليه[1].

ومن هنا: يعلم أن الطريقة التي وضعها أبو الأسود ـ ونفذها مع هذا الرجل لنقط المصحف ـ تقوم على نقط حركات الإعراب، والتنوين في أواخر الكلمة لا غير[2]. وذلك أن النقط والشكل ـ كما يقول ابن المنادي ت ٣٣٤هـ ـ إنما جعلا للضرورات المشكلات يسراً، لا أن ينقط كل حرف من الكلمة، سكن أو تحرك، فإذا ركب ناقط ذلك فقد خرج عن الحد إلى غيره، ولا طائل في ذلك كله[3].

ومن الملاحظ: أن طريقة أبي الأسود الدؤلي هذه «لم تشتهر إلا في المصاحف ـ فقط ـ وذلك حفظاً لقواعد القرآن» وحماية لساحته من اللحن والتحريف، أما الكتب العادية: فكان شكلها نادراً[4].

ومن المهم أن نعلم أن أتباع أبي الأسود:

١ ـ تفننوا في شكل النقطة.

فمنهم من جعلها مربعة، ومنهم من جعلها مدورة مسدودة الوسط، ومنهم من جعلها مدورة خالية الوسط[5].

٢ ـ أما في التنوين: فإنهم كانوا يضعون نقطتين فوقه، أو أسفله، أو عن شماله، واحدة دلالة على الحركة، والأخرى دلالة على التنوين، فإذا كان بعد التنوين حرف من حروف الحلق، وضعوهما إحداهما فوق الأخرى

---

(١) المحكم ص ٤.
(٢) مقدمة كتاب المحكم ص ٣١.
(٣) المحكم ص ٢١٠.
(٤) حياة اللغة العربية ص ٨٧، تاريخ القرآن للزنجاني ص ٦٨.
(٥) حياة اللغة العربية ص ٨٦.

علامة على أن النون «مُظهرة»، وإن كان بعده حرفٌ من غير حروف الحلق وضعوهما متتابعتَين؛ علامةً على أن النونَ مدغمةٌ، أو خفيّة»[1].

٣ ـ ثم زادوا علامات أخرى في الشكل.

فوضعوا للسكون: جرة أفقية فوق الحرف منفصلة عنه، سواء كان همزة، أم غير همزة.

ولألف الوصل: جرة في أعلاها متصلة به؛ إن كان قبلها فتحة، وفي أسفلها، إن كان قبلها كسرة، وفي وسطها؛ إن كان قبلها ضمة هكذا (اَ اِ)، وكل ذلك باللون الأحمر[2].

المطلب الثالث: نسبة اختراع النقط لأبي الأسود.

الضبط الذي ضبط به أبو الأسود القرآن الكريم.

هل أخذه عن السريانية، فليس له من فضل سوى نقله؟

أو أنه من ابتكاره الصرف، واختراعه المحض؟

أو أنه تعلمه من العرب الذين يعرفونه قبله، والذين أهملوا استعماله ـ كما قدمنا في الفصل الثاني من هذا الباب؟

احتمالات ثلاثة: لكل منها من يذهب إليه، ويدلل عليه.

فالاحتمال الأول.

يذهب إليه الدكتور حسن عون، ذلك لأن أبا الأسود ـ فيما يرجح ـ اتصل بالسريانيين، وتعلم منهم السريانية[3].

---

(١) حياة اللغة العربية ص ٨٥.

(٢) حياة اللغة العربية ص ٨٦.

(٣) اللغة والنحو ص ٢٤٨.

ولعل الذي حمل الدكتور على هذا المذهب: أن ضبط القرآن الذي ضبط به أبو الأسود هو نفسه الضبط الذي تضبط السريانية به[١].

والاحتمال الثاني:

يذهب إليه الدكتور عبد الفتاح شلبي، وينفي علم أبي الأسود بالسريانية؛ وذلك ـ كما يقول ـ لأن أحداً من الرواة لم يذكر علمه بها، على تقصي بعضهم لأوصافه المختلفة، ولأن اهتمام أبي الأسود بالنظر في اللغة لا يستوجب ضربة لازم أن يتصل بالسريانيين، ويتعلم لغتهم، ثم إن عمل أبي الأسود في الضبط يسير في فكرته وصورته، لا يوجب مساءلة ولا استعانة، فقوامه النقط، وهو أول ما يتجه إليه الذهن في هذا المقام[٢].

ويذهب نفس المذهب: الأستاذ علي النجدي ناصف الذي يقول إن أبا الأسود لا يعجزه أن يهتدي إلى هذه العلامات ابتداعاً، كما اهتدى إليها من ابتدعها من السريانيين الأولين، والأمر ـ في نفس الوقت ـ لا يستوجب أن يتعلم السريانية؛ فليس يشق عليه أن يتعلم طريقة الضبط هذه من أهلها، دون أن يعني نفسه بتعلّم لغتهم، إذ كان لا يريدها لنفسها، بل للضبط المستعمل فيها، وإذا كان تعلم الضبط ممكناً بغير تعلمها، ثم إن صلة العرب بالأعاجم إذ ذاك كانت ما تزال صلة الغالب الظافر بالمغلوب المقهور، وهيهات مع هذه المشاعر المتدافعة أن يكون تعاون، أو يتأصل تفاهم، إلى الغاية التي تطوع لسيد مقدم كأبي الأسود أن يأخذ عن أعجمي لغته، ويجلس منه مجلس التلميذ من الأستاذ دون حاجة ملحة، أو ضرورة ملجئة[٣].

---

(١) أبو الأسود ص ١٣٢.
(٢) أبو علي الفارسي ٣٤٦ وما بعدها.
(٣) أبو الأسود، ص ١٧٠، ١٣٢.

والاحتمال الثالث.

وهو الذي نذهب إليه.

ودليلنا على ذلك: ـ

أولاً: أن فكرة الحركات الإعرابية كانت موجودة في العرب منذ القديم، فقد كانت تصور الحركات حروفاً ـ كما يقول الداني ـ لأن الإعراب قد يكون بها كما يكون بهن، فتصور الفتحة ألفاً، والكسرة ياءً، والضمة واواً، فتدل هذه الأحرف الثلاثة على ما تدل عليه الحركات الثلاث من الفتح والكسر والضم[1].

وهذا النص يصور ـ إلى حد كبير ـ قرب نقط الخليل بن أحمد، إلى ما كان عليه العرب، كما سنرى قريباً.

ثانياً: سبق التدليل على معرفة الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ للنقط والشكل، وتجريدهم المتعمد للمصاحف منه، بل صرح بعض العلماء أنهم هم المبتدؤون بنقط المصاحف، وإن كانت أعمالهم هذه محاولات تيسيرية فحسب[2].

ثالثاً: أن بعض المدن الإسلامية[3] كان لها نقط يخالف نقط أبي الأسود، وهؤلاء قد تركوا ما هم عليه ونقطوا نقط أبي الأسود[4].

وهذا النقط المخالف لنقط أبي الأسود، والذي تركه أصحابه، لا بد له من أمرين: أولهما: كونه من صنع غير أبي الأسود، ثانيهما: كونه سابقاً في الزمن لنقط أبي الأسود.

---

(١) المحكم ص ١٧٦، سمير الطالبين ص ١٢٠.

(٢) انظر: الفصل الثاني من هذا الباب.

(٣) مثل مكة والمدينة (انظر: المحكم ص ٣٠ من المقدمة).

(٤) المحكم ص ٧، ٨، ٩.

إذاً فما دامت فكرة النقط موجودة، واستعماله ـ وإن كان في إطار ضيق ـ ثابتاً فليس هناك من مانع يمنع أبا الأسود من الاستفادة بما هو لدى أهله، وبني دينه.

وأيضاً: فإذا ثبت تعلمه للسريانية، فلا يمنع من ذلك، لأنه يكون قد أضاف إلى معرفته معرفة زائدة لا يستغني عنها طالب علم[1].

إذا ثبت هذا فنقول.

وإذا كانت فكرة النقط ليست من صنع أبي الأسود واختراعه، وليس له فيها من فضل سوى الإحياء والبعث، فإنه يمكننا أن نقول: إن طريقة النقط نفسها، هي من صنع أبي الأسود، وابتكاره الصرف، لم يقتبسها من غيره، ولم يسبقه بها غيره.

وهو عمل ـ كما يرى الأستاذ علي النجدي ناصف ـ يسير في فكرته، وصورته، ووجازته، وسرعة تحصيله، ولذا كان الأمن من نسيانه والخطأ فيه مكفولاً، وهو سر براعته، ومناط الإعجاب به[2].

ونقول: وهو سر اشتهاره أيضاً، وترك الناس لنقطهم، واتباعه، وعمل كهذا وإن كان عملاً عظيماً لا يستبعد على رجل عظيم، وعالم جليل، أن يوفقه الله تعالى إلى ابتكار هذه الطريقة بنفسه.

وعلى ذلك: فبنسبة الفكرة إلى أبي الأسود هي الإحياء والبعث.

ونسبة الطريقة إليه: نسبة الإختراع والابتكار.

---

(١) أبو الأسود ص ١٦٩.

(٢) ويكون في ذلك مثل زيد بن ثابت الذي تعلمها، وكان ذلك بأمر الرسول ﷺ له.

المطلب الرابع: تعميم نقط الإعراب.

علمنا فيما سبق أن النقط الذي وضعه أبو الأسود، كان على أواخر الكلم فقط؛ لأن الإشكال أكثر ما كان يدخل على المتعلم المبتدىء، والوهم أكثر ما يعرض ـ لمن يبصر الإعراب، ولا يعرف القراءة ـ في إعراب أواخر الأسماء والأفعال[١].

قال ابن مجاهد: ليس يقع الشكل على آخر كل حرف إنما يقع على ما إذا لم يشكل التبس.

قال: ولو شكل الحرف من أوله إلى آخره ـ يعني الكلمة ـ لأظلم الكتاب، ولم تكن فائدة، إذ كان بعضه يؤدي إلى بعض[٢].

كان هذا..!!

ولكن لما ازداد التحريف، وعم التصحيف، فزع الحجاج إلى نصر بن عاصم وطلب منه وضع حل لهذا اللحن الذي يخشى منه على الساحة القرآنية.

فما كان من «نصر» إلا أن هداه تفكيره إلى:

تعميم نقط الإعراب الذي وضعه أبو الأسود.

وقد عمم هذا النقط، رضي الله عنه، على كل حروف الكلمة، أولها، وأوسطها، وآخرها[٣].

---

(١) المحكم ص ١٩.
(٢) المحكم ص ٢٣.
(٣) اللالىء الحسان من بحث «الرسم العثماني».

على طريقة أبي الأسود الدؤلي نفسها:

من مراعاة: مخالفة لون المداد في النقط، عنه في كلمات القرآن نفسها.

ومن مراعاة: أن الحركات الثلاث هي الفتحة والكسرة والضمة.

ومن مراعاة: أن يكون النقط مدوراً، على هيئة واحدة، وصورة متقنة.

المبحث الثاني

المرحلة الثانية

(نقط الإعجام)

المطلب الأول: السبب.

كان ما فعله أبو الأسود الدؤلي ـ رضي الله عنه ـ كافياً لحماية الناس من اللحن في كتاب الله تعالى، لولا أن هذا المد الأعجمي، وأثره في الألسنة كان جارفاً، لا يكفي أمام تياره وتأثيره في إفساد عربية الناس، هذا النقطُ وحده، الذي ظل يجابه لحن الأعاجم ومن يشبهونهم، حتى قرب أواخر القرن الأول الهجري، الذي اتسعت فيه ـ حينذاك ـ الرقعة الإسلامية عن ذي قبل، وكثر الاختلاط بصورة أشمل، الأمر الذي انتشر معه الخلط بين الحروف وبعضها البعض، وخيف وقوع الخطأ في القرآن الكريم، إذ كثر التصحيف، وانتشر بالعراق، حتى كان عهد عبد الملك بن مروان (٢٦٥هـ ـ ٦٨٢هـ) الذي رأى بثاقب نظره أن يتقدم للإنقاذ ـ كما يقول الشيخ الزرقاني ـ فأمر الحجاج بن يوسف الثقفي، أن يعني بهذا الجلل، وكان ما فعله الحجاج على مرحلتين[١]: ـ

١ ـ اختار نصر بن عاصم[٢] لعلاج هذا الموضوع كما مر.

---

(١) انظر: مناهل العرفان ١/٣٩٩، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٣، الطبعة الأولى، اللآلىء الحسان بحث الرسم العثماني.

(٢) نصر بن عاصم الليثي ويقال الدؤلي البصري النحوي، تابعي، عرض القرآن على أبي الأسود الدؤلي، قال عنه النسائي وغيره، ثقة. قال خليفة مات سنة ٩٠هـ (طبقات القراء ٢/٣٣٦).

٢ ـ وبعد ذلك اختار معه يحيى بن يعمر العدواني[١].

المطلب الثاني: الطريقة.

لم يقطع ما فعله نصر بن عاصم دابر الخطأ واللحن في القراءة، كما لم يقطعه من قبل ما فعله أستاذه أبو الأسود الدؤلي.

وذلك: لأن هذا الجيل الذي انتشر معه اللحن في العربية، لم يكن في نفس الوقت يميز بين حروف الكلمة المتشابهة.

ولذا: فقد انتدب الحجاج بن يوسف، يحيى بن يعمر العدواني، للقيام مع نصر بن عاصم للبحث عن حل يحمي كلمات القرآن من هذا التصحيف الذي انتشر بالعراق، وكاد أن يعم ببلواه جميع الأمصار والآفاق[٢].

ويروي ابن عطية: أن الحجاج، أمر وهو والي العراق الحسن البصري، ويحيى بن يعمر بذلك[٣].

ولذا يضيف الدكتور موسى شاهين لاشين الحسن البصري[٤] إلى لجنة نقط الإعجام[٥].

وكان العلاج الذي قررته اللجنة ـ بعد البحث والتروي ـ هو إحياء نقط الإعجام، الذي أحجم عنه القدماء للأسباب التي سبق بيانها ـ لتمييز ذوات الحروف عن بعضها.

---

(١) هو يحيى بن يعمر أبو سليمان العدواني البصري، تابعي جليل عرض القرآن على ابن عمر، وابن عباس، وأبو الأسود الدؤلي. قال خليفة بن خياط توفي قبل سنة ٩٠هـ (طبقات القراء ٢/ ٣٨١).

(٢) اللآلىء الحسان د. موسى لاشين بحث الرسم العثماني.

(٣) مقدمة ابن عطية ص ٢٧٥.

(٤) طبقات القراء ١/ ٢٣٥.

(٥) اللآلىء الحسان بحث الرسم العثماني.

وراعت هذه اللجنة:

١ ـ أن تفارق بين نقط الإعراب الذي فعله أبو الأسود، وهذا النقط، الذي هم مزمعون عليه. وقد فارقوا: بأن جعلوا مداد هذا النقط من نفس مداد كلمات القرآن الكريم.

٢ ـ وثانياً: راعت أن لا تزيد النقط التي تميز الحروف عن بعضها البعض، عن ثلاث نقط.

٣ ـ وقد اتفقت مع أبي الأسود في أن نقطها، كان نقطاً مدوراً، على هيئة واحدة، وصفة واحدة كما فعل أبو الأسود.

هذه أسس ثلاثة سارت عليها اللجنة، وكان باقي عملها على الوجه التالي:

١ ـ الباء، والتاء، والثاء، والنون، والياء: خمسة أحرف متشابهة الصور في الكتابة.

فلأجل ذلك: احتيج أن يفرق بالنقط المختلف بينها، فواخوا بين الباء والنون، وبين التاء والياء، فنقطوا الباء واحدة من تحت، والنون واحدة من فوق، ونقطوا التاء اثنتين من فوق، والياء اثنتين من تحت، وبقيت الثاء مفردة، لا أخت لها، فنقطوها ثلاثاً من فوق، إذ خلت من أخت، ولم تخل من شبه[1].

فإن قال قائل: لم نقطت الباء بواحدة من تحتها؟ هلا نقطت من فوقها، ونقطت النون من تحتها مكان ذلك، فرقاً بينهما؟

قيل له: إنما نقطت بواحدة، لأنها أول الصور الثلاث ـ الباء والتاء والثاء ـ ولذلك نقطت التاء اثنتين، والثاء ثلاثاً.

وإنما نقطت من تحتها، للزوم الكسر لها، إذ كانت زائدة جارة، كالتي

---

(١) المحكم ص ٣٧.

في أول التسمية، وإنما لزمها الكسر اتباعاً لعملها، إذ كانت لا تعمل إلا جراً، فجعل نقطها موافقاً لحركتها، وألزما مكاناً واحداً لذلك[1].

٢ ـ ثم جاؤوا إلى «الجيم» و«الحاء» و«الخاء»، وهن ثلاثة أحرف متشابهة الصور، ليس في حروف المعجم ما يشبههن، فابتدؤوا بالأولى، وهي «الجيم»، فنقطوها بواحدة من تحت، واختاروا أن يجعلوا النقطة من تحت لأن الجيم مكسورة[2]، وأخلوا «الحاء» من النقط، فرقاً بينها وبين «الجيم»، وأما «الخاء» فاختاروا لها النقط من فوق لأن اللفظ بالخاء مفتوح[3].

٣ ـ ثم جاؤوا إلى «الدال والذال» وهما حرفان متشابهان، فأخلوا «الدال» من النقط فرقا بينها وبين أختها، ولأن ما قبلها منقوط[4]، ونقطوا «الذال» واحدة من فوق؛ لأن اللفظ بها مفتوح[5].

٤ ـ ثم فعلوا «بالراء والزاي» كما فعلوا في «الدال والذال»[6].

٥ ـ ثم جاؤوا إلى «السين والشين»، وهما حرفان مشتبهان، فأخلوا السين ـ وهو الحرف الأول ـ من النقط، فرقاً بينها وبين أختها، ونقطوا الشين بثلاث من فوق، لأنه حرف واحد، صورته صورة ثلاثة أحرف، واختاروا النقط لها من فوق، ولفظها مكسور[7]، لأنها من بين الحروف المزدوجة

---

(١) المحكم ص ٤١.
(٢) أي أننا حين نلفظ (جيم) نلفظها بكسر أولها (انظر: المحكم هامش ص ٣٧).
(٣) المحكم ص ٣٧.
(٤) وهو حرف «الخاء».
(٥) المحكم ص ٣٧.
(٦) المحكم ص ٣٨.
(٧) أي أننا حين نلفظ (شين) نلفظها بكسر أولها (المحكم هامش ص ٣٨).

كثيرة النقط، مخالفة في ذلك سائر المنقوط من المزدوج والمفرد، إلا الثاء، فإن علتها مخالفة لعلة الشين.

٦ ـ ثم جاؤوا إلى «الصاد والضاد»، ففعلوا فيهما كما فعلوا في «الدال والذال» إذ العلة فيهما وفي «الدال والذال» واحدة.

وكذلك: فعلوا في «الطاء والظاء»، و«العين والغين» كفعلهم في الدال والذال ـ أيضاً ـ والعلة في الكل واحدة[١].

٧ ـ ثم جاؤوا إلى «الفاء والقاف»، وهما حرفان، في الإنفراد تختلف صورتهما، وفي أول الكلام، ووسطه، يشتبهان، فإذا وقع أحدهما في آخر كلمة متصلاً بما قبله، عاد إلى صورته في الإنفراد.

فلما اختلفت صورتهما في موضع، واتفقت في موضع، اختاروا لهما جميعاً النقط، وخولف بين نقطهما؛ ليفرق بينهما.

فنقطوا «الفاء» واحدة من فوق، ونقطوا «القاف» اثنتين من فوق، وجعلوا نقط الجميع من فوق، لأن مخرج لفظهما مفتوح[٢].

هذا: وقد نقط أهل المغرب: «الفاء» بنقطة واحدة من تحت، و«القاف» بنقطة واحدة من فوق[٣]. والعمل عليه في مصاحفهم[٤].

---

(١) المحكم ص ٣٨.

(٢) المحكم ص ٣٨.

(٣) انظر: المصحف الشريف: إصدار الشركة التونسية للتوزيع الطبعة الأولى ١٩٦٩م.

(٤) يعلل الأستاذ محمد طاهر بن عبد القادر الكردي هذا الخلاف بقوله: معنى هذا الخلاف أن الناقلين عن نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، غير متفقين على كيفية إعجام هذين الإمامين لهذين الحرفين.
فذهب المشارقة إلى رأي والمغاربة إلى رأي.
وكلاهما لا وجه له، لأن القياس: إهمال الأول وإعجام الثاني.

٨ ـ ثم جاؤوا إلى «الكاف»: فوجدوا صورتها مفردة، لا تشتبه بصورة حرف من حروف المعجم، فأخلوه من النقط، لانفراد صورته، لأنه يتصل بأوائل الكلام، وأوساطه، وأواخره، لا ينفرد بذاته إلا في أواخر الكلام[١].

٩ ـ ثم جاؤوا إلى «اللام»: وهو حرف منفرد الشكل، علته علة «الكاف» فأجروه في الإخلاء من النقط مجرى الكاف[١].

١٠ ـ ثم جاؤوا إلى «الميم»: وهو حرف منفرد، لا شبيه له، علته علة «الكاف» و«اللام»، فأخلوه من النقط، وأجروه مجراهما[١].

= فإن قلت:
إن سبب إعجام الحرفين: الاشتباه «بالعين والغين» في وسط الكلمة، فجعلت «العين والغين» على القياس، وأعجمت «الفاء والقاف» معاً.
قلت:
هذا لا ينهض لأنه على ذلك بقي الاشتباه بين «الغين والفاء» عند المشارقة، وبين «الغين والقاف» عند المغاربة.
ثم يقول:
والذي نعتقده في حكمة هذين الإمامين: أنهما أعجما الفاء، بنقطة من أسفل، والقاف، بنقطتين من أعلى، ليتم التمييز بين الأحرف الأربعة: العين: مهملة، والغين: معجمة بواحدة من أعلى، والفاء: بواحدة من أسفل، والقاف: بنقطتين من أعلى.
فالمشارقة: أخطأوا في الفاء، وأصابوا في القاف.
والمغاربة: أصابوا في الفاء، وأخطأوا في القاف.
فالإمامان على ذلك: أصابا في الوضع، والمشارقة، والمغاربة، أخطأوا في الصنع، وقد ركبت كل فرقة رأيها، ومضت في غلوائها.
ثم يقول:
فلتتفق الفرقتان على الصواب، أو بالأقل على أحد الخطأين. اهـ.
(انظر: تاريخ الخط العربي وآدابه ص ٨٥، حياة اللغة العربية ص ٩١)
(١) المحكم ص ٣٩.

١١ ـ ثم جاؤوا إلى «الواو»: وهو حرف يشبه «القاف» في الإنفراد، وفي أواخر الكلام، ويخالف شبهه في أول الكلام ووسطه، فكانت موافقته «للقاف» في المواضع التي تخالف «القاف» فيها «الفاء» لا غير، فأخلوه من النقط، إذ كان شبهه في الإنفراد، وفي أواخر الكلام، وهو القاف منقوطاً[1].

١٢ ـ ثم جاؤوا إلى «الهاء»: وهو حرف منفرد، لا شبه له في حرف من حروف المعجم، له في الكتابة صورتان مختلفتان، في ابتداء الكلام وفي وسطه مشقوق، وفي آخره مدور غير مشقوق، فأخلوه من النقط لخلو شبهه، واختلاف صورته، وجعلوا الخط الذي يشق به إذا وقع في أوائل الكلام ووسطه، عوضاً من النقط عند اختلاف الصورة[1].

قال الداني:

ولو احتج محتج في هذا الحرف: فقال: قد كان يجب أن ينقط هذا؛ لأن صورته تختلف في الكتابة، وما اختلف من الحروف المفردة في موضع، واتفق في موضع، احتاج إلى النقط، ليستدل به.

قيل له: قد قلنا: إن «الباء والتاء» نقطا بواحدة واثنتين، لعلة شبههما «بالياء والنون»، ونقطة «الثاء» بثلاث نقط، لأن لها أربعة أمثلة منقوطة بنقط مختلفة من جنسين، أكثره بنقطتين، فاختير لها ثلاث نقط، لهذه العلة، وليس في حروف المعجم حرف صورته حرف واحد نقط بثلاث نقط غيره، ونقطت الشين بثلاث، لعلة شبهها بالسين، واختير لها ثلاث نقط، لأن صورتها صورة ثلاثة أحرف، وسائر الحروف المزدوجة، والمنفردة أكثر نقطها اثنتان.

---

(١) المحكم ص ٣٩.

وهذا الحرف ـ يعني الهاء ـ صورته صورة حرف واحد، فبطل أن ينقط بواحدة، لانفراده، وبطل أن ينقط باثنتين لعلة شبهه، وبطل أن ينقط بثلاث نقط، فما فوقها، لعلة صورته، فاحتاج أن يخلى من النقط[1].

١٢ ـ أما الألف ـ وهي أول الحروف ـ فليس عليها شيء من النقط، لأنها لا تلابسها صورة أخرى[2].

وكتبت المصاحف بهذه الطريقة، بدون حرج، وإن خالفت مصحف عثمان.

وذلك: لأن نقط الحرف ـ نقط إعجام ـ جزء منه.

وأصدر الحجاج ـ بعد إتمام هذا العمل ـ أمره لكتّاب الإمارة، باتباع طريقة الإعجام، فصدعوا بها، وناهيك بشدة الحجاج، وأبلغ عبد الملك بن مروان، فاستحسن ذلك، وحمل الناس عليه.

وقد اتسعت دائرة استعمال هذا النقط، فلم يختص بالمصاحف فقط، بل عم جميع الكتابة، حتى عُدَّ إهمال الإعجام خطأ في الكتابة يستحق فاعله الملام.

واستمر الأمر على هذا الإعجام إلى الآن[3].

إلا أننا نجد بعد ذلك: أن أتباع نصر بن عاصم، قد تفننوا بعض الشيء في شكل النقطة: فمنهم: من وضعها مربعة؛ ومنهم: من وضعها مدورة مسدودة الوسط، ومنهم: من وضعها جرة صغيرة فوق الحرف، أو تحته، ولم يستعملوا المدورة الخالية الوسط[4].

---

(١) المحكم ص ٤٠.
(٢) المحكم ص ٣٥.
(٣) حياة اللغة العربية ص ٩٢.
(٤) حياة اللغة العربية ص ٩٥.

المبحث الثالث

(ألوان النقط والقراءات)

المطلب الأول: ألوان النقط.

أول من استعمل الألوان في نقط المصاحف، هو أول من نقطها نقط الإعراب، وهو أبو الأسود الدؤلي، وذلك بُغْيَةَ المخالفة بين نفس الكلمات، وشكلها، حتى لا يحدث تغيير في المرسوم أو تخليط ـ كما سبق بيانه ـ.

وبعد ذلك لما كثرت العلامات، وزادت عما وضعها أبو الأسود ـ كما سنرى ـ تفنن النقاط في استعمال الألوان في نقطهم للمصاحف، والجميع يقتفون سنة أستاذهم الدؤلي في الخشية من حدوث تغيير في المرسوم أو تخليط؛ مما دفعهم إلى تعدد الألوان ـ وهذا كله في نقط الإعراب فقط ـ على الوجه التالي: ـ

١ ـ أهل المدينة[١].

أ ـ السواد: للحروف، ونقط الإعجام[٢].

ب ـ الحمرة: للحركات والسكون، والتشديد[٣]، والتخفيف.

جـ ـ الصفرة: للهمزات[١] خاصة.

٢ ـ أهل الأندلس.

يقول أبو عمرو الداني: «وعلى ما استعمله أهل المدينة من هذين

---

(١) انظر: المحكم ص ١٩.

(٢) أما نقط الإعراب بالسواد فهو غير جائز، بل هو منهي عنه، ومنكور. (المحكم ص ١٩).

(٣) يلاحظ أن التشديد والهمز من اختراع الخليل بن أحمد، كما سنعرف قريباً.

اللونين[1] في المواضع التي ذكرناها، عامة نقاط أهل بلدنا قديماً وحديثاً من زمن الغاز بن قيس صاحب نافع بن أبي نعيم ـ رحمه الله ـ إلى وقتنا هذا[2]، اقتداءً بمذهبهم، واتباعاً لسنتهم».

ويقول الأستاذ حفني ناصف:

جرى أهل الأندلس على استعمال أربعة ألوان في المصاحف:

أ ـ السواد: للحروف.

ب ـ الحمرة: للشكل بطريقة النقط.

جـ ـ الصفرة: للهمزات.

د ـ الخضرة: لألفات الوصل[3].

ويمكن التوفيق بينهما: بأن ما يحكيه الأستاذ حفني ناصف، قد يكون هو الذي حدث بعد زمن الداني.

٣ ـ أهل العراق[4].

يستعملون للحركات وغيرها، وللهمزات: الحمرة وحدها ـ مع كتابة الحروف وإعجامها بالسواد كما هو السائد ـ وبذلك تعرف مصاحفهم، وتميز من غيرها.

---

(١) يشير إلى الحمرة والصفرة، حيث إن السواد لا يتحدثون عنه لوضوح أمره عندهم وإنما ذكرته في هذه التقسيمات ليكون أمرها أكثر وضوحاً وجلاءً، فحالنا الآن ليس كحالهم.

(٢) أي وقت عصر الداني.

(٣) حياة اللغة العربية ص ٨٧.

(٤) انظر: المحكم ص ٢٠.

٤ ـ المصاحف الخاصة.

قال أبو عمرو[١]: ذكر أبو بكر بن مجاهد في كتابه النقط: أنه كان بعض من يحب أن يزيد في بيان النقط، ممن يستعمل المصحف لنفسه.

أ ـ ينقط الرفع، والخفض، والنصب بالحمرة.

ب ـ وينقط الهمز مجرداً: بالخضرة.

جـ ـ وينقط الهمز المشدد: بالصفرة.

كل ذلك بقلم مدور، وهذا أسرع إلى فهم القارىء عن النقط بلون واحد، بقلم مدور.

وجعل الإعجام ـ عند الجميع ـ بالسواد ـ والإعراب بغيره، فرقا بين إعجام الحروف وبين تحريكها، واقتصر في الإعجام على النقط، من حيث أريد الإيجاز والتقليل؛ لأن النقط أقل ما يبين به[٢].

المطلب الثاني: النقط والقراءات.

تبين لنا فيما سبق أن اللجنة التي نقطت الحروف نقط الإعجام، لم تترك حرفاً يحتاج إلى نقط، بل لم تترك شيئاً يحتاج إلى استدراك، وهذا هو سر احتفاظ هذا النقط ببقائه حتى الآن، سواء كان في المصحف، أو في الكتابات العادية.

ولكن السؤال الآن: وفق أي القراءات كان نقطهم...؟

وكيف كان عمل الأمصار الأخرى، التي كانت تقرأ على غير ما يقرؤون من القراءات، والتي انتقل إليها هذا النقط نفسه...؟

---

(١) المحكم ص ٢٣.

(٢) المحكم ص ٤٣.

والجواب:

١ ـ أن عثمان رضي الله عنه، لما كتب المصاحف، ووجهها إلى الأمصار، وحملهم على ما فيها، وأمرهم بترك ما خالفها[١]: قرأ أهل كل مصر مصحفهم الذي وجه إليهم على ما كانوا يقرؤون قبل وصول المصحف إليهم، مما يوافق خط المصحف، وتركوا من قراءتهم التي كانوا عليها مما يخالف خط المصحف، فاختلفت قراءة أهل الأمصار لذلك بما لا يخالف الخط، وسقط من قراءتهم كلهم ما يخالف الخط[٢].

وكان المصحف إذ كتبوه: لم ينقطوه، ولم يضبطوا إعرابه؛ فتمكن لأهل كل مصر أن يقرؤوا الخط على قراءتهم التي كانوا عليها، مما لا يخالف صورة الخط.

فقرأ قوم مصحفهم (من كل حدب)[٣] بالحاء والباء على ما كانوا عليه.

وقرأ الآخرون (من كل جدث) بالجيم والثاء على ما كانوا عليه[٤].

وقرأ قوم (يقص الحق)[٥] بالصاد على ما كانوا عليه.

وقرأ قوم (يقض الحق) بالضاد على ما كانوا عليه[٦].

---

(١) حياة اللغة العربية ص ٩٥.

(٢) الإبانة ص ١٦.

(٣) من قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ سورة الأنبياء، الآية: ٩٦.

(٤) قرأ ابن عباس (من كل جدث) وهو القبر (انظر: البحر المحيط ٦/ ٣٣٩).

(٥) من قوله تعالى: ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ سورة الأنعام، الآية: ٥٧.

(٦) قرأ ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ نافع وابن كثير وعاصم وأبو جعفر: من قص الحديث أو الأثر تتبعه، وقرأ الباقون بقاف ساكنة وضاد معجمة مكسورة من القضاء (إتحاف فضلاء البشر ٢٤٩، النشر ٢/ ٢٥٨).

وكذلك كل ما أشبه هذا: لم يخرج أحد في قراءته عن صورة خط المصحف[1].

وكان من هذه المصاحف التي وجهت إلى الأمصار، مصحف البصرة[2]، والذي قرأ أهل البصرة بما يوافق خطه، وتركوا ما يخالفه.

٣ ـ ويجب أن يعلم أن القراءات لا يمكن أخذها من رسم المصحف، إذ الرسم ـ كما تقدم ـ لم يوضع للدلالة على شيء منها، وما جاء من قراءة بعض الكلمات بالغيبة والخطاب، أو بالرفع والنصب، إنما هو بالتلقي والأخذ من رسول الله ﷺ، وليس لاحتمال ذلك من صورة الرسم الخالية من النقط والشكل في ذلك الزمن[3].

٤ ـ ولذا فالذي أراه: أن اللجنة التي وضعت نقط الإعجام، وضعته على القراءة التي كانت مشهورة بالبصرة، والتي كانت تتفق ومرسوم مصحفهم.

٥ ـ ولما كان أساس عمل اللجنة معروفاً، وإعجامها للحروف بعامة معروفاً، فإنه لما أصدر الحجاج أمره بتطبيق هذا النقط، وحمل عبد الملك بن مروان الناسَ عليه: نقط أهل كل مصر مصحفهم بما يوافق قراءتهم.

وصار هذا واضحاً حتى اليوم.

٦ ـ وهكذا في نقط الإعراب الذي صنعه أبو الأسود الدؤلي.

فقد نقط ـ أول الأمر ـ مصحفه وفق قراءته، ولما انتشر نقطه وعم: نقط أهل كل مصر مصحفهم بما يوافق قراءتهم.

فمثلاً قوله تعالى: ﴿ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾[4].

---

(١) الإبانة ص ٣٢.

(٢) النشر ١/٧.

(٣) تاريخ القرآن للكردي ص ١١٤.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦.

رسمت في جميع المصاحف دون نقط أو شكل.

وقد قرأها: نافع وابن عامر وحفص والكسائي، ويعقوب: بنصب اللام، عطفاً على «أيديكم» فإن حكمها الغسل كالوجه.

وقرأها: الحسن بالرفع على الإبتداء، والخبر محذوف، أي مغسولة.

والباقون: بالخفض، عطفاً على «رؤوسكم» لفظاً ومعنى[1].

وهذه القراءات كانت موزعة في الأمصار المختلفة، ولما عزم أصحاب كل مصر من هذه الأمصار على نقط مصاحفهم ـ نقط أبي الأسود ـ نقط كل منهم بما يوافق قراءته، التي صحت عنده، واشتهرت في مصره.

قال خلف: كنت أحضر بين يدي الكسائي، وهو يقرأ على الناس، وينقطون مصاحفهم، بقراءته عليهم[2].

المطلب الثالث: جمع القراءات بطريق الألوان في مصحف واحد.

لما استعمل أبو الأسود الدؤلي لوناً مخالفاً للمداد الذي كتبت به حروف القرآن الكريم، ولما تفنن أصحابه في هذه الألوان التي تغاير لون الكلمات القرآنية.

وتنبه الناس إلى هذه الألوان. . .

١ ـ ساغ لبعض «طوائف من أهل الكوفة والبصرة أن تدخل الحروف الشواذ في المصاحف وينقطونها بالخضرة، وربما جعلوا الخضرة للقراءات

---

(١) إتحاف فضلاء البشر ص ٢٣٥، النشر ٢/ ٢٥٤.

(٢) المحكم ص ١٣.

المشهورة الصحيحة، وجعلوا الحمرة للقراءة الشاذة المتروكة»[1].

٢ ـ بل جمع ناس من القراء، ومن النقاط، قراءات شتى، وحروف مختلفة في مصحف واحد، وجعلوا لكل قراءة وحرف لوناً من الألوان، المخالفة للسواد: كالحمرة، والخضرة، والصفرة، واللاَّزَوَرْد.

وقد نبهوا على ذلك في أول المصحف: لكي تعرف القراءات، وتميز الحروف.

وقد اختلف العلماء أمام هذا العمل.

(أولاً): رأي أبي عمرو الداني في ذلك:

كره أبو عمرو هذا العمل، وقبحه؛ لأن فيه أعظم التخليط، وأشد التغيير للمرسوم[2].

واستدل على كراهة ذلك:

أ ـ بما ورد عن عبد الله بن مسعود من قوله «جردوا القرآن، ولا تخلطوه بشيء»[3].

ب ـ وبما ورد عن الحسن وابن سيرين «أنهما كانا يكرهان نقط المصحف» لذلك[4].

جـ ـ وبما ورد عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قرأ (عباد الرحمٰن)[5]، قال سعيد: فقلت لابن عباس: إن في مصحفي (عند

---

(١) المحكم ص ٢٠.
(٢) المحكم ص ٢٠.
(٣) المحكم ص ١٠.
(٤) المحكم ص ١١.
(٥) من قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ﴾ سورة الزخرف، الآية: ١٩.

الرحمٰن)[1]، فقال امحها، واكتبها (عباد الرحمٰن).

يقول الداني: ألاَ ترى ابن عباس ـ رحمه الله ـ قد أمر سعيد بن جبير بمحو إحدى القراءتين، وإثبات الثانية، مع علمه بصحة القراءتين في ذلك، وأنهما منزلتان من عند الله تعالى، وأن رسول الله ﷺ، قرأ بهما جميعاً، وأقرأ بهما أصحابه، غير أن التي أمره بإثباتها منهما كانت اختياره، إما لكثرة القارئين بها من الصحابة، وإما لشيء صح عنده عن النبي ﷺ، أو أمر شاهده من علية الصحابة.

يقول الداني:

فلو كان جمع القراءات، وإثبات الروايات، والوجوه، واللغات، في مصحف واحد جائزاً، لأمر ابن عباس سعيداً بإثباتهما معاً في مصحفه بنقطة يجعلها فوق الحرف الذي بعد العين، وضمة أمام الدال، دون ألف مرسومة بينهما، إذ قد تسقط من الرسم في نحو ذلك كثيراً لخفتها، وتترك النقطة التي فوق ذلك الحرف، والفتحة التي على الدال، فتجتمع بذلك القراءتان في الكلمة.

فبان بذلك صحة ما قلناه.

وما ذهب إليه العلماء من كراهة ذلك: لأجل التخليط على القارئين، والتغيير للمرسوم[2].

---

(١) قرأها: أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي وخلف: (عباد) جمع (عبد) والباقون (عند) بالنون الساكنة وفتح الدال، وقد رسمت في كل المصاحف هكذا (عـد) بدون ألف ولا نقط. إتحاف فضلاء البشر (ص ٢٧٣، ٤٧٦).

(٢) المحكم ص ٢١.

(ثانياً): رأي أبي الحسين بن المنادي:

أما أبو الحسين بن المنادي: فقد أشار في كتابه في النقط إلى إجازة ذلك[1].

ولكن بشروط[2]: ـ

١ ـ أن يرسم في رقعة غير ملصقة بالمصحف أسماء الألوان، وأسماء القراء، ليعَرِف ذلك الذي يقرأ فيه.

٢ ـ أن تكون الأصباغ ـ الألوان ـ صوافي لامعات.

٣ ـ أن تكون الأقلام بين الشدة واللين.

٤ ـ أن يعطي الحروف ذوات الاختلاف حقوقها.

ثم قال: وكان بعض الكتاب: لا يغير رسم المصحف الأول، وإذا مر بحرف يعلم أن النقط والشكل لا يضبطه، كتب ما يريد من القراءات المختلفة تعليقاً بألوان مختلفة[3].

---

(١) المحكم ص ٢١.
(٢) انظر: المحكم ص ٢١، ٢٢.
(٣) المحكم ص ٢٢.

المبحث الرابع

المرحلة الثالثة

(عمل الخليل في النقط)

المطلب الأول: السبب.

أصبحت المصاحف حتى عصر الخليل منقوطة نقط إعراب، ونقط إعجام، وقد ملئت صفحاتها بالألوان المتعددة، ولم يمنع كل ذلك من وقوع بعض الناس في الخطأ عند التلاوة، لعدم تمييزهم، بل خلطهم ـ أحياناً بين الحروف ـ نتيجة تشابه النقط في كل من الإعراب والإعجام، من حيث إن النقط جميعه كان مدوراً.

ولم يكن يميز نقط الإعراب عن نقط الإعجام سوى الألوان، التي أصبحت بدورها عبئاً على عقل القارىء، وصعوبة على قلم الكاتب.

وكان لا بد من تغيير في نقط المصحف وشكله، وهذا:

إما أن يكون بتغيير طريقة الشكل، وإما بتغيير طريقة الإعجام.

المطلب الثاني: عمل الخليل.

اهتدى تفكير الخليل إلى أن يغاير بين نقط الإعجام ونقط الإعراب بشيء غير لون المداد، وبذلك يتحد اللون في كتابة الكلمات ونقطها سواء كان نقط إعراب أو نقط إعجام، تسهيلاً للأمر، وتيسيراً للكاتب الذي قد لا يجد الألوان ميسرة[1]، فإن وجدها قد لا يجد اليسر في استعمالها، وفي نفس الوقت هو تسهيل على القارىء، الذي يريد أن لا ينشغل ذهنه إلا بما

---

(١) حياة اللغة العربية ص ٩٦.

يتلو، لا بمصطلحات الكتابة، وألوان الشكل والنقط.

وكان عمله في سبيل ذلك على الوجه التالي: ـ

أولاً: أبدل النقط التي وضعها أبو الأسود الدؤلي للدلالة على الحركات الإعرابية، وكذلك النقط التي وضعها نصر بن عاصم تعميماً لنقط الإعراب على كل الكلمة.

أبدل ذلك بجرات علوية وسفلية للدلالة على العلامات الإعرابية.

على الوجه التالي: ـ

جعل الفتحة: ألفاً صغيرة، توضع مبطوحة (أي مبسوطة وممدودة) من اليمين إلى اليسار، فوق الحرف المتحرك بها هكذا (ـَ).

وجعل الضمة: واواً صغيرة ـ أيضاً ـ توضع فوق الحرف المحرك بها هكذا (ـُ).

وجعل الكسرة: ياءً صغيرة مردودة إلى حرف، توضع تحت الحرف المحرك بها هكذا (ـِ)[1].

وهذه الطريقة: معقولة، لأن الفتحة جزء من الألف، والكسرة جزء من الياء، والضمة جزء من الواو[2].

ولا يخفى مع ذلك أنه متأثر في هذه الخطوة بما فعله أبو الأسود: حيث إن الفتحة ـ كما تقدم ـ من فتح الشفتين، والضمة من ضمهما، والكسرة من كسرهما[3].

---

(١) سمير الطالبين ص ١٢٣.

(٢) حياة اللغة العربية ص ٩٦.

(٣) انظر: السبيل إلى ضبط كلمات التنزيل ص ٥.

ثانياً: أضاف على ما وضعه أبو الأسود من علامات ما يلي: ـ

أ ـ وضع للسكون الشديد (وهو ما يصاحب الإدغام): رأس «شين» بغير نقطة هكذا (سـ)، وإنما جعلت الشين علامة له، لأنه يراد أول كلمة (شديد)[1].

ب ـ وضع للسكون الخفيف: رأس حرف «خاء» بلا نقط أيضاً. هكذا (حـ)، يريدون بذلك أول كلمة (خفيف).

ولعل اكتفاء الخليل في علامة المخفف والمشدد بالخاء والشين وحدهما، ودلالته بهما على (خفيف) و(شديد)، من حيث جرى استعمال العرب لمثل ذلك في كلامهم، فلفظوا بالحرف الواحد من الكلمة، ودلوا به على سائرها، إيجازاً واختصاراً[2].

جـ ـ وضع للهمز: رأس «عين» هكذا (ء)، وذلك؛ لقرب[3] الهمزة من العين في المخرج.

د ـ ولألف الوصل: رأس «صاد» هكذا (صـ) توضع فوق ألف الوصل دائماً، مهما كانت حركة ما قبلها.

هـ ـ وللمد الواجب: «ميماً» صغيرة مع جزء من «الدال» هكذا (مد).

و ـ وللرَّوْم.

---

(١) وهذا مذهب الخليل وسيبويه، وعامة أصحابهما، وعليه سائر أهل المشرق من النقاط، وهناك علامة أخرى للتشديد وهي حرف (د) وكان ذلك لأنه آخر كلمة (شديد) وعليه أهل المدينة والأندلس، انظر المحكم (ص ٤٩، ٥٠).

(٢) المحكم ص ٥٢.

(٣) المحكم ص ١٤٦.

ز ـ وللإشمام (◇).

فكان مجموع ما ابتكره الخليل من علامات ـ سواء بالتجديد، أو بالوضع ـ عشر علامات[1]، وهي: ـ

١ ـ الفتحة: وعلاماتها ترسم هكذا (ـَ).

٢ ـ الضمة: وعلاماتها ترسم هكذا (ـُ).

٣ ـ الكسرة: وعلاماتها ترسم هكذا (ـِ).

٤ ـ الشدة: وعلاماتها ترسم هكذا (ـّ).

٥ ـ السكون: وعلاماتها ترسم هكذا (حـ).

٦ ـ المدة: وعلاماتها ترسم هكذا (مد).

٧ ـ الصلة: وعلاماتها ترسم هكذا (صـ).

٨ ـ الهمزة: وعلاماتها ترسم هكذا (ـٔ).

٩ ـ الروم[2]: وعلاماتها ترسم هكذا.

١٠ ـ الإشمام[3]: وعلاماتها ترسم هكذا.

ملاحظة: لم نرسم علامتي ضبط الإشمام، والروم، إذ أن هناك خلافاً في تعريتهما من الضبط، وعدم ذلك.

---

(١) انظر: حياة اللغة العربية ص ٩٦، المحكم ص ٦.

(٢) قال الداني: هو إضعافك الصوت بالحركة حتى يذهب بذلك معظم صوتها، وقد قدروا الثابت من الحركة بثلثها. انظر: الإضاءة في أصول القراءة ص ٥٨، ٥٩.

(٣) وهو عند القراء نوعان: الأول: إشمام الكسرة الضم، الثاني: الإشارة بضم الشفتين فيما نص فيه على هذا الإشمام بخصوصه.
انظر: السبيل إلى ضبط كلمات التنزيل ص ٢٦.
ويلاحظ: أن الروم، والنوع الثاني من الإشمام لم يضع القراء له علامة، لأن ما في الروم بعض حركة، وما في الإشمام إشارة إلى حركة، وهذا لا يضبط بعلامة، وإنما يؤخذ بالتلقي الشفاهي. وأما الخلاف ـ كما سترى ـ في ضبط النوع الأول من الإشمام.

فقد ذهب جماعة إلى تعريتهما من الشكل، ومن هؤلاء أبو داود، وعلتهم في ذلك: أن هذه الأشياء لا تؤخذ من الخط، وإنما تؤخذ مشافهة من الشيوخ، فتعريتها تحمل على السؤال عما يستحقه الحرف المعرى من العلامة الدالة على كيفية النطق به، وذلك: أدق في التلقي، وأحوط في الأداء.

وذهب آخرون إلى نقطهما، وهو اختيار الداني، وعليه العمل، وعلتهم في نقطهما، أن ذلك إذا لم ينقط، قد يظن الناظر أن تعريته من النقط سهو من الناقط، فيحركه بحركة خالصة، وهو على غير ذلك.

وعلى هذا: فعلامة «المشم» عند هؤلاء: هي نقطة مربعة خالية الوسط توضع أمام الحرف هكذا (قـِيـل)، حتى لا تلتبس بنقط الإعجام، وأما «الروم» فليس له علامة عندهم ـ كما عند غيرهم ـ لأن الروم: إتيان ببعض حركة، ولا يضبط هذا بعلامة[1].

وكلها حروف صغيرة، أو أبعاض حروف، بينها وبين مدلولاتها مناسبة ظاهرة، بخلاف علامات أبي الأسود وأتباعه، فإنها مجرد اصطلاح، لم يبن على مناسبة بين الدوال والمدلولات.

وبهذه الطريقة: أمكن أن يجمع الكاتب بين الكتابة، والإعجام، ويشكل بلون واحد[2]. وأمكن للقارىء أن يتلو بسهولة ودون عناء بين النقط المدور وألوانه المتعددة.

ونلاحظ فيما فعله الخليل بن أحمد الملاحظات التالية: ـ

١ ـ أن الخليل: قد ابتدع علامات أخرى، فوق علامات أبي الأسود

---

(١) السبيل إلى ضبط كلمات التنزيل ص ٢٦، ٢٧، ٢٨.

(٢) انظر: حياة اللغة العربية ص ٩٧.

زادها في هذه المرحلة من مراحل النقط والشكل.

مثل: علامات، الهمز، والتشديد، والروم، والإشمام[١].

٢ ـ أن هذا التشكيل ـ بعد اتباعه واستعماله، كما سنرى ـ قد عم جميع حروف المصحف، نتيجة تعميم نصر بن عاصم للنقط في جميع الحروف ـ على غير ما فعله أبو الأسود، حيث كان عمله قاصراً على أواخر الكلمة لا غير.

٣ ـ أنه أمكن بعمل الخليل كتابة القرآن منقوطاً نقط إعجام ومشكولاً بمداد واحد، دونما لبس أو خلط بينهما، ولم يعد الكُتَّاب في حاجة إلى مدادين أو أكثر، أثناء الكتابة، منذ وقتها.

وفي هذا ما فيه من التسهيل على الكاتب والقارىء.

٤ ـ أن الخليل لم يتعرض ـ في عمله ـ لنقط الإعجام، الذي قام به: نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر العدواني، الذي ظل على حاله، إلى يومنا هذا، فيما عدا تحسينات طفيفة[٢]. مثل: تفننهم في النقطة نفسها، فمنهم: من وضعها مربعة، ومنهم من وضعها مدورة مسدودة الوسط، ومنهم من وضعها جرة صغيرة فوق الحرف أو تحته[٣].

٥ ـ أن ما فعله الخليل بن أحمد ـ في هذه المرحلة الثالثة ـ هو الذي كتب له الثبوت، وهو الذي عليه الناس حتى الآن[٤].

فيما عدا تحسينات طفيفة، مثل[٥]:

---

(١) انظر: المحكم ص ٦، ومقدمته ص ٣١.

(٢) تاريخ المصحف الشريف للشيخ عبد الفتاح القاضي ص ٩٠.

(٣) حياة اللغة العربية ص ٩٥.

(٤) انظر: السبيل إلى ضبط كلمات التنزيل ص ٥، المصحف الشريف للقاضي ص ٩٠.

(٥) حياة اللغة العربية ص ٩٧.

أ ـ حذف جزء من رأس الياء المجعول علامة للكسرة فصار هكذا (ـِ).

ب ـ حذف رأس الميم من علامة المد فصار هكذا (ـٓ).

جـ ـ جواز أن تكتب الضمتين ـ في التنوين ـ على أصلهما هكذا (ـُـُ).

أو تزاد الثانية على الأول هكذا (ـٌ).

د ـ أن توضع كسرة الحرف المشدد تحت الشدة فوق الحرف هكذا (ـِّ).

أو تبقى تحت الحرف مع وجود الشدة فوقه هكذا (ـّـِ).

هـ ـ وفي الهمزة المكسورة: أن توضع مع كسرتها تحت الألف هكذا (إ).

أو توضع الهمزة من فوق، والكسرة من تحت هكذا (أِ).

٦ ـ أن الخليل: استعمل اختراعه هذا في كتب الأدب واللغة، دون القرآن؛ حرصاً على كرامة أبي الأسود وأتباعه، وإتقاءً لتهمة البدعة في الدين[١].

٧ ـ أنه بعد اختراعه للشكل: صنف في النقط كتاباً، وهو كما يقول الداني: أول من صنف في النقط، ورسمه في كتاب، وذكر علله[٢].

---

(١) حياة اللغة العربية ص ٩٧.

(٢) المحكم ص ٩.

المبحث الخامس
(النـــاس والنـقـــط)

المطلب الأول: مدى اتباع الناس للنقط.

أولاً: في عصر الصحابة.

وجدنا أن الصحابة كانوا يتحرجون عن نقط المصاحف، ويكرهون ذلك، بل نهوا عنه، يمثلهم في ذلك: ابن عمر، وعبد الله بن مسعود، فيما رواه عنهما الداني[1]، وقد سبق ذكر هذا عند الاستدلال على معرفة الصحابة للنقط.

وظل هذا التحوط، وهذه الكراهية للنقط، وظل استعماله طفيفاً جداً حتى كان إحياء أبي الأسود للنقط الإعرابي، واختراعه طريقة سهلة، ميسورة وعظيمة، وهنا تغير الموقف بعض الشيء على النحو الذي يلي.

ثانياً: بعد نقط أبي الأسود.

ونحن نعلم ـ أيضاً ـ أن أبا الأسود تمنع أول الأمر في نقط المصحف، حتى غلب زياد بن أبيه تمنعه هذا، ووضع نقط الإعراب ـ على النحو الذي فصله البحث سابقاً، ولمَّا تم له وضعه، وذاع أمره، صار الناس حيال نقطه ـ بل حيال النقط عموماً ـ فريقين: ـ

الفريق الأول:

الذين اتبعوه، سواء كان لهم نقط قبل نقط أبي الأسود، مثل من كانوا

---

(١) انظر: المحكم ص ١٠.

ينقطون من أهل مكة، والمدينة، والذين تركوا نقطهم، واتبعوا نقط أبي الأسود[1]. أو ممن لم يكن لهم نقط قبل ذلك، فتعلموا نقط أبي الأسود، وعملوا به، وهؤلاء جميعاً منهم من كان يتبع هذا النقط باقتناع من نفسه، وإيمان بفكرته، وإحساس بأهميته، وضرورته، ومنهم من كان يتبعه بسبب دعاية الحكام ـ الذين هم سبَب وضعه ـ له، والذين كانوا يحملون الناس على اتباعه، كما حدث في نقط الإعجام[2].

وعلى كل حال: فقد أخذ جميع هؤلاء النقط عن أبي الأسود وأتباعه، حتى حفظ نقطه، وضبط، وقيد، وعمل به[3].

وقد رخص في نَقْط المصاحف، وشكلها بالإعراب، جماعة منهم ربيعة بن عبد الرحمٰن، وابن وهب، وصرح الشافعي: بأنه يندب نقط المصحف وشكله، حيث إن احتجاج الممانعين بتجريد الصحابة له من ذلك ـ قد كان ـ حين ابتدأ الجمع، حتى لا يدخل بين دفتي المصحف، ما ليس من القرآن[4]، وقد أمن ذلك اليوم، فلا يمنع من ذلك، لكونه محدثاً، فإنه من المحدثات الحقة التي لا تمنع[5]، وقال النووي يستحب نقط المصحف وشكله، فإنه صيانة له من اللحن فيه[6].

وظل هؤلاء ينقطون مصاحفهم ـ وفق قراءاتهم، بهذا النقط، بل يتفننون فيه ـ كما سبقت الإشارة إلى ذلك ـ حتى كان تعميم نصر بن عاصم لهذا النقط، فأضاف الناس ذلك أيضاً في مصاحفهم.

---

(١) انظر: المحكم ص ٧، ٨، ٩.
(٢) انظر: حياة اللغة العربية ص ٩٢.
(٣) المحكم ص ٦.
(٤) عنوان البيان ص ٧٩.
(٥) مناهل العرفان ١/٤٠٢.
(٦) التبيان للنووي ص ٩٨.

وكان نقطهم هذا مقصوراً على المصاحف فقط، دون أنواع الكتابات الأخرى[1]، فلم يزل نقطها عيباً حتى وقتهم هذا.

ولما كان نقط الإعجام أيضاً تبعوه، في المصاحف، وغيرها؛ على أن «العجم نور الكتاب»[2].

الفريق الثاني:

وهم الممانعون للنقط، والكارهون له، والناهون عنه، وعلتهم في ذلك، الإقتداء بالنبي ﷺ، وأصحابه، في تجريدهم له من النقط، بل نهيهم عنه، و ـ أيضاً ـ مخافة أن يتسبب النقط في زيادة بعض الحروف، أو ينقص منها[3]، ومنهم: ابن مسعود، والنخعي، وابن سيرين[4].

عن الحسن وابن سيرين «أنهما كانا يكرهان نقط المصاحف»[5].

وعن أبي رجاء: سألت محمداً عن نقط المصاحف، فقال: إني أخاف أن يزيدوا في الحروف، أو ينقصوا منها[1].

وأما الإمام مالك فيقول: ـ

أ ـ ولا يزال الإنسان يسألني عن نقط القرآن.

فأقول له:

أما الإمام من المصاحف فلا أرى أن ينقط، ولا يزاد في المصاحف ما لم يكن فيها.

---

(١) حياة اللغة العربية ص ٨٧.
(٢) المحكم ص ١٢.
(٣) المحكم ص ١١.
(٤) الإتقان ٤/ ١٦٠.
(٥) المحكم ص ١١، الإتقان ٤/ ١٦٠.

وأما المصاحف الصغار، التي يتعلم فيها الصبيان، وألواحهم.

فلا أرى بذلك بأساً.

ب ـ وسئل عن شكل المصاحف فقال:

أما الأمهات فلا أراه.

وأما المصاحف التي يتعلم فيها الغلمان فلا بأس[1].

وهنا نجد أن الإمام مالك رضي الله عنه ـ مع الممانعين في المصاحف الأمهات، ومع الناقطين بالنسبة للناشئة والغلمان فقط، وهم الذين لا يملكون ما كان يملكه أسلافهم من الفصاحة، وخلو الذهن، وسلامة العربية.

ثالثاً: بعد نقط الخليل.

وقد ظل الناس على هذا الحال حتى بعد اختراع الخليل للشكل الإعرابي، منهم من يتحرج من النقط مطلقاً، ويفتي بمنعه ـ كما قدمنا ـ ومنهم من يستعمله، حتى أن الخليل نفسه ـ أمام هذا الموقف ـ لما اخترع شكله، لم يستعمله إلا في كتب اللغة والأدب، دون القرآن، حرصاً منه على كرامة أبي الأسود وأتباعه، واتقاءً لتهمة البدعة في الدين[2]. والناس كذلك يستعملون نقطه في غير المصاحف، وينقطون المصاحف الجامعة من الأمهات، بنقط أبي الأسود.

يقول الداني[3]:

واتباع هذا ـ أي نقط أبي الأسود ـ أولى، والعمل به في المصاحف

---

(١) المحكم ص ١١.

(٢) حياة اللغة العربية ص ٩٧.

(٣) المحكم ص ٤٢، ٤٣.

أحق، من الذي رآه من جاء بعدهم، لتقدمهم، ونفاذ بصيرتهم، فوجب المصير إلى قولهم، ولزم العمل بفعلهم، دون ما خالفه، وخرج عنه.

وفي ذلك ـ أيضاً ـ إقتداءٌ منا بفعل من ابتدأ النقط من علماء السلف بحضرة الصحابة، رضي الله عنهم، واتباع له، واستمساك بسنته، إذ مخالفته: مع سابقته وتقدمه، لا تسوغ وترك اقتفاء أثره في ذلك، مع محله من الدين، وموضعه من العلم، لا يسع أحداً أتى بعده. اهـ.

وقد ظل أصحاب القراءة: لا يتبعون طريقة الشكل ـ الذي اخترعه الخليل ـ في ضبط المصاحف إلى عصر الداني، ويؤثرون طريقة النقط المدور، اتباعاً للسلف، ويتشددون في ذلك[1].

غير أن تشدد المشارقة لم يكن في قوة تشدد المغاربة «أهل الأندلس».

والعلة ـ كما يراها الأستاذ حفني ناصِف ـ أن الأندلسيين أبوا اتباعها أول الأمر، محافظة منهم على الإصلاح الأموي ـ وهو نقط أبي الأسود ـ وكراهية للإصلاح العباسي ـ وهو نقط الخليل ـ وهو إدخال للسياسة في العلم ـ. . . حتى إذا ذهب الأمل من بني أمية اتفقوا مع الشرقيين ـ أي من ينقط منهم نقط الخليل ـ على اتِّباع إصلاح الخليل، واصطلحوا على اصطلاحه، وهو اصطلاح معقول، وصلح مقبول[2].

وعلى العموم: فإن هذا التشدد ـ من هؤلاء وهؤلاء ـ قد ضعف أمره، مع تراخي الزمن، وابتغى الناس السهولة واليسر في ضبط المصاحف، فمالوا وانصرفوا جميعاً في العصور المتأخرة عن طريقة النقط المدور إلى طريقة

---

(١) مقدمة كتاب المحكم ص ٣٤.

(٢) حياة اللغة العربية ص ٩٧.

الشكل المأخوذ من صور الحروف، الذي وضعه الخليل، واتبعه النحويون، لأنها أسهل، وأقرب إلى فهم القارىء[1].

وأصبحت المصاحف تنقط نقط الإعجام، كما وضعه: نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، ونقط الإعراب، كما وضعه: الخليل بن أحمد الفراهيدي، والكل ـ الكلمات، ونقط الإعجام، ونقط الإعراب ـ بمداد واحد، حتى يومنا هذا.

ويجب أن نلاحظ باهتمام أنه[2]:

١ ـ في نقط أبي الأسود.

بدأ ذلك في المصحف، وكان استعماله عيباً في غير المصحف أول الأمر، وقد انتهى الآن، ولم يعد يستعمل لا في المصحف، ولا في غيره.

٢ ـ في نقط الإعجام.

بدأ في المصحف، وكان استعماله ـ كذلك ـ عيباً في غير المصحف أول الأمر، وقد ظل حتى الآن هو المستعمل في المصحف وغيره.

٣ ـ في نقط الخليل.

بدأ في غير المصحف، ولم يستعمل في المصحف أول الأمر، وقد استعمل في غيره، ثم استعمل فيهما.

والآن: أصبح يستعمل في المصحف استعمالاً كلياً، بينما نجده قد قل استعماله في غير المصحف جداً.

---

(١) مقدمة كتاب المحكم ص ٣٤، الإتقان ٤/ ١٦٢.

(٢) انظر: مفتاح السعادة ١/ ٨٩، ٩٠.

المطلب الثاني: التأليف في النقط[1].

قلنا إن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كانوا يتحرجون من النقط، بل ينهون عن استعماله، ولذا لم يوضع له في عصرهم طريقة خاصة، ونظام معين، ولم يكن عملهم فيه سوى محاولات تيسيرية فحسب[2].

ثم جاء جيل التابعين، وجدد أمر النقط وبعثه من جديد، واخترعت له طريقة، وأصبح له نظام، وقواعد، وأصول.

وبدأ التأليف فيه، وقد قال أبو بكر بن مجاهد في كتابه النقط.

«وفي النقط علم كبير، واختلاف بين أهله، ولا يقدر أحد على القراءة في مصحف منقوط، إذا لم يكن عنده علم بالنقط، بل لا ينتفع به إن لم يعلمه»[3]، ولذا كثرت فيه التآليف، تيسيراً على الناس، وخدمة لكتاب الله تعالى، وتحقيقاً لوعده بحفظه.

وكان ممن ألفوا في النقط: ـ

١ ـ أبو الأسود الدؤلي ت ٦٩هـ.

ذكر أبو عمرو الداني: أنه وضع المختصر المنسوب إليه في النقط[4].

٢ ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠هـ.

ذكر الداني: أنه أول من صنف النقط، ورسمه في كتاب، وذكر علله[5].

---

(١) المادة العلمية في هذا المطلب منقولة كلها عن مقدمة كتاب المحكم.

(٢) مقدمة كتاب المحكم ص ٣٠.

(٣) المحكم ص ٢٤.

(٤) المحكم ص ٤.

(٥) المحكم ص ٩، الفهرست ص ٣٥، الانباه ١/٣٤٦، معجم الأدباء ١١/٧٥.

٣ ـ أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي ت ٢٠٢هـ[١].

٤ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن المبارك اليزيدي ت٢٢٥هـ[٢].

٥ ـ أبو عبد الله محمد بن يحيى بن المبارك اليزيدي ت ٢٢٧هـ[٣].

٦ ـ أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن يحيى بن المبارك اليزيدي ت ٢٣٧هـ[٤].

٧ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي ت ٢٤٩هـ[٥].

٨ ـ أبو عبد الله محمد بن عيسى الأصبهاني ت ٢٥٣هـ[٦].

٩ ـ أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني ت ٢٥٥هـ[٧].

١٠ ـ أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ت ٢٨٢هـ[٨].

١١ ـ أبو بكر محمد بن السري بن السراج ت ٣١٦هـ[٩].

١٢ ـ أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد ت ٣٢٤هـ[١٠].

١٣ ـ أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ت ٣٢٧هـ[١١].

---

(١) المحكم ص ٩.
(٢) الفهرست ص ٥٨، معجم الأدباء ٢/ ٩٨، البغية ص ١٩٠.
(٣) الانباه ٣/ ٢٤٠.
(٤) المحكم ص ٩، الفهرست ص ٣٥، معجم الأدباء ٢٠/ ٣١.
(٥) الفهرست ص ٢٣٥، الانباه ١/ ١٦٧، معجم الأدباء ١/ ١٦١.
(٦) المحكم ص ٩، الفهرست ص ٣٥.
(٧) المحكم ص ٩، الفهرست ص ٣٥.
(٨) الفهرست ص ٣٥.
(٩) الانباه ٢/ ٢٩٥.
(١٠) المحكم ص ٩، ٢٣.
(١١) الفهرست ص ٣٥.

١٤ ـ أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي ت ٣٣٤هـ[١].

١٥ ـ أبو بكر محمد بن عبد الله بن أشته ت ٣٦٠هـ[٢].

١٦ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن بشر الأنطاكي ت ٣٧٧هـ[٣].

١٧ ـ أبو أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ت ٣٨٤هـ[٤].

ولم يصل إلينا شيء من الأسفار التي ألفها هؤلاء العلماء.

١٨ ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ت ٤٤٤هـ[٥].

١٩ ـ أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الخراز ت ٧٠٣هـ[٦].

٢٠ ـ أبو عبد الله محمد بن يونس التنسي ت ٨٩٩هـ[٧].

ومن هذه القائمة: يتبين لنا، أن التأليف قد قل في موضوع النقط بعد أبي عمرو الداني.

والسبب في ذلك ـ كما يراه الدكتور عزة حسن ـ هو انصراف الناس في العصور المتأخرة ـ أي بعد عصر الداني ـ عن طريقة النقط المدور، في ضبط المصاحف، إلى طريقة الشكل، الذي وضعه الخليل، لأنها أسهل وأقرب إلى فهم القارىء[٨].

---

(١) المحكم ص ٩، ٢٣.
(٢) المحكم ص ٩.
(٣) المحكم ص ٩.
(٤) الانباه ٢/ ٢٩٥.
(٥) طبع بدمشق ١٩٦٠م.
(٦) مقدمة كتاب المحكم ص ٣٤.
(٧) مقدمة كتاب المحكم ص ٣٥.
(٨) مقدمة كتاب المحكم ص ٣٤.

المبحث السادس

(تحقيق أول من نقط)

اختلفت الآراء فيمن ابتدأ بوضع نظام النقط من التابعين[1]: ـ

١ ـ أهو أبو الأسود الدؤلي[2]..؟

٢ ـ أو هونصر بن عاصم الليثي[3]..؟

٣ ـ أو هو يحيى بن يعمر العدواني[4]..؟

ثلاثة أشخاص اختلفت المراجع في نسبة أولية وضع النقط إلى كل منهم، والجميع ـ كما نعلم ـ من أهل البصرة[5].

كيف يمكن التوفيق بين هذه الآراء، على حين نجد في كثير من المراجع الأصلية، أن الذي قام بذلك لأول مرة هو أبو الأسود الدؤلي[6].

وقد حاول العلماء التوفيق بين هذه الآراء، محاولين كشف وجه الحقيقة؛ حتى ينسب العمل إلى صاحبه، وحتى يكون عمل كهذا ـ تَمَّ في ساحة القرآن الكريم ـ جلياً أمره، واضحة ظروفه، معروفة ملابساته، منسوباً كل عمل من أجله إلى صاحبه.

---

(١) مقدمة كتاب المحكم ص ٣٠، الإتقان ٤/ ١٦٠.

(٢) المحكم ص ٣، ٤، مفتاح السعادة ١/ ١٤٩، الإتقان ٤/ ١٦٠.

(٣) المحكم ص ٦، طبقات القراء ٢/ ٣٣٦، شرح ما يقع فيه التصحيف ص ١٣، الإتقان ٤/ ١٦٠.

(٤) المحكم ص ٥، طبقات القراء ٢/ ٣٨١، المصاحف ص ١٤١، الإتقان ٤/ ١٦٠.

(٥) مقدمة كتاب المحكم ص ٣١، طبقات القراء ١/ ٣٤٥، ٢/ ٣٣٦، ٢/ ٣٨١.

(٦) تاريخ القرآن د. عبد الصبور شاهين ص ٦٩، المصحف الشريف للشيخ القاضي ص ٨٧، المقنع ص ١٣٣، فصل الخطاب ص ٤٢.

وكان ممن حاول التوفيق: ـ

١ ـ أبو عمرو الداني.

إذ يقول في كتابه المحكم ـ بعد أن ذكر طائفة من المرويات التي ينسب أصحابها، في كل واحد منها، أولية وضع النقط، إلى واحد من هؤلاء الثلاثة ـ.

يقول: «يحتمل أن يكون يحيى ونصر: أول من نقطاها للناس بالبصرة، وأخذا ذلك عن أبي الأسود، إذ كان السابق إلى ذلك، والمبتدىء به»[1].

ونلاحظ على توفيق الداني هذا ما يلي: ـ

أولاً: أنها محاولة توفيق ـ في نسبة الأولية ـ من حيث المكان فقط، لا من حيث الزمان، وتحديد نوع النقط، والأولية المطلوبة: هي الأولية من حيث الزمان، وتحديد نوع النقط.

ثانياً: كيف يكون ـ كما يقول أبو عمرو نفسه ـ هما أول من نقطاها للناس بالبصرة!

مع أن الرجل الذي قام بالنقط مع أبي الأسود كان من قبيلة «عبد القيس» وهي التي أنجبت هذا الرجل، الذي اختاره أبو الأسود من بين ثلاثين رجلاً، وهي قبيلة من قبائل البصرة، وفيها ـ أيضاً ـ نقط أبي الأسود منذ اختراعه ـ كما يقول الداني نفسه، : «فذلك النقط بالبصرة في عبد القيس إلى اليوم»[2] أي يوم الداني.

وكيف يعقل ـ بعد كل ذلك ـ أن لا يدخلها النقط، إلا مع يحيى، ونصر، تلميذي أبي الأسود، كما يروي أبو عمرو في توفيقه.

ثالثاً: يظهر بوضوح، في محاولة الداني هذه، عدم التفرقة بين نقط

---

(١) المحكم ص ٦.

(٢) المحكم ص ٧.

أبي الأسود، ونقطهما، إذ المحاولة ـ كما يظهر ـ تعتمد على أنه نقط واحد.

٢ ـ وممن حاول التوفيق ـ في عصرنا الحديث ـ في هذه المسألة.

الشيخ الزرقاني في كتابه «مناهل العرفان»، إذْ يقول:

«ويمكن التوفيق بين هذه الأقوال: بأن أبا الأسود، أول من نقط المصحف، ولكن بصفة فردية، ثم تبعه ابن سيرين، وأن عبد الملك أول من نقط المصحف، على يد يحيى ونصر، إذ كان فعلهما تنفيذاً لأمره، ولكن بصفة رسمية، عامة. ذاعت وشاعت بين الناس»[1].

ونلاحظ ـ أيضاً ـ على محاولة الزرقاني للتوفيق ما يلي: -

أولاً: أنه في محاولته هذا ينحو نحواً خاصاً بعض الشيء، فهو في توفيقه، يرى أن الخلاف، إنما هو في نسبة أولية نقط الإعجام فقط.

دون النقط الإعرابي فهو ينسبه إلى أبي الأسود، دونما إشارة إلى خلاف بين العلماء، والخلاف في نظره هو في نقط الإعجام.

ثانياً: أن الخلاف بين العلماء، وجد حقيقة، عند من لم يحدد نوع كل نقط من النقط عامة، مع تحديد واضعه، وليس الخلاف ـ عندهم ـ في نقط بعينه.

ثالثاً: أنه لم يذكر أحد من العلماء أن أبا الأسود هو الذي وضع نقط الإعجام، غير ما ذكر الشيخ، وبنى عليه الخلاف، وبنى على هذا الخلاف ـ بالتالي ـ التوفيق.

رابعاً: أن نقط الإعجام: كما أثبت البحث ـ سابقاً ـ وإن كان قديماً، فإن أوَّل من تعرض له من المسلمين، بالتقعيد، والتنظيم، إنما هو نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر العدواني.

---

(١) مناهل العرفان ١/ ٤٠٠.

وقد تأثر الدكتور أبو شهبة بتوفيق الزرقاني هذا.

فهو يرى أن الخلاف، الذي بين العلماء، في أول من نقط، إنما هو في نقط الإعجام، ولذا فهو يرى في التوفيق بين آرائهم، نفس ما يراه «الزرقاني»، فهو يذكر النقط الإعرابي وحده تحت عنوان «شكل القرآن»[1]، والنقط بمعنى الإعجام تحت عنوان «إعجام القرآن» في صفحة أخرى، ولا يذكر خلافاً بين العلماء في أول من وضع النقط بمعنى الشكل، وإنما يذكر الخلاف في أول من نقط نقط إعجام، ويذكر أن من العلماء من يرى أن الإعجام، لم يعرف إلا من طريق أبي الأسود الدؤلي[2].

ولذا فهو يحاول التوفيق بناءً على أن خلافهم إنما هو فيمن وضع نقط الإعجام، ويقول في التوفيق:

«ويمكن التوفيق بين هذا ـ يشير إلى نسبة نقط الإعجام إلى نصر، ويحيى ـ وما تقدم ـ وهو نسبة النقط لأبي الأسود ـ بأن أبا الأسود أول من نقط المصحف بصفة شخصية، وتبعه في ذلك ابن سيرين، وأما عبد الملك: فأول من أمر بنقط المصحف بصفة عامة رسمية، شاعت وذاعت بين الناس قاطبة»[3].

٣ ـ وممن حاول التوفيق أيضاً.

الدكتور أحمد السيد الكومي والدكتور محمد أحمد يوسف القاسم، في كتابهما، «فصل الخطاب في سلامة القرآن الكريم»[4].

---

(١) انظر: المدخل ص ٣٨٧.
(٢) المدخل ص ٣٨٩.
(٣) انظر: المدخل ص ٣٨٩.
(٤) طبع مطبعة المدني ٦٨ش العباسية بالقاهرة ص ٤٢.

يقول المؤلفان:

«ويمكننا أن نقول في التوفيق بين الأربعة ـ أبو الأسود، نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، والحسن البصري ـ أن أبا الأسود: هو أول من بدأ على الإطلاق في شكل المصاحف، ولكن بصفة فردية، وأن نصر بن عاصم هو الذي زاد على الشكل التخميس والتعشير، وأن الحسن ويحيى هما اللذان نشرا المصحف على حالته الأخيرة بأمر الوالي، فأخذ الصفة الرسمية وذاع بين الناس».

ملاحظة الباحث على هذه المحاولة:

أولاً: أنها أقرب محاولات التوفيق إلى التوفيق، حيث إن المؤلفين نسبا أولية وضع النقط الإعرابي إلى أبي الأسود، ونسبا نشر المصحف على حالته الأخيرة، من حيث نقط الإعجام ـ وإن كانا لم يصرحا بذلك ـ إلى يحيى ومن معه.

ثانياً: كان عليهما أن يوضِّحا أن الذي قام به الحسن ويحيى هو نقط الإعجام، حتى لا يتبادر إلى الذهن أن عملهما، وعمل أبي الأسود من نوع واحد، ولو فعلا ذلك ما احتاج الأمر منهما إلى توفيق إذْ أن المسألة تصبح واضحة في نسبة كل نقط إلى أول من وضعه.

هذا... وقد تعرض الدكتور غزلان إلى الإشارة إلى هذا الخلاف، فقد قال في كتابه: «وقد اختلف ـ كما يقول السيوطي ـ فيمن له أولية إحداث الشكل والنقط منهم».

ثم قال:

«وحيث إنهم جميعاً عاشوا في فترة واحدة تقريباً، وقد انحصر إحداث

الشكل والنقط فيهم، فإن مقتضى ذلك تقاربهما ـ أي الشكل، والنقط ـ في الزمن، حيث انحصر حدوثهما في هذه الفترة، والحاجة ماسة إلى كل منهما، لصيانة القرآن»[1].

ومن عبارته نرى أنه لم يتعرض إلى التوفيق، فيما نقله عن السيوطي مما اختلفوا فيه.

٤ ـ ونحاول نحن ـ مستعينين بتوفيق الله تعالى ـ أن نوافق بين هذه الروايات في نسبة الأولية، لمن قام بالنقط، على الوجه التالي: ـ

أ ـ من الواضح ـ الثابت ـ أن الناس أول ما وقعوا في اللحن، كان احتياجهم إلى نقط الإعراب شديداً[2]، وهو ما قام به أبو الأسود (عام ٤٨هـ ـ ٦٦٨م)، وهو ما عبر عنه ـ في إجابته لزياد ـ بقوله: «ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن»[3]، وهذا النقط هو ما كان في أواخر الكلمة فقط ـ كما تقدم ـ وهذا هو ما عبرنا عنه ـ في هذا البحث، بالمرحلة الأولى، من مراحل النقط والشكل.

ب ـ ثم لما كثرالاختلاط، واشتد اللحن ـ كما سبق توضيحه ـ ووقع الخلط في الكلمات المتماثلة، ظهرت الحاجة إلى نقط الإعجام[4]، وهو ما قامت به اللجنة التي كلفها الحجاج بن يوسف الثقفي، تنفيذاً لأمر عبد الملك بن مروان.

وهذه اللجنة، هي ـ كما سبق ـ نصر بن عاصم، يحيى بن يعمر، والحسن البصري.

---

(١) البيان ص ٢٦٤، ٢٦٥.
(٢) تاريخ القرآن د. شاهين ص ٧٠، فصل الخطاب ص ٤١.
(٣) المحكم ص ٤.
(٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٣٨٩.

وهذا هو ما عبر عنه ـ في هذا البحث ـ بالمرحلة الثانية[1]، وقد كان ذلك بعد عام ٦٥هـ ـ ٦٨٣ م.

ويقول الشيخ عبد الفتاح القاضي، بعد أن يسوق قصتي وضع الشكل، والنقط، يقول:

«ويؤخذ من هذه القصة، وما قبلها، أن النقط بمعناه الأول ـ وهو نقط الإعراب ـ سابق في الوجود، عليه بمعناه الثاني ـ وهو نقط الإعجام ـ ضرورة تقدم زمن زياد على زمن الحجاج، وأن المخترع له بمعناه الأول غير المخترع له بمعناه الثاني»[2].

جـ ـ ومن هذا: نرى أن النقط الذي قام به أبو الأسود مغاير تمام المغايرة للنقط الذي قام به نصر، ويحيى، والحسن، وهما نقطان مختلفان زماناً ـ كما رأينا ـ ونوعاً، إذ أن الأول: كان نقط إعراب، والثاني: كان نقط إعجام[3].

د ـ وعلى هذا، فالأخبار المروية في نسبة الأولية إلى يحيى، ونصر، والحسن، صادقة، إذ أنهم أول من وضع نقط الإعجام، ولا تعارض بين هذه الأخبار، وبين المشهور الثابت من نسبة الأولية إلى أبي الأسود الدؤلي، صاحب نقط الإعراب.

إذ أن هذه الأولية المنسوبة للجميع غير واردة على محل واحد.

---

(١) يخرج من ذلك ما قام به نصر بن عاصم وحده من تعميم نقط أبي الأسود على جميع حروف الكلمة.

(٢) المصحف الشريف للشيخ القاضي ص ٨٩.

(٣) وليس يرد على ذلك: ما قام به نصر بن عاصم من تعميم نقط أبي الأسود على جميع حروف الكلمة، إذ أنه كان تعميماً، فقط، وليس وضعاً جديداً.

ولا يظهر ـ بناءً على هذا ـ وجه الحاجة إلى التوفيق بين هذه المرويات، وبعضها البعض، أو بينها وبين نسبة الأولية إلى أبي الأسود.

هـ ـ وفي النهاية: يمكن أن نقرر ـ مستريحين ـ مع الأستاذ حفني ناصف:

١ ـ أن أول من وضع الشكل: أبو الأسود الدؤلي، بطلب زياد بن أبيه ـ عامل معاوية ـ فوضع نقطاً، حمراء، فوق الحروف، وتحتها، وعلى يمينها.

٢ ـ وأن أول من وضع نقط الإعجام: نصر بن عاصم، مستعيناً بأستاذه يحيى بن يعمر ـ أي وضعاه معاً[1] ـ بطلب الحجاج، عامل عبد الملك بن مروان[2].

٣ ـ وأن أول من غير النقط الحمراء إلى حروف صغيرة تكتب بنفس مداد الكلمات، هو الخليل بن أحمد، بعد انقراض دولة الأمويين[3].

---

(١) يضاف إليهما الحسن البصري، كما سبق.

(٢) وقد علم فيما مضى أن لنصر بن عاصم دورين في النقط: الأول: تعميم نقط أبي الأسود بمفرده، والثاني: وضع نقط الإعجام مع اللجنة ولا تعارض بين ما ذكر هنا، وما علم قبلاً.

(٣) انظر: تاريخ رسم المصحف للأستاذ حفني ناصف.

الباب الثالث

رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين

١ ـ **الفصل الأول:** رسم المصحف بين التوقيف والاصطلاح.

المبحث الأول: توقيفية رسم المصحف وأدلتها.

المبحث الثاني: اصطلاحية رسم المصحف وأدلتها.

٢ ـ **الفصل الثاني:** اتباع رسم المصحف.

المبحث الأول: مذاهب العلماء في اتباع رسم المصحف.

المبحث الثاني: حكم مخالفة رسم المصحف.

المبحث الثالث: فوائد اتباع رسم المصحف.

٣ ـ **الفصل الثالث:** مزايا رسم المصحف.

٤ ـ **الفصل الرابع:** شبهات حول رسم المصحف.

المبحث الأول: ما نسب إلى عثمان رضي الله عنه.

المبحث الثاني: ما نسب إلى عائشة رضي الله عنها.

المبحث الثالث: ما نسب إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

٥ ـ **الفصل الخامس**: مزاعم حول رسم المصحف.

المبحث الأول: كتابة المصحف بالرسم الإملائي.

المبحث الثاني: كتابة مصحفين.

المبحث الثالث: اقتراح عبد العزيز فهمي.

الفصل الأول

(رسم المصحف: بين التوقيف والاصطلاح)

وفيه:

المبحث الأول: توقيفية رسم المصحف وأدلتها.

المطلب الأول: المذهب.

المطلب الثاني: الاستدلال بالقرآن الكريم.

المطلب الثالث: الاستدلال بالسنة.

المطلب الرابع: الاستدلال بالإجماع.

المطلب الخامس: الاستدلال باتفاق أغلب الفقهاء على الالتزام به.

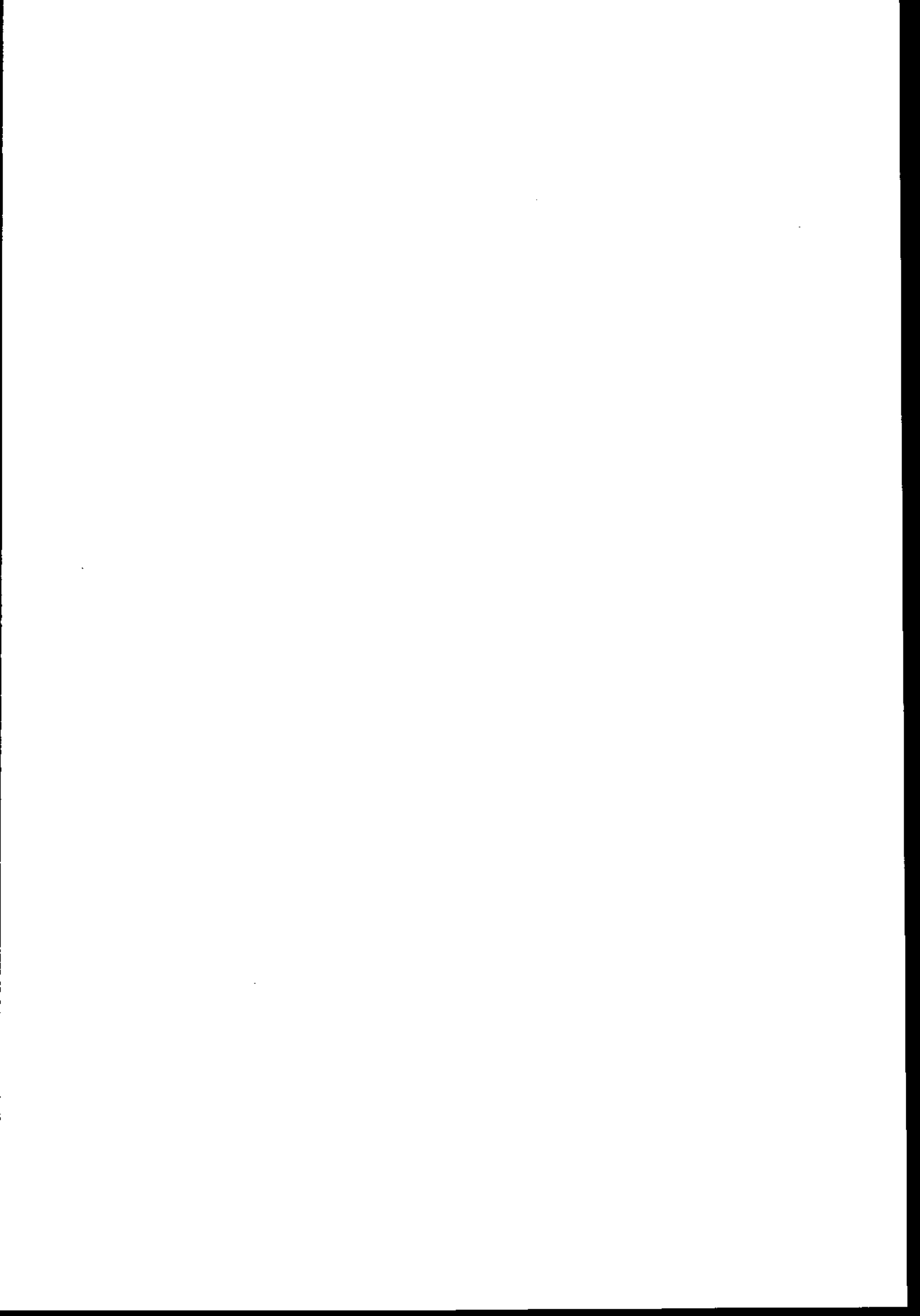
المطلب السادس: الاستدلال باختلاف رسم الكلمة الواحدة، باختلاف مواضعها.

المبحث الثاني: القائلون بأن رسم المصحف اصطلاحي، وأدلتهم.

المطلب الأول: المذهب.

المطلب الثاني: الدليل الأول.

المطلب الثالث: الدليل الثاني.



المبحث الأول

(توقيفية رسم المصحف وأدلتها)

المطلب الأول: «المذهب».

يرى جمهور العلماء: أن الرسم العثماني، توقيفي، لا مجال للعقل فيه، وليس لاجتهادات الصحابة، أو غيرهم دخل فيه.

والثابت: أنهم على أن اتباع حروف المصحف، كالسنن القائمة، لا يجوز لأحد أن يتعداها[1].

ويصور لنا هذا المذهب: صاحب كتاب «الإبريز» فيقول:

ما للصحابة، ولا لغيرهم، في رسم القرآن العزيز ولا شعرة واحدة، وإنما هو توقيفي من النبي ﷺ، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة، بزيادة الأحرف، ونقصانها، لأسرار لا تهتدي إليها العقول، وما كانت العرب في جاهليتها، ولا أهل الإيمان من سائر الأمم في أديانهم يعرفون ذلك، ولا يهتدون بعقولهم إلى شيء منه، وهو سر من أسراره، خص الله به كتابه العزيز، دون سائر الكتب السماوية، فلا يوجد شبه ذلك الرسم، لا في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في غيرهما من الكتب السماوية.

وكما أن نظم القرآن معجز: فرسمه ـ أيضاً ـ معجز، فكيف تهتدي العقول إلى سرِّ زيادة الألف في «سعوا» في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ

---

(١) البرهان ١/ ٣٨٠.

﴿ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾[1]. وكذلك: كيف نفهم سر ـ عدم زيادتها في «سعو» ـ أيضاً ـ في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾[2].

وأخذ يسوق الأمثلة على ذلك.

إلى أن قال:

وللقرآن أسرار، لا تستفاد إلا بهذا الرسم، فمن كتبه بالرسم التوقيفي، فقد أداه بجميع أسراره، ومن كتبه بغير ذلك، فقد أداه ناقصاً، ويكون ما كتبه إنما هو من عند نفسه لا من عند الله[3].

هذا هو المذهب.

وأدلته هي كما يلي: ـ

المطلب الثاني: الاستدلال بالقرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[4].

وخبر الله تعالى يجب أن يكون صادقاً، ويستحيل عليه الكذب، ولا سيما أنه تعالى، قد أكد خبر حفظه الذكر الحكيم، بالجملة الاسمية، وإنَّ، واللام، ففيه تأكيدات ثلاث.

وهو سبحانه وتعالى، يعلم الأشياء الواجبة والجائزة والمستحيلة في المستقبل كالماضي والحال، على ما هي عليه.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥١.
(٢) سورة سبأ، الآية: ٥.
(٣) نقلاً عن كتاب (البيان ص ٢٤٧).
(٤) سورة الحجر، الآية: ٩.

فهو تعالى يعلم أن حفاظ القرآن، سيتلون: رحمت، ونعمت، وسنت، ونحو ذلك من المواضع الخاصة بالتاء عند الوقف لا بالهاء، ويعلم سبحانه وتعالى أن قراء الأمة المحمدية،وفيهم كتبة الوحي، وقراء الصحابة، رضوان الله عليهم، سيقفون إفهاماً، وتعليماً، وامتحاناً، على يؤت من قوله تعالى: ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ بسورة النساء[1]، بحذف الياء، لغير جازم، وبسكون التاء، تبعاً لرسم الصحابة، ويعلم أيضاً: أن هؤلاء سيقفون ـ لما ذكر ـ على «سندع» من قوله تعالى: ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾[2]، و«يمح» من قوله تعالى: ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ ﴾[3]، و«يدع» من قوله تعالى: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ﴾[4]، يعلم تعالى: أنهم سيقفون على هذا كله، بحذف الواو لغير جازم في الأفعال.

فلو لم يكن الرسم توقيفياً، علَّمه الروحُ الأمين بأمر الله تعالى النبيَّ، لكان خبره تعالى كاذباً، وهو محال، إذ أن حفظ الله للذكر الحكيم، أعم من حفظ السورة، والآية، والجملة، والكلمة، والحرف.

فلو كان الرسم العثماني: غير توقيفي، بأن كتبه الصحابة على ما يسر لهم، كما يزعم أناس، لزم أن يكون الله تعالى قد أنزل على نبيه الكلمات السابقة (يؤت، يدع، سندع، يمح،... إلخ) بالياء، والواو وأن يكون تعالى، قد أنزل على نبيه (رحمت، نعمت، سنت... إلخ) في المواضع المخصوصة، بالهاء، (رحمه، نعمه، سنه) ثم كتبها الصحابة ـ لجهلهم بالخط يومئذٍ!! ـ بحذف الياء، والواو، وبالتاء، ثم تبعتهم في ذلك الأمة

---

(١) آية رقم ١٤٦، وانظر: النشر ٢/٢٥٣، إتحاف فضلاء البشر ٢٣١.
(٢) سورة العلق، الآية: ٨.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٤.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ١١.

المحمدية (خطأ) نحو أربعة عشر قرناً، فتكون الأمة الإسلامية، من عهده ﷺ إلى اليوم، مجمعة على حذف حروف عديدة من كلامه تعالى، وعلى استبدال حروف بأخرى (تاءات محل هاءات) ليست منزلة منه تعالى شأنه.

فلو كان ذلك كذلك: لكان خبره تعالى كاذباً، وكذب خبره تعالى باطل، فبطل ما أدى إليه، وهو كون رسم هذه الكلمات ونظائرها، من عند الصحابة، بلا توقيف نبوي.

وإذا بطل هذا: ثبت نقيضه، وهو كون الرسم العثماني ليس من عند الصحابة؛ بل بتوقيف، وهو المطلوب.

وهذا الدليل المنطقي، واضح جلي، واجب التسليم، لا يكابر فيه إلا جاهل بالقرآن، وبمقدمات الاستدلال[1].

وحقاً: فالله سبحانه وتعالى ـ الذي تكفل بحفظ كتابه ـ: لم يكن ليدع الخطأ يقع في كتابة أصل شريعته، ولا يلهم نبيه تصحيحه[2].

المطلب الثالث: الاستدلال بالسنة.

أ ـ كتب القرآن الكريم بحضرة النبي ﷺ، وبين يديه، وكان ﷺ، يرشد كتبة الوحي إلى رسم الحروف ويطالبهم أن تكون الكلمات واضحة، وينهاهم عن إعوارها، وإخفائها[3]، وكثير من الصحابة كانوا يكتبون في الصحائف كل آية حفظوها، ويعرضونها على النبي عليه السلام، وغالباً ما كان النبي عليه السلام يملي عليهم مباشرة، فيكتبون ما نزل بحضرته، ويعرضون عليه

---

(١) انظر: الفتوى المحمدية ص ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢.
(٢) الجمع الصوتي ص ٣٧٧.
(٣) الفتوى المحمدية ص ٣٤.

مرة بعد أخرى حتى يقرهم، وبهذه الكيفية كتب القرآن من أوله إلى آخره في حياة الرسول ﷺ على صحائف، وقراطيس متفرقة، وكانت هذه الصحائف والقراطيس، أغلى عندهم من أنفسهم، وأنفس من كل نفيس، وأحب إليهم من كل حبيب وجليس[1]. وكان الواحد منهم، يكتب ما يمليه النبي ﷺ، من غير زيادة ولا نقصان، ولا تبديل ولا تغيير، لما أملاه عليه النبي ﷺ، وأرشده إلى كتابته، بوحي من جبريل عليه السلام[2]. على الهيئة المعروفة، وهو وإن لم يكن يعرفها بالإصطلاح، ولا بتعليم الناس، فإنه يعرفها من جهة الفتح الرباني، هي وأكثر منها[3].

وقد ورد أنه قال لمعاوية ـ كاتب وحيه: (أَلِقِ الدَّوَاةَ... الحديث)[4] كما سبق ذكر ذلك.

وقد أقرهم النبي ﷺ على كتابتهم هذه، وكما نقل إلينا القرآن الكريم بهيئته وجوهره نقلاً متواتراً، فكذلك الرسم؛ إذْ أنه لا يدل على اللفظ المنزل، إلا إذا أمر به الرسول، وأقر عليه، ونقل إلينا ذلك الرسم نقلاً متواتراً[5].

والله سبحانه وتعالى: لا يقر نبيه على خطأ.

فإن كان كتبة الوحي، قد كتبوه على ما تيسر لهم ـ كما يزعم فريق ـ فقد قرر عملهم النبي الأكرم، وتقريره ﷺ، حجة شرعية، كقوله وفعله.

---

(١) تاريخ القرآن والمصاحف ص ٢٣.

(٢) المدخل ص ٣٤٧.

(٣) إرشاد الحيران ص ٢٦، ٢٧.

(٤) انظر: موقف الرسول من الكتابة.

(٥) تنزيه القرآن ص ٤١.

ومن المقرر شرعاً أن الزيادة في القرآن، أو النقص منه حرام، فرسم القرآن بما يخالف القرآن حرام.

وعلى هذا: فتقريره ﷺ، كتابةَ القرآن بالصفة المعروفة في كتب الرسم، حجة شرعية[1].

وقد تقرَّر هذا الدليل بوضوح ما عليه مزيد في فصل «رسم المصحف، وكتابة القرآن الكريم في العهود الثلاثة».

ب - ويعترض الدكتور موسى شاهين لاشين، على هذا الدليل بقوله[2]:

للرد على هذا الدليل، ثلاثة أجزاء: -

١ - أنه لم يثبت مطلقاً أن الذي كتب بين يدي النبي ﷺ، كان يشتمل على هذه المخالفات، والاستدلال بالشيء، فرع ثبوته.

٢ - أن الحديث (أَلِقِ الدَّوَاةَ. . . إلخ) - على فرض صحته - إنما يتعلق بطلب تحسين الخط، لا بالرسم.

٣ - أن إقرار الكتابة المعتمد، فرع العلم بالمكتوب، وعلمه عليه السلام بالمكتوب، غير ثابت.

جـ - ويجاب على ذلك على النحو التالي: -

ألا يكفي علمه ﷺ، وثقته، بحسن دراية الكتبة بما يكتبون. . .؟ حتى يقرهم عليهم، ويكون إقراره في محله، وله اعتباره.

---

(١) الفتوى المحمدية ص ٣٣.

(٢) اللآلىء الحسان ص ٨٧.

و ـ أيضاً ـ فقد كان ﷺ، يرشد كتاب الوحي، إلى هذا الرسم، بتعليم وإرشاد من جبريل عليه السلام، أو بإلهام له، من الله سبحانه وتعالى، والإلهام نوع من الوحي[1].

والإملاء بالوحي والتلقين ـ من النبي ﷺ ـ على هذا النحو، لا يستلزم تعلم الكتابة ـ بالمعنى غير الثابت له ﷺ ـ لأن الإملاء بهذا الشكل، إيحاء، وإعلام محض بهجاء الكتابة، ورقومها، بدون تعلم[2]، ولا يبعد ـ كما يقول القاضي عياض ـ أن يرزق علم هذا، ويمنع الكتابة والقراءة[3]. كما سبق.

وعلى ذلك: فلا نزاع في ثبوت تقريره، ﷺ، لهذا الرسم الذي أمر بكتابته على الهيئة المعروفة، وهي نفس الهيئة، التي كتبت بين يديه ﷺ، والتي لم يخالفه الصحابة رضوان الله عليهم فيها[4].

وقد توفي رسول الله عليه السلام، والقرآن لا يشك في كلمة منه، أو حرف من حروفه أحد من الصحابة، بل سارت به الركبان، وشاع في أنحاء الجزيرة العربية ـ كما يقول ابن تيمية في فتاويه[5].

ثم نقل على سبيل التواتر: كل من اللفظ والرسم، عن رسول الله ﷺ، بإجماع الأمة، فقد نقلوا نطقه بالأول، وإقراره على الثاني نقلاً متواتراً[6].

---

(١) بحوث قرآنية ص ١٦٠.
(٢) منهج الفرقان ١/ ١٤٧، الفتوى المحمدية ص ٣٣.
(٣) الشفاء ١/ ٢٣٦.
(٤) منهج الفرقان ١/ ١٥١ وما بعدها.
(٥) انظر: تنزيه القرآن ص ٤١.
(٦) تنزيه القرآن ص ٤١.

وإنْ قيل بعد ذلك: لم يصح حديث بالأمر بهذا الرسم: ـ

فالجواب: أن تقريره ﷺ ـ على كتبه على تلك الهيئات المعلومة في رسم المصحف ـ كاف بلا ريب، لأن تقريره ﷺ، سنة متبعة، أي يصير الأمر الذي قرر عليه سنة متبعة، لا تجوز مخالفتها[1].

المطلب الرابع: الاستدلال بالإجماع.

أ ـ وبعد أن توفي رسول الله ﷺ، جمع القرآن في صحف أبي بكر، وكتبت بنفس الرسم الذي كتب به بين يدي النبي ﷺ، وأقر أصحابه عليه، إذْ أنهم كانوا في هذا الجمع يطلبون ما كتب بين يدي النبي ﷺ، ليكتبوا من عينه، فيوافق رسمهم الرسم الذي أقره النبي ﷺ حينما كتبت بين يديه[2].

ولم يفعل عثمان رضي الله عنه ـ في جمعه ـ شيئاً سوى نسخ عدة مصاحف من صحف أبي بكر، ورسم تلك المصاحف، هو بعينه رسم مصحف أبي بكر، الذي هو رسم النبي ﷺ، دون تغيير أو تبديل[3].

ولما نسخ المصاحف: أمر الناس بالإقتصار على ما وافقها لفظاً، وبمتابعتها خطاً؛ ولذا أمر بما سواها أن يحرق، إذ لولا قصده جعل هذه المصاحف أئمة للقارئين والكاتبين ما أمر بتحريق ما سواها[4].

وما أحرق عثمان المصاحف ـ التي أحرقها بإجماع الصحابة ـ إلا لمخالفة رسمها، رسم صحف أبي بكر، وكان إحراقها منه ـ رضي الله عنه ـ إعلاماً تاريخياً بأن كل ما يخالف هذا الرسم، فهو باطل مردود[5].

---

(١) إيقاظ الأعلام ص ١٣.
(٢) جمع القرآن ص ٥٦.
(٣) تنزيه القرآن ص ٤٦.
(٤) الكواكب الدرية ص ٣٥، فتح المنان ص ٢١.
(٥) تنزيه القرآن ص ٤٧.

ولذا: الذي يخالف رسم المصحف لا تجوز القراءة به اليوم لمخالفته خط هذا المصحف العثماني[1].

كل هذا بمحضر الصحابة وإجماعهم، دون أن يخالف في ذلك أحد، مع ما كان يتسم به هذا العصر من: التمتع بالحرية في القول، والعقول الفائقة[2]، بل لم يتنازع أحد من الصحابة، أو غيرهم، في أي جزء من أجزاء القرآن، أو في موضع ذلك الجزء، أو في رسم آية من القرآن، أو في رسم كلمة منه[3].

وهم الذين «أدوا إلينا ـ كما يقول الإمام الشافعي ـ سنن رسول الله ﷺ، وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ، عاماً وخاصاً، وعزماً وإرشاداً، وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد، وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا»[4].

وبعدهم جاء عصر التابعين، فتلقوه من الصحابة بالرضى والاقتناع بتوقيفيته.

واستمر المصحف مكتوباً بهذا الرسم ـ كما هو في عهد الصحابة ـ في عهد التابعين، وتابعي التابعين، والأئمة المجتهدين في عصورهم المختلفة.

ولم يثبت أن أحداً من هؤلاء جميعاً، حدثته نفسه بتغيير هجاء المصاحف، ورسمها الذي كتبت عليه أولاً، وكتابتها برسم آخر، يساير

---

(١) الإبانة ص ٣٦.
(٢) بحوث قرآنية ١٥٨.
(٣) تنزيه القرآن ص ٤٥.
(٤) النشر ١/١٢.

الرسم المحدث الذي حدث في عهد ازدهار التأليف في البصرة، والكوفة[1].

بل ورد أنهم شذَّذُوا قراءة من خالف رسم المصحف، ومنعوه من القراءة به[2].

وبذلك: توفر لرسم المصحف، إجماع الصحابة، وكانوا أكثر من اثني عشر ألف صحابي[3]، ثم إجماع الأمة عليه، بعد ذلك، في عهد التابعين، والأئمة المجتهدين.

والإجماع حجة، حسبما تقرر الأصول، ومحال ـ في حق الصحابة ـ أن يخالفوا ما أقره النبي ﷺ، ويتصرفوا فيه، بزيادة، أو نقصان.

وإلا لزم تطرق الشك إلى جميع ما بين الدفتين.

لأننا مهما جوزنا أن تكون فيه حروف ناقصة، أو زائدة على ما في علم النبي ﷺ، وعلى ما عنده، وأنها ليست بوحي، ولا من عند الله، ولا نعلمها بعينها، تشككنا في الجميع.

ولئن جوزنا لصحابي أن يزيد في كتابته حرفاً ليس بوحي، لزمنا أن نجوز لصحابي آخر نقصاً في حرف من الوحي، إذ لا فرق بينهما.

وحينئذٍ تنحل عقدة الإسلام بالكلية[4].

ب ـ ويعترض بعض العلماء على هذا الدليل.

---

(١) المصحف الشريف ص ٩٩، الجمع الصوتي ص ٣٧٩.

(٢) انظر: منجد المقرئين ص ١٦، طبقات القراء ٢/ ٥٤، الكلمات الحسان ص ٢٠، ومعنى شذوذها: أي حكموا عليها بالشذوذ، وانظر حكمها في المواضع المشار إليها.

(٣) منهج الفرقان ١/ ١٥٣، مناهل العرفان ١/ ٣٧١.

(٤) انظر: الجمع الصوتي ص ٣٧٩، إرشاد الحيران ص ٢٣ ـ ٢٥.

فيقول:

إن «إجماع الصحابة، كان على القراءة».

على أن بعض الأجلاء منهم، اعترض على نوع القراءة، وأصر على قراءته، والتمسك بمصحفه.

ثم يقول:

«وإجماع الأمة عليه بعد ذلك: في عهد التابعين، وتابعيهم، والأئمة المجتهدين، غير مسلم، فقد أحدثوا النقط والشكل، مع أنه مؤثر في القراءة»[1].

ويمكن أن نقول إجابة على اعتراضه:

وما المانع أن يكون إجماعهم، على الرسم ـ كما بيناه ـ وعلى القراءة معاً. . .؟ وهل لتخصيص الإجماع على القراءة، دون الرسم، من دليل. . .؟

ثم إن اعتراض ـ بعض الأجلاء منهم ـ على نوع القراءة، وإصراره على قراءته، لا يفهم منه، اعتراضه على جميع الرسم العثماني، بل يفهم منه، اعتراضه على القراءة فقط، وقد يتبعها ـ وأقول قد يتبعها ـ الإعتراض على رسم بعض الكلمات إن كانت من الكلمات المرسومة بالخط العثماني، والتي تتخالف فيها قراءته.

وعلى هذا: فالإعتراض على الرسم، جاء بالتبعية لا بالأصالة، ولم يرد اعتراضهم على الرسم، لا بالأصالة ولا بالتبعية.

أما عن إجماع الأمة بعد ذلك في عهد التابعين.

---

(١) اللآلىء الحسان ص ٨٨.

فنحن معه: في أن النقط والشكل، الذي أحدث[1]، مؤثر في القراءة حقاً، إلا أنه مع ذلك غير الرسم.

وبعد هذا: يبقى الإجماع ـ الثابت ـ شامخاً، غير منازع.

جـ ـ ويعترض بعض آخر من العلماء على نفس الدليل.

فيقول:

إن الإجماع هنا: منشؤه الاصطلاح، لا التوقيف، فإن الخط صناعة من الصناعات، وكل صناعة تقوم في أدائها على طرق معينة، وكيفيات خاصة، يتواضع عليها الناس، ويسيرون بمقتضاها.

فكما لا يقال: إن الصحابة أجمعوا على هذا النمط في البناء ـ مثلاً ـ فيلزم اتباعهم فيه، فكذلك: لا يقال في الخط[2].

وهذا الرأي: متأثر «بابن خلدون» إلى حد كبير، لفظاً، وتمذهباً، وسوف يناقش رأي ابن خلدون، فيما يلي قريباً، إن شاء الله تعالى.

المطلب الخامس: الاستدلال باتفاق أغلب الفقهاء على الإلتزام به.

قد اتفق أغلب الفقهاء والعلماء على وجوب التزام هذا الرسم، بل اتباعه، فضلاً عن التزامهم ـ والأمة ـ له بالفعل حتى الآن.

وهذه بعض نصوصهم في هذا الصدد: ـ

١ ـ سئل الإمام مالك:

أرأيت من استكتب مصحفاً، أترى أن يكتب على ما أحدثه الناس من الهجاء اليوم. . .؟

---

(١) سبق أن تبين لنا أن النقط والشكل لم يحدث في عهد التابعين، بل استعمل بعد أن كان متروكاً.

(٢) البيان ص ٢٥٢، ٢٥٣.

قال: لا أرى ذلك، ولكنه يكتب على الكَتْبَة الأولى، كَتْبَة الوحي[1].

ومعنى «الكَتْبَة الأولى»: تجريدها من النقط والشكل[2]، ووضعها على مصطلح الرسم من البدل والحذف، الخ[3].

قال أبو عمرو الداني: معقباً على رأي الإمام مالك، بقوله: ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة[4].

وقد سئل الإمام مالك ـ أيضاً ـ عن الحروف في القرآن، مثل الواو، والألف: أترى أن تغير من المصحف إذا وجدا فيه كذلك؟

فقال: لا.

قال أبو عمرو الداني: يعني الواو والألف المزيدتين في الرسم لمعنى، المعدومتين في اللفظ، نحو: الواو في (أولوا الألباب) و(أولت) و(الربوا)، ونحوه[5].

٢ ـ قال السخاوي:

والذي ذهب إليه مالك هو الحق، إذ فيه بقاء الحالة الأولى، إلى أن تعلمها الطبقة الأخرى بعد الأخرى، ولا شك أن هذا هو الأحرى؛ إذْ في خلاف ذلك، تجهيل الناس بأولية ما في الطبقة الأولى[6].

---

(١) المحكم ص ١١، والمقنع ص ١٠.
(٢) سبق توضيح مذهب الإمام مالك في نقط المصاحف وشكلها.
(٣) إرشاد القراء والكاتبين ص ٢٢ أ.
(٤) المقنع ص ١٠.
(٥) المقنع ص ٢٨.
(٦) إرشاد الحيران ص ٥٩، ٦٠، مناهل العرفان ١/ ٣٧٢، المصحف الشريف ص ١٠٠.

٣ ـ ونقل الجعبري، وغيره: إجماع الأئمة الأربعة، على وجوب اتباع مرسوم المصحف العثماني[١].

٤ ـ وقال الإمام أحمد بن حنبل: تحرم مخالفة خط المصحف العثماني، في واو، أو ألف، أو ياء، أو غير ذلك[٢].

٥ ـ وجاء في المحيط البرهاني ـ في فقه الحنفية ـ ما نصه: أنه ينبغي أن لا يكتب المصحف بغير الرسم العثماني[٣].

٦ ـ وفي حواشي المنهج ـ في فقه الشافعية ـ «كلمة «الربا»، تكتب بالواو والألف، كما جاء في الرسم العثماني، ولا تكتب في القرآن بالياء أو الألف؛ لأن رسمه سنة متبعة»[٤].

٧ ـ ويقول الإمام مكي بن أبي طالب: وهذا الذي يخالف الخط، لا تجوز القراءة به اليوم، لمخالفته خط المصحف، وهو المنهي عنه[٥].

٨ ـ ويقول الإمام النيسابوري: قال جماعة من الأئمة: إن الواجب على القراء، والعلماء، وأهل الكتابة، أن يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف، فإنه رسم زيد بن ثابت، وكان أمين رسول الله ﷺ، وكاتب وحيه، وعلم من هذا العلم، بدعوة النبي ﷺ، ما لم يعلم غيره، فما كتب شيئاً من ذلك إلا لعلة لطيفة وحكمة بليغة، وإن قصر عنها رأينا[٦].

---

(١) سمير الطالبين ص ١٩، منهج الفرقان ١/ ١٥٤، المصحف الشريف ص ١٠٢.

(٢) البرهان ١/ ٣٧٩.

(٣) المناهل ١/ ٣٧٢، المصحف الشريف ص ١٠١.

(٤) مناهل العرفان ١/ ٣٧٢.

(٥) الإبانة ص ٣٦.

(٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١/ ٤٠.

٩ ـ وقال البيهقي في شعب الإيمان: من يكتب مصحفاً، فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوا شيئاً، فإنهم كانوا أكثر علماً، وأصدق قلباً ولساناً، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم[١].

١٠ ـ وفي شرح الطحاوي: ينبغي لمن أراد كتابة القرآن، أن ينظم الكلمات كما هي في مصحف عثمان، رضي الله عنه، لإجماع الأمة على ذلك[٢].

١١ ـ وفي «المدخل» لابن الحاج: ويتعين عليه ـ أي على كاتب المصحف ـ أن يترك ما أحدثه بعض الناس في هذا الزمان ـ وهو أن ينسخ المصحف على غير مرسوم المصحف الذي اجتمعت عليه الأمة ـ على ما وجد به[٣].

المطلب السادس: «الاستدلال باختلاف رسم الكلمة الواحدة، باختلاف مواضعها».

ومن دلائل هذه التوقيفية: أن الكلمة من القرآن، قد تكتب في بعض المواضع برسم، وفي مواضع أخرى برسم آخر، مع أنها هي هي[٤].

والأمثلة على هذا: أكثر من أن يتسع لها المقام[٥]، ولكننا ـ ابتغاء الإيضاح نورد هذين المثالين:

---

(١) مناهل العرفان ١/ ٣٧٣، سمير الطالبين ص ١٩.
(٢) سمير الطالبين ص ٢٠.
(٣) انظر: ٤/ ٨٦ الطبعة الأولى.
(٤) الجمع الصوتي ص ٣٧٤، بحوث قرآنية ١٥٨.
(٥) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/ ٣٢ ـ ٤٠.

الأول: كلمة «بسم».

حيث وردت محذوفة الألف: في كل فواتح السور، وفي الآيتين ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا ﴾[1]، ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[2]. بينما هي مثبتة الألف في قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾[4].

الثاني: كلمة «رحمة».

فقد كتبت بالتاء المجرورة في سبعة مواضع، وهي ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾[5]، و﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[6] و﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ ﴾[7] و﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ ﴾[8] و﴿ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ ﴾[9] و﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾[10] و﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ ﴾[1]، وكتبت بالهاء في باقي المواضع[11].

فلو كان الرسم بالإصطلاح، لما وقع هذا التخالف.

نظراً لأنهم ـ إذا كان الرسم باصطلاحهم ـ سوف يسيرون في عملهم، عند الكتابة، على الخطة التي قد اتفقوا عليها، أو الاصطلاح الذي أَلِفُوه،

(١) سورة هود، الآية: ٤١.
(٢) سورة النمل، الآية: ٣٠.
(٣) سورة الواقعة، الآية: ٩٦، وسورة الحاقة، الآية: ٥٢.
(٤) سورة العلق، الآية: ١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١٨.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.
(٧) سورة هود، الآية: ٧٣.
(٨) سورة مريم، الآية: ٢.
(٩) سورة الروم، الآية: ٥٠.
(١٠) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.
(١١) الرحيق المختوم ص ٩، ١٠.

وغالباً ما يكون واحداً، في القوم المحدودين، المتعاصرين، وهم كانوا كذلك.

ولكن لأنهم لا يسيرون على خطة من عند أنفسهم، ولا يكتبون كيفما اتفق لهم، بل يتبعون ارشادات الوحي ـ كانت هذه المخالفات.

وقد اعترض بعض العلماء على هذا الدليل فقال[1]:

هذا الدليل: متنازع فيه، بين القائلين بالتوقيف، والقائلين بالاصطلاح.

فالقائلون بأن الرسم توقيفي.

يقولون: لو كان الرسم بالاصطلاح لا بالتوقيف، لرسمت الكلمة بصورة واحدة، في جميع المواضع، ولما وقع الخلاف بين الكلمة، ونظيرتها.

والقائلون بأن الرسم اصطلاحي.

يقولون: إن هذا الاختلاف، ناجم عن أن كل واحد منهم، كان يكتب بما اعتاده، وتيسر عليه.

ثم يقول فضيلة الدكتور غزلان:

وإذن: فهذه حجة محتملة للأمرين.

والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال، سقط به الاستدلال، فلا يصح حجة لأحد.

ويعين الدكتور طريقاً للخروج من هذا الإشكال ـ الذي وجده في كلام العلماء ـ بقوله:

لو ثبت أن هذا الاختلاف ـ أي المخالفات في الرسم ـ كان يقع منهم،

---

(١) البيان ص ٢٥١ وما بعدها.

في غير القرآن، كما وقع في القرآن، لتعين أن هذا يرجع إلى الاصطلاح، لا إلى التوقيف.

ولو ثبت أن ذلك لم يقع منهم إلا في القرآن، لتعين أن سببه التوقيف.

وفي الإجابة على هذا الاعتراض نقول:

لو كان الأمر ـ في الرسم على اصطلاحهم، ووجدت هذه الاختلافات، لناقش بعضهم بعضاً في هذا، ولا سيما أن الأمر يتعلق بالأصل الأول للإسلام، وتوافر الدواعي لحرية الرأي في هذا العصر[1].

خاصة: وأن زيد بن ثابت، الذي كتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكتب القرآن في عهدي أبي بكر، عثمان، كان يطلب خلال جمع أبي بكر «ما كتب بين يدي النبي ﷺ، ليكتب من عينه، فيوافق رسمه الرسم الذي أقره النبي ﷺ، حينما كتبت بين يديه، ويطلب ممن معه الشيءَ من القرآن: إبرازه؛ فيبرزه، ويقرؤه، ويبين كيفية رسمه بمسمع من الكتاب والحفاظ الحاضرين، فإذا وافقه الجميع عليها، كتبها زيد على الرسم الذي عنده، وإن خالفه أحد الكتاب في الرسم، أو أحد الحفاظ في القراءة كانت محل المقارنة، والموازنة[2]، وتم جمع أبي بكر رضي الله عنه، على هذا النحو ولم ينقل إلينا أنهم تناقشوا في مثل هذا، أو أن بعضهم أنكر على بعض شيئاً من هذا[3].

أما في جمع عثمان: فنسخت صحف أبي بكر بنفس رسمها، في

---

(١) بحوث قرآنية ص ١٥٨.
(٢) جمع القرآن ص ٥٦ ـ بتصرف يسير ـ.
(٣) بحوث قرآنية ص ١٥٨.

المصاحف العثمانية، ولم ينقل إلينا أن الكتبة اختلفوا في رسم كلمة سوى[1] ما حدث عند كتابة قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[2]، كما سبق ذكر ذلك.

فقد اختلفوا في كتابة كلمة «التابوت».

فقال زيد: «التابوه» بالهاء.

وقال القرشيون: «التابوت» بالتاء المفتوحة؛ لأنه كذلك في لغة قريش[3].

وسبب هذا الاختلاف ـ كما يراه الشيخ الرحماني ـ: أن هذا الحرف، قد عراه طمس، من طول المكث: عند الصديق بقية خلافته، ثم عند الفاروق كل زمن خلافته، ثم عند أم المؤمنين حفصة مدة من صدر خلافة ذي النورين[4].

ولما اختلفوا هكذا: رفعوا ذلك إلى عثمان.

فقال: اكتبوه «بالتاء»، فإنما أنزل القرآن على لسان قريش[5].

* * *

وعلى هذا: فلو كان رسمهم بما تيسر عندهم ـ كما يدعون ـ أو على اصطلاحاتهم، أو على غير خطة في الرسم، يراعى فيها: المطابقة بين

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن ص ٢١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٨.
(٣) فتح الباري ٩/١٦.
(٤) الفتوى المحمدية ص ٣٧.
(٥) المقنع ص ٤.

كتاباتهم، وبين ما كتب بين يدي النبي ﷺ؛ فنتج عن ذلك اختلاف رسم الكلمة الواحدة باختلاف المواضع.

لو كان ذلك كذلك: لما وقع هذا الخلاف في كتابة كلمة «التابوت»، ولكتبها كل منهم على حسب اصطلاحه، الذي كان يعرفه، دون رجوع إلى المشرف، الذي لم يستند في اختياره حرف قريش لكتابة الكلمة، مراعاة شيء سوى أن القرآن نزل بلسانهم، «وكانت كتابته الأولى توافق منطوقهم بأمر الوحي».

وبهذا يتبين لنا: أن هذا الدليل، وإن تنوزع فيه، فهو إلى القائلين بالتوقيف ـ كما تبين ـ أقرب، وأدلّ لهم على ما يذهبون.

المبحث الثاني

(القائلون بأن رسم المصحف اصطلاحي)

(وأدلتهم، ومناقشتها)

المطلب الأول: المذهب.

يرى ـ بعض العلماء ـ أن هذا الرسم اصطلاح من الكتبة، الذين كتبوا القرآن في جمع عثمان ـ رضي الله عنه ـ وقد وافقهم الخليفة الثالث عليه.

ويقولون:

إن الكتابة: لم يفرض الله تعالى على الأمة فيها شيئاً، إذْ لم يأخذ على كتاب الوحي وخطاط المصاحف، رسماً بعينه دون غيره، أوجبه عليهم وترك ما عداه، إذْ وجوب ذلك لا يدرك إلاّ بالسمع والتوقيف.

وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه، أن رسم القرآن وضبطه، لا يجوز إلا على وجه مخصوص، وحد محدود، لا يجوز تجاوزه.

ولا في نصوص السنة ما يوجب ذلك.

ولا دلت عليه القياسات الشرعية.

بل السنة دلت على: جواز رسمه بأي وجه سهل؛ لأن رسول الله ﷺ، كان يأمر برسمه، ولم يبين لهم وجهاً معيناً، ولا نهى أحداً عن كتابته.

ولذلك: اختلفت خطوط المصاحف.

فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ، ومنهم من كان يزيد وينقص لعلمه بأن ذلك اصطلاح، وأن الناس لا يخفى عليهم الحال.

ولأجل هذا بعينه: جاز أن يكتب بالحروف الكوفية والخط الأول، وأن يجعل اللام على صورة الكاف، وأن تعوج الألفات، وأن يكتب على غير هذه الوجوه، وجاز أن يكتب المصحف بالخط والهجاء القديمين، وجاز أن يكتب بالخطوط والهجاء المحدثة، وجاز أن يكتب بين ذلك.

وإذا كانت خطوط المصاحف، وكثير من حروفها، مختلفة، متغايرة الصورة، وكان الناس قد أجازوا ذلك، وأجازوا أن يكتب كل منهم بما هو عادته، وما هو أسهل، وأشهر، وأولى، من غير تأثيم ولا تناكر.

علم أنه: لم يؤخذ في ذلك ـ على الناس ـ حد مخصوص، كما أخذ عليهم في القراءة، والأذان[1].

ويذهب إلى هذا الرأي بعض العلماء ومنهم: ابن خلدون[2]، وأبو بكر الباقلاني[3] قديماً. وفي العصر الحديث: الشيخ حسين والي[4]، والأستاذ أحمد حسن الزيات[5].

هذا هو المذهب الثاني: وأدلته ـ هي ـ كما يلي: ـ

المطلب الثاني: الدليل الأول.

يقولون:

ليس في نصوص الكتاب، ولا في مفهومه، ولا في نصوص السنة، ولا في القياسات الشرعية: أن رسم القرآن، وضبطه، لا يجوز إلا على: وجه مخصوص وحد محدود، لا يجوز تجاوزه.

---

(١) انظر: مناهل العرفان ١/ ٣٧٣، المصحف الشريف ص ٩٥.

(٢) انظر: عبد الرحمن بن خلدون د. علي عبد الواحد وافي: ص ٢٧١.

(٣) انظر: البيان ص ٢٤٩.

(٤) انظر: المصحف الشريف للشيخ القاضي ص ٩٨.

(٥) انظر: مجلة الرسالة ع ٩ يناير ١٩٥٠م.

ولذلك: اختلفت خطوط المصاحف.

ومن ادعى: أنه يجب على الناس رسم مخصوص.

وجب عليه: أن يقيم الحجة على دعواه، وأنّى له ذلك[١]!!!

ويمكن دفع هذا الدليل بما يلي: -

١ - يمكن دفع هذا الدليل إجمالاً: بالأدلة - الخمسة - التي ساقها، جمهور العلماء لتأييد مذهبهم، في توقيفية هذا الرسم، وقد سبق توضيحها بما فيه الكفاية[٢].

٢ - أما استنتاجهم من هذا الدليل: اختلافَ رسوم المصاحف.

فلا يسلم لهم أن المصاحف، اختلفت خطوطها بعد قيام الإجماع، وانعقاده، ومعرفة الناس بالرسم التوقيفي، وهو رسم عثمان، رضي الله عنه[٣].

فضلاً عن أن هذه الاختلافات: لم تكن موجودة فيما كتب بين يدي النبي ﷺ، بل كانت في الصحف التي يكتبونها لأنفسهم[٤].

المطلب الثالث: الدليل الثاني.

يقولون:

لم تكن الكتابة العربية في عهود الجمع القرآني الثلاثة، قد بلغت أشدها، واستكملت نموها بعد، بل كانت في دور الطفولة، والضعف،

---

(١) انظر: مناهل العرفان ١/ ٣٧٤.

(٢) انظر: الفصل الأول من هذا الباب، مناهل العرفان ١/ ٣٧٤.

(٣) مناهل العرفان ١/ ٣٧٥.

(٤) انظر: مقدمتان في علوم القرآن ص ٣٢، وانظر: ص ٥٨ من هذا البحث.

والتكوين، والتدرج، ولم يكن الكُتَّاب حينئذٍ قد حذقوها ونضجوا في كتابتها، ولم يكونوا مختارين فيما كتبوا، إذ لم يكن لهم دراية بغير ذلك من قواعد الكتابة.

وقد كتبوا على ما تيسر لهم معرفته.

يقول ابن خلدون ـ في مقدمته ـ: ـ

كان الخط العربي لأول الإسلام، غير بالغ إلى الغاية من الإحكام، والإتقان، والإجادة، ولا ـ بالغ ـ إلى التوسط؛ لمكان العرب من البداوة والتوحش، وبعدهم عن الصنائع.

وانظر ما وقع من أجل ذلك في رسمهم المصحف: حيث رسمه الصحابة بخطوطهم، وكانت غير مستحكمة في الإجادة، فخالف الكثير من رسمهم، ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها.

ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها، تبركاً بما رسمه رسول الله ﷺ، وخير الخلق بعده، المقتفون لوحيه، من كتاب الله تعالى، وكلامه، كما يقتفى لهذا العهد خط ولى، تبركاً، ويتبع رسمه، صواباً أو خطأ.

ثم يقول:

ولا تلتفتنَّ إلى ما يزعمه بعض المغفَّلين: من أنهم ـ أي الصحابة ـ كانوا محكمين لصناعة الخط، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم، ليس كما يتخيل، بل لكل وجهه، يقولون في زيادة الألف في (لأذبحنه) أنه تنبيه على أن الذبح لم يقع، وما حملهم على ذلك، إلا اعتقادهم: أن في ذلك تنزيهاً للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادة الخط، وحسبوا أن الخط كمال، فنزهوهم عن نقصه، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته،

وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه.

وليس ذلك بصحيح[1].

هذا هو الدليل الثاني.

ومما يوهنه لهم مما وصل إليه البحث:

١ ـ أن القول: «بأن الصحابة كانوا يجهلون قواعد الكتابة».

ينافيه:

أ ـ أن كتاباتهم وخطوطهم ـ وما زالت لها، أو للكتابات المعاصرة لها بقايا ـ خالية من الخطإِ الإملائي[2].

ب ـ أن كتاباتهم ـ كما سبق توضيحها في مدخل هذه الرسالة ـ لا بد أنها ـ من الناحية المنطقية ـ كانت وفق القواعد الإملائية، وإلا اعتورها اللبس[3].

جـ ـ تمييزهم بين «عُمَر» و«عَمْرو» بزيادة «واو» في الثاني، وإلحاقهم إياها في «أولئك» فرقاً بينه وبين «إليك»، وذلك مما يدل على عنايتهم بدفع الخطأ في فهم الكتابة[4].

ولو تأملت: لم اختاروا «الواو» علامة للتفرقة بين الاسمين دون غيرها من الأحرف الهجائية، لظهر لك ذكاؤهم المفرط، وقُوة تفكيرهم في ذلك، فإنه لن يصلح لهذا غير حرف الواو فقط[5].

---

(١) انظر: عبد الرحمن بن خلدون ص ٢٧٢.
(٢) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ص ١١٨.
(٣) الجمع الصوتي ص ٣٨٠.
(٤) انظر: المحكم ص ١٧٧.
(٥) تاريخ القرآن وغرائب رسمه ص ١١٧.

د ـ وقد سبق ـ فيما تقدم[1] ـ أن الكتابة العربية، قد بلغت ـ قبل الإسلام ـ مبلغاً، به تفنن العرب في ضروبها، حتى وصلت إلى الصحابة على أيدي أناس مجيدين لها، مالكين لناصيتها، وقد أتقنها الصحابة، أخذاً بروح الإسلام، وموقفه، ودعوته إلى كل تقدم، «حتى كان الذين كتبوا منهم، الغاية القصوى في الحذق بالهجاء»[2]، ولم يكن ذلك الرسم منهم حيث اتفق، بل لأمر عندهم قد تحقق[3].

هـ ـ ويقول الآلوسي: والظاهر أن الصحابة، رضوان الله عليهم، كانوا متقنين رسم الخط، عارفين ما يقتضي أن يكتب، وما يقتضي أن لا يكتب، وما يقتضي أن يوصل، وما يقتضي أن لا يوصل... إلى غير ذلك... لكن خالفوا في بعض المواضع لحكمة.

ويعلق الأستاذ محمد طاهر الكردي على قول الآلوسي هذا بقوله: «في بعض المواضع» أي من القرآن الكريم، ورسم كلماته، فالآلوسي، وهو العالم المتبحر، وصاحب التفسير الكبير، لا يقول هذا إلا بعد النظر والتحقق، وإن لم يذكر الشواهد التي تؤيد قوله[4].

٢ ـ ومن الثابت: أنه ليس لازماً في الكتابة العربية، أن يوافق المنطوق المكتوب دائماً.

وقد سبق أن عرفنا أنه لا يطابق المكتوب المنطوق، مطابقة تامة، ودائمة إلا في الخط العروضي فقط.

---

(١) انظر: المبحث الثاني من «المدخل».
(٢) انظر: منهج الفرقان ١/١٤١.
(٣) انظر: إرشاد القراء ص ٢٩ أ، دليل الحيران ص ٣٢.
(٤) انظر: تاريخ القرآن وغرائب رسمه ص ١١٧.

ولذا لا يصح القول بأنهم أخطؤا في هذا الرسم حين تخالفوا عن الرسم الإملائي، بناءً على عدم مطابقة المكتوب للمنطوق لفظاً.

٣ ـ أن القول «بأن هذا الرسم اصطلاحي، كتبه الصحابة على ما تيسر لهم آنئذ، لجهلهم بالخط».

مع إجماع الأمة على الرسم الذي يحتويه المصحف العثماني.

ومع تصديق دعواهم بوجود الخطأ في رسمه.

كل هذا:

يتنافى ووعد الله تعالى لحفظه بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝ ﴾[1].

أما وحفظ الله تعالى لكتابه حقيقة قائمة فإن الخطأ ينتفي، وبالتالي: ينتفي جهل «كُتَّاب الوحي» المؤدي إلى الخطأ في «رسم» كلمات كتابِ حفظه ـ وأكَّد حفظَه ـ مُنزلهُ، الحكيم الخبير، سبحانه وتعالى.

ويثبت بذلك أيضاً:

أن التوقيف ـ في الرسم ـ يكون حقيقة قائمة[2].

ويقول الدكتور لبيب السعيد:

«على أن هذا الرسم، الذي عده بعضهم دليل جهل الصحابة بالخط، هو ـ عند آخرين ـ آية ذهنية قوية لهم، في علم الهجاء خاصة»[3].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) انظر: رسم المصحف د. لبيب السعيد ص ٢٤.

(٣) الجمع الصوتي ص ٣٨٣.

إذ يقول ابن الجوزي:

«إن كتابة الصحابة للمصحف، مما يدل على عظيم فضلهم في علم الهجاء خاصة، وثقوب فهمهم، في تحقيق كل علم»[1].

٤ ـ وختام هذه الدفوع[2]:

أنه إذا كان هذا الرسم اصطلاحياً ـ كما يدّعون ـ لزم أن يكون ما كتبه الصحابة:

(أ) إما أن يكون هو عين ما كتب بين يدي النبي ﷺ.

(ب) أو غيره.

فإن كان عينه:

فهو الإتباع ـ والتوقيفية ـ ولا مخالفة.

وإن كان غيره، لزم: ـ

١ ـ نسبة الصحابة رضي الله عنهم، إلى مخالفة رسول الله ﷺ، فيما كتب بين يديه، وقد عرفنا أثر الفرق فيما كان يكتب بين يديه ﷺ، وما كان يكتب بعيداً عنه.

فلو أنهم خالفوا ما كتب بين يديه لزم الجمع بين النقيضين:

حيث أمرنا بالاقتداء بهم، وفي نفس الوقت، نحن مأمورين باتباع النبي ﷺ:

«عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْنَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا

---

(١) انظر: المواهب الفتحية في علوم العربية: ١/ ١٧.

(٢) انظر: إرشاد الحيران ص ١٩ وما بعدها، منهج الفرقان ١/ ١٥٥ (بتصرف يسير).

بِالنَّوَاجِذ»[1].

٢ ـ تطرق الشك إلى جميع ما بين دفتي المصحف؛ لأننا إذا جوزنا: أن تكون فيه حروف زائدة ـ أو ناقصة ـ على ما في علم النبي ﷺ، ولم نعلمها على التعيين، شككنا في الجميع.

وحينئذٍ تنحل عقدة الإسلام بالكلية[2].

وأنت ترى أيها القارىء: أن اللازم بشقيه باطل، واضح البطلان.

وعلى هذا:

فما أدى إليه أيضاً باطل: وهو أن رسم المصحف غير ما كتب بين يدي النبي ﷺ.

وثبت عكسه: وهو أن هذا المرسوم في المصحف هو نفسه ما كتب بين يدي النبي ﷺ، كما قرر البحث قبلاً في غير موضع[3].

وبهذا تبقى للرسم التوقيفية واضحة «لم يتشكَّك فيها إلا ابن خلدون ـ كما يقول حفني ناصف ـ في القرن الثامن، وبعض رجال الأزهر في القرن الرابع عشر، وليس أحد من هؤلاء إماماً مجتهداً والحمد لله»[4].

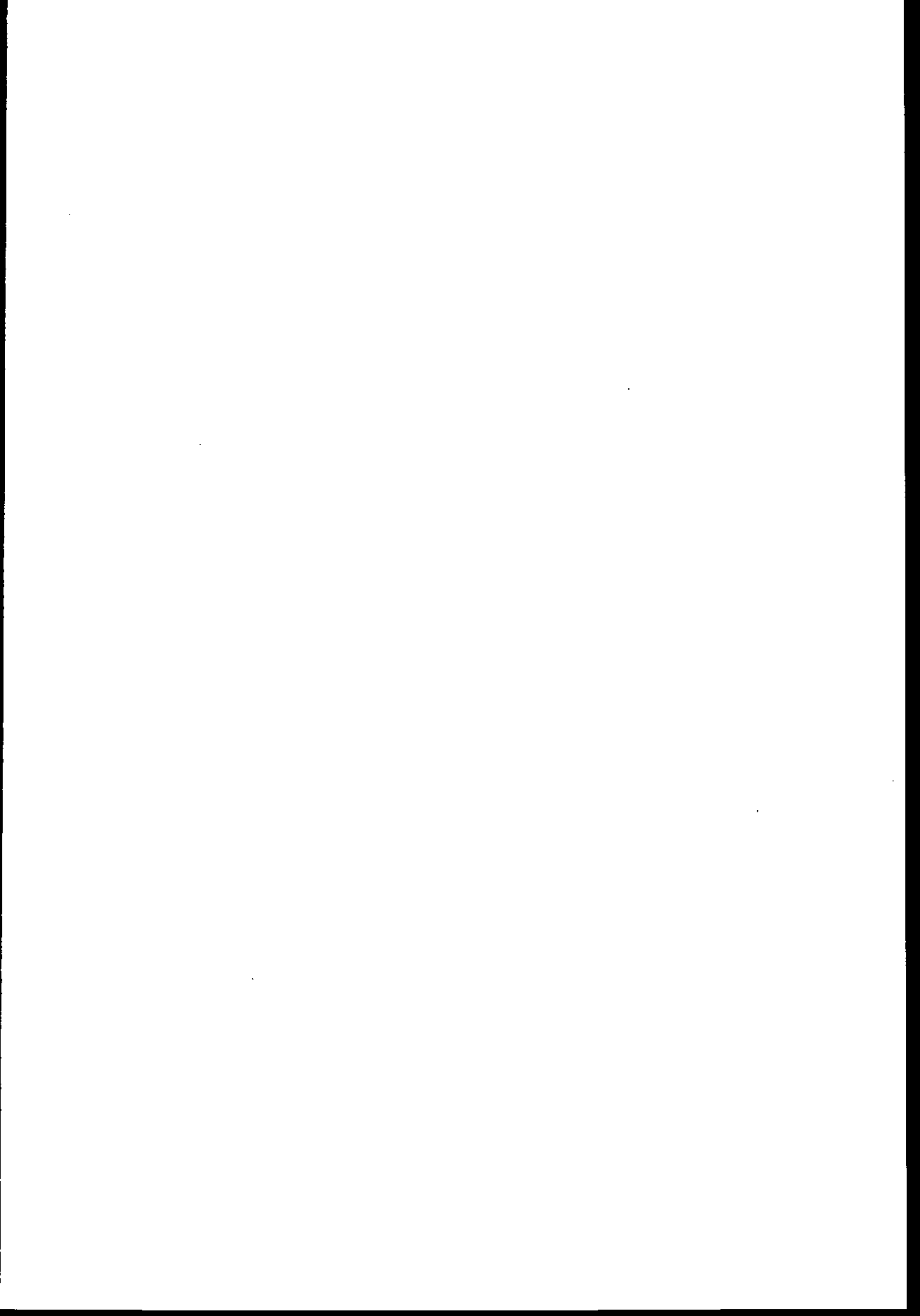
---

(١) رواه عن العرباض بن سارية: ابن حنبل في مسنده، وابن ماجه في سننه، وأبو داود في سننه.

(٢) انظر: إرشاد الحيران ص ٢٣ ـ ٢٥.

(٣) انظر: الفصل الأول من الباب الأول ص.

(٤) انظر: بحث رسم المصحف للأستاذ حفني ناصف بمجلة «المقتطف» عدد أول يوليه ١٩٣٣م.



الفصل الثاني

(اتِّباعُ رسم المصحف)

وفيه:

المبحث الأول: المذاهب في اتباع رسم المصحف.

المطلب الأول: مذهب الوجوب.

المطلب الثاني: مذهب الجواز.

المطلب الثالث: مذهب التفصيل.

المطلب الرابع: مذهب التحريم.

المطلب الخامس: تعقيب على مذهب التحريم.

المبحث الثاني: حكم مخالفة رسم المصحف.

المطلب الأول: حكم مخالف رسم المصحف.

المطلب الثاني: حكم المصحف المطبوع بخلاف الرسم العثماني.

المبحث الثالث: فوائد اتباع رسم المصحف.

١ ـ اتصال السند القرآني.

٢ ـ معرفة القراءات المتعددة الواردة في اللفظ الواحد.

٣ ـ المحافظة على الرسم الأصلي للمصحف.

٤ ـ جمع الأمة الإسلامية وتوحيد صفوفها.

٥ ـ المحافظة على ريح النبوة الطاهر.

٦ ـ إعداد المسلم نفسَه بما يناسب القرآن الكريم.

المبحث الأول

(المذاهب في اتباع رسم المصحف)

المطلب الأول: مذهب الوجوب.

ذهب جماهير العلماء ـ من السلف والخلف ـ إلى وجوب التزام الرسم العثماني، في كتابة القرآن الكريم، وطباعته، مع قولهم: بحرمة مخالفة هذا الرسم[1]. حتى وإن لم ندرك حكمة كتابته على هذه الصورة من الرسم المخالف لقواعد الكتابة الإملائية[2].

أدلة هذا المذهب:

١ ـ نفس الأدلة التي ذكرت للتدليل على توقيفية رسم المصحف[3].

وهي أدلة ـ كما رأينا ـ قاطعة الدلالة على وجوب التزام هذا الرسم.

٢ ـ في وجوب التزام رسم المصحف واتباعه: الاحتياط الشديد، لبقاء القرآن على أصله لفظاً وكتابة؛ منعاً من فتح باب الاستحسان في كتابة القرآن الكريم، لأنه إذا فتح هذا الباب في الرسم ـ على نحو مَّا ـ فقد لا يلبث أن يفتح في اللفظ أيضاً، ويتطرق إلى الكتاب الأكبر التغيير والتبديل[4].

كما أنه في عدم الالتزام به واتباعه: إنقطاع للسند، الذي هو أحد أركان القراءة، وفي ذلك ضياع وإهمال لرسمه وأمره؛ إذ رسمه الخاص، هو

---

(١) انظر: مناهل العرفان ١/ ٣٧٢، الجمع الصوتي ص ٣٨٠.

(٢) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ص ١٠٣.

(٣) انظر: ص ٢٤٩ وما بعدها.

(٤) مجلة المقتطف مجلد ٣٣ عدد أول يوليه ١٩٣٣م بحث تاريخ المصحف لحفني ناصف.

الحصن المانع لقراءته بغير السند والدراية، وأيضاً ضياع كثير من اللغات الفصحى، إذ لو ضاع الرسم، لا يمكن الاستدلال عليها بالقرآن الذي هو أصدق الحديث(١).

٣ ـ وفي كتابة القرآن الكريم بغير هذا الرسم:

تعريضه للتغيير المستمر، حسب تغيير القواعد الإملائية، التي لم يتفق عليها واضعوها، فهي تتغير، وتبدل، وتتطور بمرور الأيام، وذلك أدعى للخلاف والتغيير والتبديل في رسم القرآن، وتلاوته، وخصوصاً ما كان منها سقيماً معجماً، لا يكاد يقرأ(٢).

فواجب الحذر والتحرز: يقتضي المسلمين ـ إذن ـ أن ينزهوا القرآن ـ في رسمه ـ عن قواعد، مختلف فيها، ومطلوب تغييرها(٣).

ودرء المفاسد، مقدم على جلب المصالح ـ كما يقولون.

فضلاً عن خلو هذا التغيير من المصالح، إذ أنها يمكن أن تتحقق بدونه(٤). كما أنه لا يبعد بعد هذا التغيير ـ كما يقول حفني ناصف ـ أن يذهب أناس إلى استحسان كتابة المصحف بالحروف اللاتينية، وآخرون إلى اختصاره، وآخرون إلى إرجاعه للغة العامية؛ ليعم نفعه، إلى غير ذلك(٥).

ومن هنا أصدرت مشيخة الأزهر عام ١٩١٧م قرارها بتحريم طبع، أو

---

(١) منهج الفرقان ١/١٥٨.
(٢) عنوان البيان ص ٧٣.
(٣) الجمع الصوتي ص ٣٨٤.
(٤) انظر: بيان ذلك بتوسع في الرد على «المزاعم حول رسم المصحف» القادمة من هذا البحث.
(٥) بحث: تاريخ المصحف لحفني ناصف.

تداول، بل مصادرة أي مصحف ـ في مصر ـ مطبوع بغير الخط العثماني.

٤ ـ وفي الإلتزام بهذا الرسم:

إحساس المسلم ـ وهو بين يدي هذا الرسم الذي تعبق منه رائحة النبوة، ويفوح منه شذاها العطر ـ أن عليه ـ لكي يستروح أريجها الطيب الزكي ـ أن يبذل شيئاً من جهده، وأن يهيىء نفسه، ويعدها إعداداً خاصاً، قبل أن يضع نفسه بين يدي كتاب الله تعالى، فلا يتهجم على المصحف في غير تهيُّؤ واستعداد للقائه.

أَفَلَيْسَ هذا ـ كما يقول الأستاذ / عبد الكريم الخطيب ـ داعياً للتمسك باتباع الرسم العثماني للقرآن، باعتباره ميراثاً إسلامياً، وشاهداً من شهود عصر النبوة[١]؟

٥ ـ وفي التزام هذا الرسم، واتباعه:

المحافظة على الفوائد، التي ذكرها العلماء لهذا الرسم، وسنعرض لها في فصل خاص، تال.

ومما ينبغي التنبيه عليه:

أن هذا المسلك: هو الذي يذهب إليه من يذهبون إلى توقيفية «رسم المصحف»، وإن كان لا يبعد أن يذهب إليه ـ أيضاً ـ بعض من يقول باصطلاحية هذا الرسم[٢].

أما الذين يقولون بأن «رسم المصحف» اصطلاحي:

فلهم في إتباع رسم المصحف ثلاثة أقوال، نعرضها ـ في بقية هذا الفصل، على النحو التالي...

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي عدد ٨٢ ص ٣١.

(٢) البيان ص ٢٥٧.

المطلب الثاني: مذهب الجواز.

وذهب بعض العلماء: إلى جواز كتابة المصحف الشريف، حسب القواعد الإملائية، العادية.

وقالوا: إنه لا تحرم مخالفة الرسم العثماني، كما أنه لا يجب الالتزام به في كتابة القرآن الكريم[1].

وحجة أصحاب هذا المذهب:

هي نفس الأدلة، التي ذكرت في الفصل السابق، عند عرض مذهب القائلين بأن الرسم اصطلاحي.

وهناك: تم ذكر أدلتهم، وهي نفس الأدلة التي يتمسك بها القائلون بجواز مخالفة هذا الرسم إلى غيره.

وقد تعقبناها ـ هناك ـ بالمناقشة، والتفنيد، ولا نرى داعياً لإعادتها ـ أو إضافة جديد لها ـ هنا، فهناك ما به تصح الكفاية.

وقد نوقشت ـ أيضاً ـ بتوسع عند الكلام على الزعم الأول في فصل «مزاعم حول رسم المصحف».

المطلب الثالث: مذهب التفصيل.

ويرى هذا الفريق ـ من العلماء ـ أنه لا يكتب بالرسم العثماني إلا لخاصة الناس، ويكتب لعامتهم ـ مصاحف ـ حسب القواعد الإملائية الحديثة[2].

---

(١) انظر: المصحف الشريف ص ٩٣، مناهل العرفان ١/ ٣٧٣، البيان ص ٢٥٨.
(٢) انظر: المصحف الشريف ص ٩٣، الجمع الصوتي ص ٣٧٣، مناهل العرفان ١/ ٣٧٨، البيان ص ٢٥٧.

بل يحرمه بالنسبة للعامة، الذين يخشى عليهم الالتباس، والتَّخليط في قراءة القرآن.

ويحض على اتباعه، والمحافظة عليه بالنسبة للخاصة العارفين به، الذين لا يخشى عليهم الإلتباس.

ثم يحتج لمذهبه هذا، بأن فيه:

١ ـ إحتياطاً للقرآن من ناحية.

٢ ـ ومزيد عناية به من ناحية أخرى.

١ ـ أما الاحتياط له: فهو أنه قد تقع قراءته من المصحف بغير مُوقِف، ممن لا يعرف أن قراءة القرآن تحتاج إلى ذلك، أو يعرف ولكنه في جهة لا يوجد فيها موقف محسن، وتدفعه الرغبة في تلاوة القرآن، إلى قراءته من المصحف، أو يوجد الموقف، ولكنه، لا يلتقي به لسبب ما، والأسباب لا تنحصر.

ففي هذه الأحوال كلها، لا يُخْشَىٰ على من هو من العامة أن يدخل عليه الخطأ في قراءة القرآن، من جهة الرسم.

٢ ـ وأما مزيد العناية به: فتكون بالإبقاء على الهيئة المأثورة في رسمه، عن السلف الصالح، من الصحابة والتابعين؛ إذ لا يحمد من الأمة أن تهمل ما جرى عليه سلفها في كتابة القرآن، حتى يندرس هذا الرسم، ويضيع، وتصبح الكيفية التي كتب عليها القرآن في زمن النبي ﷺ، وأصحابه رضوان الله عليهم، ومن تلاهم من سلف الأمة، مجهولة للمسلمين.

فقداسة القرآن، والعناية به، وحمايته من الخطأ فيه، ومن إهمال شأن من شؤونه، كل ذلك يقضي بهذا التفصيل في كتابة القرآن الكريم[1].

---

(١) البيان ص ٢٥٩.

وعلى ذلك: ففي كتابة القرآن الكريم على هذا النحو من التيسير، والمحافظة الشيء الكثير.

التيسير: للمبتدئين، ولغير المتخصصين، ولمن لا تساعدهم شواغلهم على معرفة الرسم العثماني.

و ـ أيضاً ـ المحافظة على هذا الأثر الطاهر لسلفنا الصالح.

مناقشة هذا المذهب:

ولقد نُوقش هذا المذهب بتفصيل في هذا الباب، فصل «مزاعم حول رسم المصحف»، الزعم الثاني.

ولم أشأ أن أناقشه هنا، مع أنه ـ وفقاً لمنهاج بعض العلماء ـ من المذاهب التي تذكر عند الكلام على اتباع الرسم العثماني.

وذلك: أنني رأيت أنه لا يرقى إلى درجة يعد معها من هذه المذاهب، بل لا ينجو أمام التمحيص العلمي الدقيق، من أن يكون اتجاهاً هداماً.

وهو ما دفعني إلى نظمه في سلك المزاعم التي روجها، وروج لها المناوئون للرسم العثماني[1].

المطلب الرابع: مذهب التحريم.

ويقضي هذا المذهب بتحريم كتابة القرآن الكريم؛ بهذا الرسم الآن وضرورة كتابته بالرسم الإملائي الحديث.

وينسب هذا الرأي: إلى العز بن عبد السلام[2].

وحجة هذا الرأي:

---

(١) انظر: فصل مزاعم «حول رسم المصحف».

(٢) إتحاف فضلاء البشر ص ٩، البيان ص ٢٥٥، الجمع الصوتي ص ٣٧٢.

أن كتابة القرآن الكريم، وفق ما يقتضيه الرسم العثماني، قد يؤدي إلى اللبس، والتخليط، ووقوع الخطأ في قراءة القرآن ممن لا دراية لهم به؛ فلذلك يجب[1] تركه، إذ ما هي الحكمة ـ كما يقول بعضهم ـ في أن يقيد كتاب الله تعالى بخط، لا يكتب به اليوم أي كتاب[2]؟

ويتعللون في الرد على ما جاء من الآثار في الحث على اتباع رسم المصحف، ووجوب ذلك، بقولهم: «إنما كان ـ ذلك ـ في الصدر الأول، والعلم غض حي، وأما الآن، فقد يخشى الإلتباس»[3].

دفع هذا المذهب:

أولاً: إن من أجلّ علوم القرآن، التي هي أجمل ما به تحلى الإنسان، علم رسم المصحف، على نحو ما رسمه به الصحابة الأعيان في مصاحف سيدنا عثمان ـ رضي الله عنه ـ وعلم ضبطه، الذي به يزول اللبس عن حروف القرآن، وتبين به غاية البيان[4].

ولذلك: يجب علينا ـ وجوباً استحسانياً ـ أن نعلم كيف رسم الصحابة القرآن في المصاحف «لا لأن إتباع مرسومها ـ فيما خالفوا فيه القياس ـ أمر لازم علينا، لكونه سنة ثابتة عن النبي ﷺ، أو كونه اصطلاحاً من الصحابة، عن علم منهم قد تحقق، لا خطأ، أو كيف اتفق، لا لأجل ذلك فقط» بل لأن العلم برسم الصحابة مما يتعلق بتاريخ القرآن، والمصاحف، وحقيق على كل

---

(١) البيان ص ٢٥٨.
(٢) مجلة الرسالة عدد ٩ يناير ١٩٥٠م ص ٤٠، ٤١.
(٣) البرهان ١/ ٣٧٩، إتحاف فضلاء البشر ص ٩.
(٤) دليل الحيران ص ٤، ٥.

عالم مسلم أن يعرف ذلك[1].

وهذا الرسم: مانع من قراءة القرآن بدون موقف؛ حيث إنه لا يرشد إلى النطق الصحيح بألفاظ القرآن، فإنه بسبب ما فيه من زيادة، وحذف، وإبدال حرف بحرف، قد جاء على خلاف النطق.

فلا يجوز لأحد أن يقرأ القرآن، بدون أخذ له عن عارف بهذا الرسم[2].

ولذلك: فقد أجمع أهل الأداء، وأئمة القراءة على لزوم تعلم مرسوم المصاحف فيما تدعو إليه الحاجة[3]؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وبهذا تندفع حجة من يقولون: إن قراءة القرآن بالرسم العثماني تؤدي إلى اللبس والتخليط، ووقوع الخطأ في القراءة ممن لا دراية لهم به، ولذا يجب تركه[4].

ولا يلتفت ـ بعد ذلك ـ إلى اعتلال من خالف بقوله:

إن العامة لا تعرف مرسوم المصحف، ويدخل عليهم الخلل في قراءتهم في المصحف، إذا كتب على المرسوم العثماني.

إذ ليس ـ كلامهم ـ هذا بشيء، لأن من لا يعرف المرسوم من الأمة ـ كما رأينا ـ يجب عليه أن لا يقرأ في المصحف، حتى يتعلم القراءة على وجهها، ويتعلم مرسوم المصحف.

---

(١) تاريخ القرآن والمصاحف ص ١٢.
(٢) البيان ص ٢٥٨.
(٣) دليل الحيران ص ٣٢.
(٤) البيان ص ٢٥٨.

فإن فعل ذلك ـ أي قرأ بدون علم ـ فقد خالف ما اجتمعت عليه الأمة[1].

ثانياً: وأيضاً: فإن تلاوة القرآن، في ذاتها، لا بدّ فيها من الكيفيات الخاصة الثابتة بالرواية والنقل، وهي لا تعرف إلا بالتلقي، والتعليم؛ إذ ليس في الخط ما يرشد إليها، كالمد، والإمالة، والإظهار، والإدغام، ونحوها من الأحكام الخاصة بالتلاوة.

فالقرآن: لا يؤخذ من المصحف حتى ترد هذه الشبهة، بل لا بد فيه من التلقي، والأخذ عن الشيوخ؛ لاختصاص تلاوته بأحكام لا تعرف من مجرد الخط[2].

وبذلك: تبين فساد هذا الرأي، وانعدام وزنه في ميزان الصحة، وأثبت الواقع خطأه، فهذا الرسم العثماني شامخ، يناطح كل معاول هدمه.

ولقد نوقش هذا المذهب بتفصيل عند مناقشة الزعم الأول في فصل «مزاعم حول رسم المصحف».

المطلب الخامس: تعقيب على مذهب التحريم.

يلفت النظر ـ بعد أن تبين فساد هذا الرأي ـ أن ينسب إلى الإمام العز بن عبد السلام.

وهذا ما أستبعده على هذا العالم الجليل.

---

(١) إيقاظ الأعلام ١٦.

(٢) البيان ص ٢٥٩.

والأقرب في نظري: أن يكون هذا العالم ممن يذهبون إلى مذهب «التفصيل» كالإمام الزركشي، الذي نقل لنا رأيه هكذا.

«سُئل الإمام مالك: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟

فقال: لا، إلا على الكَتْبَة الأولى.

قال في البرهان:

قلت:

وكان هذا ـ أي المنع ـ في الصدر الأول، والعلم حي غض، وأما الآن فقد يخشى الالتباس.

ولهذا قال الشيخ العز بن عبد السلام:

لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الأول باصطلاح الأئمة، لئلا يوقع في تغيير من الجهال، ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه لئلا يؤدي إلى دروس العلم، وشيء قد أحكمته القدماء، لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين به، ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجة»[1].

ومن هذا النص: نفهم أن الزركشي والشيخ العز، يخالفان الإمام مالكاً في منع الكتابة بغير الرسم العثماني، ويجوزان الكتابة ـ الآن ـ على ما أحدث الناس من الهجاء، بجوار الكتابة العثمانية.

هذا ما فهمته من النص المذكور، وهذا الفهم ـ أيضاً ـ هو الموافق لما عليه فهم الكثير[2].

---

(١) البرهان ١/٣٧٩، مناهل العرفان ١/٣٧٨.

(٢) انظر: مناهل العرفان ١/٣٧٨، المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٣٦٤، المصحف الشريف ص ٩٤، التبيان في علوم القرآن ١/١٨٧.

ولذا فالذي أرجحه أن الشيخ العز بن عبد السلام يذهب إلى القول بالتفصيل، ويصرح الدكتور أبو شهبة بنسبة «القول بالتفصيل» إلى الشيخ العز بن عبد السلام، عند عرضه لهذا القول على أعضاء مجمع البحوث الإسلامية إذْ يقول:

«والقائل بهذا الرأي الوسط: ليس رجلاً مغموراً بين العلماء، أو مطعوناً في دين أو خلق، وإنما هو الضليع: الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، وصاحب المواقف المشهورة، مع الملوك والسلاطين والأمراء، والذي لُقِّب بحق، بسلطان العلماء: العز بن عبد السلام»[1].

وفي ظني أن الذي دفع ببعض العلماء إلى نسبة القول بالتحريم ـ وهو ليس صحيحاً ـ إلى الشيخ العز: هو عبارة الدمياطي البنا إذ يقول[2]:

«سئل مالك رحمه الله تعالى: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟

قال: لا، إلا على الكَتْبَة الأولى.

لكن قال بعضهم ـ وهو يشير إلى الإمام الزركشي ـ.

هذا كان في الصدر الأول، والعلم غض حي، وأما الآن، فقد يخشى الالتباس.

وكذا قال شيخ الإسلام العز بن عبد السلام:

لا يجوز كتابة المصحف الآن على المرسوم الأول باصطلاح الأئمة؛ لئلا يوقع في تغيير من الجهال.

---

(١) بحوث قرآنية ص ١٦٨.

(٢) إتحاف فضلاء البشر ص ٩.

وهذا كما قال بعضهم: «يشير بهذا إلى أن بقية الكلام من كلام الإمام الزركشي»، ولكني هنا أخالفه، إذ أن بقية العبارة تتميم لرأي الشيخ العز بن عبد السلام وهي كما يلي:

«ولكن لا ينبغي إجراؤه على إطلاقه لئلا يؤدي إلى دروس العلم، ولا يترك شيء قد أحكمه السلف مراعاة لجهل الجاهلين».

وبمقارنة نص الزركشي، ونص الدمياطي البنا ببعضهما البعض يتضح ما نذهب إليه من نسبة القول بالتفصيل للشيخ العز، والسببَ الدافع لهؤلاء العلماء الذين ذهبوا إلى ما نخالفه.

وكان يقتضينا هذا أن لا نذكر هذا المذهب، ما دامت نسبته في رأينا إلى صاحبه نسبة خاطئة، مكتفين بذكر مذهب التفصيل.

ولكنا فضلنا ذكر هذا الرأي لدفعه وهدمه، إذا ما سوغت نفس قائل إلى قوله.

المبحث الثاني

(حكم مخالفة رسم المصحف)

المطلب الأول: حكم مخالف رسم المصحف.

رأينا أن العلماء والأئمة التزموا بمتابعة رسم المصحف، والتقيد به، وقد نقلنا عنهم ما يفيد تمسكهم به، والمحافظة عليه.

ولكن الأمر في حالة مخالفة البعض لرسم المصحف، ماذا يكون حكمه؟

١ ـ رأي القاضي عياض:

يرى القاضي عياض: «أن اتباع رسم المصحف واجب وجوباً قطعياً، وأن مخالف هذا الرسم كافر، حيث يقول: من نقص من القرآن حرفاً، قاصداً لذلك، أو بدله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف، الذي وقع عليه الإجماع، وأجمع على أنه ليس من القرآن عامداً لكل هذا: أنه كافر»[1].

وقد وضح شراحه مراده هذا، مؤكدينه بقولهم: أنه يعني بقوله: «من نقص... إلخ» كتابة وقراءة[2].

وحكاه عنه الإمام الخراز في منظومته «عمدة البيان في مرسوم القرآن» بقوله:

---

(١) الشفاء ٢/ ٢٦٤.

(٢) انظر: نسيم الرياض ٤/ ٥٥٧، وشرح الشفاء لعلي القاري بهامش نفس الصفحة.

فواجب على ذوي الأذهان أن يتبعوا المرسوم في القرآن
ويقتـــدوا بمـــا رآه نظـــرا إذ جعلـــوه لـــلأنـــام وزرا
وكيــف لا يجــب الإقتــداء لمــا أتــى نصــابــه الشفــاء
إلــى عيــاض أنــه مــن غيــرا حرفا من القرآن عمداً كفرا
زيــادة أو نقصــاً أو إن بــدّلا شيئاً من الرسم الذي تأصلا[1]

ولكن الإمام ابن عاشر، يرى ما يخالف ذلك في فهمه لرأي القاضي عياض، حيث يقول، مخالفاً بذلك فهم جميع من قدمنا:

«أن مراد عياض بالنقص: إنما هو النقص اللفظي، لا الخطي، وكذا التبديل، والزيادة، خلاف ما يقتضيه نقل الخراز ـ السابق ـ عنه، أن المراد النقص في الخط، والتبديل، والزيادة فيه».

ثم يعقب على رأي الخراز السابق بقوله:

«إلا أن يتأول قول الخراز: «من الرسم الذي تأصلا» بأن المعنى:

أن من غير حرفاً لفظاً بنقص، أو تبديل، أو زيادة، من القرآن المدلول عليه برسم المصحف، فهو كافر.

وحينئذٍ: فلا يكون مقصود الناظم ـ وهو الخراز ـ بما نقل عن عياض: إفادة كفر من تعمد نقص حرف من رسم المصحف، أو تبديلاً، أو زيادة فيه.

وإنما قصد: تأكد الوجوب في ترك هذه المخالفات الخطية»[2].

٢ ـ ويرى بعض العلماء المحدثين:

أن الأمر ليس على هذه الصورة التي تقتضي: تكفير المخالفين.

---

(١) انظر: لطائف البيان ص ٤، الكواكب الدرية ص ٣٥.

(٢) الكواكب الدرية ص ٣٥.

«حيث إن اتباع رسم المصحف ـ كما يرى الدكتور عبد الوهاب غزلان ـ غير متفق على وجوبه، بل إن من كبار العلماء، وعظمائهم من قال بجوازه، ومنهم من ذهب إلى نوع من التفصيل... ومنهم...».

ثم يقول:

«وأمرٌ توجد فيه هذه الآراء المتعددة، من علماء الأمة، لا شك أنه يكون محل سعة، وسهولة، ويسر، فلا ينبغي التشدد فيه إلى حد التناكر والتأثيم، والتراشق بألفاظ الطعن والتجريح»[١].

أما الدكتور لبيب السعيد:

فيرى ـ أيضاً ـ «أن الأمر لا يستدعي هذا التكفير، ويساير في رأيه رأي القضاء العربي الحديث، إذ أن المحكمة الإدارية ـ كما يقول ـ نظرت في قضية عاب فيها الأزهر على أحد المؤلفين نقده لرسم المصحف، ثم رأت أن لا حرج في هذا النقد، ما دام المؤلف ـ كما رأت المحكمة ـ قد عرض، وجادل، وناقش الآراء المختلفة، مما ينفسح معه المجال للقول بأنه سلك طريق البحث العلمي، ولا عليه ـ بعد ذلك ـ إن كان يترك قولاً، ويأخذ بقول، أو يدع رأياً، ويستجيب إلى رأي»[٢].

ولكن الأستاذ موسى جار الله:

يرى: أن الكلمات المرسومة في المصحف على قسمين:

الأول: قسم يتحمل رسمه أكثر من قراءة.

وهذا يجب فيه ـ عنده ـ الإلتزام به، واتباعه، وتحرم مخالفته.

---

(١) البيان ص ٢٥٩، ٢٦٠.
(٢) الجمع الصوتي ص ٣٨٣.

والثاني: قسم ليس فيه غير قراءة واحدة.

ولا يرى الأستاذ في هذا ضرورة الالتزام به، ولا وجوب اتباعه.

٣ ـ ويرى الباحث:

أنه وإن كان هذا البحث قد توصل إلى القول بتوقيفية هذا الرسم، وأنه قد ثبت إجماع الأمة عليه منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، . . . إلى غير ذلك.

إلا أن الأمر لا يصل حد التكفير. لمن خالف، إلا إن كان يبغي بمخالفته التحريف، أو الوصول تدريجياً إلى ذلك التغيير ثم التحريف.

ولكنه مع ذلك، وفي نفس الوقت: لا ينبغي أن يصل الأمر إلى حد التساهل الذي يمكن معه إلى طبع المصحف بغير هذا الرسم وتغييره كلية، أو تغييره جزئياً، حسب رأي العلامة الروسي.

المطلب الثاني: حكم المصحف المطبوع بخلاف رسم المصحف.

يرى الشيخ المحقق علي محمد الضباع، أنه: إذا كان في المصحف المطبوع كلمات رسمت على خلاف الرسم العثماني المشهور، فهي قسمان.

الأول: إذا كانت هذه الكلمات المخالفة لرسم المصحف ـ مما يترتب على رسمها إخلال بحكم من أحكام تلاوة القرآن الكريم، كوصل ما أثر عن الرسم العثماني قطعه؛ وعكسه، أو كرسم هاء التأنيث التي يقتضي الرسم العثماني رسمها بالتاء.

ففي هذه الحالة ـ خشية أن يتسرب التحريف إلى اللفظ الشريف ـ يتعين إتلاف ذلك المصحف، إذا تعذر إصلاحه.

والثاني: إذا كانت تلك الكلمات ـ المخالفة لرسم المصحف ـ مما لا

يترتب على رسمها كذلك إخلال بحكم من أحكام اللفظ، كإثبات بعض الألفات، أو الياءات، أو الواوات المحذوفات في الرسم لقصد الإختصار.

فهذا: لا بأس ببقائه، واحترامه، تبعاً لما جرى عليه بعض متأخري المشارقة من الترخيص بإثباتها، تيسيراً على العامة، وتنزيلاً لها منزلة الضبط، لأنها تؤدي ما يؤديه.

ثم يعقب على نفسه ـ في هذا القسم الثاني ـ فيقول:

ولم أر في ذلك نصاً يعتد به، وهل تعد هذه الأحرف من القرآن، أم لا؟

الظاهر من عمل العادّين: أن منهم من عدها مراعاة للفظ، ومنهم من أسقطها مراعاة للخط العثماني.

وهذا ـ أي عدم إثبات المحذوف ـ أولى، وأحوط، محافظة على المرسوم، وخشية أن يزاد في القرآن ما ليس منه.

ونحن، وإن كنا نرى أن هذا الرأي متأثر إلى حد كبير برأي العلامة موسى جار الله.

فإننا: لا نتابع الشيخ الضباع في رأيه على إطلاقه، بل نوافقه في القسم الأول من كلامه، و ـ كذلك ـ في تعقيبه على نفسه في القسم الثاني.

ونضيف كذلك:

أنه لو فرض، وأخذ هذا الرأي محل التنفيذ، فلا يمكن ضمان تطبيقه تطبيقاً سليماً، حيث إن التفرقة بين ما يضر، وما لا يضر ـ فوق أنها من عمل المتخصصين ـ سوف تكون صعبة في التنفيذ.

على أنه فتح لثغرة قانونية: لمريدي الكيد لرسم المصحف، بتغييره.

وكذلك لمريدي الكسب من طبع المصحف بغير الرسم العثماني، وقد لمست بنفسي، تربُّص أصحاب دور النشر لذلك، لولا خوفهم من عدم تصريح الأزهر لهم بهذا.

المبحث الثالث

(فوائد اتباع رسم المصحف)

سواء كان رسم المصحف توقيفياً، أو كان اصطلاحياً، وسواء أكان اتباعه واجباً، أم جائزاً، أم غير ذلك..!!

فهناك من الفوائد التي لا بد من وجودها عند اتباع هذا الرسم، والتي يمكن لنا أن لا نحصل عليها دون التزام هذا الرسم، ما يلي: -

١ ـ اتِّصال السند القرآني:

إذْ أن مجيءَ «رسم المصحف» على خلاف النطق في كثير من المواضع، يقضي بعدم جواز أخذه إلا عن عارف بهذا الرسم، وألا يكتفي بأخذه من المصحف، لما يترتب على ذلك من اللبس والخطأ[1].

حيث أن الاهتداء إلى تلاوة القرآن ـ على حقه ـ لا يكون إلا بموقف شأن كل علم نفيس، بتحفّظ عليه[2]، فهو إذاً حجاب مانع من تلاوة القرآن ـ على وجهه ـ بدون موقف[3].

وبهذا لا يوجد قارىء للقرآن الكريم، إلاَّ وله شيخ أخذ عنه، زيادة في التثبت من ألفاظ القرآن، وكيفيات النطق بها، فوق ما فيه من اتصال سند

---

(١) البيان ص ٢٦١.

(٢) الجمع الصوتي ص ٣٩١، تاريخ القرآن وغرائب رسمه ص ١١٢.

(٣) الكواكب الدرية ص ٣٨.

قراءة القارئ إلى رسول الله ﷺ[1].

وتلك مزية، اختصَّ بها القرآن الكريم، دون غيره من الكتب السماوية.

قال ابن حزم:

«نقل الثقة عن الثقة، يبلغ به النبي ﷺ مع الاتصال، خص الله به المسلمين، دون سائر الملل.

وأما مع الإرسال والإعضال، فيوجد في كثير من كتب اليهود، ولكن لا يقربون فيه من موسى، قربنا من محمد ﷺ، بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصراً، إنما يبلغون إلى شمعون ونحوه.

ثم قال:

وأما النصارى: فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق.

وأما النقل المشتمل على طريق فيه كذاب، أو مجهول العين، فكثير في نقل اليهود، والنصارى.

وأما أقوال الصحابة والتابعين: فلا يمكن اليهود أن يبلغوا صاحب نبي أو تابعياً، ولا يمكن النصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولس[2].

٢ ـ معرفة القراءات المتعددة الواردة في اللفظ الواحد:

إذ أن رسم المصحف ـ في أكثر المواضع ـ يحتمل أكثر من قراءة واحدة، فلو لم يلتزم رسم المصحف بالاتباع، وتغيَّر، لضاعت علينا هذه القراءات، التي أنزلها الله تعالى على نبيه، ونقلت إلينا تواتراً، بسبب عدم

---

(١) فصل الخطاب ص ٢١.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ٨١، ٨٥.

تحمل الرسم الجديد لها؛ وفي ذلك إهمال لبعض القرآن، بل جحود به، والجاحد بالقرآن، أو ببعضه: كافر.

يقول القاضي عياض: واعلم أن من استخف بالقرآن، أو المصحف، أو بشيء منه، أو سبهما، أو جحده، أو حرفاً منه، أو آية، أو شك في شيء من ذلك؛ فهو كافر عند أهل العلم بإجماع[1].

٣ ـ المحافظة على الرسم الأصلي للمصحف:

إذ لو لم نحافظ عليه، ونلتزم به، ونقيد أنفسنا باتباعه، لترتب على ذلك:

أولاً: تطرق التحريف إلى النص القرآني[2].

وذلك لأن قواعد الإملاء العادي لم يتفق عليها واضعوها، وهي عرضة للتغيير والتبديل، ومتطورة على مدى الزمن[3].

فلو لم نلتزم باتباع رسم المصحف، وتركناه يخضع لقواعد الإملاء العادي، ويسير في تيّارها، لكان اختلاف المسلمين في نصوص القرآن الكريم، أمراً محتملاً، بل قريب الوقوع، ولكان السبيل إلى تحريف القرآن الكريم ممهّداً في طيات هذا التجدد في قواعد الإملاء، وليس هذا بمستبعد، بل قد حدث فعلاً، فقد وردت الأنباء قريباً.

بأن إسرائيل[4]: جدّت ـ فعلاً ـ في محاولة تحريف القرآن، وتوزيع

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ٢٦٣.
(٢) الكواكب الدرية ص ٣٨.
(٣) الجمع الصوتي ص ٣٨٤.
(٤) الجمع الصوتي ص ٤٧٢.

النسخ المحرفة في: المغرب، وغانا، وغينيا، ومالي، ودول إفريقية أخرى[1].

وقد اكتشفت سفارتنا بالمغرب هذه المحاولة، فأخطرت بها القاهرة، وبعثت إليها بعض النسخ المحرفة[2].

وكان من الوسائل والمظاهر ـ التحريفية ـ التي اكتشفت: ـ

أ ـ إحداث أكثر من ألف خطإ مطبعي ولفظي في مائة ألف نسخة من القرآن الكريم، وزعت في البلاد الأفريقية، والآسيوية[3].

ب ـ حذف «لا» النافية من بعض المواضع، ليكون المعنى عكس ما نزل به القرآن الكريم[4].

جـ ـ حذفت كلمتي «ليست» في الآية ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾[5].

د ـ حذف كلمة «غير» في الآية ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[6].

هـ ـ وإبدال هذه العبارة «والله غفور رحيم» بعبارة «والله عزيز حكيم» في الآية ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ

---

(١) مجلة آخر ساعة ع ١١ يناير ١٩٦١م.
(٢) نفس المرجع.
(٣) جريدة الأهرام ع ٢٨ ديسمبر ١٩٦٠م.
(٤) جريدة الأخبار ع ٢٠ ديسمر ١٩٦٠م.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١١٣، وانظر مجلة منبر الإسلام ع جمادى الآخر ١٣٨٥هـ ص ٩٢ ـ ٩٥.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٨٥، وانظر: نفس المقال.

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[١].

و ـ وإسقاط هاتين الآيتين، ومنع تدريسهما في مدارس العرب والمسلمين في فلسطين المحتلة:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[٢].

والقصد من هذا الحذف ـ فيما قيل وقتها ـ صرف الأنظار عن جرائم إسرائيل التي ارتكبتها في حق العرب بإخراجهم من ديارهم[٣].

وقد اهتم المسلمون بهذا الحادث الخطير اهتماماً كبيراً[٤]: ـ

(أ) فبحث وزير الأوقاف مع شيخ الأزهر الإجراءات الواجب اتخاذها ضد هذا العدوان، ومنها تشكيل لجنة مشتركة لمراجعة المصحف المحرف، وإبراز أخطائه وتحذير المسلمين من تداوله[٥].

(ب) وأرسل شيخ الأزهر إلى رئيس الجمهورية برقية قال فيها:

«... إن إسرائيل التي قامت على البغي والطغيان والإعتداء، على المقدرات والمقدسات، ما زالت تعيش في هذا العبث، وتحيا في إطار هذا الطغيان وأنها ـ بتحريفها القرآن الكريم ـ تريد القضاء على معتقداتنا وديننا،

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٨، وانظر: نفس المقال.

(٢) سورة الممتحنة، الآيتين: ٨ ـ ٩.

(٣) جريدة الجمهورية ع ١١ يناير ١٩٦١.

(٤) الجمع الصوتي ص ٤٧٤.

(٥) جريدة الأهرام ع ٢٩ ديسمبر ١٩٦٠.

وهي ـ بذلك ـ تمارس ما كان عليه آباؤهم من تحريف الكلم عن مواضعه، ابتغاء كبت الدعوة الإسلامية، وإعاقتها.

وإن المسلمين في أنحاء الأرض يهرعون إليكم ـ وكلهم أمل في قوة إيمانكم، وغيرتكم على دينكم ـ أن تعملوا على حفظ كتاب الله، فتقفوا في وجه هذا العدوان الأثيم.

إن الأمة الإسلامية كلها من ورائكم. . . إلخ»[1].

(جـ) وأمر مفتي الديار السودانية: كل موظفي المحاكم الشرعية، وأصحاب المكتبات العامة، بضرورة مراجعة المصاحف ـ قبل تداولها ـ للتأكد من سلامتها من التحريف.

وأصدر شيخ العلماء في السودان بياناً أهاب فيه بالمسلمين أن يتنبهوا لهذا الخطر، وأن لا يقبلوا أي مصحف إلا إذا كان موافقاً عليه من الأزهر، أو إحدى الهيئات الدينية الرسمية، في البلاد الإسلامية[2].

(د) وأصدرت الحكومة الأردنية بياناً استنكرت فيه التحريف، وذكرت ما تأدى إليها من أن إسرائيل عرضت على الدول الأفريقية، التي وزعت فيها المصاحف المحرفة أن ترسل إليها مدرسين لتدريس اللغة العربية، والنسخة المشوهة.

وطلبت الأردن إلى المسؤولين في البلاد العربية إحباط أعمال إسرائيل الشريرة[3].

---

(١) عدد الأهرام نفسه، وعدد الجمهورية بنفس التاريخ.
(٢) جريدة المساء ع ١٠ فبراير ١٩٦١.
(٣) جريدة الأخبار ع ١٨ إبريل ١٩٦١.

ثانياً: هدم كيان كثير من العلوم.

وذلك: لأن «رسم المصحف»، علم يختص بالبحث في رسم كلمات القرآن، وكذلك، علم «آداب كتابة المصحف»، علم، يعرف فيه كيفية كتابة المصحف، ليكون موافقاً للآداب المعتبرة، والمستحسنة عند السلف[1].

فإذا لم نلتزم برسم المصحف، أو جوزنا تغييره، جوزنا هدم هذا العلم، الذي صنف فيه العلماء المؤلفات[2].

وقياساً على هدم علم «رسم المصحف، وآداب كتابته»، يجوز لنا هدم كثير من العلوم، بدعوى سهولة التناول[3].

وفي هذا من الفساد ما لا يحصى، ولا يقينا شر هذا الفساد سوى التزامنا برسم المصحف.

ثالثاً: ضياع بعض اللغات الفصيحة.

مثل: كتابة هاء التأنيث، تاء مفتوحة: على لغة طيء[4].

وقد تقدمت الأمثلة لهذا النوع في فصل «سمات وخصائص».

ومثل: حذف آخر المضارع المعتل اللام لغير جازم: على لغة هذيل[5].

كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[6].

---

(١) انظر: مفتاح السعادة ٢/ ٣٧٢، ٣٧٤، ٥٧٣، أبجد العلوم ص ٤٩٠، ٢٩٩.

(٢) انظر: فصل مؤلفات في الرسم من هذا البحث.

(٣) الكواكب الدرية ص ٣٨.

(٤) مناهل العرفان ١/ ٣٦٨، الكواكب الدرية ص ٣٨، البيان ٢٦١.

(٥) الكواكب الدرية ص ٣٨، البيان ٢٦١.

(٦) سورة هود، الآية: ١٠٥.

وبضياع هذا الرسم نتيجة لعدم الإلتزام به، واتباعه: تضيع كثير من هذه اللغات، التي أنزل القرآن عليها، والتي لا يمكن الاستدلال عليها، حينئذٍ بالقرآن الكريم، الذي هو أصدق الحديث.

رابعاً: ضياع القرآن نفسه بضياع شرطه[١].

وبيان ذلك: أن الرسم شرط من شروط قبول القراءة القرآنية، وصحتها[٢]، ولذلك حرمت القراءة، ومنعت مما خالف خط المصحف[٣]، واعتبر ما خالف رسم المصحف ـ وإن توافر له صحة السند، وموافقة العربية ـ شاذاً، لا تجوز القراءة به، لا في الصلاة، ولا في غيرها[٤].

فلو أنا تساهلنا في أمر رسم المصحف، ولم نلتزم به، ولم نتبعه، وترتب على هذا تغييره، لترتب على هذا أيضاً ضياع كثير من القراءات القرآنية ـ التي يتحملها المصحف برسمه هذا ـ و ـ التي لن يتحملها رسمه الجديد.

وبذلك يضيع جزء من القرآن، ويضيع بالتالي، القرآن الكريم نفسه.

٤ ـ جمع الأمة الإسلامية، وتوحيد صفوفها:

إذ أن في اتباع هذا الرسم، والإلتزام به، في جميع بقاع الأرض، رمز صادق، وتجسيد حي، لوحدة صف المسلمين، واتفاقهم على رسم كلمات ربهم، وامتثالهم لقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[٥].

---

(١) الكواكب الدرية ص ٣٨.

(٢) منجد المقرئين ص ١٥.

(٣) انظر: الإبانة ص ٣٦.

(٤) منجد المقرئين ص ١٧.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

ولا يخفي ما في كتابة المصحف برسمين ـ كما ينادي بعضهم ـ من تمزيق للصف، وخلق للحزبية، وتنمية للطائفية، كما سنرى في فصل «المزاعم حول رسم المصحف».

٥ ـ المحافظة على ريح النبوة الطاهر[١]:

لا يخفى أن في اتباع رسم المصحف: المحافظة على ريح النبوة الطاهر، وأريجها العطر، الذي يفوح من هذا الأثر الطيب لسلفنا الصالح، ما دام التمسك بهذا الأثر لا يعوق تقدمنا.

وحاشا أن يكون في آثارهم ما يعوق تقدمنا. . !!

٦ ـ مطالبة المسلم أن يُعدّ نفسه ـ قبل تلاوة القرآن ـ إعداداً خاصاً:

في الإلتزام بهذا الرسم، مطالبة المسلم ـ وليس في هذا غرابة ـ أن يعد نفسه، إعداداً علمياً وذهنياً خاصاً، قبل التهجم على ساحة الوحي الإلهي، وقبل المثول بين يدي كتاب الله تعالى، وهذا ما يناسب الإجلال المطلوب لكتاب الله تعالى.

وذلك ـ كما نعرف ـ ليس تعنُّتاً أو تَقْيِيْداً أو تعسُّفاً.

٧ ـ عدم تجهيل الناس بأوليتهم[٢]:

وذلك بوقوف المسلمين على كيفية كتابة المصاحف في ابتداء الأمر[٣]، ومعرفتهم لهذا الرسم المعجز تماماً كنظم القرآن[٤]، وتيقنهم

---

(١) انظر: منهج الفرقان ١/١٥٨.
(٢) الكواكب الدرية ص ٣٨.
(٣) تاريخ القرآن وغرائب رسمه ص ١١٢.
(٤) إرشاد الحيران ص ١٥.

بعظيم فضل الصحابة في علم الهجاء خاصة، وثقوب فهمهم في تحقيق كل علم[1].

وقيل: إن جهل الناس بأوليتهم، وكيفية ابتداء كتابتهم ـ بسبب عدم اتباع رسم المصحف، بل تغييره ـ يعد في ميزان العلم خسران[2].

٨ ـ معرفة مميزات رسم المصحف:

في اتباع رسم المصحف، والإلتزام به، معرفة لمميزات هذا الرسم، ودراسة لفوائده، التي سنتناول الحديث عنها في الفصل التالي: ـ

---

(١) المواهب الفتحية في علوم العربية ١/١٧.

(٢) الجمع الصوتي ٣٩١.

الفصل الثالث

(مزايا رسم المصحف)

وفيه:

تمهيد.

١ ـ الميزة الأولى: الدّلالة على القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة.

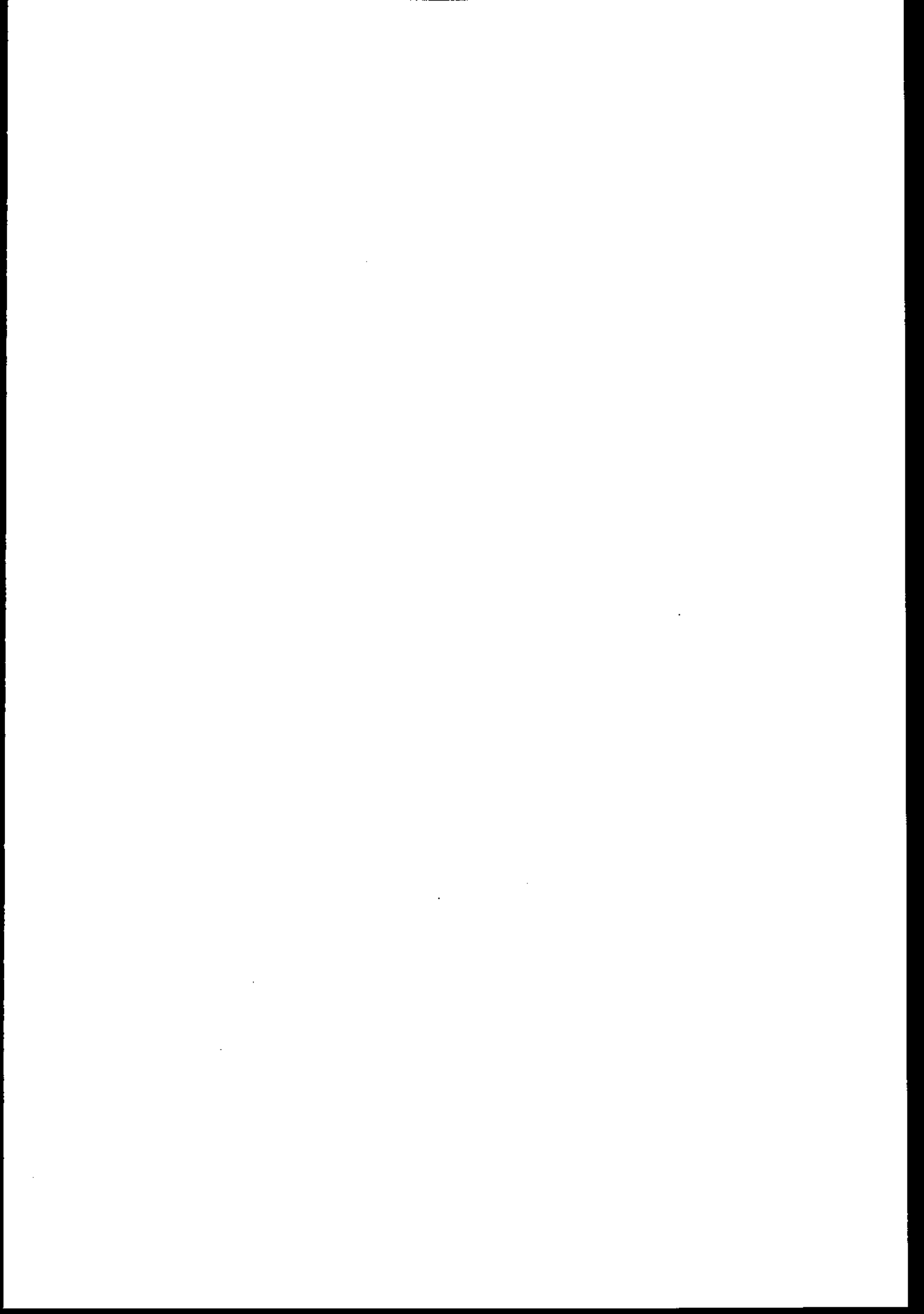
٢ ـ الميزة الثانية: إتصال السند.

٣ ـ الميزة الثالثة: الدلالة على أصل الحركة، وأصل الحرف.

٤ ـ الميزة الرابعة: إفادة بعض اللغات الفصيحة.

٥ ـ الميزة الخامسة: الدلالة على معنى خفي دقيق.

٦ ـ الميزة السادسة: إفادة المعاني المختلفة بطريقة واضحة.



الفصل الثالث

(مزايا رسم المصحف)

تمهيد وخطة:

كتب الصحابة، رضوان الله عليهم، المصاحف، وأكثر خطها موافق لقواعد الرسم القياسي.

لكنه قد خرجت عنها أشياء، منها ما عرف لنا حكمه، ومنها ما غاب عنا علمه، ولم يكن ذلك من الصحابة كيف اتفق، بل كان لأمر عندهم قد تحقق[1].

فلم يرسموه هكذا اضطراراً، أو جهلاً بأصول الكتابة ـ كما فهم بعض الباحثين ـ نتيجة لقلة درايتهم بفن الكتابة، أو نتيجة لبداوة هذا الفن على عهدهم.

أما هذه المخالفات المرسومة في المصحف..!!

فيرى بعض العلماء: أن الصحابة كتبوا ما كتبوا واعين له، قاصدين فوائده، هادفين علله اللطيفة، وحكمه البليغة، وهو الحق.

وبعض هذه العلل والفوائد: غاب عنا سببها، وقصر عنها رأينا[2].

وبعض العلماء: يرى أن الصحابة، رضي الله عنهم، كتبوا المصحف بهذا الرسم، لحكمة لم نفهمها، وإشارة لم ندركها، من غير أن ينظروا إلى

(١) دليل الحيران ص ٣٢.
(٢) انظر: النشر ٢/١٢٨، غرائب القرآن، ورغائب الفرقان ١/ ٤٠.

العلل النحوية، أو الصرفية التي استنبطت بعدهم، وأن هذه التعليلات: ما هي إلا من قبيل الاستئناس، والتلميح، لأنها لم توضع إلا بعد انقراض الصحابة، رضي الله عنهم[1].

وقد تصدى العلماء لبيان أسرار هذه المخالفات، والعلل فيها، وتعداد مزايا هذا الرسم العثماني.

فممن تصدى ـ في القديم ـ لبيان الحكمة في اختلاف رسم بعض الأحرف في بعض الكلمات المتماثلة، الإمام أبو العباس المراكشي في كتابه ـ المشار إليه سابقاً ـ «عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل».

وكذلك: نجد الإمام الزركشي، يفصل مثل هذا في كتابه «البرهان» إذْ يعلل فيه لكثير من هذه المخالفات.

وفي الحديث: ذكر الشيخ محمد علي سلامة، وعدّد، فوائدَ لهذا الرسم في كتابه «منهج الفرقان».

وقد وضحها، وأضاف إليها، الشيخ الزرقاني، في كتابه «مناهل العرفان»[2].

وجاء الدكتور محمد أبو شهبة في بحثه الذي قدمه لمجمع البحوث الإسلامية ببعض التعليلات اللطيفة البارعة لبعض هذه المخالفات[3].

هذا... وقد وجدنا خلال بحثنا تساؤلات ـ من بعض العلماء، بعضها يقضي على بعض هذه المزايا، وبعضها لا يقوى على ذلك.

---

(١) انظر: تاريخ القرآن وغرائب رسمه ص ١٥٤.
(٢) انظر: ١/ ٣٦٦ وما بعدها.
(٣) انظر: بحوث قرآنية ص ١٦٠ وما بعدها.

وكان منهجنا في هذا الفصل:

ذكر هذه المزايا، وذكر الاعتراضات عليها إن وجد، ثم محاولة التوفيق بين المزية والإعتراض إن أمكن بما يكشف وجه الحق، والله المسدد والمجيب.

المزية الأولى

(الدلالة على القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة)

يقول الشيخ الزرقاني[1]:

وذلك: أن قاعدة الرسم، لوحظ فيها، أن الكلمة إذا كان فيها قراءتان، أو أكثر؛ كتبت بصورة تحتمل هاتين القراءتين، أو الأكثر.

فإن كان الحرف الواحد لا يحتمل ذلك، بأن كانت صورة الحرف تختلف باختلاف القراءات، جاء الرسم على الحرف الذي هو خلاف الأصل.

وذلك: ليعلم جواز القراءة به، والقراءة بالحرف الذي هو الأصل.

وإذا لم يكن في الكلمة إلا قراءة واحدة بحرف الأصل رسمت به.

ثم يذكر:

قوله تعالى: ﴿ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾[2].

مثالاً للكلمة تكتب بصورة واحدة، وتقرأ بوجوه متعددة.

إذْ أنها رسمت في المصحف العثماني هكذا (ان هدں لساحرں)، من غير نقط، ولا شكل، ولا تشديد، ولا تخفيف، في نوني «إن» و«هَذَانِ» ومن غير «ألف» ولا «ياء» بعد الذال من «هذان».

---

(١) انظر: مناهل العرفان ١/٣٦٦، ٣٦٧.

(٢) سورة طه، الآية: ٦٣.

ثم يقول:

ومجيء الرسم كما ترى، كان صالحاً ـ عندهم ـ لأن يقرأ بالوجوه الأربعة التي وردت كلها بأسانيد صحيحة: ـ[1]

القراءة الأولى: قراءة نافع ومن معه، إذ يشددون «نون» «إنَّ»، ويخففون نون «هذانِ» بالألف.

القراءة الثانية: قراءة ابن كثير وحده، إذ يخفف النون في «إن»، ويشدد النون في «هذانِّ» بالألف.

القراءة الثالثة: قراءة حفص، وابن محيصن، إذ يخففان النون في «إنْ» و«هذانِ» بالألف.

القراءة الرابعة: قراءة أبي عمرو، بتشديد «إنَّ»، وبالياء مع تخفيف النون في «هذينِ»[2].

ثم يقول:

فتدبر هذه الطريقة المثلى، الضابطة لوجوه القراءات؛ لتعلم أن سلفنا الصالح، كان في قواعد رسمه للمصحف، أبعد منا نظراً وأهدى سبيلاً.

وعلى هذه المزية.

يتساءل بعض العلماء قائلاً:

ونحن أمام هذه الفائدة، نسأل سؤالين فقط: ـ

الأول: إن الأبعد نظراً، هو الذي يقارن بين أمرين، ويختار أنفعهما،

---

(١) انظر: النشر ٢/ ٣٢٠، ٣٢١، إتحاف فضلاء البشر ٣٦٨.

(٢) وقراءة ابن كثير، وقراءة حفص، هما أوضح القراءات في هذه الآية معنى، ولفظاً، وخطاً. (إتحاف فضلاء البشر ص ٣٦٨).

فهل كان سلفنا الصالح، كتّاب مصحف عثمان، يعرفون النقط والشكل فآثروا تركهما، لتصح القراءات؟

أجمع المؤرخون ـ كما نقل الشيخ الزرقاني نفسه ـ أنهم، لم يكونوا يعرفون عن الشكل شيئاً.

الثاني: هل اتبعت هذه القاعدة في الرسم العثماني، في المصحف كله، أو في بعض الكلمات دون بعض. . . ؟

الواقع: الثاني، وإلا لكتبت كلمة «الصراط» بغير الصاد، فلو أنهم يقصدون هذه الفائدة لعمموها[1].

ونستطيع ـ بإذن الله تعالى ـ للإجابة على السؤال الأول.

أن نحيلَ السائل، والقارىء، إلى الباب الخاص بنقط المصحف وشكله[2].

وهناك: سوف يتضح لنا وله ـ بما لا يدع مجالاً للشك، أن الصحابة، وكتَّاب مصحف عثمان، رضي الله عنهم أجمعين، كانوا يعرفون النقط والشكل، ولكن جردوا المصاحف منه، ومن غيره، عمداً، قاصدين بعض هذه الفوائد كما يصرح بذلك الإمام ابن الجزري بقوله:

«. . . لما كتب ـ الصحابة ـ تلك المصاحف، جردوها من النقط والشكل، ليحتمله ـ يقصد رسمها ـ ما لم يكن في العرضة الأخيرة، مما صح عن النبي ﷺ.

(١) اللآلىء الحسان ص ٨٠.

(٢) انظر: الباب الثاني من هذه الرسالة.

ثم يقول:

وإنما أخلوا المصاحف، لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين، المنقولين. . .» إلخ[1].

وبذلك: يعلم ـ فعلاً ـ كما قال الشيخ الزرقاني: أنهم أبعد منا نظراً ـ فيما قصدوه، وأهدى سبيلاً ـ فيما رسموه.

والإجابة على السؤال الثاني: ـ

أن هذه القاعدة ـ بالذات ـ اتبعت في المصحف كله[2]، والمثال المذكور نفسه، وهو كلمة «الصراط»، يشهد بذلك:

حيث إن كلمة «الصراط» اتفقوا على كتابتها بالصاد، في كل القرآن، معرفاً ومنكراً، بأي إعراب كان، للدلالة على البدل، لأن السين هو الأصل[3]. وبهما تقرأ الكلمة، بالصاد ـ وهي لغة قريش ـ ومعها موافقة الخط وبالسين باعتبار الأصل ـ وهي لغة عامة العرب[4].

وعلى هذا: فكتابتها بالصاد، تتعادل معه القراءتان.

الأولى: بالصاد، ويشهد لها الرسم.

والثانية: بالسين، ويشهد لها الأصل.

ولو كتب ذلك بالسين ـ كما يقول الدكتور أبو شهبة ـ لفات ذلك، ولاعتبرت الصاد مخالفة للأصل والرسم.

---

(١) انظر: النشر ١/ ٣٣.

(٢) انظر: سمير الطالبين ص ٩٥ وما بعدها.

(٣) إتحاف فضلاء البشر ص ١٥٣.

(٤) إتحاف فضلاء البشر ص ١٥١، صحيفة الميثاق المغربية ع ١٤٨ ص ٤.

ويقول:

فانظر: أيها القارىء المنصف: كيف بلغ الصحابة في الدقة في رسم المصحف، وتحقيق العلم[1].

وهكذا: تبقى هذه المزية، ثابتة، لا يزلزلها، أو يضعفها تساؤل أو اعتراض، واضحة، لا يشوبها غموض، أو يحوطها لبس.

(١) انظر: بحوث قرآنية.

الميزة الثانية

(اتصال السند)

يقول الشيخ الزرقاني[1]:

حَمْل الناس على أن يتلقوا القرآن من صدور الرجال، ولا يتّكلوا على هذا الرسم العثماني، الذي جاء غير مطابق للنطق الصحيح في الجملة.

ويقول:

وينضوي تحت هذه الفائدة مزيتان: -

إحداهما: التوثق من ألفاظ القرآن، وطريقة أدائه، وحسن ترتيله وتجويده؛ فإن ذلك لا يمكن أن يعرف على وجه اليقين من المصحف مهما تكن قاعدة رسمه، واصطلاح كتابته.

الثانية: إتصال السند برسول الله ﷺ - وقد بينا ذلك - وتلك خاصة من خواص هذه الأمة الإسلامية، امتازت بها على سائر الأمم. ا. هـ.

ويقول بعض العلماء:

«هذه الفائدة: تشبه في نظري، رجلاً يقول: إنني حفرت الحفر في الطريق، لتحتاج إلى قيادتي، ولتضطر إلى مساعدتي، وهو يعلم علم اليقين - وأعلم مثله - أنني لا أستطيع الاستغناء عن الاعتماد عليه مع تسويته الحفر.

أفلا يكون الأولى به: تخفيف العثرات، وتسوية الحفر، إن كان في استطاعته؟

---

(١) مناهل العرفان ١/ ٣٦٩.

إلى أن يقول:

وهل رسم هذه الحروف رسماً مطابقاً للنطق، ولقواعد الإملاء، يعطل التوثق من ألفاظ القرآن الكريم وطريقة أدائه، أو يساعد عليه...[1]؟

ويمكن أن يقال: إجابة على ذلك:

سبق أن قلنا: يجدر بالمسلم الحريص على دينه أن يبذل شيئاً من جهده، قبل الإقدام على كتاب الله تعالى، وليس القرآن بدعاً في ذلك، فلكل علم أدواته، التي يجب أن يتحلى بإتقانِها طالبه قبل الإقدام عليه.

وقد حكم العلماء: بوجوب تعلم مرسوم الخط العثماني، إذ أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وأجمعوا على أن من لا يعرف الرسم المأثور، يجب عليه أن لا يقرأ في المصحف، حتى يتعلم القراءة على وجهها، ويتعلم مرسوم المصحف[2]، الذي حكم العلماء بأن تعلمه فرض كفاية[3].

ولقد خفيت علينا هذه الأحكام في هذا الزمان، لعدم اعتنائنا بتدريس علم «رسم القرآن» ـ وإن كان هناك بعض اعتناء بتدريس تجويده ـ حتى حصل التساهل في طبع المصاحف، وهي مخالفة في كثير من الرسم، لمرسوم المصحف العثماني، الذي يجب إتباعه إجماعاً[4]. وأصبحت دراسة هذا العلم، بل تلاوة القرآن حق تلاوته، ينقصها الكثير والكثير، من ذلك نقص إجادة إخراج الحروف، وتحقيقها على الوجه السليم، وليت معلمينا

---

(١) اللآلىء الحسان ص ٨٦.

(٢) انظر: تاريخ القرآن والمصاحف ص ١٢، دليل الحيران ص ٢٣٢، إيقاظ الأعلام ص ١٦.

(٣) إرشاد القراء والكاتبين ص ٤ أ.

(٤) إيقاظ الأعلام ص ٩.

ابتدؤوا بتعليم هذه الحقائق عند دفع الآباء لهم بأبنائهم، ولكن أغفلوها، فلا تجد إلا عَيِيًّا بإخراج الحرف من مخرجه، أو عاجزاً عن الإتيان به متصفاً بصفته، فإذا عوني على تعليم شيء من ذلك بعد الشيب، رأى أنه من فظيع العيب، وجمد على أدائه، ورأى معلمه ذلك من أكبر أعدائه[1] بل اتهم هذا الرسم بأنه السبب في كل ذلك، وطالب بالأسهل له ـ وهو الأضر دون أن يدري ـ في هذا، وهو تغييره.

وليس فيما اجتمعت عليه الأمة: من وجوب تعلم هذا الرسم ـ كما نرى ـ تشدد، أو تعنت، وإلا كان في ذلك التبرير ـ كل التبرير ـ لعدم تحصيلنا أي علم من العلوم.

و ـ أيضاً ـ ليس في ترك هذا الرسم تيسير ـ كما يدعي أصحاب هذه الدعوى ـ بل هو التضيع نفسه، وقد أثبتت ـ ونثبت فيما يلي من ـ صفحات هذا البحث ذلك بوضوح.

هذا... ويمكن أن يضاف إلى ذلك:

أن اتصال السند ـ الذي هو أحد أركان القراءة، كما سبق التوضيح ـ لن يظل متنقلاً بين الأجيال، إلا بالمحافظة على هذا الرسم، الذي هو ـ أيضاً ـ ركن من أركان القراءة، وبه ـ كما بغيره ـ ظل وعد الله سبحانه وتعالى لكتابه بالحفظ مكفولاً.

وهذا الرسم ـ على ذلك ـ: ليس عيباً أن يكون مانعاً للقراءة بدون مرشد، يتوافر على تلقينه اتصال السند، كما نرى.

إذْ لو أهمل هذا الرسم، وكتبت جميع ألفاظ القرآن الكريم طبق

---

(١) تسهيل المعارج إلى تحقيق المخارج (نقلاً عن صحيفة الميثاق المغربية ع ١٥٨ ص ٤).

الملفوظ، لتجرأ كثير من الناس على قراءته، بدون سند، ولا رواية؛ ظناً منهم أن ذلك كاف، فلا يعرفون ما فيه من: مد، وهمز، وتخفيف... إلخ[1].

حتى من كان منهم يعرف قواعد العربية، ولكنه لا يتبع الأثر والرواية، والسند، لا يعرف قراءة القرآن على وجهها الصحيح؛ لأنه قد تحسن له العربية قراءة لم تنقل عن أحد، ولم يقرأ بها أحد.

انظر إلى: كتابة «كهيعص» و«حمعسق» و«طسم»، وغيرها.

فالعالم بالعربية وحدها الذي لا يتبع رواية، ولا نقلاً، لا يحسن النطق بها على وجهها، من غير موقف، وأنّى له ذلك[2]..!!

والقراءات: هي العلم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها[3].

وذلك: لا يكون بالقياس، بل لا بد من السماع، والتوقيف واتصال السند[4].

---

(١) بحوث قرآنية ص ١٦١.
(٢) منهج الفرقان ١/١٥٧، ١٥٨ بتصرف.
(٣) منجد المقرئين ص ٣.
(٤) منهج الفرقان: نفس الموضع.

الميزة الثالثة

(الدلالة على أصل الحركة، وأصل الحرف)

يقول الشيخ الزرقاني:

أ ـ الدلالة على أصل الحركة مثل:

كتابة الكسرة ياءً، في قوله تعالى: ﴿ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[1].

وكتابة الضمة واواً، في قوله تعالى: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾[2].

ب ـ ومثل ذلك: الدلالة على أصل الحرف:

نحو: الصلاة والزكاة.

إذ كتبتا هكذا «الصلوة» و«الزكوة»؛ ليفهم أن الألف فيهما منقلبة عن واو.

كل هذا من غير نقط ولا شكل كما سبق[3].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠، ويعلل الدكتور أبو شهبة لزيادة الياء في هذه الآية بقوله: في زيادة «ياء» في هذه الآية: إشارة إلى أن: إيتاء ذوي القربى، ينبغي أن يكون ممدوداً، موصولاً، غير منقطع، فيكون فيه ـ بهذه الزيادة ـ تطابق بين اللفظ والمعنى (بحوث قرآنية ص ١٦٥).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٥، ويعلل أبو العباس المراكشي لزيادة الواو في هذه الآية: بأنها: للدلالة على ظهور معنى الكلمة في الوجود، في أعظم رؤية للعيان، ثم قال: ويدل على ذلك، أن الآية جاءت للتهديد. (بحوث قرآنية ص ١٦٣).

(٣) مناهل العرفان ١/٣٦٨.

ويقول بعض العلماء[1]:

والسؤال الوارد هنا هو: ـ

على فرض أنهم كانوا يعرفون الحركة، وأصل الحرف، فلِمَ لَمْ يضعوها في كلمات القرآن، لتنوب عن الحركات.

فمثلاً: يدلوا على أصل الحركة في مثل قوله تعالى: ﴿ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[3]...؟

ولِمَ لَمْ يدلوا على أصل الحرف في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾[4]. فتكتب «الصوام» مثلاً؟

ولِمَ لَمْ يدلوا على أصل الحرف في مثل «قال» و«قيل» فتكتب «قول»؟.

ثم يقول[5]:

«يعلم الله أنهم لم يكونوا يقصدون شيئاً من هذا».

ويمكن لنا أن نقول:

نعم: كان العرب ـ قبل الصحابة ـ يعرفون النقط والشكل، وعلمه الصحابة أيضاً ـ كما سبق أن أثبت البحث.

ولكن لم يكن نقطهم بالصفة التي وضعها أبو الأسود الدؤلي، ولا بطريقة من أتى بعده.

---

(١) انظر: اللآلىء الحسان ص ٨٣، تاريخ القرآن وغرائب رسمه ص ١٥٥.

(٢) سورة الحج، الآية: ٢٢.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٥) اللآلىء الحسان ص ٨٣.

وهم في نفس الوقت كانوا يتحرجون من استعمال النقط والشكل الذي يعرفونه ـ ولا يستعملونه ـ في المصاحف.

وكان معروفاً في العرب، أنهم يصورون الحركات حروفاً ـ ويكون الإعراب بها، كما يكون بهن ـ فكانوا يصورون الفتحة ألفاً، والضمة واواً، والكسرة ياءً، فتدل هذه الأحرف الثلاثة على ما تدل عليه الحركات الثلاث، من الفتح، والضم والكسر[1].

وعلى ذلك: فلما وضعوا هذه الأشياء في المصحف للدلالة على ما يذكر، كانوا يعلمون علماً جيداً بها، ويقصدون إلى ذلك فعلاً.

ولكن لماذا لم يعمموها، أو لم يدلوا كذلك على أصل هذه الحركة في هذه الآية، أو أصل ذلك الحرف في تلك الآية.

فهذا ـ حقيقة ـ مما لا نعلمه، ولا نقطع فيه برأي.

ولا يعد ذلك: مطعناً في رسم المصحف، أو في دقة الصحابة، بل لا يطعن بالتالي في توقيفية الرسم التي تم التدليل عليها بوضوح سابقاً.

---

(١) المحكم ص ١٧٦، سمير الطالين ص ١٢٠.

الميزة الرابعة

(إفادة بعض اللغات الفصيحة)

يقول الشيخ الزرقاني[1]: ـ كما سبق أن ذكرنا.

مثل: كتابة هاء التأنيث تاء مفتوحة، دلالة على لغة طيء.

ومثل: حذف آخر الفعل المضارع المعتل، لغير جازم، كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[2]، وما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾[3].

فقد كتبت فيهما بحذف الياء؛ للدلالة على لغة هذيل.

ولو أهملنا هذا الرسم[4]، لضاع، وبضياعه تضيع كثير من هذه اللغات الفصحى التي لا يمكن الاستدلال عليها حينئذٍ بالقرآن الذي هو أصدق الحديث.

* * *

---

(١) انظر: مناهل العرفان ١/٣٦٨، بحوث قرآنية ص ١٦١.

(٢) سورة هود، الآية: ١٠٥، وقد كتب (يوم يأت) بالياء في بعض المصاحف، قال السمين: وهو الوجه، لأنها لام الكلمة، وحذفت في بعضها.
اجتزاءاً بالكسرة عن الياء. (إتحاف فضلاء البشر ص ٣١٢).

(٣) سورة الكهف، الآية: ٦٤، كتبت دون ياء، ونقرأ بها، وبدونها (إتحاف فضلاء البشر ص ٣٥٨، ٣٥٢).

(٤) منهج الفرقان ١/١٥٨.

ولو تسائل سائل قائلاً:

إذا سمحنا لكتّاب القرآن أن يكتبوا حرفاً بلغة «طيء»، وحرفاً بلغة «هذيل»، فلم لم يسيروا في القرآن كله برسم واحد لهذا الحرف؟

لم رسموا كلمة «نعمة» في سورة الطور بتاء مفتوحة، في قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ ﴾[1]، ورسموا نفس الكلمة بتاء مربوطة في سورة إبراهيم في قوله تعالى: ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ ﴾[2]...؟

ولِمَ حذفوا الياء من المضارع المرفوع في (يَوْمَ يَأْتِ)، ولَمْ يحذفوها منه في قوله تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾[3]...؟

* * *

ويمكن لنا أن نجيب قائلين: -

إن في فعلهم هذا كل الصواب، فهم لم يسيروا في القرآن كله برسم واحد للحرف، ورسموه في بعض المواضع بالرسم الذي هو يوافق لغة من لغات العرب، في المواضع الأخرى بالرسم الذي يوافق باقي اللغات.

ولو أنهم لم يفعلوا ذلك، وساروا في رسمه على نمط واحد، لفهم مع ذلك، أن ليس هناك من اللغات غير هذه اللغة التي يشهد لها هذا الرسم، ففي فعلهم هذا صيانة لهذه اللغة الفصيحة.

وفي هذا من الحذق، والذكاء، والفطنة، وبعد النظر، ما فيه.

---

(١) سورة الطور، الآية: ٢٩، انظر (إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٤).
(٢) آية رقم ٦.
(٣) سورة الدخان، الآية: ١٠.

فضلاً عن ذلك:

فقد علل الإمام الزركشي في «البرهان» لمد التاء، وقبضها، مفرداً ذلك في فصل خاص، وفيه يقول: ـ

هذه الأسماء ـ التي منها كلمة نعمة ـ لما لازمت الفعل، صار لها اعتباران:

أحدهما: من حيث هي أسماء وصفات، وهذا نقبض منه التاء.

الثاني: من حيث أن يكون مقتضاها فعلاً وأثراً ظاهراً في الوجود، فهذا تمد فيه، كما تمد في «قالت» و«حقت».

وجهة الفعل والأمر ملكية ظاهرة، وجهة الإسم والصفة ملكوتية باطنة[١].

وأخذ يسوق الأمثلة ـ على ذلك ـ من رسم المصحف.

وفي هذه الأمثلة كلمة «نعمة» التي يقول عنها:

إنها كتبت بالهاء، إلا في أحد عشر موضعاً مدت بها.

في البقرة[٢]، وآل عمران[٣]، والمائدة[٤]، وإبراهيم موضعان[٥]، والنحل ثلاثة مواضع[٦]، ولقمان[٧]، وفاطر[٨]، والطور[٩].

---

(١) انظر: البرهان ١/ ٤١٠ وما بعدها.

(٢) آية رقم ٢٣١.

(٣) آية رقم ١٠٣.

(٤) آية رقم ١١.

(٥) آية رقم ٢٨، ٣٤.

(٦) آية رقم ٧٢، ٨٣، ١١٤.

(٧) آية رقم ٣١.

(٨) آية رقم ٣.

(٩) آية رقم ٢٩.

ثم يقول:

والحكمة فيها: ما ذكرنا من أن الحاصلة بالفعل في الوجود تمد.

والعلل التي ذكرها الإمام الزركشي هذه، سواء كانت مقصودة من الصحابة وقت كتابة المصاحف، أو توصل لها العلماء بعد عصر الصحابة: فإن الذي ندركه جيداً أنهم نجحوا في قصدهم المحافظة على تسجيل بعض اللغات الفصيحة في رسمهم للقرآن الكريم.

الميزة الخامسة

(الدلالة على معنى خفي دقيق)

وذلك: كزيادة الياء في كتابة كلمة «أيد» من قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1]، إذ كتبت بيائين هكذا «بأييد».

وذلك للإيماء إلى تعظيم قوة الله تعالى، التي بنى بها السماء، وأنها لا تشبهها قوة، على حد القاعدة المشهورة وهي: زيادة المبني تدل على زيادة المعنى[2].

ومثل: زيادة الألف في قوله تعالى: ﴿ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۢ بِجَهَنَّمَۚ ﴾[4]، فإن كلمة «جيء» رسمت في الموضعين، بزيادة ألف بين الجيم والياء، في مصاحف الأندلسيين، واعتمادهم فيها على المصحف المدني العام[5].

فإن هذه الزيادة: تومىء إلى التهويل، والتفخيم، والوعيد، والتهديد، وأنه مجيء ليس على ما يعهد البشر، فجاء الرسم ـ لذلك ـ غير ما يعهدون[6].

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٤٧.
(٢) مناهل العرفان ١/٣٦٧.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٩.
(٤) سورة الفجر، الآية: ٢٣.
(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر ص ٤٦٢، ٥٤١.
(٦) بحوث قرآنية ص ١٦١.

ومن هذا القبيل:

كتابة هذه الأفعال الأربعة بغير واو، مع أن القاعدة النحوية، واللغوية على غير هذا: ـ

«يدعو» في قوله تعالى: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ﴾[1].

و«يمحو» في قوله تعالى: ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ ﴾[2].

و«يدعو» في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ ﴾[3].

و«سندعو» في قوله تعالى: ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ ﴾[4].

فإنها كتبت في المصاحف العثمانية بغير واو[5].

ولذلك سر دقيق لمن أمعن النظر، فقد قال الشيخ أبو العباس المراكشي ـ ما معناه مع التوضيح ـ السر في ذلك: التنبيه على سرعة وقوع الفعل، وسهولته على الفاعل، وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود.

أما الحذف في الأول: فللإشارة إلى أن الإنسان يسارع إلى الدعاء بالشر، كما يسارع بالدعاء إلى الخير، بل إثبات الشر إليه من جهة ذاته، أقرب إليه من الخير، ولا سيما عند الغضب، وثورة النفس.

وأما السرّ في حذفها في الثانية: فالإشارة إلى سرعة ذهاب الباطل، واضمحلاله.

والسرّ في حذفها في الثالثة: فالإشارة إلى سرعة الدعاء، وسرعة إجابة الداعين، حينما يطلب منهم ذلك.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١.

(٢) سورة الشورى، الآية؛ ٢٤.

(٣) سورة القمر، الآية: ٦.

(٤) سورة اقرأ، الآية: ٦.

(٥) إتحاف فضلاء البشر ص ٣٤٦، ٤٧٢، ٤٩٨، ٥٤٥.

والسرّ في حذفها في الرابعة: فالإشارة إلى سرعة الفعل، وإجابة الزبانية، وفيه أيضاً التطابق في اللفظ بين المتجاورين، فقبلها (فَلْيَدْعُ نَادِيه)، وكذلك ـ الإشارة إلى أن استجابة الزبانية أسرع من استجابة ناديه[1].

وهكذا لا يعدم المتأمل في الرسم: بعقل واع، وقلب مستضيء، من أن يقع على أسرار من أسرار الإعجاز في الرسم.

فللّه در القرآن، ما أعظم بركاته!، وما أكثر أسراره!! لفظاً، ومعنى، ورسماً[2].

فإذا قال سائل، بعد ذلك: ـ

«وأمام هذه الفائدة نسأل:

هل زيادة كل حرف، في كل لفظ، يدل على قوة الله تعالى وقدرته؟

وهل نقص كل حرف، من كل لفظ، يدل على سرعة وقوع الفعل، وسهولته على الفاعل، وشدة قبول المتأثر به في الوجود. . . ؟[3]

ثم يقول: فلو كان الأمر كذلك؛ لزيد حرف بعد دال «يد» في قوله تعالى: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[4]. ولحذفت الواو من قوله تعالى: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾[5].

وللإجابة على ذلك:

---

(١) بحوث قرآنية ص ١٦٢، وانظر كذلك صفحات ١٦٣ ـ ١٦٥ ففيها الكثير من هذه النكات اللطيفة، والعلل البديعة.

(٢) نفس المرجع ص ١٦٥.

(٣) اللآلىء الحسان ص ٨٢.

(٤) سورة الفتح، الآية: ١٠، اللآلىء الحسان ص ٨٢.

(٥) سورة الرعد، الآية: ٣٩، تاريخ القرآن وغرائب رسمه ص ١٥٥.

أ ـ في بيان هذه النكات البارعة، والأسرار المعجزة، لم يَدَّعِ العلماءُ الحصر، بمعنى أن كل فعل تحذف منه الواو، يدل على سرعة وقوع الفعل، وشدة قبول المتأثر به. . . إلخ.

فنجد أن الإمام السيوطي: قد وضع هذه الأفعال الأربعة، ضمن «فرع الحذف الذي لم يدخل تحت قاعدة» من كتابه «الإتقان»[1].

ولأن هذا النوع من الحذف، لم يأخذ صفة العموم، فلا يصح لنا ـ إذن ـ المقارنة بينه وبين عدم الحذف في أمثلة غير هذه.

ب ـ وبخصوص زيادة الياء في كلمة «أيد».

نقول لا يسلم للسائل أن كلمة «يد» في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾، هي جمع كلمة «يد» التي في قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾[2].

ويقول أبو العباس المراكشي:

إنما كتبت (بأييد) بيائين فرقاً بين «الأَيْد» الذي هو القوة، وبين «الأَيْدِي» جمع «يَد»، ولا شك أن القوة التي بنى الله تعالى بها السماء، هي أحق بالثبوت في الوجود من «الأيدي»؛ فزيدت الياء، لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر في الإدراك الملكوتي في الوجود[3].

جـ ـ وبخصوص حذف واو (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ).

يقول الدكتور أبو شهبة: لم تحذف هذه؛ لأن الإثبات هو الأصل، وأيضاً ففيه إشارة إلى كثرة ما يمحوه الله في صحف الملائكة، ويثبت

---

(١) انظر: الإتقان ٤/١٤٩.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٣) البرهان ١/٣٨٧.

غيره[1].

ولذلك: فهذه المعاني الدقيقة، والنكات الخفية، المطوية في ثنايا هذا الرسم، والتي تفنن العلماء في الكشف عنها، سواء كان الصحابة يقصدونها أم لا؛ فهي تأويلات مقبولة، ومفيدة، وليس فيها من التعسف ما يدعيه طالبوا تغيير هذا الرسم.

(١) بحوث قرآنية هامش ص ١٦٢.

الميزة السادسة

(إفادة المعاني المختلفة بطريقة واضحة)

أ ـ وذلك نحو قطع كلمة «أم» عن «من» في قوله تعالى: ﴿ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[1]، ووصلها في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[2]. إذ كتبت بإدغام الميم الأولى في الثانية، وكتبا معاً ميماً واحدة، مشددة. فقطع «أم» الأولى في الكتابة: للدلالة على أنها «أم» المنقطعة، التي بمعنى «بل».

ووصل «أم» الثانية في الكتابة: للدلالة على أنها ليست كذلك[3].

فقطع الكلمة في الرسم، دل ـ عند بعض العلماء ـ على أنها منقطعة، بمعنى «بل»، ووصلها في الرسم، دل ـ عندهم أيضاً ـ على أنها ليست كذلك.

والدلالة هنا ظاهرة، وطريقتها واضحة.

ب ـ ويذهب بعض العلماء في الاستفادة من وصل هذه الكلمة في الرسم وفصلها، إلى نواحي أخر.

فهذا الإمام الزركشي، يذكر في كتابه «البرهان»، تحت عنوان «فصل في بعض حروف الإدغام».

إذ يقول[4]:

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٩.

(٢) سورة الملك، الآية: ٢٢.

(٣) مناهل العرفان ١/ ٣٦٧، بحوث قرآنية ص ١٦٥.

(٤) البرهان ١/ ٤٢٤.

«أم من» بالفصل، أربعة أحرف لا غير[1].

في النساء: قوله تعالى: ﴿ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[2].

وفي التوبة: قوله تعالى: ﴿ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ ﴾[3].

وفي الصافات: قوله تعالى: ﴿ أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ﴾[4].

وفي السجدة: قوله تعالى: ﴿ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[5].

ثم يقول:

فهذه الأربعة أحرف، «من» فيها تقسم في الوجود، بأنواع، مختلفة في الأحكام، بخلاف غيرها.

وقد رسمت في الباقي موصولة[6].

مثل: قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[7].

فهذا موصول؛ لأنه من نوع واحد، حيث يمشي على صراط مستقيم[8].

وكذلك: قوله تعالى: ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾[9].

---

(١) إتحاف فضلاء البشر ص ٢٣٤.
(٢) آية رقم ١٠٩.
(٣) آية رقم ١٠٩.
(٤) آية رقم ١١.
(٥) سورة فصلت، الآية: ٤٠.
(٦) سمير الطالبين ص ٩٢.
(٧) سورة الملك، الآية: ٢٢.
(٨) البرهان ١/ ٤٢٤.
(٩) سورة النمل، الآية: ٦١.

فقد رسمت موصولة؛ إذْ لا تفاصيل تحتها في الوجود[1].

ونلاحظ بعد ما ذكره الزركشي:

أن المعاني التي يأخذها العلماء قد تتعدد، وتتنوع، والرسم هو الرسم، يحمل في طياته من المعاني، ما لا يتكشف إلا لكل متأمل فيه، بعقل واع، وقلب مستضيء، يبغي الوصول إلى هذه الأسرار المعجزة في هذا الرسم.

فإذا ما أصاب بعض العلماء في فهم هذه المعاني الخفية، فهذا من الله تعالى، توفيق لهم.

وإذا ما أخطأ آخرون: في فهمهم للمعاني الخفية التي تستكن وراء هذه الرسوم في تعليلهم لمخالفاتها؛ فليس هذا بعيب في الرسم، وإنما هو اجتهاد، وخطأ في الاجتهاد.

ولذلك فلا يضر الرسم: ما يلاحظه بعض العلماء على ما يستفيده الشيخ الزرقاني، من قطع كلمة «أم» ووصلها بـ«من».

حيث يقول:

على فرض أن الصحابة، كانوا يفرقون عند كتابتهم للمصحف ـ بين «أم» المنقطعة؛ فيفصلونها، و«أم» المتصلة؛ فيصلونها.

فلم وصلوا «أم» المنقطعة في خمس آيات متتاليات في سورة النمل...؟ تبدأ من قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾... الآيات[2].

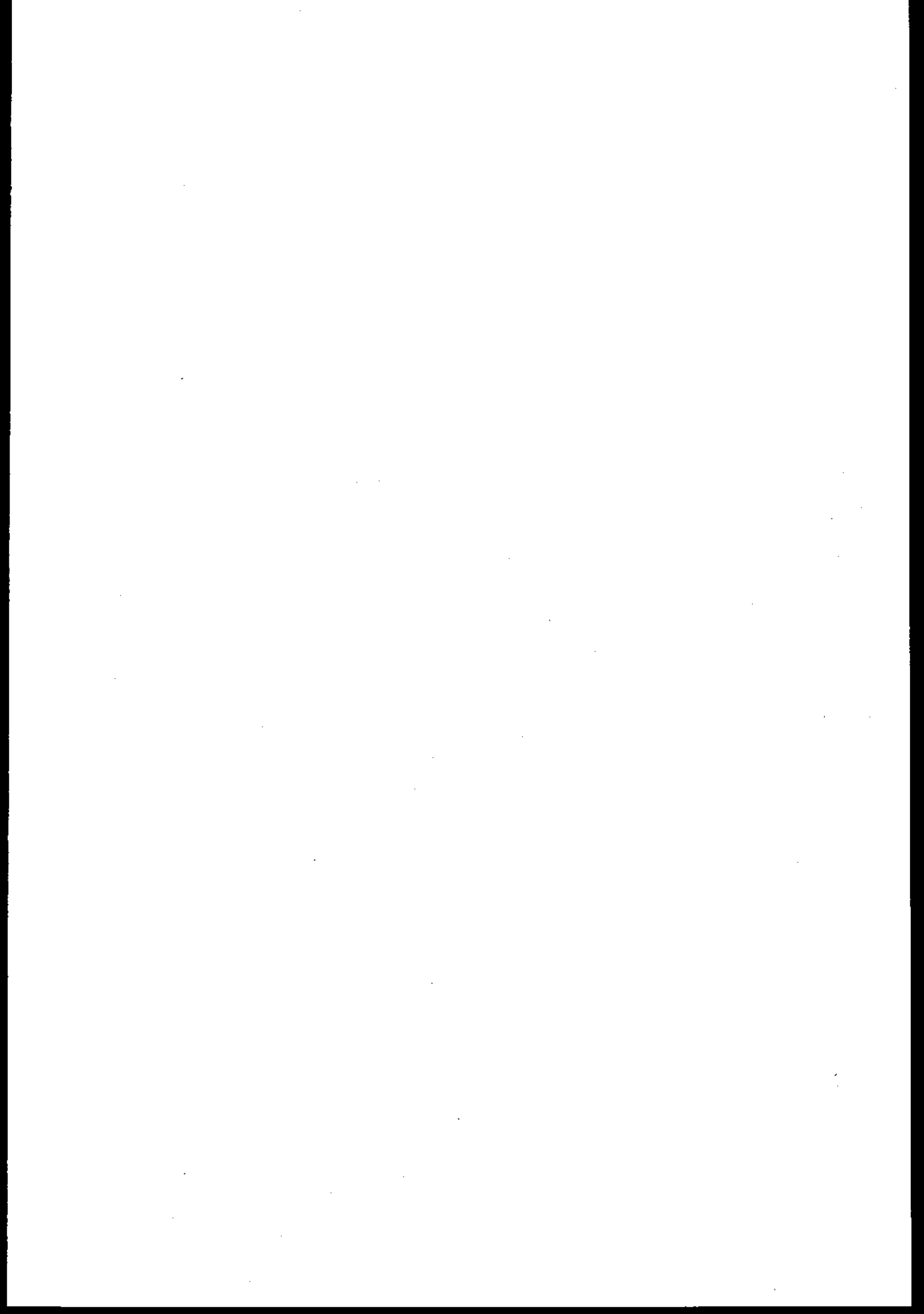
وقد قال المفسرون: إن «أم» هنا، منقطعة، لا منفصلة[3].

---

(١) البرهان: ١/ ٤٢٤.

(٢) سورة النحل، الآيات: ٦٠ ـ ٦٤.

(٣) اللآلىء الحسان ص ٨١.



الفصل الرابع

(شبهات حول رسم المصحف)

وفيه:

أ ـ تمهيد.

ب ـ المبحث الأول: فيما نسب إلى عثمان رضي الله عنه.

المطلب الأول: الشبهة.

المطلب الثاني: الجواب على هذه الشبهة.

جـ ـ المبحث الثاني: فيما نسب إلى السيدة عائشة رضي الله عنها.

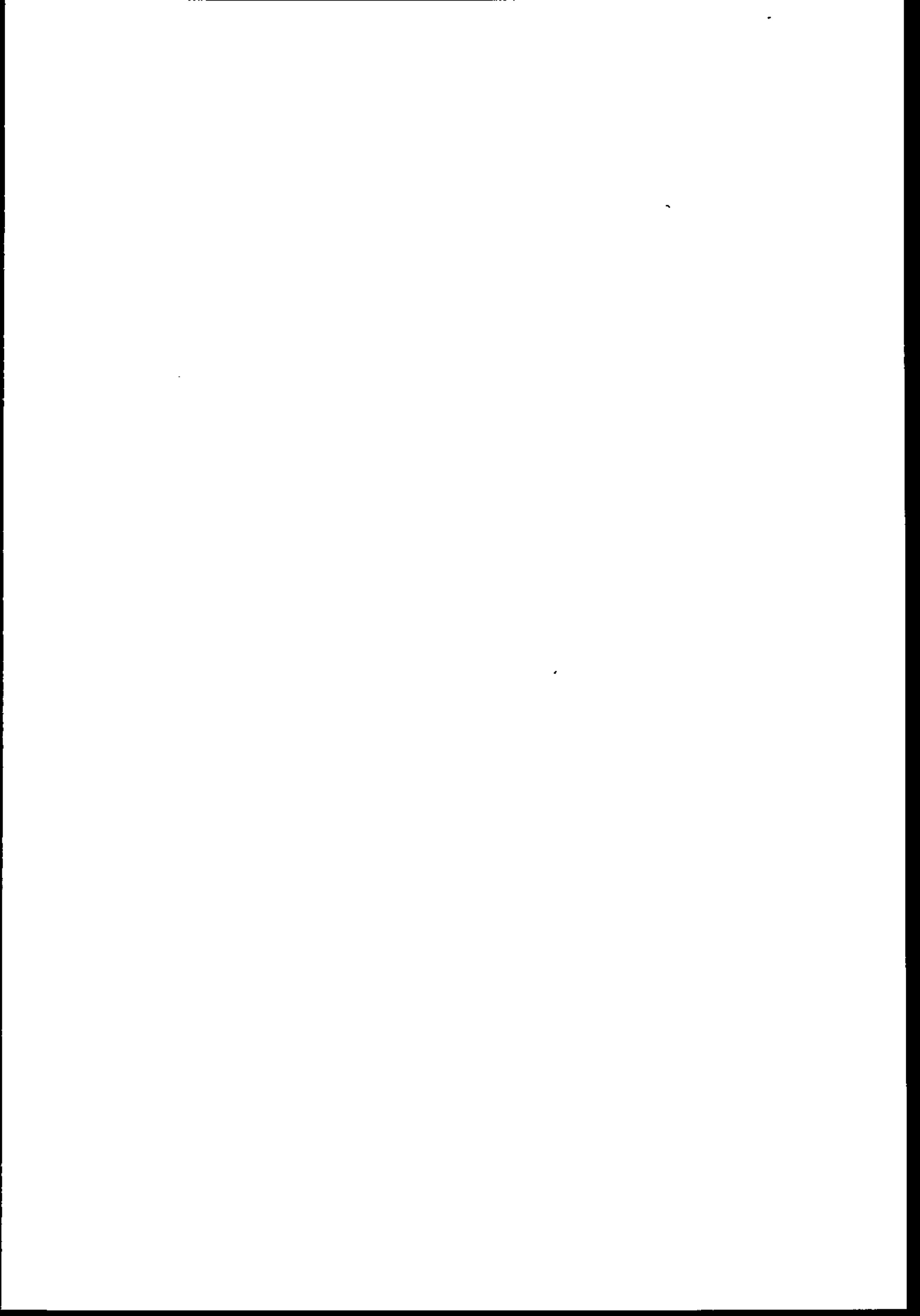
المطلب الأول: الشبهة.

المطلب الثاني: الجواب على هذه الشبهة.

د ـ المبحث الثالث: فيما نسب إلى ابن عباس رضي الله عنه.

المطلب الأول: الشبهة.

المطلب الثاني: الجواب على هذه الشبهة.



تمهيد

وردت بعض الآثار التي قد يتمسك بها بعض من يدعي التحريف في المصاحف العثمانية.

وقد وردت هذه الآثار في: ـ

أ ـ كتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد[1].

ب ـ وكتاب «الرد على من خالف مصحف عثمان» لابن الأنباري[2].

جـ ـ وكتاب «المصاحف» لابن أشته[3].

د ـ وكتاب «المصاحف» لابن أبي داود[4].

وقد تصدى كثير من العلماء للرد على هذه الآثار، وبيان وجه الحقيقة فيها. ومن هؤلاء غير من تقدموا:

هـ ـ الإمام أبو عمرو الداني في «المقنع»[5].

و ـ الإمام السيوطي، الذي نقل في «الإتقان» أكثر هذه الآثار، مبيناً

---

(١) انظر: الإتقان ١/ ١٨٢.
(٢) نفس المرجع ١/ ١٨٣.
(٣) نفس المرجع.
(٤) انظر: المصاحف لابن أبي داود ص ٣٢ وما بعدها.
(٥) انظر: المقنع ص ١٢٤ وما بعدها.

وجه الإشكال فيها، ومجيباً عنها من كلام ابن الأنباري، وابن أشته، ثم تكلم هو ـ أيضاً ـ عليها[1].

ز ـ الشيخ الزرقاني في «مناهل العرفان»، تحت عنوان «شبهات حول كتابة القرآن ورسمه»[2].

ح ـ الشيخ العبادي في «جمع القرآن»، تحت عنوان «نقض الطعن بالتحريف الذي يؤخذ من بعض الآثار»[3].

ولما كان بحثنا عن «رسم المصحف». . !!

ولما كان حق هذه الدراسة عرض كل وجهات النظر حوله، والانتقادات عليه. . !!

ولما كانت هذه الآثار ـ خاصة وهي منسوبة إلى عثمان، والسيدة عائشة، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وسعيد بن جبير، ومحمد بن شهاب الزهري[4] ـ قد تعارض ما نهدف إليه، إذا ما تعلل بها هؤلاء. . !!

رأينا أن نبين: هل هي لهم في مجابهتهم لرسم المصحف، أو ليس لهم فيها ما يتعلقون به من ذرائع ولو كانت واهية؟

وكان سبيلنا إلى ذلك:

أننا جمعنا كل ما نسب إلى ثلاثة ـ فقط على سبيل المثال ـ ممن ذكرنا وهم عثمان، والسيدة عائشة، وابن عباس، رضي الله عنهم.

---

(١) انظر: الإتقان ١/ ١٨٢ وما بعدها.
(٢) انظر: مناهل العرفان ١/ ٣٧٩ وما بعدها.
(٣) انظر: جمع القرآن ص ٢٦٤ وما بعدها.
(٤) انظر: المصاحف ص ٣٢، ٧٦، ٩٣، الإتقان ١/ ١٨٢ وما بعدها.

وقمنا بمناقشة ما نسب إليهم، راجين الوصول إلى الحقيقة أياً ما كانت.

والذي توصلنا إليه ـ كما سترى أيها القارىء الكريم ـ أنها شبه واهية جداً، لا تصل إلى درجة الطعن في دقة عمل الصحابة، وتحريهم إرشادات النبي ﷺ، ومتابعتهم الواعية لإملائه الشريف عليهم، وكذلك يقظتهم، وفطنتهم، ودقتهم خلال كتابة القرآن الكريم ـ وعدم الخطأ فيه وفي رسمه ـ في المرتين التاليتين للكتابة الأولى.

المبحث الأول

(الشبهة الأولى: فيما نسب إلى عثمان رضي الله عنه)

المطلب الأول: الشبهة.

يقولون:

«روي عن عكرمة أنه لما كتبت المصاحف، وعرضت على عثمان رضي الله عنه، وجد فيها حروفاً من اللحن ـ مثل:

زيادة الألف في قوله تعالى: ﴿ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَأَاْوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ ﴾[2].

وزيادة الواو في قوله تعالى: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾[3].

وغير ذلك.

يقول حفني ناصف:

وهنا ارتبكت الكتبة، في كيفية تدارك، وعلاج هذا الأمر.

ولكن عثمان رضي الله عنه.

قال لهم:

اتركوها، ولا تغيروها، فإن العرب ستقيمها.

---

(١) سورة النمل، الآية: ٢١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٥.

أو قال:

ستعربها بألسنتها.

ثم قال:

لو كان الكاتب من ثقيف، والمملي من هذيل لم توجد هذه الحروف.

وفي رواية أخرى: أنه لما عرضت المصاحف، قال:

«أحسنتم وأجملتم، إن في القرآن لحناً ستقيمه العرب بألسنتها».

ويقول الأستاذ حفني ناصف:

من سياق هذا الكلام: يتضح لنا أن عثمان، رضي الله عنه، أخذ على كتبة المصاحف، خطأهم في رسم بعض الكلمات، ولكنه لم يره خطأ يستحق نبذ المكتوب، وإعادة كتابة مصاحف جديدة.

ويقول المعترضون: كيف يكون رسم المصحف ـ مع هذا ـ موضع ثقة، وإجماع من الصحابة، والأمة؟ وكيف يكون توقيفياً، والحال هكذا[1].

وقد قاس بعض الناس: بعض ما خرج من رسم المصحف عن القياس على قول عثمان هذا.

وقالوا[2]:

هو عندنا مما قال فيه عثمان رضي الله عنه: أرى في المصاحف لحناً ستقيمه العرب بألسنتها.

---

(١) انظر: المصاحف ص ٣٢، القرطبي ١١/٢١٦، المقنع: ص ١٢٤، ١٢٦، الإتقان ١/١٨٣، مناهل العرفان ١/٣٧٩، حياة اللغة العربية، ص ٧٩.

(٢) النشر: ١/٤٥٨.

واتخذها البعض الآخر: ذريعة للطعن في القرآن الكريم، ورسمه، مستدلين بذلك على أن القرآن بُدِّل، وحُرِّف[1].

المطلب الثاني: الجواب على هذه الشبهة.

أولاً: رد الخبر:

ردَّ هذا الخبر جماعةٌ من العلماء كالإمام أبي بكر الباقلاني، والحافظ أبي عمرو الداني، وأبي القاسم الشاطبي، والجعبري، والسيوطي، وغيرهم[2].

(أ) يقول السيوطي[3]:

١ ـ كيف يظن بالصحابة أنهم يلحنون في الكلام، فضلاً عن القرآن، وهم الفصحاء اللدّ؟

٢ ـ ثم كيف يظن بهم في القرآن الذي تلقوه عن النبي ﷺ، كما أنزل، وحفظوه، وضبطوه، وأتقنوه؟

٣ ـ ثم كيف يظن بهم اجتماعهم كلهم على الخطأ في كتابته؟

٤ ـ ثم كيف يظن بهم عدم تنبيههم ورجوعهم عنه؟

٥ ـ ثم كيف يظن بعثمان أنه ينهى عن تغييره؟

٦ ـ ثم كيف يظن أن القراءة استمرت، على مقتضى ذلك الخطأ، وهو مروي بالتواتر خلفاً عن سلف؟

---

(١) انظر: الجمع الصوتي: ص ٤٣٤، ٤٣٥.

(٢) المدخل: ص ٣٦٨.

(٣) الإتقان ١/ ١٨٣ طبعة محمود توفيق.

ويمضي السيوطي فيقول محقاً:

هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة.

(ب) ويقول الداني:

هذا الخبر: لا يقوم عندنا بمثله حجة، ولا يصح به دليل من جهتين: -

الأولى: أنه - مع تخليط في إسناده، واضطراب في ألفاظه - مرسل[1]؛ لأن ابن يعمر، وعكرمة، لم يسمعا من عثمان شيئاً، ولا رأياه[2].

الثانية: أن ظاهر ألفاظه: ينفي وروده عن عثمان، رضي الله عنه، لما فيه من الطعن عليه مع محله من الدين، ومكانه في الإسلام، وشدة اجتهاده في بذل النصيحة، واهتباله بما فيه الصلاح للأمة، فغير ممكن أن يتولى، رضي الله عنه، لهم جمع المصحف مع سائر الصحابة، الأخيار، الأتقياء، الأبرار، نظراً إليهم، ليرتفع الإختلاف في القرآن بينهم، ثم يترك لهم فيه - مع ذلك - لحناً وخطأً يتولى تغييره من يأتي بعده، ممن لا شك أنه لا يدرك مداه، ولا يبلغ غايته، ولا غاية من شاهده.

ثم يقول: رحمه الله.

هذا ما لا يجوز لقائل أن يقوله، ولا يحل لأحد أن يعتقده[3].

(جـ) ويقول الإمام ابن الجزري:

كيف يصح أن يكون عثمان، رضي الله عنه، يقول ذلك في مصحف

---

(١) في النشر ١/٤٥٩ كلها منقطعة لا يصح شيء منها.

(٢) انظر: هذه الروايات في المقنع، صفحات ١٢٤ - ١٢٦ وسوف ترى أنها ثلاث روايات: جميعها مرسلة، والخلط واضح في إسنادها، والاضطراب ظاهر في ألفاظها.

(٣) المقنع ص ١٢٤.

جعل للناس إماماً، يقتدى به، ثم يتركه لتقيمه العرب بألسنتها.

ويكون ذلك بإجماع من الصحابة.

وهو لم يأمر بكتابة مصحف واحد، إنما كتب بأمره عدة مصاحف، ووجه كلاً منها إلى مصر من أمصار المسلمين.

فماذا يقول أصحاب هذا القول فيها؟

أيقولون: إنه رأى اللحن في جميعها، متفقاً عليه، فتركه، لتقيمه العرب بألسنتها...؟ أو رآه في بعضها...؟

فإن قالوا: في بعض دون بعض.

فقد اعترفوا بصحة البعض.

ولم يذكر أحد، منهم، ولا من غيرهم، أن اللحن كان في مصحف دون مصحف. ولم تأت المصاحف مختلفة إلا فيما هو من وجوه القراءات.

وليس ذلك بلحن.

وإن قالوا: رآه في جميعها.

لم يصح أيضاً.

إذ يكون مناقضاً لقصده في نصب إمام يقتدى به على هذه الصورة.

وأيضاً: فإذا كان الذين تولوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك، وهم سادات الأمة، وعلماؤها، فكيف يقيمه غيرهم[1].

وأجيب[2] ـ أيضاً ـ بالأثر المروي عن عثمان رضي الله عنه.

---

(١) النشر ١/٤٥٩.

(٢) مفتاح السعادة ٢/٤٢٢.

«أنه لما عرض عليه المصحف نظر فيه فقال: أحسنتم وأجملتم، أرى فيه شيئاً سنقيمه بألسنتنا».

إذ يفهم منه: أنه رأى فيه شيئاً كتب على غير لسان قريش، كالتابوه، والتابوت.

فوعد أنه سيقيمه على لسان قريش.

ثم وفى بذلك: عند العرض والتقويم، ولم يترك فيه شيئاً.

(د) ويقول الدكتور أبو شهبة[1]:

«وغير خفي على المتأمل ما في هاتين الروايتين من اضطراب، وتناقض.

فإن قوله: أحسنتم وأجملتم، مدح وثناء.

وقوله: إن فيه لحناً، يشعر بالتقصير والتفريط.

فكيف يصح في العقول أن يمدحهم على التقصير والتفريط».

ويقول أيضاً[2]:

إن هذا المروي يخالف ما كان عليه عثمان رضي الله عنه من حفظه للقرآن الكريم، وملازمة قراءته، ومدارسته، حتى صار في ذلك ممن يؤخذ عنهم القرآن.

وقد حرص، رضي الله عنه، غاية الحرص على إحاطة كتابة المصحف بسياج قوى من المحافظة على القرآن أن يتطرق إليه لحن، أو تحريف، أو تبديل.

---

(١) المدخل ص ٣٦٨.

(٢) نفس المرجع ـ بتصرف يسير ـ.

وجعل من نفسه حارساً أميناً، على كتابة المصاحف في عهده.

والمرجع عند أي اختلاف في كيفية الرسم.

وهاك مثالان على ذلك:

المثال الأول:

قال للرهط القرشيين إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش.

وقد اختلفوا في التابوت ـ كما مر ـ.

أيكتبونه بالتاء أم بالهاء؟

ورفعوا الأمر إليه.

فأمرهم أن يكتبوه بالتاء.

يقول أبو شهبة:

فإذا كان هذا شأنه وشأنهم في حرف لا يتغير به المعنى، ولا يعتبر تحريفاً، ولا تبديلاً، لاستناده إلى الحروف التي نزل بها القرآن.

فكيف يعقل منه: أن يرى في المصاحف لحناً ثم يقرهم عليه[1]؟

المثال الثاني:[2]

أخرج أبو عبيد[3]: عن عبد الله بن هانىء.

قال: كنت عند عثمان، رضي الله عنه، وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أبيّ بن كعب.

---

(١) انظر ـ أيضاً ـ مناهل العرفان ١/ ٣٨٠.

(٢) انظر: المدخل ص ٣٦٩.

(٣) الإتقان ١/ ١٨٣ طبعة محمود توفيق.

فيها:

«لم يتسن»[1].

وفيها:

«لا تبديل للخلق»[2].

وفيها:

«فأمهل الكافرين»[3].

فدعا بالدواة، وكتب:

(لَمْ يَتَسَنَّهْ) فألحق فيها الهاء.

ومحا «فأمهل» وكتب:

(فَمَهِّلِ).

ومحا أحدى اللامين من «للخلق» وكتب:

(لاَ تَبْدِيْلَ لِخَلْقِ اللَّهِ).

يقول الدكتور أبو شهبة:

فهل يصح في العقول ـ ممن هذا شأنه ـ أن يرى لحناً في المصاحف، ثم يقرهم عليه، ويدعه للعرب تصلحه؟

ومن أحق بإصلاح اللحن والخطأ منه، وهو من هو في حفظ القرآن، والحفاظ عليه؟

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٢) في الآية رقم ٣٠ من سورة الروم.

(٣) في الآية رقم ١٧ من سورة الطارق.

(هـ) ويقول ابن الأنباري[1]:

«فكيف يدعى على عثمان ـ بعد ذلك ـ أنه رأى فساداً، فأمضاه، وهو يوقف على ما كتب، ويرفع إليه ـ كما رأينا ـ الخلاف الواقع من الناسخين، ليحكم بالحق، ويلزمهم إثبات الصواب وتخليده».

(و) ويستبعد محمد طاهر الكردي هذا بقوله[2]:

«من المشاهد أنه لو أمر أحد الملوك، أو الأمراء، بنسخ مصحف، أو كتاب، لا يقدمه الكاتب إليه إلا بعد العناية بتصحيحه، والتثبت من عدم وجود أي غلط فيه.

فكيف بهؤلاء الصحابة الذين بذلوا أنفسهم لله ـ تعالى ـ لا يتحرون في كتابة وضبط المصحف الكريم، الذي هو أساس الدين الإسلامي الحنيف.

هذا، ولقد وصلت عدة مصاحف من جمع عثمان إلى البلدان الإسلامية، فلو وجدوا فيها خطأ، أو غلطاً، لما سكت أحد من المسلمين عليه، ولكنهم أجمعوا على صحتها، وقبولها.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ أُمَّتِي لَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلالَةٍ، فَإِذَا رَأَيْتُم اخْتِلاَفاً فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ»[3].

وقال ـ أيضاً ـ في حديث العرباض بن سارية «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلاَفاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْنَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[4].

---

(١) الإتقان ١/ ١٨٣، مناهل العرفان ١/ ٣٨٠.

(٢) انظر: تاريخ القرآن وغرائب رسمه ص ٦٠.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه عن أنس بن مالك وهو: حديث صحيح.

(٤) رواه عن العرباض بن سارية: ابن ماجه في سننه، وأبو داود في سننه، وابن حنبل في مسنده.

ولهذا كان إجماعهم حجة.

على أنك لن تجد من المسلمين عناية بشيء كعنايتهم بكتاب الله تعالى الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾[1] سواء في نسخه، أو تصحيحه، أو حفظه، أو حرمته، وهذا لا يحتاج إلى دليل.

ثم يقول:

وانظر: كم من المصاحف لا تعدُّ ولا تحصى، قد كتبت منذ بدء الإسلام إلى يومنا هذا «أي أربعة عشر قرناً» فهل رأيت فيه تبديلاً، أو تغييراً مع كثرة أعداء الدين من مختلف الأجناس والعقول. ا.هـ.

ولا يعترض على هذا بمحاولات التحريف الفاشلة التي تقوم بها الصهيونية، والتي سبقت الإشارة إليها.

فالله سبحانه وتعالى، صادق في وعده لكتابه بالحفظ حيث يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[2].

واقرأ معي:

ما يرويه البيهقي عن يحيى بن أكثَم.

قال:

دخل يهودي على المأمون: فأحسن الكلام.

فدعاه إلى الإسلام.

فأبى.

ثم بعد سنة: جاء مسلماً، فتكلم في الفقه فأحسن الكلام.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

فسأله المأمون:

ما سبب إسلامه؟

قال:

انصرفت من عندك، فامتحنت هذه الأديان.

فعمدت إلى التوراة: فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها، ونقصت، وأدخلتها البيعة، فاشتريت مني.

وعمدت إلى الإنجيل: فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها، ونقصت، وأدخلتها البيعة، فاشتريت مني.

وعمدت إلى القرآن: فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها، ونقصت، وأدخلتها إلى الوراقين[1]، فتصفحوها، فوجدوا فيها الزيادة، والنقصان، فرموا بها ولم يشتروها.

فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ.

فكان هذا سبب إسلامي[2].

ويعلل بعض العلماء تسرب هذه الشبهة على هذا النحو بما يلي:

١ ـ يقول طاش كبرى زاده:

«ولعل راوي الآثار المتقدمة، حرفها، ولم يتقن الذي صدر منه، فلزم ما لزم من الإشكال»[3].

---

(١) وهم الذين يبيعون الكتب والورق.

(٢) انظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٥/ ٢٥٣.

(٣) مفتاح السعادة ٢/ ٤٢٢، الإتقان ١/ ١٨٤ طبعة محمود توفيق.

٢ ـ أما القلقشندي:

فيرى أن قول عثمان محمول على ما كانت عليه المصاحف أيام عثمان رضي الله عنه، ذلك أنها، كتبت «بقلم جليل مبسوط، فربما وقع ـ في بعض الأماكن ـ اللفظة، فيقطعها في آخر السطر، ويجعل ما فيها في السطر الثاني»[١].

وهي علل يقويها، عدم صحة الخبر، ـ كما مر ـ وانتفاءه عن عثمان أصلاً.

ثانياً: تأويل الخبر (على فرض صحته).

يمكن على فرض صحة هذا الخبر ـ وهو ليس صحيحاً كما مرّ بنا ـ أن:

١ ـ يؤول معنى اللحن بما يتفق والصحيح، المتواتر، عن عثمان، رضي الله عنه، في نسخ المصاحف وجمع القرآن، من نهاية التثبت، والدقة، والضبط.

وذلك: بأن يراد بكلمة «لحن» في الروايات التي ذكروها:

القراءة واللغة دون الرسم.

قال عمر رضي الله عنه: إنا لنرغب عن كثير من لحن أبيّ: يعني لغة أبيّ»[٢].

وهو المعنى اللغوي لكلمة «لحن»، وعليه يكون المعنى:

أن في القرآن، ورسم المصحف، وجهاً في القراءة، لا تلين به ألسنتهم مرة واحدة.

ولكنها: لا تلبث أن تلين به ألسنتهم جميعاً بالمران، وكثرة تلاوة القرآن بهذا الوجه.

---

(١) صبح الأعشى ٣/ ١٤٧، ١٤٨.
(٢) المصاحف: ٣٢.

وقد ضرب بعض أجلة العلماء لذلك مثلاً:

كلمة (الصراط).

كتبت بالصاد المبدلة من السين.

فتقرأ العرب بالصاد، عملاً بالرسم، وبالسين عملاً بالأصل[1].

٢ ـ أو أن يكون معنى قول عثمان، رضي الله عنه:

«لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل، لم توجد هذه الحروف»، كما يقول أبو عمرو.

«أي لم توجد فيه مرسومة بتلك الصور المبنية على المعاني، دون الألفاظ المخالفة لذلك، إذْ كانت قريش ومن وليَ نسخ المصاحف من غيرها قد استعملوا ذلك أي رسم اللفظ حسب أحد معانيه الكثيرة، التي يتحملها الرسم الآخر، في كثير من الكتابة، وسلكوا فيها تلك الطريقة، ولم تكن ثقيف وهذيل، مع فصاحتهما يستعملان ذلك، فلو أنهما وليتا من أمر المصاحف ما وليه من تقدم من المهاجرين والأنصار، لرسمتا جميع تلك الحروف على حال استقرارها في اللفظ، ووجودها في المنطق دون المعاني والوجوه؛ إذْ ذاك هو المعهود عندهما، والذي جرى عليه استعمالهما.

ثم يقول أبو عمرو:

هذا تأويل قول عثمان عندي: لو ثبت وجاء مجيء الحجة، وبالله التوفيق[2].

---

(١) انظر: المقنع ص ١٢٤، مناهل العرفان ١/ ٣٨٠.

(٢) المقنع: ص ١٢٥، ١٢٦.

ثالثاً: علة خروج هذه الحروف عن القياس.

وبعد أن تبين أن هذا الخبر غير صحيح، بل أمكن تأويله ـ على فرض صحته جدلاً ـ بما ظهر توافقه مع المعروف عن دقة الصحابة، وعدم وقوعهم في الخطأ.

نشير إلى أن «علة هذه الحروف، وغيرها من الحروف المرسومة في المصحف على خلاف ما جرى به رسم الكتاب من الهجاء».

هو:

الإنتقال من وجه معروف مستفيض، إلى وجه آخر مثله في الجواز والإستعمال، وإن كان المنتقل عنه أكثر استعمالاً»[1].

وقد ألف في هذه العلل: أبو العباس المراكشي كتاباً أسماه «عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل»، وقد سبقت الإشارة إلى هذا الكتاب.

مثال ذلك:

هذه الكلمات الثلاث ـ نفسها ـ الممثل بها في هذه الشبهة.

فالعلماء يعللون لزيادة الواو في (سَأُوْرِيكُمْ).

بأنها:

للدلالة على معنى ظهور الكلمة في الوجود، مع أعظم رؤية للعيان.

قال المراكشي:

---

(١) النشر ١/٤٥٩.

ويدل على ذلك:

أن الآيتين[1] - المذكور فيهما الكلمة - جاءتا للتهديد والوعيد[2].

ويقول الدكتور أبو شهبة:

وعلى هذا الغرار: يمكن القول في زيادة الألف في قوله تعالى: ﴿ وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ ﴾[3].

أن السر فيه: الإيماء إلى أن هؤلاء المعتذرين المتخلفين من المنافقين لو خرجوا معكم لأكثروا من الإيضاع والفتنة، والإيضاع هو الإسراع، أي أسرعوا بالفساد والفتنة فيما بينكم - وليجاوزوا الحد في هذا، فتوافق الرسم والمعنى[4].

وكذلك في (لأَذْبَحَنَّهُ).

فالسر في زيادة الألف فيها:

التنبيه على أن المؤخر أشد في الوجود من المقدم عليه لفظاً، إذ الذبح أشد من العذاب[5]. وقد سبق ذلك.

وسواء كانت العلة في مخالفة (سأوريكم) للقياس هو ما ذكر، أو كانت هي الدلالة على أصل الحركة[6].

---

(١) وهما: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ سورة الأعراف، الآية: ١٤٥، ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ سورة الأنبياء، الآية: ٣٧.

(٢) بحوث قرآنية ص ١٦٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٧.

(٤) بحوث قرآنية ص ١٦٣.

(٥) البرهان ١/ ٣٨١.

(٦) مناهل العرفان ١/ ٣٦٨.

وسواء كانت العلة في مخالفة (وَلأَوْضَعُوا) و(لأَذْبَحَنَّهُ) للقياس ـ أيضاً ـ هو ما ذكر هنا.

أو كانت العلة.

تختلف عند أصحاب المصاحف عنها عند النحاة ـ

على الوجه التالي[1]: ـ

فأصحاب المصاحف.

يرون أن الألف الزائدة فيهما هي: المنفصلة عن اللام.

وعلى ذلك:

فزيادتها تكون لأحد معان أربعة:

١ ـ أن تكون صورة لفتحة الهمزة؛ من حيث كانت الفتحة مأخوذة منها، فلذلك جعلت صورة لها، ليدل على أنها مأخوذة من تلك الصورة، وأن الإعراب قد يكون بهما معاً.

٢ ـ أو تكون هي الحركة نفسها، لا صورة لها؛ لأن الإعراب قد يكون بها كما يكون بالحركات.

إذ كانت العرب تصور الحركات حروفاً ـ كما سبق ـ.

٣ ـ أو تكون دليلاً على إشباع فتحة الهمزة، وتمطيطها في اللفظ، لخفاء الهمزة، وبعد مخرجها، وفرقاً بين ما يحقق من الحركات وما يختلس منها.

٤ ـ أو أن تكون تقوية للهمزة، وبياناً لها، ليتأدى بذلك معنى خفائها، والحرف الذي تقوى به قد يتقدمها، وقد يتأخر عنها.

وأما الفراء، وأحمد بن يحيى وغيرهما من النحاة:

---

(١) انظر: المحكم ص ١٧٦ ـ ١٧٨ (بتصرف يسير).

فيرون: أن الزائدة فيهما هي المتصلة في الرسم باللام.

وعلى ذلك:

فزيادتها تكون لأحد معنيين فقط:

١ ـ أن تكون دلالة على إشباع فتحة اللام وتمطيط اللفظ بها.

٢ ـ أو تكون تقوية للهمزة، وتأكيداً لبيانها بها، وإنما قويت بزيادة الحرف في الكتابة، من حيث قويت بزيادة المد في التلاوة، لخفائها، وبعد مخرجها.

أقول:

سواء كانت العلة هي هذه، أو تلك، فإن ذلك يفيد ـ بالإضافة إلى سقوط هذه الأخبار عن عثمان رضي الله عنه، وعدم ثبوتها عليه ـ يفيد عدم خلو هذه المخالفات عن أهداف وعلل، ويثبت أن هذه المخالفات متعمدة ومقصودة، وأنها ليست من خطأ الكتَّاب كما يزعمون، ولا من تخلف في فن الكتابة كما يقول غيرهم.

ويتبين لنا بعد كل هذا: ـ

١ ـ أن رسم المصحف: كان موضع ثقة الصحابة رضوان الله عليهم.

٢ ـ أن إجماعهم عليه، ثابت لا يُعترَضُ عليه، إلا بما هو أوهن من بيت العنكبوت[1].

٣ ـ أن رسم المصحف: توافر له من الدلائل ما يقوي جبهة الذين يقولون بأنه «توقيفي»، وهذه الشبهة، لا ترقى إلى الطعن في هذه التوقيفية.

٤ ـ أن كلمة اللحن التي وردت في بعض هذه الروايات ـ إن صحت ـ

---

(١) انظر: الزعم الثالث في مزاعم حول رسم المصحف في الفصل التالي.

عن سيدنا عثمان، ليست مرغمة على أن يكون معناها: الخطأ، كما يحاول أن يفسرها على هذا المعنى المغرضون، بل معناها ـ هنا ـ القراءة واللغة ـ كما يذكر الشيخ الزرقاني ـ[1] أو التلاوة دون الرسم ـ كما يذكر أبو عمرو الداني[2].

٥ ـ ولا نجد سبباً يدعو لأن يرتبك الكتبة من الصحابة، عند عرضهم ما كتبوه على عثمان رضي الله عنه، الذي كان يتابعهم أولاً بأول، كما يدعي ذلك حفني ناصف[3]، فهو لم يقم على قوله من دليل، ولم أجد له في بحثي سنداً.

(١) المناهل ١/ ٣٨٠.
(٢) المقنع ص ١٢٤.
(٣) حياة اللغة العربية ص ٧٩.

المبحث الثاني

(الشبهة الثانية: فيما نسب إلى عائشة رضي الله عنها)

المطلب الأول: الشبهة.

يقولون:

«روى أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: سألت عائشة رضي الله عنها، عن لحن القرآن: -

عن قوله تعالى: ﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾[1].

وعن قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[2].

وعن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾[3].

فقالت:

يا ابن أختي: هذا من عمل الكُتَّاب الكتبة، أخطأوا في الكتاب أي في الكتابة[4].

ويقول السيوطي:

إسناده صحيح على شرط الشيخين[5].

---

(١) سورة طه، الآية: ٦٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦٢.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ١٠٦، المقنع ص ١٢٦، ١٢٧، القرطبي ١١/ ٢١٦، الإتقان ١/ ١٨٢ طبعة محمود توفيق.

(٥) الإتقان ١/ ١٨٢.

وقد ذكر بعض العلماء هذه الروايات في كتبهم بحسن قصد، من غير تحر، ولا دقة.

فاتخذها أعداء الإسلام من المارقين، والمستشرقين ذريعة للطعن في الإسلام، وفي القرآن، لتوهين ثقة المسلمين بكتاب ربهم[1].

المطلب الثاني: الجواب على هذه الشبهة.

أولاً: رد الخبر.

(أ) راوي هذا الخبر: هو أبو معاوية الضرير، الذي شهد علماء الحديث[2]، أن في أقواله أحاديث مضطربة، وأنه ربما دلّس، وأنه كان مرجئاً خبيثاً[3].

(ب) وأيضاً: فأن ينسب إلى أم المؤمنين، رضي الله عنها، أنها ـ مع عظيم محلها، وجليل قدرها، واتساع علمها، ومعرفتها بلغة قومها ـ لحَّنت الصحابة، وخطَّأت الكتبة، وموضعهم من الفصاحة، والعلم باللغة، الذي لا يجهل ولا ينكر.

هذا ما لا يسوغ، ولا يجوز[4].

(جـ) وعلى كل: فهذه الروايات، مهما يكن سندها صحيحاً ـ كما يقول الشيخ الزرقاني ـ فإنها مخالفة للمتواتر القاطع، من دقة عمل الصحابة، وتصويب كتابتهم[5].

---

(١) القراءات في نظر المستشرقين ١٧٣.

(٢) كتاب العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل ١/٢٤١، تهذيب التهذيب لابن حجر ٩/١٣٨، ١٣٩.

(٣) الجمع الصوتي، ص ٤١٨.

(٤) المقنع ١٢٧، ١٢٨.

(٥) مناهل العرفان ١/١٨٦.

(د) ولم يعد أحد من المسلمين يركن إليها، أو يعبأ بها، وليس لها أي وزن، أو اعتبار أمام تواتر المصحف.

وهي أضعف ـ كما يقول الشيخ عبد الفتاح القاضي ـ من أن تنهض في وجه ما يبطلها من الروايات التي تلقاها المسلمون بإجماع وقبول.

وليس لذي عدل ونصفة، أن يعارض بهذه الروايات الباطلة، والآثار الساقطة، ما ثبت بالتواتر جيلاً إثْرَ جيل إلى يومنا هذا.

لأن معارض المتواتر القاطع، ساقط مردود[١].

(هـ) ويجاب عن تصحيح السيوطي.

بأن هذه الرواية على فرض صحتها، فهي رواية آحادية، لا يثبت بها قرآن، وهي معارضة للقطعي، الثابت بالتواتر، فهي باطلة ومردودة، ولا التفات إلى تصحيح من صحح هذه الرواية وأمثالها، فإن من قواعد المحدثين: أن مما يدرك به وضع الخبر، ما يؤخذ من حال المروي، كأن يكون مناقضاً لنص القرآن، أو السنة، أو الإجماع القطعي، أو صريح العقل، حيث لا يقبل شيء من ذلك التأويل، أو لم يحتمل سقوط شيء منه يزول به المحذور.

وهذه الروايات: مخالفة للمتواتر القطعي ـ كما سبق ـ الذي تلقته الأمة بالقبول.

فهي باطلة لا محالة[٢].

ثانياً: تأويل الخبر (على فرض صحته).

---

(١) القراءات ص ١٧٢، ١٧٣.

(٢) المدخل ص ٣٧٩، ٣٨٠.

١ ـ يمكن أن يؤول: ـ

على أن عروة: لم يسأل عائشة في هذا الخبر عن حروف الرسم التي تزاد فيها لمعنى، وتنقص فيها لآخر، تأكيداً للبيان، وطلباً للخفة.

وإنما سألها ـ فيه عن حروف من القراءة المختلفة الألفاظ، المحتملة الوجوه، على اختلاف اللغات التي أذن الله تعالى لنبيه عليه السلام، ولأمته، في القراءة بها، واللزوم على ما شاءت منها، تيسيراً لها، وتوسعة عليها.

فليس ما قصدته فيه: بداخل في معنى المرسوم، ولا هو من سببه في شيء.

وإنما سمى عروة ذلك لحناً.

وأطلقت عائشة على مرسومه ـ كذلك ـ الخطأ.

فعلى: جهة الإتساع في الأخبار، وطريق المجاز في العبارة.

إذْ كان ذلك مخالفاً لمذهبهما ـ أي في القراءة، وخارجاً عن اختيارهما، وكان الأوجه والأولى عندهما، والأكثر والأفشى لديهما.

ولكن لا على وجه الحقيقة والتحصيل [1].

٢ ـ ويمكن أن يؤول كذلك:

على أن قول عائشة: «أخطأوا في الكتابة»:

هو بمعنى: أخطأوا في اختيار الأولى في الأحرف السبعة، بجمع الناس عليه، لا أن الذي كتبوا في ذلك خطأ لا يجوز.

لأن ما لا يجوز، مردود بإجماع، وإن طالت مدة وقوعه، وعظم قدر موقعه.

---

(١) المقنع ص ١٢٧.

وعلى أن المراد باللحن في هذه الروايات:

هو: القراءة، واللغة.

كقول عمر رضي الله عنه:

«أبيّ أقرأنا، وإنا لندع بعض لحنه».

أي قراءته»[1].

وبهذه التأويلات:

يزول ما في هذا الخبر ـ إن صح ـ من إشكالات.

ثالثاً: تعليل هذه المخالفات.

١ ـ بخصوص قوله تعالى: ﴿ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾.

كيف يعقل أن تقول السيدة عائشة: أخطأ الكاتب.

ولا تقول: أخطأ القارىء، الذي يقرأ بتشديد (إنَّ) وبالألف لفظاً في (هذان)[2]..؟

وبيان ذلك:

أن هذه الآية: رسمت في المصحف العثماني هكذا (ان هدن لساحرن) من غير نقط ولا شكل، ولا تشديد ولا تخفيف في نوني «إن» و«هذان»، ومن غير ألف ولا ياء بعد الذال من «هذان».

وذلك: لتحمل وجوه القراءات الأربع فيها[3].

---

(١) المقنع ص ١٢٨.
(٢) انظر: مناهل العرفان ١/٣٨٦.
(٣) انظر: مناهل العرفان ١/٣٦٦.

والتي وردت كلها بأسانيد صحيحة[١].

فكيف إذاً: تخطىء الكاتب على صوابه ولا تخطىء القارىء، حيث قرأ بخلاف الوجه الذي تركن إليه؟

وكيف تنكر ـ عائشة رضي الله عنها ـ هذه القراءة، وهي متواترة، مجمع عليها. . .؟

بل هي ـ كما يقول الشيخ الزرقاني ـ قراءة الأكثر، ولها وجه فصيح في العربية، لا يخفى على مثل عائشة رضي الله عنها[٢].

حيث تخرج على أن:

(إنْ) هي المخففة من الثقيلة، أهملت.

و(هذان) مبتدأ.

و(لساحران) الخبر.

و(اللام) للفرق بين النافية والمخففة، على رأي البصريين[٣].

وقيل:

إنَّ (إنْ) نافية.

و(اللام) بمعنى: إلا.

والتقدير:

ما هذان إلا ساحران.

ويشهد له: قراءة أبيّ (إنْ ذَانِ إلاَّ سَاحِرَانِ)، وهي قراءة تفسير

(١) انظر: النشر ٢/ ٣٢٠، ٣٢١، إتحاف فضلاء البشر ٣٦٨.

(٢) مناهل العرفان ١/ ٣٨٦.

(٣) إتحاف فضلاء البشر ٣٦٨.

وتوضيح[1].

وكما توافر لهذه القراءة:

صحة الإسناد.

وموافقتها العربية.

وقد جاء بها رسم المصحف[2].

أي توافرت لها: الأركان الثلاثة التي اشترطت لقبول القراءة.

فبعيد ـ بعد هذا ـ على عائشة، أن تنكر تلك القراءة، ولو جاء بها وحدها رسم المصحف[3].

ونرى أن هذا التعليل:

وجه قوي في الاستنباط العقلي، والاستدلال النقلي على إبطال الروايات المنسوبة إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) بخصوص: (وَالْمُقِيمِيْنَ الصَّلاَةَ)[4].

قرأ الجمهور هذه الآية بالياء: منصوباً على القطع المفيد للمدح، كما في قطع النعوت إشعاراً بفضل الصلوات، أو مجروراً عطفاً على ضمير منهم، أو على الكاف في إليك، وقيل غير ذلك.

---

(١) القرطبي ١١/٢١٦، المدخل ٣٨٠.

(٢) القرطبي ١١/٢١٦، إتحاف فضلاء البشر ٣٦٨.

(٣) مناهل العرفان ١/٣٨٧.

(٤) روي عن سعيد بن جبير: أنه قال يقرأ (وَالْمُقِيْمِينَ الصَّلاَةَ)، ويقول: هو من لحن الكتّاب. ويدفع ذلك: بأن ابن جبير لا يريد بكلمة «لحن» الخطأ، إنما يريد بها اللغة والوجه في القراءة على حد قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾. والدليل على صحة هذا التوجيه: أن سعيد بن جبير نفسه، كان يقرأ: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾، فلو كان يريد باللحن الخطأ، ما رضي لنفسه هذه القراءة، وكيف يرضى ما يعتقده أنه خطأ؟ (مناهل العرفان ١/٣٨١).

وقد روي بالواو في قراءة جماعة منهم: أبو عمرو في رواية يونس وهارون[1] وعلى هذا فتخطئة رسم المصحف بخصوص هذه الآية:

مردود ـ وكذلك ـ بما ذكر أبو حيان الأندلسي في البحر.

حيث قال: «وذكر عن عائشة، رضي الله عنها، وعن أبان بن عثمان، أن كَتْبَهَا بالياء من خطأ كاتب المصحف.

ولا يصح ذلك عنهما؛ لأنهما عربيان فصيحان.

وقطع النعوت أشهر في لسان العرب، وهو باب واسع، ذكر عليه شواهد، «سيبويه» وغيره، وعلى القطع خرج سيبويه ذلك.

قال الزمخشري: لا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً في خط المصحف.

وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ـ يريد كتاب سيبويه ـ ولم يعرف مذاهب العرب، وما لهم في النصب على الإختصاص من الإفتنان، وخفي عليه أن السابقين الأولين، الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل، كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام من أن يتركوا في كتاب الله تعالى ثلمة يسدها من بعدهم، وخرقاً يرقوه من يلحق بهم»[2].

ومع أن: قراءة الرفع في هذه الآية:

مخرجة على العطف، إذ المعطوف عليه مرفوع أيضاً، وهو وجه صحيح، فصيح في اللغة[3].

فإن ابن جني في «المحتسب» يقول: «القطع ـ لكونه بتقدير الجملة ـ

---

(١) إتحاف فضلاء البشر ص ٢٣٣.

(٢) البحر المحيط ٣/ ٣٩٥، ٣٩٦.

(٣) مناهل العرفان ١/ ٣٨١.

أبلغ من الإتباع لكونه مفرداً»[1].

قالوا: والعرب تفعل ذلك أي القطع ـ في صفة الشيء الواحد ونعته، إذا تطاولت بمدح أو ذم.

خالفوا بين إعراب أوله وأوسطه أحياناً، ثم رجعوا بآخره إلى إعراب أوله، وربما أجروا إعراب آخره على إعراب أوسطه، وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الإعراب[2].

(٣) بخصوص ﴿ وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ ﴾.

لم ينقل عن عائشة: أنها خطأت من يقرأ بها.

بل لم ينقل ـ كذلك ـ. أنها كانت تقرأ بالياء دون الواو.

وعليه: فلا يعقل أن تكون خطأت من كتب بالواو[3].

والحقيقة أنه: لا خطأ في قراءة ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ بالرفع، كما رسمت في المصاحف، فالصابؤن: رفع على الإبتداء، وخبره محذوف، والنية به التأخير عما في حيز «إنَّ» من اسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا... والصابؤن كذلك[4].

وقد أورد سيبويه شاهداً له[5]:

---

(١) المواهب الفتحية ٢/ ٨٢.
(٢) الطبري ٩/ ٣٩٥، إعراب القرآن للعكبري ١/ ١١٣.
(٣) مناهل العرفان ١/ ٣٨٧.
(٤) الكشاف ١/ ٣٥٤.
(٥) الجمع الصوتي: ص ٤١٩.

قول بشر بن أبي حازم:

وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق

أي فاعلموا: أنا بغاة، وأنتم كذلك[1].

وبهذا ـ وغيره ـ يتبين أن هذه الشبهة واهية، وليس لهم ما يتعلقون به بغية الطعن في رسم المصحف سوى خيوط العنكبوت.

---

(١) رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات ص ١١٠.

المبحث الثالث

(الشبهة الثالثة: فيما نسب إلى عبد الله بن عباس) رضي الله عنه

المطلب الأول: الشبهة.

يقولون:

من وجوه الطعن على رسم المصحف ما روي عن ابن عباس في الآيات التالية: ـ

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ ﴾[1].

روي أن ابن عباس قرأ (أفلم يتبين الذين آمنوا) من البيان.

قال القشيري: قيل لابن عباس: المكتوب (أفلم يا يئس).

قال: أظن الكاتب كتبها وهو ناعس، أي: زاد بعض الحروف حتى صارت الكلمة «ييئس»[2].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[3].

روي أنه كان يقول في قوله تعالى: (وقضى ربك). إنما هي: ووصى ربك، التزقت الواو بالصاد.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٢) القرطبي ٩/ ٣٢٠، الإتقان ١/ ١٨٥، الفخر الرازي ١٩/ ٥٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

ويقول:

ولو كانت «قضى» من الرب، لم يستطع أحد رد قضاء الرب ولكنه: وصية، أوصى بها العباد[1].

الآية الثالثة: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً ﴾[2].

روى عكرمة عن ابن عباس: أنه كان يقرأ (ضياءً) بغير واو في هذه الآية.

ويقول:

أ ـ في رواية: خذوا هذه الواو، واجعلوها في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ﴾[3]، فتصير (والذين... إلخ).

ب ـ وفي رواية أخرى: انزعوا هذه الواو، فاجعلوها في: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ ﴾[4]، فتصير (والذين... إلخ)[5].

الآية الرابعة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾[6].

روي عن أبي، وابن عباس، وابن جبير ـ فيما ادعت بعض الروايات ـ

---

(1) القرطبي ١٠/ ٢٣٧، الإتقان ١/ ١٨٥.
(2) سورة الأنبياء، الآية: ٤٨.
(3) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.
(4) سورة غافر، الآية: ٧.
(5) انظر: الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٨، القرطبي ١١/ ٢٩٥، الإتقان ١/ ١٨٥.
(6) سورة النور، الآية: ٢٧.

أن أصلها: «حتى تستأذنوا»، ولكن وقع خطأ، أو وهم من الكاتب، فكتبها هكذا[1].

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾[2].

نسب إلى ابن عباس أنه قال: هي خطأ من الكاتب؛ إذ هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة.

إنما هي: «مثل نور المؤمن كمشكاة»[3].

المطلب الثاني: الجواب على هذه الشبهة:

أولاً: دفوع عامة.

(١) أخذ ابن عباس، رضي الله عنه، القرآن عن: زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وهما كانا في جمع المصاحف، وزيد بن ثابت كان في جمع أبي بكر أيضاً، وكان كاتب الوحي، وكان يكتب ما يكتب بأمر النبي ﷺ وإقراره.

وابن عباس كان يعرف ذلك، ويوقن به.

فمحال إذن أن ينطق لسانه بكلمة تحمل رائحة اعتراض على جمع القرآن، ورسم القرآن.

وإلا: فكيف يأخذ عن زيد وابن كعب، ثم يعترض على جمعهما، ورسمهما[4]. . . ؟

---

(١) الطبري ٢/ ٢١٣، ٢١٤، القرطبي ١٢/ ٢١٤، الإتقان ١/ ١٨٥، مذاهب التفسير الإسلامي ص ٤٧.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٣) الإتقان ١/ ١٨٥.

(٤) مناهل العرفان ١/ ٣٨٥.

(٢) وقد أجاب العلماء: بأن هذه الروايات، ضعيفة، لا يصح نسبة شيء منها إلى ابن عباس، إذْ أنها عورضت بروايات أخرى عن ابن عباس، وغيره تثبت هذه الأحرف في القراءة[١].

(٣) هذه الروايات المعارضة للروايات الأخرى المتواترة، المجمع عليها، والمقطوع بها.

بحكم هذا: تكون ساقطة.

ولذا: لا يعول عليها، ولا يلتفت لها، ولا يؤخذ بها[٢]، وحسبك أن هذه الروايات: مضطربة في ألفاظها، مع تخليط في إسنادها، فوق ما فيها من إرسال وانقطاع في السند[٣].

(٤) ومن المعلوم أن أكثر ما دس من ساقط الروايات، كان ينسب إلى ابن عباس، رضي الله عنه ـ كما هو معروف[٤].

ولذا؛ لا يبعد كثيراً أن تكون هذه الروايات، قد دست لغرض خبيث.

وابن عباس ـ في الحقيقة ـ بريء منها، ومما نسب إليه فيها، براءة الذئب من دم ابن يعقوب عليه السلام.

(٥) وهناك دفع قوي يدحض هذه الروايات وأمثالها.

---

(١) انظر: الإتقان ١/ ١٨٥، مناهل العرفان ١/ ٣٨٤.

(٢) انظر: مناهل العرفان ١/ ٣٨٤.

(٣) المقنع ص ١٢٤، النشر ١/ ٤٥٩.

(٤) انظر في ذلك بتوسع: التفسير والمفسرون د. الذهبي ١/ ٨٢ الطبعة الأولى ١٩٦١م. نشر دار الكتب الحديثة.

يذكره الدكتور لبيب السعيد بقوله: «وعندي: أن أقوى ما يدحض هذه الرواية وأمثالها، هو ما أشرت إليه قبلاً، من أن رواية القرآن لم تكن من الكتابة فحسب ـ إن لم تكن بدونها نهائياً ـ ولم تكن الكتابة في المقام الأول، وإنما مصدرها الأول، والأوثق، هو التلقي الشفوي المتواتر.

وهو: خال ـ هنا ـ من ذلك الإختلاف المزعوم»[1].

ثانياً: دفوع خاصة.

١ ـ عن الآية الأولى:

﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾.

هذه هي القراءة المشهورة المتواترة عن ابن عباس[2]، أما قراءته (أفلم يتبين) فهي من باب البيان[3]. والتفسير لا من باب القراءة[4].

وأما ما ينسب إليه ـ فيما سبق ذكره ـ فهو قول بعيد جداً؛ لأنه يقتضي كون القرآن محلاً للتحريف، والتصحيف، وذلك يخرجه عن كونه حجة[5].

وذلك مما لا يصدق في كتاب الله تعالى، الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾[6].

وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتاً بين دفتي الإمام، وكان متقلباً بين أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهتمين به، لا يغفلون عن

---

(١) الجمع الصوتي ص ٤٢٩، ٤٣٠.
(٢) القرطبي ٩/٣١٩، ٣٢٠.
(٣) القرطبي ٩/٣٢٠.
(٤) القراءات ص ١٧٧.
(٥) الفخر الرازي ١٩/٥٣.
(٦) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

جلائله، ودقائقه، خصوصاً عن القانون الذي إليه المرجع، والقاعدة التي عليها البناء؟

هذا: والله فرية ما فيها مرية[1].

وعلى هذا:

فيحق لأبي حيان الأندلسي أن يقول: «وأما قول من قال، إنما كتبها الكاتب وهو ناعس، فسوى أسنان السين؛ فقول زنديق ملحد»[2].

وتكون رواية ذلك: في الدر المنثور، وغيره، عن ابن عباس، رواية غير صحيحة[3].

وينتفي بذلك: استغلال هذه الآية في الطعن على رسم المصحف الشريف.

٢ ـ عن الآية الثانية:

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾.

المتواتر في هذه الآية هو: وقضى، وهو المستفيض عن ابن عباس والحسن وقتادة، بمعنى: أمر.

وقال ابن مسعود، وأصحابه: بمعنى: وصى[4].

وعلى هذا: فما روي ـ فيما مر ـ معارض لهذا المتواتر القاطع،

---

(١) الكشاف ١/ ٤٠٩، ١/ ٦٥٥.

(٢) البحر المحيط ٥/ ٣٩٣.

(٣) مناهل العرفان ١/ ٣٨٣.

(٤) مناهل العرفان ١/ ٣٨٤.

ومعارض المتواتر ساقط مردود[1].

ويحق إذاً للإمام الفخر الرازي أن يقول: «واعلم أن هذا القول: بعيد جداً، لأنه يفتح باب «أن التحريف والتغيير، قد تطرق إلى القرآن. ولو جوزنا ذلك لارتفع الأمان عن القرآن؛ وذلك يخرجه عن كونه حجة، ولا شك أنه طعن عظيم في الدين»[2].

ويناقش «على القارىء» هذه الدعوى وأمثالها، مناقشة لا تنقصها الموضوعية ـ على حماستها ـ فيقول:

«كيف يصح تفريط الصحابة الكرام في ضبط القرآن العظيم، وإهمالهم في حفظه، حتى ينسوه، فلا يعرفه إلا الواحد والاثنان من الأطراف، وحتى لا يوجد إلا في الأكتاف واللخاف؟

هذا مع شدتهم في طلب أمر الدين، وبذلهم الأموال، والأشباح، والأرواح، من مقام اليقين؟

ثم يورد نصوصاً ثابتة عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ تؤيد الإهتمام التام بتحقيق القرآن، في الصدر الأول من الإسلام.

ويستنبط ـ في شأن هذه الدعوى بالذات ـ أنها ظاهرة الفساد؛ إذْ يلزم منها، أن تلك الآية لم يحفظها أحد حتى صحفت وقرئت «وقضى»[3].

٣ ـ عن الآية الثالثة:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً ﴾.

---

(١) مناهل العرفان ١/ ٣٨٤.

(٢) الفخر الرازي ٢٠/ ١٨٤.

(٣) نقلاً عن الجمع الصوتي: ص ٤٢٥.

ما مر من الروايات المنسوبة إلى ابن عباس في هذه الآية ضعيف، ولم يصح في نسبته إليه رضي الله عنه؛ فلا يؤخذ به.

كما أنه مخالف للمتواتر القاطع؛ فهو ساقط مردود لا محالة[1].

ومما يؤكد تهافت هذا المنسوب وسقوطه:

الاختلاف في أي الآيتين أراد ابن عباس نقل الواو إليها[2].

فضلاً عن: أن ذكر الواو في الآية هو الذي تقضي به البلاغة الفائقة، لا حذفها.

سواء فسر الفرقان: بالتوراة، أم بالنصر[3].

وقد روي تفسيره «بالنصر» عن ابن عباس، وغيره[4].

ويشهد له قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ ﴾[5]، فالمراد به يوم بدر.

وبيان ذلك[6]:

أما على الأول:

فيكون المراد: بالفرقان، والضياء، والذكر: التوراة.

وهي «فرقان»؛ لأنها تفرق بين الحق والباطل.

---

(١) مناهل العرفان ١/ ٣٨٤.
(٢) الجمع الصوتي: ص ٤٢٦.
(٣) القرطبي ١١/ ٢٩٥.
(٤) المدخل ص ٣٧٦.
(٥) سورة الأنفال، الآية: ٤١.
(٦) المدخل ص ٣٧٦، ٣٧٧.

وهي «ضياء»؛ لأنها تنير الطريق للسالكين.

وهي «ذكر»؛ لما فيها من التذكير، والمواعظ.

ومثل هذا الأسلوب: يجوز أن يأتي بدون الواو على أنه حال، ويجوز أن يأتي بالواو، وكل بليغ، ولكن الإتيان بها أبلغ، تنزيلاً لتغاير الصفة ـ والحال صفة في المعنى ـ منزلة التغاير في الذوات.

ولذلك سرٌّ بلاغي: وهو الإشارة إلى بلوغها درجة عالية في كونها ضياءً حتى أضحت كأنها جنس مستقل برأسه عن سابقه، ومثل هذا السر لا يتم على حذف الواو.

وأما على الثاني:

وهو تفسير القرآن، بالنصر: فتكون الواو لازمة ألْبتة لتغاير المعطوف والمعطوف عليه، ويكون المراد بالضياء: التوراة أو الشريعة.

٤ ـ عن الآية الرابعة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾.

ما روي بخصوص هذه الآية عن ابن عباس ـ مما سبق ذكره ـ رواه عنه ابن جرير، ولا يخلو إسناده من مدلس، أو مضعف[١].

وقد رواه الحاكم وصححه، وتصحيح الحاكم غير معتبر عند أئمة الحديث، وقد تعقبه الإمام الذهبي في نحو مائة حديث موضوع ذكرها في كتابه (المستدرك) فضلاً عن الضعيف والواهي[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير والبغوي ٦/ هامش ٩١.

(٢) المدخل: ص ٣٧١.

ويضعف الإمام الطبري نفسه ـ والإمام القرطبي أيضاً ـ نسبة ما روي إلى ابن عباس.

فيقول[1]: «وهذا غير صحيح عن ابن عباس وغيره؛ فإن مصاحف الإسلام كلها، قد ثبت فيها (حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا)، وصح الإجماع فيها، من لدن مدة عثمان، رضي الله عنه، فهي التي لا يجوز خلافها.

وإطلاق الخطأ والوهم على الكاتب في لفظ أجمع الصحابة عليه؛ قول لا يصح عن ابن عباس، وقد قال عز وجل: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42) ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9) ﴾[3].

وينفي ابن عطية هذه الدعوى عن ابن عباس، بقوله: ومما ينفي هذا القول عن ابن عباس، وغيره، أن (تستأنسوا) متمكنة في المعنى، بينة الوجه في كلام العرب، وقد قال عمر للنبي ﷺ (أستأنس يا رسول الله)؟ وهو واقف على باب الغرفة، وذلك يقتضي طلب الأُنس به ﷺ.

فكيف يخطىء ابن عباس في مثل هذا؟[4]

وأما أبو حيان الأندلسي فيطلقها صريحة: «من روى عن ابن عباس أنه قال ذلك، فهو طاعن في الإسلام، ملحد في الدين، وابن عباس بريء من هذا القول»[5].

---

(1) الطبري ٢/ ٢١٣، ٢١٤، القرطبي ١٢/ ٢١٤.
(2) سورة فصلت، الآية: ٤٢.
(3) سورة الحجر، الآية: ٩.
(4) القرطبي ١٢/ ٢١٤.
(5) البحر المحيط ٦/ ٤٤٥.

ويقطع الدكتور أبو شهبة دابر كل شك بواضح اليقين عندما يقول:

وهذه الرواية: على فرض صحتها، رواية آحادية، والآحادي لا يعارض القطعي الثابت بالتواتر، ولا يثبت بها قرآن، ولا سيما وقد خالفت رسم المصحف فما بالك وهي ضعيفة، ومعارضة بروايات أخرى عن ابن عباس[1].

٥ ـ عن الآية الخامسة.

﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾.

لم ينقل عن أحد من القراء أن ابن عباس قرأ: «مثل نور المؤمن».

فكيف يقرأ رضي الله عنه، بما يعتقد أنه خطأ، ويترك ما يعتقد أنه صواب؟

ألا إنها كذبة مفضوحة!

ولو أنهم نسبوها لأبيّ بن كعب، لكان الأمر أهون، لأنه روي في الشواذ: أن أبيّ بن كعب قرأ: «مثل نور المؤمن».

والذي ينبغي أن تحمل عليه هذه الروايات: أن أبياً، رضي الله عنه، أراد تفسير الضمير في القراءة المشهورة المعروفة المتواترة، وهي (مثل نوره)، فهي روايات عنه في التفسير، لا في القراءة، بدليل أنه كان يقرأ (مثل نوره)[2].

وقد ذكر السيوطي: أن ابن أشته أجاب عن قول ابن عباس في هذه الآية: «إنها خطأ من الكاتب».

---

(١) المدخل ص ٣٧٣.

(٢) مناهل العرفان ١/ ٣٨٥.

بأن المراد، هو أن الكتّاب: أخطأوا في الاختيار، وما هو الأولى لجمع الناس عليه من الأحرف السبعة، لا أن الذي كتب خطأ، خارج عن القرآن»[1].

ويعقب الدكتور لبيب السعيد على إجابة ابن أشته بقوله:

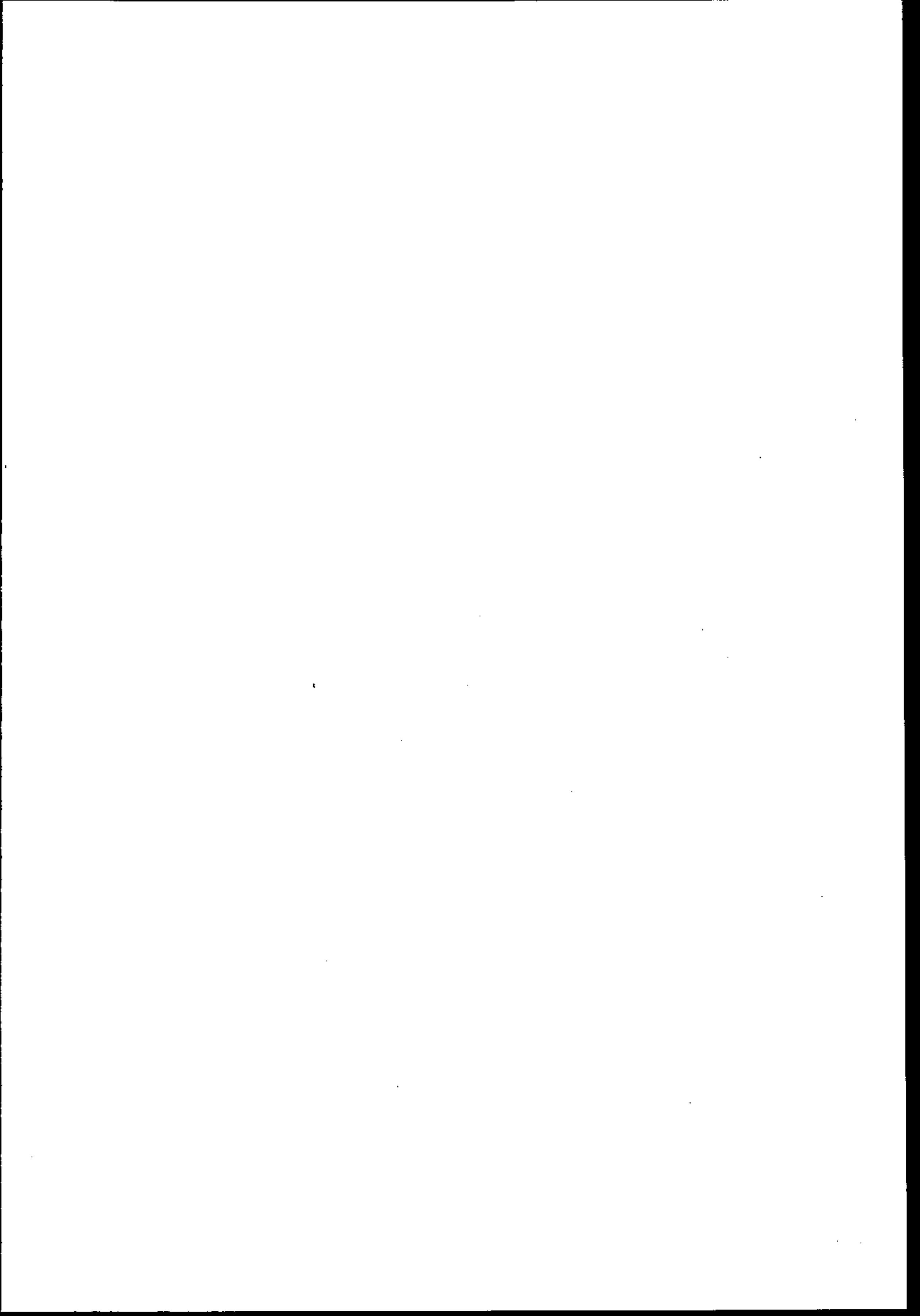
«وعندنا: أن هذه إجابة متهافتة، لا تكشف تماماً عن وجه الحق، فالكُتّاب لم يكتبوا إلا ما تواتر، وما استوفى شرائط ثبوت القرآنية، وكانوا خاضعين لمناهج بالغة الدقة، وكان عملهم على ملأٍ من المسلمين، فكان الخطأ مأموناً على وجه اليقين».

وإذن:

فالذي أذهب إليه ـ ونحن معه ـ هو أن تلك الرواية غير صحيحة أصلاً»[2].

(١) الإتقان ١/ ١٨٥.

(٢) الجمع الصوتي ص ٤٣٠.



الفصل الخامس

(مزاعم حول رسم المصحف)

تمهيد

الزعم الأول: «كتابة المصحف بالرسم الإملائي الحديث».

المطلب الأول: ماذا يزعمون؟

المطلب الثاني: مساندهم في زعمهم.

المطلب الثالث: مناقشتهم.

١ ـ الدفع الأول.

٢ ـ الدفع الثاني.

٣ ـ الدفع الثالث.

٤ ـ الدفع الرابع.

٥ ـ الدفع الخامس.

٦ ـ الدفع السادس.

٧ ـ الدفع السابع.

الزعم الثاني: كتابة مصحفين.

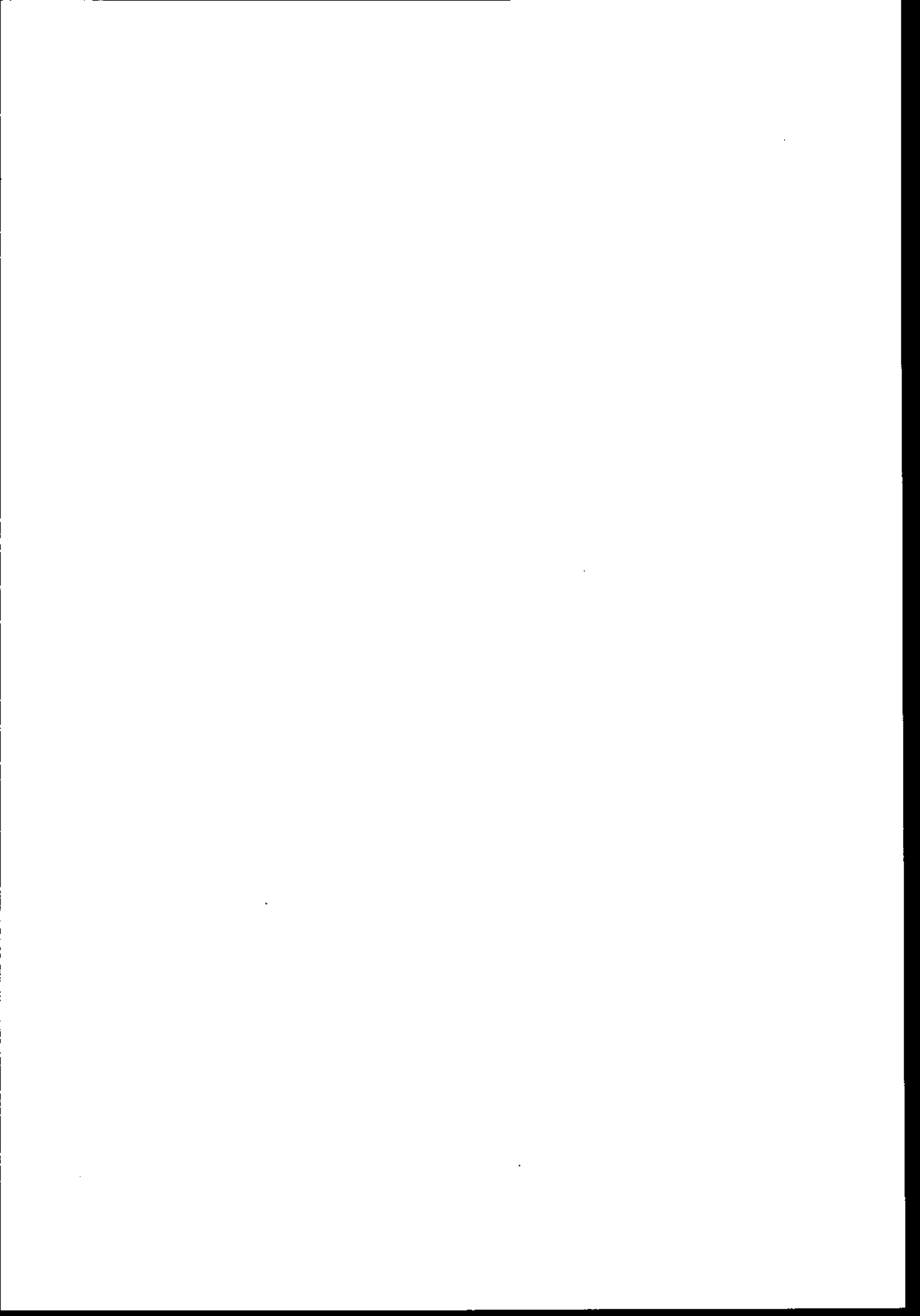
المطلب الأول: ماذا يزعمون؟

المطلب الثاني: الرد عليهم.

الزعم الثالث: اقتراح عبد العزيز فهمي.

المطلب الأول: الاقتراح.

المطلب الثاني: مناقشته.



تمهيد

بعد أن اتضحت لنا دقة عمل الصحابة رضوان الله عليهم، وتحريهم الصواب، ومتابعتهم إرشادات النبي ﷺ، في رسمهم لكلمات القرآن الكريم، وتعمدهم لهذا الرسم، العاري عن النقط والشكل ـ حينها ـ قصداً إلى فوائد من وراء ذلك: وضوحاً لا يرقى إليه اعتراض معترض، ولا تشكيك خبيث، يبغي النيل من القرآن الكريم. . !!

فإنه لا يمنع هذا الوضوح ـ بل يستدعي منا ـ التعرض في هذا الفصل لمزاعم نسجتها بعض أخيلة مريضة، ما كانت تستحق الرد عليها؛ لولا خوفنا عدواها، وتأثيرها في عقول الناشئة، التي لم تطعم من حدائق الإسلام ـ بعد ـ ما يجنبها الانخداع بهذه المزاعم، ولولا رغبتنا الملحة أن يراجع البعض نفسه ـ بسبب ما توصل إليه هذا البحث ـ ممن ذهب منهم ـ كما سنرى ـ إلى تجويز كتابة القرآن الكريم بالرسم الإملائي الحديث، وكذلك من يدعون منهم إلى كتابة مصحفين.

ومن المعتاد أو المتوقع ـ في مثل هذا الفصل ـ أن يكون الدفاع عن القرآن الكريم، أمام الشبهات التي يلفقها، ويذيعها، ويدافع عنها، أعداؤه، ولكن هنا: نفث الأعداء سمومهم، ووقفوا من ورائها، يتابعون تأثيرها، وينتظرون نتائجها، على أيدي بعض المسلمين الذين يروجونها، عن قصد ـ سيء أو حسن ـ أو عن غير قصد.

وفي رأيي: أن الأعداء لم يظهروا هذه المرة بالهجوم علناً، ودأبهم التلمس للثغرات؛ لأنهم لم يجدوا مدخلاً في هذا الموضوع للطعن ينفذون منه، والكثير منهم أصحاب دراسات متأنية عميقة، لا يهجمون إلا في مواطن لن يقاوَموا فيها، أو يقاوَمون ولكن تصعب على المقاوِم هزيمتهم.

هذا هو حال الأعداء: لم يتقدموا علانية، ولكنهم أرسلوا من يطعن ـ في ساحة القرآن ـ نيابة عنهم.

وهذا هو المؤلم..!!

حيث يعمل بعض المسلمين ـ دون تمعن أو دراسة ـ لتغيير «رسم القرآن» على ما في ذلك من المخاطر، بل أن يجهروا بهذه المزاعم، التي ما كان ينبغي أن تصدر عن مسلم أصلاً.

وسوف تكون مناقشتنا لهذه المزاعم: مبنية على ما علّمنا الكتابُ العزيز من أصول المناقشة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

رجاءَ أن نصل ـ وإياهم ـ إلى الرأي السديد، واتباع النهج القويم.

الزعـــم الأول

«كتابة المصحف بالرسم الإملائي»

المطلب الأول: ماذا يزعمون؟

يقولون:

«إن الرسم العثماني يشق على كثير من الناس ـ ومنهم كثرة متعلمة ـ ويوقعهم في الحرج والمشقة والالتباس، ولا يمكنهم من القراءة الصحيحة، فيحرمون الثواب الموعود به على تلاوة القرآن، وربما يتعرضون للإثم إذا بعدوا في قراءتهم ـ وما أسهل ذلك ـ عن جادة الصواب.

فتيسيراً على الناس في قراءة القرآن، ورفعا للمشقة والحرج عنهم، وتمكيناً لهم من القراءة الصحيحة، المنجية من العقاب، المؤدية للثواب.

يجب أن نتقيد بهذا الرسم، ولا نكتب المصاحف اليوم به، بل نكتبها حسب القواعد الحديثة للإملاء.

ففي ذلك: تسهيل على الناشئة، وتيسير على الناس.

ثم يقولون:

ويجب أن تكون لدينا الشجاعة في تنفيذ ذلك، ولو أدى بنا الأمر إلى تحقيق ثورة دينية، مثل تلك الثورة التي قادها «لوثر» في عالم المسيحية الغربية، وكانت هذه الثورة هي الحركة «البروتستانتية» المعروفة[1].

---

(١) انظر: مجلة الهلال: ع ديسمبر ١٩٧٠. =

المطلب الثاني: مساندهم في هذا الزعم.

ويستندون في دعواهم هذه إلى: ـ

١ ـ أنه ليس في الكتاب العزيز، ولا في السنة المطهرة، ولا في إجماع الأمة، ولا في القياسات الشرعية: ما يحتم التزام الرسم العثماني[١].

٢ ـ هذا الرسم اجتهاد من الصحابة: رسموه بخطوطهم، وكانت غير مستحكمة في الإجادة، ولذلك: لا يبعد أن يكونوا قد أخطؤا، بسبب حداثة عهدهم بها.

بل يقطع بعضهم: بأن القرآن فعلاً، وقع فيه الخطأ، والنقص، والإشكال.

وعليه: فإذا كان الغرض من كتابة القرآن، أن نقرأه صحيحاً، فكيف نكتبه بالخطأ لنقرأه بالصواب...؟

وما الحكمة في أن نقيد كتاب الله تعالى بخط لا يكتب به اليوم أي كتاب؟[٢]

٣ ـ هذه الخطوط والرسوم: ما هي إلا علامات، وأمارات؛ فكل رسم يدل على الكلمة، ويفيد وجه قراءتها، فهو صحيح، ويجب تصويب الكاتب به على أية صورة كانت.

وعليه؛ ولوضوح دلالات الرسم الإملائي أكثر من الرسم العثماني:

= والمصحف الشريف: ص ٩٤ (وفيه تصوير هذا الزعم).

(١) انظر: مناهل العرفان: ١/ ٣٧٣، المصحف الشريف: ص ٩٥.

(٢) انظر: مقدمة ابن خلدون: ٣/ ٩٥٣، مجلة الرسالة؛ ع ٩ يناير ١٩٥٠م ص ٤٠، ٤١.

ينبغي كتابة المصحف به[1].

هذه هي مساندهم في هذا الرأي.

و ـ أيضاً ـ فهم يجيبون عن النصوص التي وردت عن العلماء في وجوب إتباع الرسم العثماني، بقولهم:

«إنما كان ذلك ـ النهي عن كتابة القرآن بالرسم الحديث ـ والعلم حيّ، غضّ، أما الآن: فقد يخشى الالتباس[2].

المطلب الثالث: مناقشتهم هذا الزعم.

وقبل مناقشتنا لمساندهم، ودفعنا لزعمهم هذا، وما يهدفون إليه من ورائه، نقول:

لا يسلم لهم أن الرسم العثماني يشق على كثير من الناس، إلا إذا كانت هذه الكثرة، تجهل مبادىء الأشياء، وتركن إلى البطالة، والكسل، ولا تسموا همتها إلى مرضاة ربها، وهذه الفئة: لو نزل رسم المصحف على ما يبغي أصحاب هذا الرأي، لأتوا في قادم أيامهم بشكاواهم العريضة، التي سوف تعن لهم ساعتها، مثل مطالبتهم: أن يكتب القرآن لهم بالعامية، أو أن يختصر لهم[3].

والطبيب المداوي: من يكتب الدواء لمريضه، حسب متطلبات حالته، لا على حسب رغبته، والرسول ﷺ هو الذي أقر هذا الرسم، ووافق عليه، والله تعالى الذي تكفل بحفظ كتابه الكريم، ما كان ليدع هذا الرسم مصونا

---

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون ٣/ ٩٥٣، ٩٥٤.
(٢) البرهان ١/ ٣٧٩.
(٣) انظر: بحث حفني ناصف بمجلة المقتطف.

هكذا، وهو يعلم سبحانه، أنه سيكون مصدر مشقة وحرج للراغبين فيه والسالكين طريقه، سبحانه وتعالى جلت حكمته.

ولذلك: نطيل معهم، مناقشة هذا الرأي ومسانده؛ علهم يهتدون ويتقربون إلى كتاب الله تعالى، واحترامُ هذا الرسم يتوجُ أفكارهم.

ونبدأ في مناقشتهم فنقول:

أولاً: من المعلوم: أن تلاوة كتاب الله تعالى، طريقها التلقي من الصدور قبل التلقي من السطور، وقد يكفي التلقي من الصدور وحدها في أخذ القرآن، بينما لا يكفي التلقي من السطور وحدها[1]، وهذا ما عليه الإعتماد في نقل القرآن[2].

ولذلك: أجمعت الأمة على أن من لا يعرف الرسم المأثور، عليه أن لا يقرأ في المصحف حتى يتعلم القراءة على وجهها، ويتعلم مرسوم المصحف[3].

كل ذلك: لكي يتحقق اتصال السند ـ في النص القرآني ـ برسول الله ﷺ.

وعليه: فتعلم مرسوم المصحف واجب، حيث إنه لا تتم القراءة على وجهها الصحيح ـ إلا به، والقاعدة تقول: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وليس هذا بدعاً ـ كما سبقت الإشارة ـ فلكل علم أدواته ومبادؤه التي يجب أن يلم بها، قبل الإقدام عليه، طالبُه.

---

(١) انظر: مناهل العرفان ١/ ٣٩٢.
(٢) إيقاظ الأعلام ص ١٦.
(٣) النشر: ١/٦.

أفلا يجدر بالمسلم، الحريص على دينه، أن يبذل شيئاً من جهده، وعلمه، وأن يهيىء نفسه، ويعدها إعداداً يتناسب والمثول بين يدي كلام الله تعالى، فلا يهجم على المصحف ـ في غير تهيؤ، واستعداد خاص ـ هجوماً يعرضه للإثم ببعده في القراءة عن جادة الصواب، كما يقولون.

(ثانياً): من المشاهد والماثل بين أيدينا: أن المصاحف العثمانية ـ خاصة في العصر الحديث ضبطت بالشكل التام، ووضعت علامات مخصوصة؛ تدل على الحروف المحذوفة التي ينطق بها، وأمارات معينة تدل على الحروف الزائدة التي لا ينطق بها، وذيلت ببيانات إرشادية، تيسر للناس ـ إلى حد ما ـ قراءة الكلمات المخالفة للرسم الإملائي، حتى أَلِفَ الناس القراة في هذه المصاحف، ومرنوا عليها من غير حرج ولا مشقة[(١)].

ثم ـ من الواجب التنبه له ـ أن رسم المصحف، لا يخالف قواعد الإملاء إلا في كلمات معينة، وقليلة، لا تصعب على أحد ـ إذا لُقِّنَها، وما أسهل وسائل تلقي القرآن، أو كتبت له في الهامش بالرسم الإملائي ـ أن ينطق بها صحيحة[(٢)].

وقد نصت لجنة الفتوى بالأزهر: على أن ينبه في ذيل كل صفحة على ما يكون فيها من الكلمات المخالفة للرسم المعروف[(٣)].

وهو ما فعله الشيخ عبد الجليل عيسى في المصحف الذي قام بطبعه، وفقاً لهذه الفتوى، وفيه وضع على كل كلمة تخالف الرسم الإملائي المعتاد رقما، ووضع أمام هذا الرقم في هامش نفس الصفحة، الكلمة مكتوبة بالرسم

---

(١) انظر: المصحف الشريف: ص ١٠٤.
(٢) انظر: مجلة الأزهر صفر ١٣٦٨هـ، إرشاد القراء والكاتبين ص ١٢٩أ.
(٣) مناهل العرفان ١/ ٣٩١.

المعتاد[1].

هذا... وإن من قرأ ـ بإمعان وروية ـ اصطلاحات رسم المصحف وضبطه، الموضوعة في ذيل المصحف الأميري تحت عنوان «التعريف بالمصحف الشريف»[2] يستطيع أن يقرأ في المصحف بغاية اليسر والسهولة[3].

يضاف إلى ذلك: ما تقوم به ـ الآن ـ الإذاعات الكثيرة ـ المسموعة، والمرئية ـ في برامجها المختلفة بعامة، ومحطات إذاعة القرآن الكريم ـ من القاهرة، وغيرها ـ بخاصة، من إذاعة القرآن الكريم، وبثها ـ ذلك ـ بوساطة مقرئين مجيدين.

وفي ذلك: خير وسيلة لتعلم وتعليم قراءة هذا الرسم، وحماية لمن يبغي التقرب إلى الله تعالى ـ تالياً أو دارساً، لكتابه الكريم ـ من الوقوع في الخطأ الفاحش، واللحن المنكر ـ كما يقولون ـ.

ولذلك: رأينا مجمع البحوث الإسلامية ـ إحساساً وإيماناً منه بهذا الدور ـ يوصي مؤتمره الخامس: هيئةَ الإذاعة ـ في جمهورية مصر العربية ـ بتقوية محطة إذاعة القرآن الكريم، ودعم رسالتها، حتى تتمكن جميع البلاد الإسلامية من الإستماع إليها، والاستفادة بإمكانياتها[4].

وبهذا يتبين لنا: أن المسألة ليس فيها من المشقة ما يصورون، ولا

---

(١) انظر: المصحف الميسر: للشيخ عبد الجليل عيسى.

(٢) انظر: ص ٥٢٣ من المصحف المطبوع بتصريح من مشيخة الأزهر الشريف ومراقبة البحوث والثقافة، وتقرير اللجنة المختصة الصادر برقم ١٣٨ في ٩ جمادى الثانية ١٣٨٨ الموافق ٢ سبتمبر ١٩٦٨م، طبع ونشر شركة الشمرلي.

(٣) المصحف الشريف: ص ١٠٤.

(٤) توصيات مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الخامس: في ٢٥/ ٣/ ١٩٧٠م.

تستحق شجاعة «مارتن لوثر»، كما يقولون، إلا إذا كان هناك تخطيط خبيث، وراءه هم بعملهم ودعواهم هذه يستخفون.

(ثالثاً): أن الرسم العثماني: أشبه بالرسم العام، الذي يجمع الأمة على كتابة كلمات كتاب ربها في سائر الأعصار، كما للغة العربية؛ فإنها اللسان العام، الذي يجمع الأمة على قراءة كتاب ربها ـ أيضاً ـ في سائر الأعصار والأمصار.

وما يكون لنا أن نفرط في أمر هذا شأنه، يجمع الشتات، وينظم الأمة في سلك واحد، لا فرق بين ماضي وحاضر وآت[1].

(رابعاً): قولهم:

«ليس في الكتاب العزيز، ولا في السنة المطهرة... إلخ».

قد تمت مناقشته عند مناقشة الدليل الأول من أدلة القائلين «بأن رسم المصحف اصطلاحي»، في هذا البحث.

ولا داعي لإعادته هنا.

(خامساً): قولهم:

(هذا الرسم: اجتهاد من الصحابة، وقد أخطأوا فيه، بسبب حداثة عهدهم بالكتابة... إلخ».

نقول ـ أيضاً ـ قد تمت مناقشة هذا القول في مناقشة الدليل الثاني من أدلة القائلين بأن هذا الرسم اصطلاحي.

---

(١) مناهل العرفان ١/ ٣٩١.

ونضيف ـ هنا ـ فوق ما ذكر هناك: ـ

١ ـ أن اختلاف هذا الرسم عن الرسم الإملائي: ليس منشؤه الخطأ، بالنسبة إلى خطوطنا، بل هو رسم، وما نكتب به رسم آخر، وإن كانا لا يختلفان كثيراً، ولم يأت الدكتور الزيات ـ ولن يتسنَّى له، ولا لغيره أن يأتي ـ بدليل يثبت خطأ الصحابة فيما كتبوه، أو يثبت صحة دعواه عليهم بالخطأ في ذلك.

٢ ـ الثابت، والواضح ـ كما في هذا البحث ـ أن الصحابة لم يخطؤا في الرسم الذي أقرهم عليه الرسول ﷺ.

وإنما الخطأ ـ بناءً على هذا ـ في عدم قدرتنا إعطاء تلاوة كتاب الله تعالى ـ بل كتاب الله نفسه ـ اهتماماً أكثر.

٣ ـ وعدم كتابة أي كتاب اليوم بخط المصحف، لا يصلح دليلاً على تخطئة رسمه؛ ذلك أن غير المصحف: يكتب على ما وضع علماء البصرة والكوفة من قواعد للكتابة العادية، والمصحف: يكتب على نهج خاص، وطريقة خاصة، تعرف من علم خاص بها يسمى «علم رسم المصحف»، وقد أشرنا إلى سمات هذا الرسم في فصل سابق.

وعدم ترك هذه الطريقة التي أقرها النبي ﷺ، واجتمعت عليها الأمة، والتزمت بها الأجيال جميعاً، أو عدم كتابة أي كتاب غير المصحف على نمطها، لا يعد مطعناً في هذا الرسم، ولا مدخلاً لتخطئته.

٤ ـ وأما الحكمة من تقييد المصحف بهذا الرسم: فكان يمكن له ـ كما يمكن لغيره أيضاً ـ أن يعرفها من معرفة فوائد هذا الرسم، وموجبات اتباعه، وهي مشهورة وواضحة، ومن ذلك: أن لا يعتمد القارىء على المصحف بل

يأخذ القرآن من أفواه الرجال، الآخذين عن رسول الله ﷺ، بالسند العالي[1].

فضلاً عن أن إخضاع المصحف لمصطلحات الخط الحديثة: ربما يجر إلى فتنة أشبه بالفتنة التي حدثت أيام عثمان رضي الله عنه، وحملته على أن يجمع القرآن، إذ ربما يقول بعض الناس لبعض، أو بعض الشعوب لبعض؛ عند اختلاف قواعدهم في رسم المصحف: رسمي خير من رسمك، أو مصحفي خير من مصحفك، أو رسمي صواب ورسمك خطأ، وقد يجر ذلك إلى أن يؤثم بعضهم بعضاً، أو يقاتل بعضهم بعضاً.

ومن المقرر: أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح[2].

ومع ذلك فربما كان الترخص في رسم المصحف المأثور قريباً ـ على نحو ما ـ من أسلوب التحريف الذي عمدت إليه إسرائيل أخيراً، وقد سبق الحديث عن ذلك[3].

(سادساً): يقولون:

«هذه الخطوط والرسوم، ما هي إلا علامات... إلخ».

ونحن نقول:

١ ـ يمكن أن لا نسلم لهم بصحة ما يقولون، فإن بعض الكلمات تكون دلالاتها على المعاني أوضح عندما ترسم بالرسم العثماني، عنها لو رسمت بالرسم الإملائي، عكس ما يقولون.

والبعض الآخر: تكون دلالته متساوية الوضوح على المعنى في الرسمين الإملائي والعثماني.

---

(١) نثر المرجان في رسم نظم القرآن: ١/ ١٢.

(٢) مناهل العرفان: ١/ ٣٩١.

(٣) الجمع الصوتي: ص ٣٨٥، وانظر: مبحث «فوائد اتباع رسم المصحف».

وبيان ذلك: أن الكلمات التي يستوي معناها في الرسمين، هي الكلمات التي لا يختلف رسمها في هذا عن ذلك، وأكثر كلمات القرآن من ذلك النوع.

أما بعض الكلمات التي يكون لها دلالات أكثر في الرسم العثماني منها في الإملائي، فهي الكلمات التي برسمها يتميز ـ ويمتاز ـ الرسم العثماني عن غيره، وهي التي تسجل له فوائده، بالإضافة إلى ذلك فهي تحمل برسمها هذا من القراءات أكثر مما لو رسمت بالإملائي.

مثل: كلمة «مالك».

في قوله تعالى: ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾[1].

فقد رسمت في جميع المصاحف بدون ألف، لتحتمل ما فيها من قراءات مثل[2]:

أ ـ قراءة: عاصم، والكسائي، وكذا يعقوب، وخلف:

بالألف مداً، على وزن سامع، اسم فاعل من ملك ملكاً بالكسر.

ب ـ قراءة الباقين:

بغير ألف، على وزن سمع، صفة مشبهة، أي قاضي يوم الدين[3].

ومثل: كلمة «مساجد».

في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾[4].

فقد رسمت في جميع المصاحف بدون ألف[5]، لتحتمل:

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

(٢) إتحاف فضلاء البشر: ص ١٥٣.

(٣) إتحاف فضلاء البشر: ص ١٥١.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٧.

(٥) إتحاف فضلاء البشر: ص ٢٩٢.

أ ـ قراءة: ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وابن محيصن، واليزيدي بالتوحيد والمراد «المسجد الحرام».

ب ـ قراءة: الباقين بالجمع، أي جميع المساجد، ويدخل المسجد الحرام دخولاً أوليا[1].

ومثل: كلمة: «لابثين».

في قوله تعالى: ﴿ لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴾[2].

فقد رسمت بدون ألف بعد اللام[3]. لتحتمل:

أ ـ قراءة: حمزة، وروح، بلا ألف: بحمله على الصفة المشبهة، وهي تدل على الثبوت، أي: صار له اللبث سجية، كحذر وفرح.

ب ـ وقراءة الباقين بالألف: اسم فاعل، من لبث بمعنى أقام[4].

فهذه الكلمات في الأمثلة الثلاثة ـ وغيرها كثير ـ لو رسمت حسب الرسم الإملائي، لضاعت علينا هذه القراءات المتواترة، التي ذكرت، وتضيع مع ذلك أجزاء القرآن.

فأي الرسمين أوضح في الدلالة على المعاني بعد معرفة ذلك...؟

وكيف إذن تكون دلالة الرسم الإملائي أوضح...؟

بل كيف يستوي الخطان، من حيث أنهما علامات ورموز...؟

---

(١) انظر: النشر: ٢/٢٧٨، إتحاف فضلاء البشر: ص ٢٨٦.
(٢) سورة النبأ، الآية: ٢٣.
(٣) سمير الطالبين: ص ١٠٠.
(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر: ص ٥٣٢.

٢ ـ وإذا سلمنا لهم ـ جدلاً ـ بتساوي الرسوم: فلم نترك هذا الرسم، الذي أقره النبي ﷺ، والذي اجتمعت عليه الأمة، إلى غيره مما ابتكر الناس، وما قد تتمخض أيامهم عنه بعد، وسنة الحياة التغيير، ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[1]، وقد عرفنا ما يترتب على ذلك من المضار والمفاسد.

٣ ـ أضف إلى ذلك: أنه لو كتب ـ أو أجيزت كتابة ـ القرآن بالرسم العادي ـ مع احتمال تغيير قواعده كما قدمنا بمرور الزمن ـ لما احتاج الناس إلى التلقين من أفواه الرجال، ولكثُرَت أخطاؤهم[2]، وفشا تحريفهم، دون من يحميهم من التردي فيها، ما داموا لا يحتاجون لموقّف يرشدهم لكيفيات التلاوة.

(سابعاً): عن إجابتهم عن نصوص العلماء التي تؤيد وجوب اتباع رسم المصحف، بقولهم:

«إن ذلك النهي: كان والعلم حيّ، غضّ... إلخ».

نقول لهم:

أيخشى الالتباس في تلاوة رسم يتلى به منذ أربعة عشر قرناً من الزمان إلى اليوم، والله تعالى حافظه إلى يوم الدين ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[3]، ولا يخشى التغيير والتبديل ـ واحتمال التحريف ـ فيه، إذا نُزِّلت رسوم القرآن على قواعد الإملاء العادي، التي لم يتفق عليها واضعوها، بل لم يستقر عليها ـ من التغيير المطاف...؟

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٢.

(٢) ذلك: أن في تلاوة القرآن أشياء كثيرة لا يمكن تلقيها إلا بالتلقين الذي يساعد عليه رسم المصحف.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩.

أم أن ذلك التعليل، والإلحاح في طلب التغيير، بسبب حمّى التجديد ـ بحق وبغير حق ـ التي أصابت هذا العصر. . . ؟

والغريب حقاً: أنهم هنا يطالبون بهذا، ويلحون فيه، ولو أدى الأمر ـ كما يقولون ـ إلى قيام ثورة مثل ثورة «لوثر»، وفاتهم ما يفعله هؤلاء الذين يقلدونهم.

من ذلك:

١ ـ أن محكمة استئناف مصر، حكمت بمصادرة مصحف؛ وعللت حكمها: بأن هذا المصحف مكتوب حسب قواعد الإملاء، ومخالف للرسم العثماني، الذي يجب أن تكتب المصاحف كلها حسب قواعده.

وكان من حيثيات حكمها ـ أيضاً ـ أن الأمم الراقية، تحافظ على آثار سلفها، وتقدمها، وتجعلها في المحل الأول من العناية والمحافظة.

ومن ذلك: أن الشعب الإنجليزي: لم يسمح لطابع ما، ولا لناشر ـ كائناً من كان، أن يكتب أشعار «شكسبير» شاعرهم العظيم، بغير لغة العصر الذي عاش فيه، مع تغيّر كثير من كلماته، وطرق إملائه عن المعهود المتداول في عصر الشاعر المذكور.

لم يسمح الإنجليز بهذا؛ لأن شعر الشاعر المذكور، أصبح في نظرهم مقدّساً، لا يجوز المساس به، حتى في طريقة إملائه[١]. . !!

---

(١) المصحف الشريف: ص ١٠٣.

٢ ـ ومرة أخرى:

حاول بعض علماء اللغة من الإنجليز: إدخال بعض الإصطلاحات في الرسوم الكتابية، فاقترحوا حذف الحروف غير المنطوقة.

مثل: الحرفين CH في كثير من الكلمات.

وكذلك: الحرف W قبل الحرف R.

وكذلك: الحرف N ومثله الحروف UHB في كثير من الكلمات حيث تكتب هذه الحروف ـ وغيرها ـ ولا تنطق.

وتقدم بعض النواب: مقترحين إقرار هذه الخطوة.

فرفض مجلس العموم ذلك الإقتراح، وندَّد به، وشدَّد على التمسك بما هو قائم[1].

أفلا يجدر بالمسلمين: وهم يقدسون كتابهم الكريم، أشدّ من تقديس الإنجليز لشاعرهم ـ ورسم لغتهم ـ أن يحافظوا على رسم المصحف[2]؟

وليعلموا أن التقاء العالم العربي ـ كما يقول المختصون ـ حول الفصحى، وعدم نجاح الدعوة إلى الكتابة العامية يرجع إلى عوامل منها: الالتقاء حول لغة القرآن الكريم[3]..!!

أفلا تحافظ ـ أيضاً ـ على لغة القرآن، ورسمه، ونحارب العامية بدل ما ندعوا إليه، ونتنازل به عن تراثنا وشخصيتنا!!

وفي ختام مناقشة هذه الدعوى.

---

(١) مجلة الأزهر: جـ ٥ سنة ٤٣ ص ٤٩٧، ٤٩٨.
(٢) المصحف الشريف: ص ١٠٣.
(٣) اللغة العربية عبر القرون: ص ١٢.

يطيب لي نقل هذا النص للأستاذ حفني ناصف.

يقول رحمه الله: ـ

«ولا نعلم أحداً تحكك في هذا الأمر ـ أي تغيير رسم المصحف ـ إلا ابن خلدون في القرن الثامن، وبعض رجال الأزهر في القرن الرابع عشر، وقد سبق ذلك[1].

وليس أحد منهما إماماً مجتهداً، والحمد لله.

قال الأول:

ما معناه: أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لم تكن استحكمت فيهم صناعة الخط، فأخطأوا في مواضع من رسم القرآن، وتابعهم على هذا الخطأ من بعدهم، تبركاً بأصحاب رسول الله ﷺ، وتكلفوا لعملهم هذا تعليلات، وحكماً، لم تخطر على بال الصحابة.

وقال الآخرون:

لو كتبنا القرآن بخطنا المستعمل الآن، دون تلك المخالفة، خرجنا من العهدة، وقمنا بالأمر أحسن قيام، كمن كلف شيئاً ففعل خيراً منه؛ لأنك قد علمت أن الخط الحاضر أحسن مما كان عليه من الطرق القديمة، التي كانت في زمن الصحابة.

ثم يقول الأستاذ حفني ناصف:

وقد أغفلوا جميعاً عن السببين الجوهريين، الذين لأجلهما انعقد الإجماع، وهما:

---

(١) انظر: مبحث القائلين بأن رسم المصحف اصطلاحي.

١ ـ أن الرسم القديم، واجب المعرفة لقبول ما يقبل من روايات القرآن، ورفض ما يرفض منها.

٢ ـ سد باب الإستحسان: مبالغة في التحفظ على القرآن، فهم: قد حفظوا شيئاً، وغابت عنهم أشياء[١].

(١) انظر: مجلة المقتطف بحث الأستاذ حفني ناصف عن الرسم العثماني.

الزعـــم الثانـي

(كتابة مصحفين)

المطلب الأول: ماذا يزعمون؟

يقولون: يوقع الرسم العثماني الناس ـ لا محالة ـ في العسر، والمشقة، ويفضي بهم إلى اللحن المنكر، والخطأ الفاحش، والتحريف المشين، والتغيير في كتاب الله تعالى، بالزيادة فيه والنقص منه.

وعليه: فينبغي أن لا تكتب به المصاحف، بل نكتبها بالرسم الإملائي الحديث.

إلا أننا لا نلغي هذا الرسم ـ العثماني ـ بالكلية، مراعاة لجهل الجاهلين به، بل يجب الاحتفاظ به؛ لأنه من آثار سلفنا الصالح، ويبقى في أيدي العارفين، الذين لا يخلو من وجودهم أي زمان.

إننا إذا أردنا أن نجعل هناك صلة حقيقية بين القرآن، وأجيالنا الجديدة، فلا بد من أن نقدم على مثل هذه الخطوة بلا تردد.

أما إذا أردنا أن تظل هناك فجوة واسعة بين هذه الأجيال الجديدة وبين القرآن، فلنرفض إذن إصدار مصحف جديد مكتوب بالخط العصري والحروف العصرية[1].

---

(١) انظر: المصحف الشريف: ص ٩٥، مجلة الهلال ع أول ديسمبر ١٩٧٠م ص ٤.

هذه هي الدعوى.

ومساندها:

١ ـ أن في ذلك احتياطاً للقرآن الكريم[١].

٢ ـ ومزيد عناية به(١).

٣ ـ التسهيل على عامة الناس، وحمايتهم من الخطأ في التلاوة.

٤ ـ التسهيل على الناشئة، والمبتدئين، والأطفال؛ حتى يشبوا وهم يألفون، ويستسهلون، القراءة في المصحف الشريف.

المطلب الثاني: مناقشة هذا الزعم.

أولاً: عن المسند الأول.

نقول: إن الاحتياط للقرآن الكريم.

هو أن يؤدّى على وجهه السليم، من أحكام التلاوة المعروفة عند علماء التجويد.

وأن يحتفظ بالرسم الذي يحفظ للقراءات القرآنية توافر شروطها دون أن يرسم برسم تضيع معه ـ كما سبق أن بينا ذلك بالأمثلة ـ.

وأن نعتني ما استطعنا بعلم كل ما يتعلق بالقرآن الكريم، وأول شيء تعلق به رسمه في المصاحف[٢]، فمن الاحتياط له أن نتعلم هذا العلم.

هذا هو الاحتياط للقرآن الكريم.

أما أن يتأول الاحتياط بما يدفع الكسالى إلى اللجوء لهذه الدعوى[٣]، فهذا ما لا يقبل ولا يستساغ.

---

(١) انظر: فصل «المذاهب في اتباع رسم المصحف»، مذهب التفصيل.

(٢) تاريخ القرآن والمصاحف: ص ١١، ١٢.

(٣) انظر: البيان ص ٢٥٩.

خاصة وأن وسائل تلقي القرآن الكريم من مُوَقِّف، أصبحت في هذا العصر سهلة المنال، وفيرة الانتشار بفضل «المصحف المرتل»، الذي يذاع كل آن، وتباع تسجيلاته في كل مكان، ومثله «المصحف المعلم».

ولماذا نتهرب من وسائل تلقي كتاب الله تعالى ـ وما أسهلها وأكثرها ـ ونحتمي بهذه الدعاوى، ولا نتهرب من وسائل تلقي أي فن وعلم غيره، ولو كان ذلك مما تشق له الطائرات أجواز الفضاء، وتمخر له السفن عباب البحار؟

ثانياً: عن المسند الثاني.

نقول: إن مزيد العناية بالقرآن الكريم من هذه الناحية.

لا تكون بالإبقاء على الهيئة المأثورة في رسمه عن السلف الصالح، من الصحابة والتابعين، مودعة ـ بعد تقادم العهد بها وفق هذه الدعوى ـ بطون المخازن، وسراديب المتاحف.

وبيان ذلك:

أنه ـ وكما سبق مراراً ـ إذا ما تمت كتابة المصحف بالإملاء العادي ـ كما يريدون ـ وأصبح الرسم العثماني أثراً في أيدي العارفين به؛ نتيجة اتباع الناس للأسهل، والموجود أمامهم، وسوف يكثر أتباع الرسم الجديد لذلك، ويتناقص أصحاب الرسم العثماني يوماً بعد يوم، ويختفي أمر هذا الرسم، ولا يعمم أو يذاع وينشر أمره في العالمين.

أقول: هذه واحدة.

والأخرى: أن يصبح في الأمة رسمان لكتاب ربها.

ففي الحالة الأولى: إذا ما ذاع أمر الرسم الإملائي، ونزل المصحف

على قواعده، التي لا تستعصى على التبدل والتغير أمام الأيام، وإذا ما حدث ذلك، يقع الناس من جديد في المشقة والحرج، الذي يدعوهم إلى التعديل والتغيير في رسم المصحف، بما يتلائم والكتابة الأحدث.

بل يمكن ـ ساعتها ـ أن تنهض من جديد دعاوى أغرب وأشذ، مثل كتابته بالعامية، أو كتابته باللاتينية[1]؛ لتسهيل تلاوته.

وقد تنشأ دعاوى أكثر غرابة وشذوذاً مثل:

أن يكتب القرآن بالحروف الصينية، لتيسير قراءته على أهلها.

أو يكتب بالحروف الأمهرية، لتتيسر تلاوته على الأحباش.

وكذلك مع اليونان وغيرهم[2].

ولا تسأل حينئذٍ عن المصاحف المكتوبة بالرسم العثماني، إلا في المتاحف، ومخازن دور التراث!!

وإذا كانت الأخرى:

وأصبح في الأمة رسمان للكتاب الكريم.

فليس في هذا ـ على ما أرى ـ إلا تفتيت وحدة المسلمين، وتمزيق صفوفهم، التي يجمعها حبل الله ـ هذا ـ المتين، برسمه التوقيفي.

وهذا في رأيي: قريب جداً، بل أقرب من «سياسة الانفصالية في التعليم، بين تعليم مدني، وتعليم آخر ديني، التي رسمها ونفذها المستشارون الأجانب للتعليم في البلاد الآسيوية والإفريقية، والتي خضعت

---

(١) مثل اقتراح عبد العزيز فهمي، وسيأتي قريباً.

(٢) انظر: الجمع الصوتي، ص ٣٨٥.

للنفوذ الإنجليزي أو الفرنسي من أمثال «المستر» دانلوب في مصر[1].

بل إن الذي نحن بصدده أكثر خطورة من هذا، وإن كان هو من نتائج هذه السياسة، وتتميماً لها، ولكن على يد المستغربين منّا.

ولا تسأل حينئذٍ ـ أيضاً ـ عن الفجوة التي كانت بين الأجيال الجديدة والقرآن ـ كما يزعمون ـ بل سل:

لماذا انقطعت الصلة، أو كادت ـ حينها لا قدر الله ـ بين الناس والقرآن الذي بين أيديهم والذي هو من صنعهم رسمه؟

أَبَعْدَ هذا:

يُرى في هذه الدعوة مزيد العناية بالقرآن الكريم، أو مزيد التضييع له ولأهله؟!!

إن القرآن يجب أن تشد إليه همم الناس، وتظهر رغبتهم الجدّية فيه، لا أن يذهب القرآن طواعية ليتشكل لهم في رسمه حسب دعاواهم، التي يدفعهم إليها الكسل والتخاذل.

ثالثاً: عن المسند الثالث.

وهو التسهيل على الناس.

فقد أوفيناه حقه عند مناقشة الدعوى السابقة في نفس هذا الفصل.

رابعاً: عن المسند الرابع.

القرآن لا يطوع ـ في رسمه التوقيفي ـ حسب أنظمة البشر، وقواعد كتاباتهم ـ ويدعى أن ذلك للتسهيل على الناشئة، وإلا فلو رغبنا في التسهيل

---

(١) الدين والحضارة الإنسانية: ص ١٣.

على الناشئة في مثل هذه الأمور العظيمة الهامة، فلن يعرفوا شيئاً، لأن طبيعة كل الأشياء لن تكون طيِّعة التغيير لهذا الغرض، وإلا لفقدت خاصيتها، وفات الغرض منها.

وهذه «حروف الحركة في اللغات الأوروبية: مضلِّلة جداً في كثير من أوضاعها، والأطفال في أوروبا محتاجون في أدائها دائماً إلى معلم مرشد، ولم نسمع ـ كما يقول الأستاذ علي الجارم ـ أنهم أرادوا بكتابتهم بديلاً ـ أو أرادوا لها تسهيلاً.

أما نحن فيظهر: أننا نحب الجديد دائماً، ونسخط على القديم دائماً»[1].

وعلى ذلك:

فليس التسهيل لهم، في تغيير رسم المصحف.

وإنما التسهيل لهم، يكون بتغيير نظم التعليم العام في الدولة، حتى يكون على الوجه التالي: ـ

أ ـ في المرحلة الإعدادية.

يكون التعليم في هذه الفترة: موحد النظام على مستوى الدولة بما في ذلك الأزهر، وخصوصاً في المواد الدينية من القرآن، وتجويده، وعلم رسمه، وتفسيره، والحديث... إلخ بجانب اللغة العربية وباقي المواد التي ينفرد كل نوع من التعليم بها مثل المواد الزراعية لطلبة الزراعة، والمواد الصناعية لطلبة الصناعة؛ وهكذا.

مع مراعاة: أن تكون المواد الدينية، مواداً أساسية، وأن يكون تعليمها نظرياً وسلوكياً.

---

(١) تيسير الكتابة العربية: ص ٥٢، ٥٣.

ب ـ في المرحلة الثانوية.

مثل المرحلة الإعدادية، مع مراعاة سن الطالب، ومستواه الثقافي، في وضع المناهج للمواد السابقة.

حتى يكون كل طالب ـ بعد انتهاء هذه المرحلة ـ قد حصّل من الدين قدراً يجعله صالحاً لدينه ولوطنه، وأهل دينه ووطنه.

ومن هذا القدر: إجادته التامة، تلاوة القرآن الكريم بالرسم العثماني[1].

جـ ـ وفي المرحلة الجامعية.

ليذهب كل حسب رغبته واتجاهه، الذي خلق الله تعالى فيه له المواهب المناسبة، وهو يحمل معه سلاحه الذي يحميه من التحايل على هذه المقدسات الدينية، والمفاخر القرآنية.

هذا... هو رأيي في مسألة النشء وقراءة القرآن.

إنما أن ننزل القرآن ورسمه طبقاً لنظم هي غير سليمة أصلاً، فهذا هو العدول منّا عن جادة الصواب، وهو الإهانة في ساحة القرآن الكريم.

وحتى يرى هذا الرأي النور: على أيدي أولى الأمر المؤمنين الصالحين.

فإن فيما يكتب للأطفال الآن: في الكتب التعليمية التي لا يذكر فيها من القرآن سوى الفقرات القصيرة، والآيات القليلة، والمقاطع للإستشهاد.

أقول: فيما يكتب من ذلك ـ وهو بالرسم الإملائي ـ الكفاية لهم ما داموا أطفالاً.

---

(١) انظر: تاريخ القرآن والمصاحف: ص ١١.

فإذا ما أصبحوا كباراً، أو تخطوا مرحلة البداية، تعين أن يعرفوا ملامح الرسم العثماني، ويدرسوا علم رسم المصحف وآداب كتابة القرآن الكريم ـ وما أسهل ذلك ـ ليتمكنوا من قراءة المصاحف دونما خطأ أو تحريف.

وقد قرر مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة في مؤتمره الرابع «وجوب المحافظة على رسم مصحف سيدنا عثمان، رضي الله عنه، في طبع مصحف كامل، أو طبع أجزاء منه، وأنه لا يجوز استعمال الرسم التعليمي ـ الإملائي ـ إلا إذا كان لبعض الآيات ضمن كتب تعليمية، أو لغرض اقتباس بعض الآيات، أو الإستشهاد بها[1].

وأوصى كذلك في مؤتمره الخامس «أن تكون طبعات المصحف بخط واضح يقرأ بالعين المجردة، مع التزام الرسم العثماني»[2].

وختاماً:

نرى أنه يمكن تحقيق هذه الأهداف الأربع ـ التي استندوا إليها في دعواهم هذه ـ دونما مساس برسم المصحف، أو تضييع لفوائده، أو سير في طريق الضرر بتركه[3].

---

(١) قرارات وتوصيات الفترة الثانية لمؤتمر مجمع البحوث الرابع.
(٢) قرارات وتوصيات الفترة الثانية لمؤتمر مجمع البحوث الخامس.
(٣) انظر: خاتمة البحث.

الزعم الثالث

(إقتراح عبد العزيز فهمي)

تمهيد:

نسوق في هذا المبحث أغرب ما قيل في معرض الدعاوى حول رسم المصحف.

وأعني به اقتراح السيد عبد العزيز فهمي بخصوص رسم القرآن - والعربية كلها - بالحروف اللاتينية.

ولقد كان يغنيني مناقشتَه في زعمه هذا، عدمُ نجاح اقتراحه، الذي تقدم به لمجمع اللغة العربية بالقاهرة في جلسته المنعقدة بتاريخ ٢/٢/١٩٤١م، والذي نادى فيه: بأن تكتب اللغة العربية بالحروف اللاتينية، وقد اعترض أعضاء المجمع على هذا الإقتراح، حتى اندثر هذا الموضوع، وطواه النسيان منذ عام ١٩٤٤م.

وهذا الاقتراح - والاعتراضات عليه - طبع ضمن مطبوعات مجمع فؤاد الأول تحت عنوان «تيسير الكتابة العربية».

إلا أن الذي دفعني إلى مناقشة هذه الدعوى: -

١ - أنه لتنفيذ اقتراحه، بكتابة العربية بالحروف اللاتينية، وجد المصحف الشريف برسمه التوقيفي حجر عثرة في طريق نجاح مشروعه، مما أدى به إلى الطعن في هذا الرسم، حتى لا يكون عائقاً في نجاح مقترحه.

٢ - وبعد أن قرأت الاقتراح الذي تقدم به، واعتراضات وردود أعضاء المجمع المذكور عليه.

لم أجد من تصدى منهم للدفاع عن رسم المصحف بصفة خاصة؛ لذا أحببت الدفاع عن رسم المصحف، أمام هذا الاقتراح، وهو في نفس الوقت سد لثغرة هامة، ما تزال مفتوحة في جبهة الاعتراضات على هذا المقترح.

٣ ـ كون هذا الهجوم، والطعن في رسم المصحف، في كتاب مطبوع، دونما ردود عليه؛ يجعله عرضة لأن يقع في أيدي المغرضين، أو الساذجين، وقد يستغل المغرضون أباطيله، وكذلك قد ينخدع الساذجون بزيف أقاويله.

لذلك: كان في ذكر هذه الدعوى ومناقشتها، قطع لأطماع المغرضين، وتنبيه، بله، حماية الساذجين.

رجاء أن يتوب الأولون، وأن يفيق الأخيرون.

هذا ولم أشأ أن أتعرض لمقترحه، إلا بالقدر الذي يتعارض مع رسم المصحف فقط.

ومن أراد قراءة الاقتراح نفسه، فعليه بالرجوع إلى «تيسير الكتابة العربية»، وسيجد فيه الاقتراح ـ المشار إليه ـ والردود عليه.

أما من أراد معرفة رأيه في رسم المصحف، ومحاولته بذلك الرأي التخلص من أكبر عامل في فشل مشروعه، وركوبه لذلك عظيم الأخطاء، فعليه بمراجعة كتاب: «الحروف اللاتينية لكتابة العربية».

والمنهج في هذا المبحث:

أن نذكر الفقرة التي يعبر فيها المؤلف ـ صاحب الاقتراح ـ عن رأيه كاملاً واضحاً، دونما أدنى تصرف، أو اختصار، مع ذكر أدلته عليه، إن وجد ذلك.

ثم نتبع ذلك بالرد ـ العلمي ـ على ما يقول ويدعي.

مبتغين الأمانة في عرض رأيه.

وراجين التوفيق من الله تعالى، في تفنيدنا له، وردنا عليه.

(الاقتراح ومناقشته)

يقول عبد العزيز فهمي:

«لقد لاحظ المسلمون في الصدر الأول، ما نلاحظه ـ الآن ـ من أن هذا الرسم (العثماني) مصيبة على العربية؛ لأنه مضلل، لا يشخصها، ولا يقي من تصحيفها، وتغيير أصل المراد بعباراتها.

فعالجوا الأمر، أولاً: بالنقط... إلخ»[1].

وللرد على ذلك نقول:

(أولاً):

لم يلاحظ أحد من المسلمين في الصدر الأول، ما يدعيه، ولا يمكنه أن يأتي بدليل واحد، أو شبهة من دليل، على هذه الدعوى.

ولم يلاحظ أحد الآن ـ فيما عداه ـ أن رسم المصحف، مصيبة على العربية.

بل الذي لاحظه ابن الجوزي قديماً:

«أن كتابة المصحف ـ بهذا الرسم ـ مما يدل على عظيم فضل الصحابة في علم الهجاء خاصة، وثقوب فهمهم في تحقيق كل علم»[2].

والذي لاحظه الأستاذ عباس العقاد حديثاً:

---

(١) الحروف اللاتينية لكتابة العربية ص ٧.

(٢) المواهب الفتحية في علوم العربية: ١/١٧.

أن رسم الكتابة العربية، بما فيها رسم المصحف، ليس مصيبة على العربية؛ لأن هذه الأمم، كانت: أقوى، وأرفع، يوم كانت كتابتها: أعسر، وأقرب إلى اللبس، والإختلاط، لقلة الشكل والإعجام[1].

والذي نلاحظه جميعاً:

أنه لا يوجد رسم من رسوم الكتابة، عربية أو غير عربية، يحتوي على مثل هذا الإعجاز، والإيجاز، الذي نجده في كثير من ألفاظ المصحف المرسومة بالرسم العثماني.

انظر مثلاً:

قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾[2] فقد كتبت كلمة «ننشزها» في المصحف أول الأمر هكذا «ىسرها» بلا نقط، وهي برسمها هذا تحتمل هذه القراءات[3]:

الأولى: ننشزها بالزاي، وضم النون الأولى، وكسر الشين.

والمعنى: نضم بعضها إلى بعض حتى تلتئم وتجتمع.

والثانية: ننشرها بالراء، وضم النون الأولى، وكسر الشين، من أنشر.

والمعنى: نحييها بعد الموت للحساب.

الثالثة: ننشرها بالراء، وفتح النون الأولى، وضم الشين، من نشر.

والمعنى: نفس معنى الثانية.

والقراءات الثلاث تحتوي على معنيين اثنين «يختلفان اختلاف تغاير لا

---

(١) تيسير الكتابة العربية ص: ٤٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٣) إتحاف فضلاء البشر: ص ١٩٤.

تناقض؛ لأن الله تعالى إذا أراد بعث الخلائق ضم عظامهم بعضها إلى بعض، حتى تجتمع، ثم يحييها للجزاء»[1].

أليس هذا.

هو الإعجاز: حيث كثرت هذه المعاني العظيمة المختلفة.

وهو الإيجاز: حيث احتملها، وقوى على التعبير عنها، لفظ واحد.

ولولا هذا الرسم، الذي لاحظ ـ صاحب الاقتراح ـ أنه مصيبة على العربية؛ ما نقلت إلينا هذه الثروة الهائلة من التشريعات السماوية التي نقلتها إلينا القراءات المتواترة، التي تحملها هذا الرسم المعجز، الباهر.

فكيف إذن يكون هذا الرسم مصيبة على العربية؟

وكيف يكون ـ كذلك ـ مضللاً، وغير مشخص لها. . . ؟

وكيف لا يقي من تصحيفها، ولولاه لما بقي للعربية، ما ينفع فيه التصحيف[2]. . . ؟

وكيف يغير أصل المراد بعباراتها، وهو الذي يتحمل رسم اللفظ الواحد وِفْقَه، الكثير من مدلولات عباراتها؟

وهذا واضح بيّن لا يحتاج إلى مزيد من البيان.

(ثانياً):

قد خالف صاحب الاقتراح، ما هو الصواب ـ وما يعرفه أجلة العلماء ـ من أمر النقط والشكل في المصحف، حيث يكرر في أكثر من موطن بكتابه

---

(١) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين : ١٥.

(٢) إذ أن القرآن الكريم برسمه هذا، هو القلعة الشامخة ضد العامية.

المذكور، تقدم نقط الإعجام على الشكل، فيما فعله التابعون، وهو خطأ واضح[1]، وأيضاً فالعلاج بالنقط لم يكن خوفاً على الناس من بقاء الرسم هكذا خالياً، ولكنه كان خوفاً على الرسم من لحن الناس الذي انتشر بينهم.

ثم يقول:

«ولا زال (أي بعد النقط والشكل) بين رسم القرآن ورسم غيره من المكتوبات، فرق غير قريب.

ولا زالت مصيبة الرسم قائمة، لم يحلها «الشكل»، الذي أفلس، بإجماع العارفين.

ولا زالت هذه المصيبة: مانعة من إمكان قراءة العربية، قراءة صحيحة، موحدة الأداء، لدى جميع القارئين».

والرد على ذلك كما يلي:

(أولاً):

لقد حكم بأن الفرق بين رسم القرآن، ورسم غيره من المكتوبات واسع، وغير قريب، وهو حكم بخلاف الواقع.

حيث إن: رسم المصحف، لا يخالف قواعد الإملاء العادي إلا في كلمات قليلة، حصرها علماء الرسم في كتبهم[2].

ومن أراد معرفة هذا الفرق ـ وهو قريب جداً ـ فأمامه المصحف

---

(١) انظر: النقط والشكل في المصحف من هذا البحث.

(٢) انظر: إرشاد القراء والكاتبين ص ٢٩أ، مجلة الأزهر ع صفر ١٣٦٨هـ، النشر: ٢/١٢٨، دليل الحيران ص: ٣٢، المقنع: للداني، مورد الظمآن في رسم القرآن: للخراز، الإعلان: لابن عاشر.

العثماني، فليقرأه خاشعاً، وليتصفحه متعلماً، ليعرف مقدار هذا الفرق.

وليعلم صاحب الاقتراح:

أنه بهذه المخالفات التي ينفرد بها رسم المصحف: يحفظ لنا الكثير من القرآن، ويتضح لنا الوجيه من الإعجاز، ويبين لنا حذق الصحابة رضوان الله عليهم، ودقة فهمهم، وروعة عملهم.

(ثانياً):

لقد حكم ـ صاحب الدعوى ـ بأن الشكل أفلس في حل مصيبة الرسم ـ كما يزعم ـ.

وهو حكم خاطىء، لأنه مبني على فهم خاطىء.

والواقع:

أن الشكل نجح تماماً فيما وضع لأجله.

وبيان ذلك:

أن الشكل، أو النقط عموماً، لم يوضع ليعالج مشكلة الرسم ـ كما يقول ـ حتى نصفه بأنه أفلس، وإنما كانت حكمة وضعه هي حماية الرسم من لحن الناس، لا حماية الناس من عيب في الرسم[1].

وليس ببعيد منا تعليل زياد بن أبيه ـ الفائت ـ عند إقناعه لأبي الأسود الدؤلي في وضع النقط في المصاحف.

حيث يقول:

«يا أبا الأسود: إن هذه الحمراء قد كثرت، وأفسدت من ألسن العرب، فلو

---

(١) تاريخ القرآن: للزنجاني ص: ٦٨.

وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم، ويعربون به كتاب الله تعالى»[1].

ولم يقل له يا أبا الأسود: إعرب كتاب الله، حتى لا تعجز هذه الحمراءَ كتابتُه، ويفسد ألسنَ العرب رسمُه.

بل كان الدافع الأول والأخير هو حماية القرآن ورسمه من اللحن الذي فشا وانتشر، والذي تصدى له ـ على مر الدهور ـ هذا القرآن الكريم، برسمه هذا المعجز[2].

بينما لم يحدث ذلك فيما قبل، وقد كان الرسم قائماً، والنقط معروفاً ـ كما سبق إثبات ذلك ـ لأن النقط حينها كان يعد عيباً وطعناً في عربيتهم وفصاحتهم.

يـا كـاتبـا كتـب الغـداه يسبنـي	مـن ذا يطيـق يـراعـة الكتـاب
لـم تـرض بـالإعجـام حيـن كتبتـه	حتـى شكلـت عليـه بـالإعـراب
أحسسـت سـوء الفهـم حيـن فعلتـه	أم لـم تثـق بـي فـي قـراة كتـاب
لـو كنـت قطعـت الحـروف فهمتهـا	مـن غيـر وصلكهـن بـالأنسـاب

وظل النهي عن استعمال النقط[3]، والإحجام عن ذلك حتى وجد الداعي، وهو لحن الناس، وفشو ذلك في ألسنتهم، ورؤي حماية للقرآن ورسمه، أن يندب النقط بدل النهي عنه، وأن يستعمل بدل إهماله، وقد كان، على الوجه الذي سبق بيانه، وأدى ـ حتى اليوم ـ رسالته على أكمل وجه.

(ثالثاً):

لقد حكم بأن:

---

(١) المحكم ص: ٣.

(٢) انظر: اللغة العربية عبر القرون ص: ١٢.

(٣) سبقت الإشارة إلى نهي بعض الصحابة.

«هذه المصيبة ـ هكذا يسمي رسم المصحف!! لا زالت مانعة من إمكان قراءة العربية، قراءة صحيحة، موحدة الأداء، لدى جميع القارئين».

وهو حكم من لا يعرف حقائق الأشياء وبديهيات الأمور.

أو حكم من يعرف، ولكنه يتجاهل، ويتغابى، ليصل لغرض يبغيه.

حيث إن القرآن الكريم: هو الذي حفظ للغة العربية وحدة الأداء وصحة القراءة لدى جميع القارئين به[1]، ولولا قراءة القرآن، وصحة أدائه بسبب رسمه العثماني، ما توحد الأداء، ولا فهم العرب كلام بعضهم البعض.

ولولا كتابة القرآن بهذا الرسم العثماني ما احتاج الناس إلى موقف يعلمهم طرق الأداء، وإجادة إخراج الحروف وتحقيقها على الوجه السليم، ولقرأ كل منهم على ما يتسنى له، فتختلف بذلك طرق أدائهم، وينفضّ بذلك اعتصامهم حول هذا الكتاب الكريم، بل ـ بالتالي ـ حول العربية الفصحى.

ولم يدع أحد أن الأداء يختلف باختلاف الرسوم سواه، حيث إن الأداء الصحيح واحد في الجميع، ولكن تختلف الرسوم من حيث تحمل بعضها لمعنى واحد، وبعضها الآخر ـ كما سبق بيانه لأكثر من معنى.

(رابعاً):

وهنا ندخل إلى غرض صاحب الاقتراح الأساسي، الذي يدخل إليه بهذه المقدمات الخاطئة، والمفاهيم المعوجّة.

إذ أنه يريد لعلاج هذه المصيبة التي يراها:

أحد شيئين، أو هما معاً:

الأول: أن تجعل كل بلد عربية، من لهجتها العامية، لغة مستقلة،

---

(١) انظر: اللغة العربية عبر القرون ص: ١٢.

قائمة بذاتها، لها نحوها وصرفها، وتكون هي المستعملة في الكلام الملفوظ، وفي الكتابة معاً[1].

ولا أرى في هذا العلاج: سوى بعد العرب جميعاً عن القرآن الكريم، بل عن العربية بعامة.

الثاني: أن تكتب العربية بحروف لاتينية، والقرآن معها كذلك.

وهو الاقتراح الذي أهمل ـ لبطلانه ـ منذ عام ١٩٤٤م، ونناقش الجزء الخاص برسم المصحف منه الآن.

ثم يقول:

«. . . إن هذا الرسم، على ما في مظهره ـ الآن ـ من جمال، لهو علة العلل، وأس الداء، ورأس البلاء.

إنه سرطان: أزمن فشوَّه منظر العربية، وغشى جمالها، ونفر منها الولي القريب، والخاطب الغريب.

وإني إذْ أقول: «سرطان»: فإني أعني ما أقول؛ لأنه كالسرطان حساً[2] ومعنى».

ونقول:

هذا كلام بحسب الواقع، لا ينطبق سوى عكسه.

إذْ لم يشوه هذا الرسم منظر العربية، بل لم يدع هذا سواه، ولم ينفر ـ أيضاً ـ هذا الرسم أحداً من العربية، وإن حاول عبثاً إدعاء ذلك.

---

(١) انظر: تيسير الكتابة العربية: ص ٢، ٣.

(٢) الحروف اللاتينية ص: ٧.

والدليل على ما نقوله:

أننا نجد كثيراً من اللغات ترسم كلماتها بهذا الرسم العربي، الذي به رسم المصحف الشريف، والذي يصفه المقترح بأنه: منفر.

فهؤلاء هم المتحدثون بالحبشية ـ مثلاً ـ في «هرر» يكتبون الحبشية بهذا الرسم، بل يدخلون في لغتهم عدداً من الألفاظ العربية.

وكأنهم بذلك: يريدون أن يثبتوا ارتباطهم بالعالم العربي الإسلامي، وتميزهم عن الأحباش المسيحيين من حولهم[١].

هذا... هو حال المسلمين في الحبشة.

بينما نحن هنا: يريدنا المقترح، أن ننقطع ـ كتابةً عن العالم العربي الإسلامي كما فعلت «تركيا»، وأن نكون ـ كتابة ـ مثل المسيحيين، كما سيأتي ذلك قريباً.

ثم يقول[٢]:

«... أقرّر أني لست مكلفاً باحترام رسم القرآن، ولست ألغي عقلي لمجرد أن بعض الناس، أو كلهم يريدون إلغاء عقولهم، ولا يميزون بين القرآن العظيم، كلام الله القديم، وبين رسمه السخيف، الذي هو من وضع الوثنيين القاصرين».

ونقول:

هذا الكلام لا يزن ـ في ميزان العلم الصحيح ـ شيئاً ـ ذلك أن: ـ

---

(١) اللغة العربية عبر القرون ص: ١٢، ١٣.

(٢) انظر: الحروف اللاتينية: ص ٢١ ـ ٢٣.

(أ) اتباع هذا الرسم: ليس إلغاءً للعقل، بل هو عين العقل، والعقل الواعي، المخلص[1].

(ب) هذا الرسم، وإن كان من وضع الوثنيين ـ كما يدعي ـ فلم يحكم أحد بسخافته ـ سواه ـ وهو حكم باطل؛ حيث يلزم عليه:

أولاً: أنه لو كان هذا الرسم سخيفاً!

لما رضيه المولى سبحانه لرسم كلماته، وكان قادراً على تعليمهم رسماً آخر، لكنه سبحانه، رضيه لهم، ولم يوفقهم لتعلّم سواه.

فثبت عدم سخافته.

ثانياً: أنه لو كان هذا الرسم سخيفاً!

لما أقر الرسول ﷺ كتّابه عليه؛ لأنه لا يقرهم على الخطأ، لكنه أقرهم عليه.

فثبت عدم سخافته.

ثالثاً: أنه لو كان هذا الرسم سخيفاً! ـ كما يدعي.

لما أجمعت الأمة عليه، إذ الأمة لا تجتمع على ضلالة، لكنهم أجمعوا عليه، والتزموه.

فثبت عدم سخافته.

ونقول ـ بعد ذلك ـ يرحم الله تعالى، من قال: «رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب»، ولكن أن يدخل صاحب الاقتراح في مناقشة الموضوع وشعاره «عدم احترام الرسم القرآني»، فما كان ينبغي له، لو كان هدفه الوصول إلى الحق.

---

(١) انظر: مبحث «فوائد إتباع رسم المصحف».

ثم يقول: معلِّلاً قرارَه الفائت:

١ ـ إن الله تعالى: لم ينزل به من سلطان، ولم يفرض علينا التعبّد له برسم القرآن.

٢ ـ إن صورة هذا الرسم التي كانت في عهد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وكتب بها المصاحف، كانت صورة بدائية، سقيمة، قاصرة، خيف من سخافتها وقصورها أن تضلل المسلمين في قراءة القرآن.

فسارع الخليفة عبد الملك بن مروان... إلخ ما يذكر من مراحل النقط والشكل.

٣ ـ ولأن رسم القرآن وثني، لأنه منقول عن النبطيين ـ كما قال المستشرقون.

وردنا على هذه التعليلات:

١ ـ يمكن بالرجوع إلى فصل «رسم المصحف: بين التوقيف والإصطلاح» من هذا البحث: الرد على التعليل الأول من هذه التعليلات الثلاث.

٢ ـ وللرد على التعليل الثاني نقول:

أولاً: أصر المقترح على خطئه في تأريخ مراحل النقط والشكل، ونحن لا نلومه على خطئه فقط، بل نلومه ـ كذلك ـ على إصراره عليه، ولا نسمح له ـ بناءً على هذا ـ أن يدس أنفه بالفتوى والتشريع، فيما لا يفقهه، إذ أن هذا هو التضليل بعينه.

ثانياً: لم يفهم هذا الباشا، أن النقط والشكل كان معروفاً، منذ القديم[1]، ولكن العرب لم يستعملوه، لصفاء قريحتهم، وسلامة سليقتهم،

---

(١) انظر: فصل النقط والشكل قديماً.

وعندما عدا اللحنُ ـ نتيجة الاختلاط بالأعاجم ـ على فصاحة ألسنتهم، سارعوا إلى حماية النص القرآني بصفة خاصة، واللغة العربية بصفة عامة، من عدوان هذا اللحن والتحريف، بإحياء النقط والشكل.

وكان هذا حماية لرسم المصحف من تحريف الألسن ـ كما قدمنا ـ لا حماية للألسن من خطأ، وقصور، وسخافة في الرسم.

ثالثاً: أنه قد حكم على صورة الرسم بالسخافة والقصور، نتيجة عدم معرفته بالحالة التي كان عليها العرب قبل الإسلام، وإبَّان ظهوره، من حيث الكتابة.

وهذا ما أوقعه في هذا الفهم القاصر، الذي أدّى به إلى الحكم بالقصور.

ولو أنه عرف درجة إجادتهم للكتابة، قبل كتابتهم للمصحف[1]؛ لما تورط في هذا التعليل.

٣ ـ وللرد على التعليل الثالث نقول:

ألا يكفي لكي نحترم هذا الرسم ـ حتى ولو كان وثنياً كما يزعم ـ:

(أ) أن الله سبحانه وتعالى، ارتضاه، وأنزل أشرف كتبه بلغةِ هذا رسمها، بل كتب به القرآن.

(ب) أن الرسول ﷺ، أقر كتَّاب الوحي على هذا الرسم، الذي يعلم جيداً أنه هو الرسم الذي كان يستعمله الوثنيون.

(جـ) أن الأمة، التي وصفها الرسول ﷺ، بأنها «لاَ تَجْتَمِعُ عَلَى

(١) انظر: «المدخل» لهذا البحث.

ضَلاَلَةٍ»[1]، أجمعت على هذا الرسم منذ كتب القرآن الكريم، حتى يومنا هذا، وإلى يوم الدين - إن شاء الله تعالى - رغم اعتراض معاليه على هذا الإجماع، وسوف نناقشه في اعتراضه على هذا الإجماع قريباً.

أقول:

ألا يكفي هذا لكي نحترم هذا الرسم. . !!

أوَيختار الله تعالى: ونعدل نحن عن اختياره.

ويقر الرسول ﷺ، كتَّابه على هذا الرسم: ثم يتمخّض الزمان بعد أربعة عشر قرناً من الزمان عمّن يعلن عن عدم احترامه لهذا الرسم الذي أقره عليه السلام.

وتجتمع الأمة المعصومة من الاجتماع على ضلالة على هذا الرسم: ثم يأتي من يعمل جاهداً لهدم هذا الإجماع الشّامخ.

نعوذ بالله تعالى من الطعن فيما اختاره الله تعالى وارتضاه لرسم كلمات كتابه الكريم. وأقره الرسول ﷺ؛ وأجمعت عليه الأمة المحمدية.

وليس رسم المصحف، في حاجة لاحترام مثل هذا الباشا، إذ أن وراءه وأمامه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝ ﴾[2] من كيد أعدائه، وجهل أوليائه.

وبعد هذا يسائل نفسه قائلاً[3]:

«أمّا كيف أريد أن أرسم القرآن»؟

---

(١) سبق تخريج الحديث ص: ٣٢٨.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٣) الحروف اللاتينية: ص ٢٥.

ويجيب على نفسه قائلاً: ـ

«إذا كان أول ما يهمني، هو المحافظة على سلامة أداء القرآن، فرأيي بالبداهة، إنما هو رسم القرآن بهذه الحروف اللاتينية، وما أضيف إليها من العربية».

ثم يقول:

«وإني أعالنك بهذا مطمئن الضمير، مراقباً لله ـ تعالى ـ وحده، فيما أقول، وما أعالن به».

وردنا على ذلك كالتالي:

أولاً: هذا هو التصريح بغرضه، الذي تقدم به ـ في اقتراح ـ إلى مجمع اللغة العربية عام ١٩٤١م.

والحمد لله تعالى لم يكتب لمقترحه التوفيق والنجاح ـ وإن كان لم يعدم له نصيراً يعضّده[١] ـ.

ولأنه قد عز عليه ـ كما يقول العقاد رحمه الله ـ أن يقنع مخالفيه، ولذا فقد بطل كلامه[٢].

ثانياً: هذا ما يقوله هو عن اقتراحه، وليس كل ما يقال ما يراد، إنما الذي يهمه ويريده، هو تنفيذ اقتراحه «كتابة العربية، وكلمات القرآن بالحروف اللاتينية».

وليس في ذلك ـ من قريب أو من بعيد ـ محافظة على سلامة أداء القرآن، كما يزعم.

---

(١) انظر الجمع الصوتي: هامش ص ٣٨٤.
(٢) تيسير الكتابة العربية: ص ٤٩.

ثالثاً: وما دام قد عالن برأيه وهو مطمئن الضمير، فلنسائله قائلين: -

١ ـ ما هي السلامة التي يتسنى معها أداء القرآن، وتجعله مطمئن الضمير، في تنفيذ هذا الإقتراح؟

الذي أعرفه: أن أعضاء المجمع المذكور، أبانوا عن أضرار بالغة ـ في تنفيذ هذا المقترح ـ سوف تلحق بالعربية بعامة.

وأرى: أن الأضرار، تجاوز مداها في محاولة تنفيذ هذا المقترح، على كتابة القرآن الكريم، بخاصة.

٢ ـ وما هو الدافع الذي يجعله مرتاح الضمير في ذلك؟

(أ) أهو مراقبة الله تعالى في المحافظة على سلامة أداء القرآن، كما يدعي. . .؟

إنه ـ والحق يقال ـ ليس ذلك أبداً.

(ب) أم هو محاكاة الترك في نبذ الرسم العربي، بما في ذلك رسم المصحف. . .؟

إن كان ذلك هو الدافع. . !!

فالأستاذ علي الجارم يقول[1]:

«لست أرى ما فعله الترك، وجهاً للعدول عن الرسم العربي:

أولاً: لأن الترك لم يهجروا كتابتهم، كما يراد أن يُفعل بنا، بل تركوا كتابة العربية، وهي ليست كتابتهم.

ثانياً: أن للترك ميلاً لتنقية لغتهم من كل ما هو عربي، فنحن لا نقيس أنفسنا بالترك ولا بغيرهم».

---

(١) تيسير الكتابة العربية ص ٥٤.

(جـ) أم أن ذلك الدافع: هو تنفيذ مخطط خبيث، تنبه له أم لم يتنبه.

وعلى هذا فأحسن الفروض.

أنه محب جاهل، وهو ما أراه.

ولكنهم ـ قديماً ـ قالوا: «عدو عاقل، خير من صديق جاهل».

ثم يتوقع ـ بعد معالنته برأيه ـ هذا ـ الاعتراض عليه، بل تصله ـ فعلاً ـ دفوع العلماء المخلصين الغيورين، معترضة على سخافاته هذه.

فيقول:

«إذا هبَّ الهبَّابون، صائحين، قائلين: إن هذا حرام لمخالفته إجماع المسلمين، الذين تواضعوا على رسم القرآن بالحروف العربية.

فأقل ما يجاب به هؤلاء الهبَّابون:

أولاً: إن المسلمين: قد خرقوا الإجماع ثلاث مرات حينما وضعوا الشكل والنقط.

ولست أعترض عليهم في خرق الإجماع ثلاث مرات، فإنهم إنما أرادوا الإصلاح ما استطاعوا، والإجماع الفاسد لا حجة فيه على أحد من المسلمين.

وأنا أيضاً أريد الإصلاح ما أستطيع فأبدل الحروف اللاتينية من الحروف العربية، وأكفي الناس سوء رسم العربية، الذي يشكوا منه الناس أجمعون.

ثانياً: إن الاعتراض بمسألة «بالإجماع»، هو تكأة العاجزين، وهم أناس مقلدون، غلف العقول إذا صرعهم الحق لملموا أشلاءهم، وهرولوا لاجئين إلى قدس الدين، والدين في قداسته ـ كما يعرف رجاله المحترمون ـ لا شأن له برسم كتابة العربية.

وهم في كل حركة وسكينة، هكذا يفعلون، ترهيباً للبسطاء، وإيهاماً وخداعاً باسم الدين، والله يشهد إنهم لكاذبون.

ثم يواصل كلامه عن الإجماع، وكيفية نشأته، ومنزلته من الدين ـ كما يراها هو ـ إلى أن يقول[1]:

«هذا هو الإجماع ـ الذي يراه هو ـ لا يجوز ألبتة، أن يعطل مصلحة من مصالح المسلمين، بل إنه إذا كشفت ظروف الأحوال عن ضرره بالجموع، وكان في اطراحه والاستبدال به خير للمسلمين، فإن واجب الحاكم الشرعي:

أن يأمر باطراحه، والاستعاضة عنه من الأنظمة والأحكام بما يحقق مصلحة الإجتماع.

وإلى هذا الواجب أشاروا إلى قواعد منها: «الضرورات تبيح المحظورات».

وأخيراً يقول:

«هذا هو مركز الإجماع، الذي يقولون عنه عند المسلمين، وإذا كانت طريقتي في رسم العربية، ورسم القرآن، تزيل الضرر، وتحقّق مصلحة المسلمين تمام التحقيق، فأعفني من زيادة الكلام في وهانة هذا الإعتراض».

ثالثاً: ثم يقول[2]:

«إذا كانت الحروف العربية وثنية، منقولة مباشرة عن الوثنيين.

فإن اللاتينية: إنما أنقلها عن النصارى، وهم أهل كتاب، أقرب من الوثنيين إلينا نحن المسلمين».

---

(١) الحروف اللاتينية: ص ٢٧، ٢٨.

(٢) الحروف اللاتينية: ص ٢٥، ٢٦.

ودفعنا لجوابه الأول، كالتالي:

١ ـ لم يخرق الإجماع ـ كما يدعي ـ حينما وضع النقط والشكل، وقد كان يصح له ذلك الإدعاء، لو أنه كان هناك إجماع سابق على المنع من النقط والشكل، ولكن ذلك لم يكن موجوداً، فلا يصح إذن أن نسمّي ما فعلوه خرقاً للإجماع.

هذا: وقد كان الموجود بالفعل كراهة بعض العلماء لوضع النقط والشكل في المصاحف، حماية للنص القرآني، فلما فشا اللحن في ألسن الناس، كان الداعي إلى النقط أشد من الداعي إلى التجريد.

فكان حدوث النقط والشكل على ما مر.

ولهذا: فهو لا يملك أن يعترض ـ كما يدعي ـ حيث لا يوجد خرق للإجماع ـ بعد ما تبين ـ يمكنه الإعتراض عليه.

٢ ـ «الإجماع الفاسد لا حجة فيه على أحد».

هذا صواب: ولكن من قال غير الأستاذ عبد العزيز فهمي: إن إجماع المسلمين على رسم المصحف[1]، إجماع فاسد؟

لقد قال ـ وحده ـ هذا، وهو والحمد لله تعالى، ليس بمجتهد، حتى يعتد برأيه، وليس بمصلح ـ كما يدعي ـ إذ لو تبين وجه الإصلاح الذي يدعيه لأعضاء مجمع اللغة العربية العربية، لوافقوه عليه، لكنه لم يوافقه أحد منهم عليه؛ ولم يستطع أن يقنع أحداً منهم، أو من غيرهم، بما يريده من إصلاح.

٣ ـ ويا ليته وضح لنا: من هم هؤلاء الناس «الأجمعون» الذين يشكون من هذا الرسم...؟

(١) سواء كان الرسم توقيفياً أم إصطلاحياً.

أعتقد أنه لم يكن ليتسنّى له أن يأتي بأجمعين من الناس يشكون من هذا الرسم، وما كان يمكنه إلا أن يأتي ببعض الكسالى، الذين هم مذبذبون، لا هم إلى المؤمنين الملتزمين برسم المصحف انضمّوا، ولا إلى جانب أعداء الدين ـ الذين لم يجدوا في هذا الرسم مطاعن ينفذون منها ـ وقفوا، وسلكوا منهجهم.

وقد ناقشنا وضع هذا الصنف فيما سبق من هذا الفصل بما لا يحتاج إلى مزيد.

أما دفعنا لجوابه الثاني فهو ما يلي: ـ

١ ـ ليس الاعتراض بالإجماع تكأة العاجزين، ولكنه اعتراض الأقوياء الواثقين، الصارع لمثل هذا الاقتراح، وليس من يعتمدون في معارضتهم لمثل هذا الاقتراح يوصفون بأنهم غلف العقول مقلدون.

إنما من لا يفهم الإجماع على حقيقته ـ كما سنرى كلامه ـ فهم في الحقيقة غُلف العقول، مقلدون، ولا أقول مبتدعون، إذ هم أقل درجة من ذلك، حيث أنهم يقلدون ـ دون وعيٍ ـ أسيادَهم.

٢ ـ أما أن الدين لا شأن له برسم كتابة العربية وبالتالي رسم المصحف: فهو كلام تتضح درجته من الضعف بعد قراءة ما كتب في هذا البحث، في مبحث «موقف الإسلام من الكتابة» و ـ كذلك ـ في فصل «رسم المصحف بين التوقيف والإصطلاح».

٣ ـ وكلامه المذكور ـ في كتابه الحروف اللاتينية ـ عن الإجماع، كلاماً مثله فيه، كمثل رجل ارتكب جريمة قتل بغرض أن يرى ـ فقط ـ صورته في الجرائد.

فلا هو أبقى على نفسه، ولا هو رأى صورته، حيث أُعْدِم.

وهو الحال هنا: فلا أبقى ـ معاليه ـ على احترامه لهذا المصدر التشريعي، ولا هو توصل لتنفيذ مقترحه، بل رحل عن دنياه أسيفا، حزين البال، ضائع المجهود.

٤ ـ ومن المعلوم: أن الإجماع لا يعطل مصلحة من مصالح المسلمين، و ـ أيضاً ـ لا تتكشف ظروف الأحوال ـ كما يقول ـ عن ضرره بالجموع بعد انعقاده. ذلك: لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة ـ كما أخبر الرسول ﷺ ـ بل تجتمع على ما فيه الخير والرشد للجموع، وما فيه خير بإجماع كل الناس في كل الأحوال والأزمان، لا يعقل أن يعطل مصلحة من مصالح المسلمين، ولا أن يلحق الضرر بهم، اللهم إلا إذا كان ضرر هذا الخير سيعوق تحقيق الاقتراح بكتابة القرآن «باللاتينية».

وهذا ما يراه الباشا.

٥ ـ يقول:

«واجب الحاكم الشرعي أن يأمر باطراح الإجماع، واستبداله بما يحقق مصلحة الاجتماع».

هذا. . . وقد سبق أن عرفنا أنه يريد من الحكام في البلاد العربية، المنفصلة سياسياً، أن يجعل كل منهم في بلده من لهجتها العامية، لغة مستقلة، قائمة بذاتها، لها نحوها وصرفها، وتكون هي المستعملة في الكلام الملفوظ والمكتوب[1].

وهنا:

يريد من الحاكم ـ بعد أن لم، ولن، يتحقق له المطلب السالف ـ أن يأمر بترك الإجماع ومخالفته.

---

(١) تيسير الكتابة العربية: ص ٢، ٣.

والغريب: أنه يسميه «الحاكم الشرعي» ألا يعلم أن الحاكم الشرعي، لن يفعل ذلك أبداً، لأنه قد غاب عنه أن ما يطالب به يسمى عند الأصوليين، نسخ.

ولا يتم ذلك أبداً.

إذ أن المقرر عند الأصوليين:

أن الإجماع دليل قطعي، ولذا فالحكم الثابت به قطعي، ولا يعقل بعد الإجماع وجود قطعي يكون ناسخاً له، لأن ذلك القطعي:

أ ـ إما أن يكون نصّاً: ولا يعقل وجوده بعد الإجماع، ضرورة تقدم النص على الإجماع.

ب ـ وإما إجماع قطعي آخر: وحينئذٍ تكون الأمة مجمعة على خطأ، وهو منفي شرعاً، إذ الأمة لا تجتمع على ضلالة.

فإذاً لا يعقل نسخه بقطعي.

كما أنه من الواضح: أن غير القطعي لا يكون ناسخاً له بحال من الأحوال[1].

والآن:

يصير بين أيدينا: ما يقوله هو بخصوص الإجماع، وما يقول به المسلمون رغم أنفه.

والفرق واضح لا يحتاج إلى تعليق.

٦ ـ وعلى الفقرة الأخيرة من هذا الجواب نقول:

أ ـ الحقيقة أنه لم يفهم بخصوص الإجماع، ما عند المسلمين، ولا ما عنده.

---

(١) انظر: مناهل العرفان ١/١٤٨.

ب ـ أي ضرر سوف تزيله طريقته؟ بل أي مصلحة تحققها طريقته؟

الذي تبيّن أن الضرر عين طريقته، والمصلحة كانت ستعدمها طريقته.

جـ ـ يقول: أعفني من زيادة الكلام في وهانة هذا الاعتراض ـ أي الإجماع ـ وأنا أقول: في متانة هذا الإعتراض.

إن الله تعالى: لم يقيض له من يوافقه على أن طريقته تزيل الضرر، وتحقق المصلحة ـ كما يدعي ـ.

أما عن الجواب الثالث فنقول:

انظر في ذلك: الرد على التعليل الثالث لقراره «عدم احترام الرسم العثماني» وقد مر قريباً.

ويمكن أن نقول أيضاً:

إن المسألة: ليست مسألة أخذ عن الوثنيين، أو النصرانيين، بل هي:

التزام بما... ارتضاه الله تعالى لرسم كلماته.

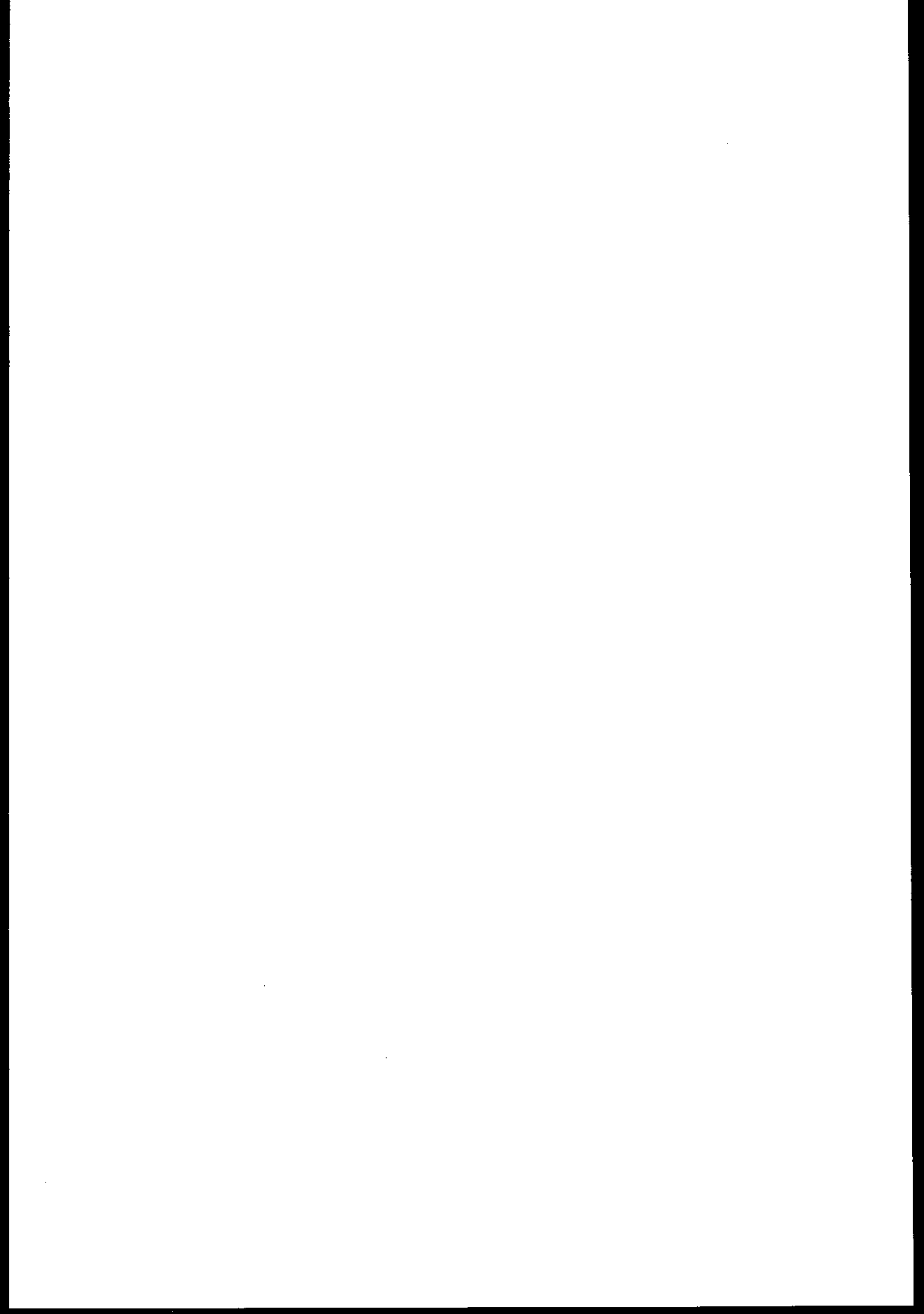
والتزام بما... أقر النبي ﷺ كتَّابه عليه.

والتزام بما... أجمعت عليه الأمة منذ ١٤ قرناً.

أقول بعد هذا: أي الاختيارين أحق أن يتبع؟؟

الخاتمة

١ ـ أهم نتائج البحث.
٢ ـ توصية الباحث.



١ ـ أهم نتائج البحث

يدور البحث ـ كما تبين ـ حول أهداف متعددة، تخدم كلها موضوعاً واحداً، وهو «رسم المصحف ونقطه»، موضوع الرسالة.

وكانت أبرز هذه الأهداف:

الأربعة التالية:

الأول:

الكشف عن درجة معرفة الصحابة، رضي الله عنهم، بفن الكتابة، لنتعرف من ذلك:

هل أخطأوا ـ كما يقول ابن خلدون ـ حينما كتبوا المصحف، وما رسم المصحف إلا من هذا القبيل...؟

أو أن هذا لم يكن؟

بل كان عملهم في غاية الدقة، والإتقان!!

الثاني: توضيح ملامح رسم المصحف، وبيان موقف المطابع منها. مع التعرف على مدى توقيفية هذا الرسم إلى النبي ﷺ.

الثالث:

العرض المسلسل تاريخياً لقصة نقط المصحف، مع الكشف عن دوافع ذلك، ومعرفة الجهود التي بذلت من أجل هذا، حتى وصل المصحف إلينا على هذا النحو، مع التأريخ العلمي لفن النقط نفسه.

الرابع:

عرض وجهات نظر: الناقدين لرسم المصحف قديماً، والداعين لتغييره حديثاً، ومناقشة كل من الفريقين؛ بغية الوصول إلى الحق واتباعه، أينما ـ وكيفما ـ كان.

وخلال الدراسة حول هذه الأهداف:

توصل البحث إلى النتائج التالية حول كل واحد منها:

(أ) فحول الهدف الأول: كانت أبرز النتائج:

١ ـ أن الكتابة كانت شائعة قبل الإسلام، وإبّان ظهوره، بين العرب، وكان يوجد بينهم المتعلمون، والمعلمون، بصورة تؤكد لنا هذا الشيوع، وتوضح لنا تمكن الكثير منهم من إجادتها، بل التخصص في ألوانها[١].

٢ ـ أنه كان بينهم في هذه الفترة: من يجيد ـ بجانب كتابة العربية ـ إجادة بعض اللغات الأجنبية، قراءة، وكتابة، ومحادثة.

٣ ـ الكشف عن معرفة هؤلاء القوم ـ بجانب ذلك ـ فن النقط والشكل، الذي توصل البحث إلى قدمه، بل إيغاله في القدم، بالرغم من عدم استعمالهم له في كتاباتهم، لأسباب ذكرت في موضعها من البحث.

٤ ـ ولما أهلَّ الإسلام، كان في الصحابة الكثير من هؤلاء، الذين يجيدون الكتابة[٢]، بل يجيدون كذلك: بعض اللغات الأجنبية ويعرفون أمر النقط في العربية، والذين تسابقوا لنيل شرف كتابة القرآن الكريم، مع

(١) انظر: المبحث الثاني من «المدخل».
(٢) انظر: كتّاب النبي ﷺ.

تحريهم الإجادة، والإتقان، فيما يكتبون، وتوافر الثقة في أمانتهم، ودقتهم، وصواب تسجيلهم لما يسمعون من القرآن الكريم.

٥ ـ وكانت كتابتهم لنصوص القرآن الكريم تتسم بالأمانة[1]، والمراجعات الدقيقة المتكررة، مع المتابعة الواعية لإرشادات النبي ﷺ لهم.

ولذلك: لما تابعوا في الرسم، الرسم الإملائي، كان ذلك عن قاعدة، ولما خالفوا، كانت مخالفتهم عن علة وحكمة.

وما كان ذلك عن جهل ـ كما يدعي البعض ـ بفن الكتابة، أو تقصير منهم في تمام العناية.

٦ ـ وقد نقل إليهم: العلم بأمر النقط والشكل، وعُلِمَ لديهم السبب في التحرج من استعماله، فاتبعوا ذلك في تجريدهم للمصحف منه، هادفين ـ أيضاً ـ إلى مقاصد من هذا التجريد، وغايات له.

٧ ـ وكشف لنا البحث ـ خلال كل هذا ـ الجهودَ المتواصلة، والعنايةَ التامة المتوافرة، لخدمة النص القرآني، والحفاظ على رسمه هذا، ابتداءً من جهود الصحابة خلال كتابة القرآن الكريم في عهودهم، حتى الجهود الصادقة الجبارة، التي بذلها التابعون في نقط المصحف وشكله، وما كانت هذه الجهود لتبذل، ثم يعقل أن يظل خطؤها، بسبب الكتابة، جاثماً على صدر رسم المصحف.

---

(١) يروي ابن أبي داود عن أنس بن مالك (أن رجلاً كان يكتب لرسول الله ﷺ، فكان إذا أملى عليه «سميعاً بصيراً» كتب «سميعاً عليماً»، وإذا أملى عليه «سميعاً عليماً» كتب «سميعاً بصيراً»، وكان قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان من قرأهما قرأ قرآنا كثيراً، فتنصر الرجل، وقال: «إنما كنت أكتب ما شئت عند محمد. قال: فمات، فدفن، فلفظته الأرض، ثم دفن، فلفظته الأرض (المصاحف ص ٣).

ولكنها العقول البشرية المتحررة!!

٨ ـ وأمكن للبحث بعد هذا كله: أن يحكم بأنهم فعلوا ما فعلوا عن بينة ودراية، وتركوا ما تركوا عن علم وغاية، ولم يجثم الجهل على صدر عملهم، أو يتخلل التقصير ثنايا جهودهم، في كتابة القرآن الكريم.

وبهذا:

تبطل كل دعوى للطعن في عملهم[١].

وتسقط كل رواية تشير إلى الخطأ في كتابة القرآن الكريم، ورسمه، نسبت إليهم[٢].

(ب) وحول الهدف الثاني:

كانت أبرز النتائج هي:

١ ـ التقسيم، والتصنيف، والتمثيل لملامح وسمات «رسم المصحف»، بعد التفرقة بين «رسم المصحف» والرسم الإملائي، والرسم العروضي، ومعرفة مدى مطابقة المكتوب للمنطوق في كل من الثلاثة، حتى يبين للداعين لتغيير «رسم المصحف» أن هذه العلة ليست لهم مؤدية فيما يدعون.

٢ ـ أن هذا الرسم حظي ويحظى من العلماء بالتصنيف، والتأليف، والتوضيح لملامحه.

٣ ـ أن الكلمات التي تخالف في رسمها الرسم الإملائي قليلة جداً، ومحصورة، ومخالفاتها هذه لعلة، وحكمة، عُلِمَتْ لنا، أو غابت عنا.

---

(١) كطعن ابن خلدون، وعبد العزيز فهمي.

(٢) انظر: فصل «شبهات حول رسم المصحف».

٤ ـ أن رسم المصحف الذي كتبت كلمات القرآن الكريم على نمطه، كان نصب أعين الصحابة، ومحط اعتبارهم، ومقصداً من مقاصدهم، خلال كتابتهم للقرآن الكريم في المرات الثلاث[١].

٥ ـ أن هذا الرسم الذي بين أيدينا في المصحف الآن، هو هو الرسم الذي كتب به الصحابة المصاحف في زمن عثمان رضي الله عنه، وأن ما كتب في مصاحف عثمان رضي الله عنه، هو هو ما كتب في صحف أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأن ما كتب في صحف أبي بكر هذه، هو هو عين ما كتب بين يدي النبي ﷺ، وبإملائه، وإرشاده، وإقراره، بملامحه الموجودة، وسماته المعروفة[٣].

٦ ـ أن الصحابة كانوا يراجعون مكتوبات بعضهم البعض ـ أثناء كتابة القرآن ـ بالتلاوة، والنظر في نفس الصحف، في كل مرات الكتابة، وذلك حتى لا تقع منهم خلال الكتابة أخطاء، ولذا لم تكن منهم هناك هذه الأخطاء، ولو أنه وقعت خلال هذه الكتابات أخطاء لناقشوا فيها بعضهم البعض، وتخالفوا حولها، ورفعوها إلى المسؤولين فيهم، كما حدث عند كتابة كلمة «التابوت».

نعم. . لو كانت أخطاء في كتابتهم لتناقشوا فيها، ونقل ذلك إلينا، كما نقل غيره، ولكن ذلك لم ينقل، فدل ذلك على أن تناقشهم لم يحدث، وتأدى بالتالي أن أخطاء لم تقع منهم.

٧ ـ أن تسمية «رسم المصحف» بالرسم العثماني، ترجع إلى الطريقة التي اتبعها عثمان رضي الله عنه، حينما فرق الرسوم المختلفة للكلمة الواحدة

---

(١) انظر: الفصل الأول من الباب الأول.

على المصاحف التي وزعها على الأمصار، واشتهر بسببها هذا الرسم.

وليست ترجع هذه التسمية إلى ابتكار عثمان رضي الله عنه «رسم المصحف»، أو مخالفته بما رسم رسماً غيره، مما كان مكتوباً به بين يدي النبي ﷺ.

٨ ـ أن هذا الرسم منذ أن أكسبه عثمان رضي الله عنه الصفة الرسمية، وعمل على نشره، وإذاعته، وهو ـ وكما كان قبل ذلك ـ محل إجماع المسلمين، حتى وقتنا هذا، بعد أن اكتسب فيما سلف إجماع الصحابة رضوان الله عليهم ـ عليه.

٩ ـ أن حجج القائلين بأن هذا الرسم توقيفي عن رسول الله ﷺ، هي الأقوى، في ميدان الحديث عن نوع شرعية هذا الرسم[1].

١٠ ـ أن هذا الرسم: بصورته التي رسمه بها الصحابة، لم يكن عَرِيّاً عن الغرض، ولا كان مجيئه بهيئته التي كان بها، من باب العجز، أو المصادفة، بل كان الصحابة رضوان الله عليهم، متعمدين إيَّاه، قاصدين فوائده، مجردينه من النقط والشكل ـ مع معرفتهم لذلك ـ لأسباب عندهم.

(جـ) وحول الهدف الثالث

كانت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: ـ

١ ـ أن النقط كان قديماً في الكتابة العربية، وكان معروفاً أمره لدى العرب بصفة عامة، ولدى الصحابة بصفة خاصة.

٢ ـ أن الصحابة رضي الله عنهم جردوا الصحف، ثم المصحف من النقط والشكل، خلال كتابة القرآن الكريم في العهود الثلاثة، لأسباب ـ كما

(١) انظر: فصل «توقيفي أم اصطلاحي» من الباب الثالث.

سبق أن قلنا ـ ذكرت في موضعها، مع كونهم آمنين من وقوع الخلط والخطأ في القراءة بسبب هذا التجريد.

٣ ـ أن دخول النقط ساحة المصحف بعد ذلك، في عهد التابعين رضي الله عنهم، كان لحماية المصحف ورسمه، من عجمة الألسنة، وفشو اللحن فيها، ومخافة أثر ذلك في تلاوة القرآن الكريم[١]، ولم يكن تجديد النقط وإحياؤه لحماية الناس من خطأ في الرسم، كما يدعي عبد العزيز فهمي[٢].

٤ ـ أن أول من وضع النقط الإعرابي في المصحف: هو أبو الأسود الدؤلي.

وقد ناقش البحث: أبا عمرو الداني، والشيخ الزرقاني، والدكتور أبو شهبة، والدكتور غزلان، والدكتور الكومي، والدكتور القاسم. في محاولاتهم للتوفيق بين اختلاف المراجع في نسبتها أوليّة النقط إلى أبي الأسود، أو نصر بن عاصم، أو يحيى بن يعمر، أو الحسن البصري.

مبيناً أن السبب الذي أوقعهم في الخلط في هذه النقطة، هو عدم تفرقتهم بين مراحل النقط الثلاثة، وأهدافها المتغايرة.

وقد وصل البحث إلى توضيح هذه المراحل على النحو التالي: ـ

المرحلة الأولى:

وضع النقط الإعرابي، وقد قام بذلك أبو الأسود الدؤلي، واضعاً لهذه

---

(١) انظر: الفصل الثاني من الباب الثاني.

(٢) انظر: اقتراح عبد العزيز فهمي.

النقط على أواخر الكلم فقط، ثم كان تعميمه على كل أحرف الكلمة بفعل نصر بن عاصم.

المرحلة الثانية:

وضع نقط الإعجام، وقد قام بذلك، نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر.

المرحلة الثالثة:

المغايرة بين نقط الإعراب، ونقط الإعجام بشيء غير المداد، وكان ذلك بإختراع الخليل بن أحمد للشكل الإعرابي، على النحو الماثل بين أيدينا الآن.

٥ ـ الكشف عن كيفية وضع النقط المتحد الطريقة، مع القراءات المتنوعة، المتعددة، المتغايرة من حيث هذا النقط، وذلك في أول أمر نقط المصاحف.

٦ ـ بيان موقف الناس والعلماء، من حيث اتباعهم أول الأمر للنقط، وكراهتهم لذلك.

٧ ـ الوصول من ذلك كله: إلى أن العناية، والحيطة الشديدة، ومراقبة الله تعالى، كانت الرائد للصحابة والتابعين، في جهودهم المتواصلة لخدمة الكلمات القرآنية.

(د) وحول الهدف الرابع:

توصلت الدراسة إلى:

١ ـ أن الناقدين لرسم المصحف قديماً، قد اعتمدوا في نقدهم هذا على روايات ضعيفة، وشبه واهية، لا يمكن لها أن تناهض الثابت من دقة عمل الصحابة، وتحريهم إرشادات النبي ﷺ، ومتابعتهم الواعية، لإملائه

الشريف عليهم، وكذلك يقظتهم وفطنتهم، ودقتهم خلال كتابة القرآن الكريم، وكذلك الجهود الصادقة المتواصلة، والعناية التامة المتوافرة، لخدمة النص القرآني، والحفاظ على رسمه، في المرتين التاليتين للكتابة الأولى في عهد النبي ﷺ.

٢ ـ وأن الداعين لتغييره حديثاً، ينقسمون إلى فرق ثلاث:

الفرقة الأولى: تنادي بكتابة المصحف بالرسم الإملائي.

الفرقة الثانية: تنادي بكتابة مصحفين.

الفرقة الثالثة: تنادي بكتابة المصحف بالحروف اللاتينية.

٣ ـ وفي مجال مناقشة أصحاب هذه المزاعم:

أ ـ كشف البحث وجه الحقيقة في الصعوبات التي يتخيلها هؤلاء في إتباعهم لرسم المصحف.

ب ـ ثم بين أن هذه الدعاوى إن لم تكن دعاوى مضلِّلة، وهادفة ـ وهي كذلك ـ فهي ليست سوى موجة من الكسل والتراخي الديني، ونشطة في التقليد، ورغبة في التجديد، مسايرة لروح العصر، خطأً كانت مسايرتهم هذه أو صواباً، ولكنها عندهم هدف.

جـ ـ وأوضح البحث المضار في:

ترك رسم المصحف، والعدول عنه إلى الرسم الإملائي.

وأن أخطر هذه المضار، هو ضياع القراءات.

وكذلك في كتابة مصحفين في أمة واحدة لكتاب واحد في دين واحد.

د ـ وأبان عن تفاهة الاقتراح بكتابة المصحف بالحروف اللاتينية.

٤ ـ وتوصل في النهاية إلى أن «رسم المصحف» يسلم من كل هذه الطعون، وما أصحابها إلا:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يهنها وأوهى قرنه الوعل

وأن اتباعه واجب، انعقد عليه إجماع الأئمة وعلماء الأمة؛ استهدافاً لفوائد اتباعه التي بينها البحث، وكسباً لمزاياه، واقتداءً منا لسلفنا الصالح الطاهر رضوان الله عليهم.

٢ ـ التوصية

يتعين علينا:

توفيقاً بين ما يجب علينا لرسم المصحف من الالتزام، والاحترام، والمحافظة عليه، وبين ما يهدفون إليه في تسهيل قراءة القرآن الكريم.

إن كان ذلك هدفهم..!!

وتخلّصاً من الاختلافات التي تبرر لأصحاب هذه المزاعم الجهر بدعاواهم.

ذلك أنه يدعوهم إلى ما ينادون به ـ وأخصّ المخلصين منهم فقط ـ ما يرونه من:

(١) إختلاف الكتابة العثمانية عن الكتابة الإملائية المعروفة، مما يسبب لكثير من القارئين، وبعض المثقفين، الخطأ المشين في قراءة كتاب الله تعالى، وما قد يصاحب ذلك من إثم وحرج.

(٢) بُعد الناشئة عن ساحة القرآن الكريم، بسبب هذا الرسم ـ كما يقولون ـ مما يساعد على توسيع الفجوة بين المسلمين مستقبلاً وبين كتاب ربهم.

(٣) اختلاف الخطوط بين مصاحفنا في الشرق، وبين مصاحف إخواننا في المغرب العربي، وقد قال فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر ـ أنه نفسه ـ لولا حفظه للقرآن الكريم لوجد صعوبة كبيرة في مواصلة القراءة بالخط المغربي[1].

---

(١) انظر: مجلة الوعي الإسلامي عدد ٨٦ ص ٤١.

وهو اختلاف لا يوائم طبيعة القرآن، الذي يعتبر أتباعه أمة واحدة[1]، وقد سبق توضيح هذه الخلافات بنماذج في هذا البحث.

(٤) اختلاف بعض علامات الضبط نفسها من مصحف لآخر، فعلامة التشديد ـ مثلاً ـ: ـ

يجعلها أهل المدينة: (د) دالاً؛ وذلك على أن الدال اختصار كلمة (شديد)، من حيث إن هذا الحرف هو آخر هذه الكلمة.

والنحويون، ونقاط المشرق: (شـ) بالشين ـ أيضاً ـ اختصاراً، من حيث إن هذا الحرف هو أول كلمة (شديد)[2].

(٥) اختلاف مصاحف المصر الواحد في رسم بعض الكلمات[3].

فهذه مصاحف العراق اختلفت في رسم كلمة «تقاته» من قوله تعالى: ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾[4]، ففي بعضها: بألف ثابتة بين القاف والتاء، هكذا (تقاته)، وفي بعضها: بغير ألف بين القاف والتاء، هكذا (تقته)[5].

هم بهذا ـ ولغيره ـ يرون تغيير رسم المصحف، ويريدون كتابته حسب الإصطلاحات الإملائية المعروفة، سواء كان ذلك في كل المصاحف، لا فرق بين عامة وخاصة، أو كان برسم إملائي للعامة، وبقاء رسم المصحف للخاصة.

وقد تمت مناقشة هذه الآراء في فصل سابق، ولكننا ـ مع ذلك ـ ابتغاءَ

---

(١) انظر: الجمع الصوتي ص ٣٩٩.
(٢) انظر: المحكم في نقط المصاحف ص ٥٠، ٥١.
(٣) الجمع الصوتي ص ٤٠٠.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.
(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر ص ٢٢٠.

وجه الحق، وأَمَلاً في جمع الكلمة تحت راية واحدة، وتخليصاً للمخلصين من حيرة قد توقعهم فيها هذه المزاعم، ورغبة حقيقية في توحيد رسم كلمة الكتاب العزيز، وعودة بها إلى شبه ما كانت عليه في رسومها أيام مصاحف عثمان رضي الله عنه.

يوصي الباحث:

أولاً: بتكوين لجنة من علماء المسلمين يمثلون جميع الطوائف والمذاهب الإسلامية في جميع أنحاء العالم[1] تكون مهمتها: الإشراف على طبع المصاحف في كل البلاد الإسلامية بحيث لا يتم طبع ـ أو إعادة طبع ـ أي مصحف إلا بتصريحها.

مع توفير كل الإمكانات القانونية على أعلى المستويات لهذه اللجنة لكي يتاح لها تنفيذ مهمتها على أكمل الوجوه، وفي نفس الوقت يتاح لنا أن نرى طبعات المصحف موحدة، ومرسومة بالرسم العثماني، في جميع أنحاء البلاد.

وهو هدف كبير وجليل تعمل «إدارة البحوث والنشر» بمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ـ إلى جانب مهامها الأخرى ـ جاهدة لتحقيقه، وتبذل في ذلك الجهود المستمرة.

إلا أنه قد يعوقها في ذلك: ـ

(أ) أن القائمين فيها بعملية التصحيح والمراجعة التي تتم قبل طبع أي مصحف، قليلو العدد بالنسبة لصعوبة العمل المنوط بهم، ودقته[2].

---

(١) وكونها على هذا الشكل؛ ليتحق لعملها الامتثال من جميع البلاد الإسلامية.

(٢) انظر: مجلة الوعي الإسلامي (عدد ٨٦ ص ٣٦ وما بعدها).

(ب) عدم توفر الضمانات القانونية، التي تمنع من صدور مصاحف تتم بغير إشراف وموافقة الإدارة؛ مما يساعد على التحريف أحياناً[١].

(جـ) عدم وجود علماء من البلاد الإسلامية الأخرى ضمن لجان التصحيح والمراجعة هذه، مما يعطي الثقة ـ لو كان كذلك ـ إلى أصحاب هذه البلاد التي يوجد من علمائها من يكون ضمن هذه اللجان.

(د) عدم الاتفاق على حلّ للخلافات البسيطة التي توجد بين خط أهل المشرق، وخط أهل المغرب والذي عرفنا أن هذا الخلاف لم يكن موجوداً حين وضع أسلافنا العظام النقط والشكل ولكن هذا الخلاف حدث بعد ذلك[٢]، وعلاجه سهل وممكن لو اتجهت النوايا إلى ذلك، وهو أمر يدفعنا إليه نتائجه العظيمة من التقريب بين أصحاب هذه الخطوط المختلفة حول رسم القرآن.

لذلك نرى العمل بكل الطرق، وأسرعها، على تمكين، «إدارة البحوث والنشر» من القيام بعملها الذي تهدف إليه، مع ضمّ أعداد العلماء الذين يمثلون العالم الإسلامي كله للجان هذه الإدارة، مع تنظيم مواعيد لقاءاتهم واجتماعاتهم، طبقاً لما يرى المختصون في ذلك.

وسوف يتم بهذه اللجنة:

توحيد طبعات المصحف في أنحاء العالم الإسلامي و ـ كذلك ـ توحيد رسمه على ما سيتبين لنا في النقطة التالية:

ثانياً: كتابة المصحف بالرسم العثماني الذي رضيه الله تعالى لرسم

---

(١) انظر: مجلة الوعي الإسلامي (عدد ٨٦ ص ٣٦ وما بعدها).

(٢) انظر: فصل «النقط والشكل في المصحف» من هذا البحث.

كلماته، وأقره الرسول عليه الصلاة والسلام، وأجمعت عليه الأمة، منذ ١٤ قرناً من الزمان، وشدد العلماء في وجوب التزامه.

أقول كتابة المصحف بهذا الرسم العثماني وحده، طبقاً لما أقره مؤتمر علماء المسلمين الرابع والخامس بمجمع البحوث الإسلامية، من وجوب المحافظة على رسم مصحف سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه، في طبع القرآن الكريم في مصحف كامل، أو في طبع أجزاء منه، مع عدم التصريح باستعمال الرسم التعليمي (الإملائي)، إلا إذا كان لبعض الآيات ضمن كتب تعليمية، أو لغرض اقتباس بعض الآيات، أو الاستشهاد بها[١].

مع مراعاة ما تراه لجنة الفتوى بالأزهر الشريف من التسهيل على من لا يحسنون القراءة في المصحف العثماني، وذلك يكون: بالتنبيه في ذيل كل صفحة من صفحات المصحف على ما يكون فيها من الكلمات المخالفة للرسم الإملائي المعروف[٢]. وهي كلمات يرى المطالع للمصحف أنها ـ جد ـ قليلة، وهذا هو نفس ما فعله الشيخ عبد الجليل عيسى، في (المصحف الميسر)، يقول في مقدمته لهذا المصحف: «رأينا: أن نجمع بين التسهيل على القارىء، والمحافظة على أصل رسم المصحف الإمام، فوضعنا على كل كلمة تخالف الرسم المعتاد رقماً، ووضعنا أمام هذا الرقم في هامش المصحف: الكلمة بالرسم المعتاد»[٣].

ونرى أنه يمكن إلى جانب ما تراه لجنة الفتوى وهو ما فعله الشيخ عبد الجليل أن ينبه في الهامش أيضاً ـ على ما يكون من الكلمات المخالفة

---

(١) انظر: قرارات وتوصيات الفترة الثانية لمؤتمر مجمع البحوث الرابع، والخامس.

(٢) انظر: مجلة الأزهر (المجلد السابع ص ٧٣١).

(٣) من مقدمة المصحف الميسر للشيخ عبد الجليل عيسى، نشر: دار القلم.

للخط المغربي، وهي حروف ـ وليست كلمات ـ قليلة، حتى يتسنى التوحيد ـ بهذا العمل ـ بين مصاحف جميع المسلمين في جميع الأنحاء الإسلامية.

وأن يكون هذا العمل في جميع المصاحف، دون ذكر لكلمة العامة والخاصة هنا.

ولا يمكن أن يحتج على ذلك أحد بكثرة النفقات. !!

ثالثاً: أن يعمم التلقين الشفاهي بكل وسيلة ممكنة، ذلك أن القرآن ـ كما قدمنا ـ لا يكتفى فيه، بالتلقي من السطور وحدها، بل لا بد مع هذا التلقي الأخذ عن المشافهة التي تحقق اتصال السند برسول الله ﷺ.

«ونظراً لأن التلقين الشفهي ـ فيما هو معلوم ـ غير متاح للكثيرين نتيجة قلة المحفّظين في كثير من المناطق، ولتعذر ملازمة الكبار لهم»[1].

فنحن نرى، مع الدكتور «لبيب السعيد»: أن الجمع الصوتي ـ المصحف المرتل ـ هو وسيلة البشرية، ووسيلتها الوحيدة والفعّالة، والمؤدية بكل نجاح وأمان إلى هذا التلقي الشفهي.

وهذا الجمع الصوتي[2] الذي جاهد من أجله وثار وصبر الدكتور لبيب السعيد هو الذي أفردت له مصرنا العزيزة ـ اعترافاً وإيماناً بعظمة ونجاح وسيلة التلقي هذه ـ برنامجاً خاصاً بين برامج الإذاعة يسمى (محطة القرآن الكريم)، وتذيع المصحف المرتل أيضاً كثير من المحطات والبرامج الأخرى في الأوقات المختلفة.

---

(١) د. لبيب السعيد الجمع الصوتي الأول (ص ٤٠٢).

(٢) انظر: الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم تأليف الدكتور لبيب السعيد وفيه الحديث عن بواعث ومخططات «المصحف المرتل» (ويقع هذا الكتاب في ٦٣٧ صفحة ط. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة).

وهذا الجمع الصوتي - المصحف المرتل - هو الذي خصصت له السعودية - حفظها الله - إذاعة خاصة ابتداءً من شهر صفر ١٣٩٢هـ مارس ١٩٧٢م في كل من الرياض وجدة.

والبقية تأتي...

وأقول: إذا كان أصحاب الدعوات التي تقدموا بها في مجال الرسم العثماني صادقين في نواياهم، فليوجهوا دعواتهم إلى تعميم هذه الوسيلة للتلقين الشفاهي في المدارس وجميع دور التعليم - في هذا البلد الإسلامي - بدل تعميم موسيقى «الفالس» و«الجاز»... إلخ.

وأن يخلقوا في الناس الرغبة في تلاوة القرآن الكريم، ويوجهوهم إلى أيسر الطرق، بدل أن يعبثوا - معهم - في البحث عن تغيير رسم المصحف.

ولو خلقت الرغبة: لتمكن كل إنسان من القراءة دونما خطأ أو تعثر بفضل هذا المصحف المرتل، وما وجدته بنفسي في فلاح بسيط يتلو في كتاب الله المرسوم بالعثماني متابعاً القارىء من محطة القرآن الكريم دونما وقوع في الخطأ، ليقطع على كل متنطع طريق الهروب من ساحة الرسم العثماني.

وليوجهوا دعواتهم إلى أن تكثر الحكومة من إهداء إسطوانات هذا المصحف المرتل إلى جميع البلاد حتى يكون - بجانب كونه وسيلة للتلقين الشفهي - رسولاً وداعية إلى توحيد طبعات المصحف في جميع أنحاء العالم، وتذويب الفوارق بين الرسم العثماني والإملائي والمغربي.

هذا... هو رأيي الذي أقدمه على استحياء، مبتغياً به وجه الله تعالى، وخدمة كتابه الكريم، وهو الذي قادني إليه البحث، وهدتني إليه الرغبة الصادقة في العمل على توحيد صفوف المؤمنين، حول رسم كلمات القرآن الكريم.

فإن أكن ـ فيه وبه ـ قد أصبت، فهو توفيق الله تعالى، وليس لي فيه أي شيء، إذ الكل لله تعالى، مالك الملك، وهو المستعان والمعين، فبقدرته كتبت، وبتوفيقه وصلت.

وإن لم أكن كذلك، فحسبي:

أنني ابتغيت بهذا العمل وجه الحق تعالى وأعرف أن من ابتغى الحق خالصاً لوجه الله تعالى فأخطأ فله ـ بتفضل الله تعالى ـ على ما بذل أجر.

ويعزيني ـ أيضاً ـ ما أعرفه من أن الحياة كلها متاعب، ولأن نعاني متاعبها ونحن نصعد نحو الحق ونسلك طريقه: خير من أن نعانيها ونحن ننحدر نحو الباطل ونتردى في مهاويه.

وأضرع إلى الله تعالى ـ دائماً ـ أن يجعل كل كلمة كتبتها على صفحات هذا البحث، وكل رأي أبديته خالصاً لوجهه تعالى.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٨].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فهرس المراجع

«أ»

١ ـ **الإبانة**، تأليف: مكي بن أبي طالب ت ٤٣٧ هـ تحقيق: دكتور عبد الصبور شاهين. طبع: مكتبة نهضة مصر بالفجالة ١٩٦٠ م.

٢ ـ **إبراز المعاني**، تأليف: (أبو شامة) عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ت ٦٦٥ هـ. طبع: مصطفى الحلبي ١٣٤٩ هـ.

٣ ـ **أبو الأسود الدؤلي**، تأليف: الأستاذ علي النجدي ناصف. إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٦٨ م.

٤ ـ **أبو علي الفارسي وأثره في القراءات والنحو**، تأليف: دكتور عبد الفتاح شلبي الطبعة الأولى ١٩٥٧ م.

٥ ـ **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، تأليف: الدمياطي البنا ت ١١١٧ هـ طبع: المطبعة العامرة ١٢٨٥ هـ.

٦ ـ **الإتقان في علوم القرآن**، تأليف: جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ (أ) الطبعة الثانية: مطبعة المعاهد بالجمالية ١٩٣٥ م. (ب) الطبعة الأولى: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. طبع: مكتبة المشهد الحسيني ١٩٦٧ م.

٧ ـ **أحكام القرآن**، تأليف: ابن العربي ت ٥٤٣ هـ. تحقيق: علي محمد البجاوي. طبع: عيسى الحلبي ١٩٦٧.

٨ ـ **أدب الكتاب**، تأليف: الصولي ت ٣٣٦ هـ. تصحيح: الأثري ـ طبع المطبعة السلفية ١٣٤١ هـ.

٩ ـ **إرشاد الحيران إلى ما يجب اتباعه في مرسوم القرآن**، تأليف: محمد بن خلف الحسيني (بذيل: الرحيق المختوم). (انظر: الرحيق المختوم).

١٠ ـ **إرشاد القراء والكاتبين إلى معرفة رسم الكتاب المبين**، تأليف: رضوان بن محمد المخللاتي. (مخطوط ـ مكتبة الأزهر (٢٤١) ٢٢٢٤٨ قراءات).

١١ ـ **الإسلام والحضارة العربية**، تأليف: محمد كرد علي، طبع: مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٦ م.

١٢ ـ **الاستيعاب**، تأليف: ابن عبد البر ت ٤٦٣ هـ الطبعة الأولى (بهامش الإصابة) مطبعة السعادة ١٣٢١ هـ.

١٣ ـ **الإعلان بتكملة مورد الظمآن في رسم القرآن**، تأليف: ابن عاشر ت ١٠٤٠ هـ طبع: مطبعة الاستقامة ـ الطبعة الأولى ١٣٦٥ هـ.

١٤ ـ **الأغاني**، تأليف: أبي الفرج الأصفهاني ت ٣٥٦ هـ طبع: دار الكتب ـ بولاق.

١٥ ـ **الاقتضاب في شرح أدب الكتاب**، تأليف: البطليوسي ت ٥٢١ هـ. طبع: المطبعة الأدبية ـ بيروت ١٩٠١ م.

١٦ ـ **إنباه الرواة على إنباه النحاة**، تأليف: علي بن يوسف القفطي ت ٦٤٦ هـ. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم طبع: دار الكتب المصرية ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥ م.

١٧ ـ **إيقاظ الأعلام لوجوب إتباع رسم المصحف الإمام**، تأليف: محمد بن حبيب الله الشنقيطي. طبع: مطبعة المعاهد بالجمالية ١٣٤٥ هـ.

«ب»

١٨ ـ **البرهان في علوم القرآن**، تأليف: بدر الدين الزركشي ت ٧٩٤ هـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم طبع ونشر: عيسى الحلبي ١٩٥٧ م.

١٩ ـ **بحوث قرآنية**، مجموعة أبحاث تدور في فلك القرآن الكريم وعلومه. إصدار: مجمع البحوث الإسلامية ـ بالقاهرة.

٢٠ ـ **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تأليف: السيوطي ت ٩١١ هـ الطبعة الأولى ـ على نفقة الخانجي ١٣٢٦ هـ.

٢١ ـ **البيان في مباحث من علوم القرآن**، تأليف: دكتور عبد الوهاب غزلان. طبع: مطبعة دار التأليف ١٩٦٥ م.

٢٢ ـ **البيان والتبيين**، تأليف: أبو عمرو الجاحظ ت ٢٥٥ هـ تحقيق: عبد السلام هارون ١٩٤٨ م.

«ت»

٢٣ ـ **تاج العروس**، تأليف: السيد محمد مرتضى الزبيدي طبع: دار صادر ـ بيروت ١٩٦٦ م.

٢٤ ـ **تاريخ الأمم والملوك**، تأليف: ابن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ طبع: المطبعة الحسينية المصرية ـ القاهرة.

٢٥ ـ **تاريخ التربية الإسلامية**، تأليف: دكتور أحمد شلبي الطبعة الرابعة: نشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٣ م.

٢٦ ـ **تاريخ الخط العربي وآدابه**، تأليف: محمد طاهر بن عبد القادر الكردي.

٢٧ ـ **تاريخ القرآن**، تأليف: إبراهيم الإبياري نشر: دار القلم ١٩٦٥ م.

٢٨ ـ **تاريخ القرآن**، تأليف: أبي عبد الله الزنجاني، نشر: لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٣٥ م.

٢٩ ـ **تاريخ القرآن**، تأليف: دكتور عبد الصبور شاهين، نشر: دار القلم ١٩٦٦ م.

٣٠ ـ **تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه**، تأليف: محمد طاهر بن عبد القادر الكردي، طبع: مصطفى الحلبي ـ الطبعة الثانية ١٩٥٣ م.

٣١ ـ **تاريخ القرآن والمصاحف**، تأليف: موسى جار الله رستو فدوني. طبع: المطبعة الإسلامية ببطرسبرج.

٣٢ ـ **تاريخ اللغات السامية**، تأليف: دكتور إسرائيل ولفنسون.

٣٣ ـ **تأويل مشكل القرآن**، تأليف: ابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ تحقيق: السيد أحمد صقر دار التراث ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٧٣ م.

٣٤ ـ التبيان في آداب حملة القرآن، تأليف: أبي زكريا النووي ت ٦٧٧ هـ طبع: مصطفى الحلبي ١٩٦٠ م.
٣٥ ـ التذكار في أفضل الأذكار، تأليف: أبي عبد الله القرطبي ت ٦٧١ هـ نشر: محمد أمين الخانجي ـ الطبعة الأولى ١٣٥٥ هـ.
٣٦ ـ تطور الكتابة العربية، تأليف: السعيد الشرباصي، طبع: دار التأليف ١٩٤٦ م.
٣٧ ـ تفسير أبي حيان، تأليف: أبي حيان الأندلسي ت ٧٤٥ هـ، طبع: مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٢٨ هـ.
٣٨ ـ تفسير ابن كثير، تأليف: ابن كثير ت ٧٧٤ هـ. نشر: المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ـ ١٩٣٧ م.
٣٩ ـ تفسير القرطبي، تأليف: القرطبي ت ٦٧١ هـ، طبع: دار الكتب المصرية ١٩٣٣ ـ ١٩٥٠ م.
٤٠ ـ تفسير الزمخشري، تأليف: جار الله الزمخشري ت ٥٢٨ هـ، طبع: مصطفى محمد ـ القاهرة ١٣٠٨ هـ.
٤١ ـ تفسير الفخر الرازي، تأليف: فخر الدين أبو الفضل الرازي ت ٦٠٦ هـ. طبع: المطبعة المصرية، عبد الرحمن محمد.
٤٢ ـ تفسير المراغي، تأليف: الشيخ المراغي. طبع: الحلبي ١٩٥٣ م.
٤٣ ـ تفسير النيسابوري، تأليف: نظام الدين النيسابوري ت ٨٢٨ هـ، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، طبع: مصطفى الحلبي ١٩٦٢ م.
٤٤ ـ التفسير والمفسرون، تأليف: دكتور محمد حسين الذهبي، نشر: دار الكتب الحديثة ـ الطبعة الأولى ١٩٦١ م.
٤٥ ـ التنبيه والإشراف، تأليف: المسعودي ت ٣٤٦ هـ طبع: ليدن ١٨٩٣ م.
٤٦ ـ تنزيه القرآن الشريف عن التغيير والتحريف، تأليف: عبد الباقي سرور نعيم، طبع: مطبعة الجمالية ١٣٣١ هـ.

٤٧ ـ **تهذيب التهذيب**، تأليف: ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ طبع: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ـ الهند ١٣٢٧ هـ.

٤٨ ـ **تيسير الكتابة العربية**، من مطبوعات مجمع اللغة العربية ـ المطبة الأميرية ١٩٤٦ م.

«ج»

٤٩ ـ **الجامع الصغير**، للسيوطي ت ٩١١ هـ. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، نشر: المكتبة التجارية الكبرى ـ الطبعة الأولى ١٣٥٢ هـ.

٥٠ ـ **جرائد**، أ ـ الأخبار. ب ـ الأهرام. جـ ـ الجمهورية. د ـ المساء.

٥١ ـ **الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم**، دكتور: لبيب السعيد، نشر: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٦٧ م.

٥٢ ـ **جمع القرآن**، للشيخ: محمد فريد العبادي (وهي رسالة دكتوراه ـ مخطوطة بمكتبة كلية أصول الدين ١٩٤٥ م).

٥٣ ـ **جوامع السيرة لابن حزم**، ت ٤٥٦ هـ، تحقيق: د. إحسان عباس، د. ناصر الدين الأسد. نشر: دار المعارف بمصر.

٥٤ ـ **الجوهر الفريد في رسم القرآن المجيد**، للشيخ: سيد بركات الهوريني (مخطوط ـ بمكتبة الأزهر ـ ٢٢٢٨٨ قراءات).

«ح»

٥٥ ـ **الحروف اللاتينية لكتابة العربية**، لعبد العزيز فهمي، طبع: مطبعة مصر ـ القاهرة ١٩٤٤ م.

٥٦ ـ **حياة اللغة العربية**، لحفني ناصف، طبع: مطبعة الجريدة ـ بسراي البارودي بغيط العدة ١٩١٠ م.

٥٧ ـ **الحيوان**، لأبي عمرو الجاحظ ت ٢٥٥ هـ. تحقيق: عبد السلام هارون، طبع: مصطفى الحلبي ١٩٣٨ م.

«خ»

٥٨ ـ **خلاصة النصوص الجلية**، للشيخ: الحداد، طبع: مصطفى الحلبي.

«د»

٥٩ ـ **دليل الحيران**، للشيخ: السيد إبراهيم المارغيني.

٦٠ ـ **الدين والحضارة الإنسانية**، دكتور: محمد البهى، كتاب الهلال ـ العدد رقم ١٥٧ في إبريل ١٩٦٤ م.

«ر»

٦١ ـ **الرحيق المختوم في نثر اللؤلؤ المنظوم في ذكر جملة من الرسوم**، للشيخ: حسن بن خلف الحسيني، طبع: مطبعة المعاهد بالجمالية ـ الطبعة الأولى ١٣٤٢ هـ.

٦٢ ـ **رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات**، دكتور: عبد الفتاح شلبي، نشر: مكتبة نهضة مصر بالفجالة ١٩٦٠ م.

٦٣ ـ **رسم المصحف: المشكلة وحلها**، دكتور: لبيب السعيد، مطبعة: الأزهر (هدية من مجلة الأزهر ـ عدد ذي القعدة ١٣٩٠ هـ).

«ز»

٦٤ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لابن القيم ت ٧٥١ هـ. طبع الحلبي ـ الطبعة الثانية.

«س»

٦٥ ـ **السبيل إلى ضبط كلمات التنزيل**، للشيخ: أحمد محمد أبو زيتحار، طبع: محمد على صبيح ـ الطبعة الثانية ١٩٧٠ م.

٦٦ ـ **سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين**، للشيخ: محمد علي الضباع. مطبعة: المشهد الحسيني ـ الطبعة الأولى ١٣٥٧ هـ.

٦٧ ـ **سنن الترمذي**، لأبي عيسى الترمذي ت ٢٩٧ هـ. تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، نشر: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

٦٨ ـ **سنن الدارمي**، لأبي محمد عبد الله الدارمي ت ٢٥٥ هـ. تخريج: السيد عبد الله هاشم يماني ـ المدينة المنورة سنة ١٩٦٦ م.

٦٩ ـ **سنن أبي داود**، لسليمان بن الأشعث ت ٢٧٥ هـ. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية الكبرى.

٧٠ ـ **سنن ابن ماجه**، لمحمد بن يزيد ت ٢٧٣ هـ. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبع: عيسى البابي الحلبي ١٩٥٢ م.

٧١ ـ **سيرة ابن هشام**، محمد بن عبد الملك، مراجعة: محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية ـ القاهرة ١٩٣٧ م.

«ش»

٧٢ ـ **شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد في الرسم**، لعلاء الدين بن الفاصح ت ٨٠١ هـ، مصطفى الحلبي ـ الطبعة الأولى ١٩٤٩ م.

٧٣ ـ **شرح الزرقاني على المواهب اللدنية**، لأبي عبد الله الزرقاني ت ١١٢٢ هـ. المطبعة الأزهرية ـ الطبعة الأولى ١٣٢٦ هـ.

٧٤ ـ **شرح الشفاء**، لعلي القاري (انظر: نسيم الرياض).

٧٥ ـ **شرح طيبة النشر**، لشمس الدين النويري ت ٨٧٣ هـ. (مخطوط ـ بمكتبة الأزهر «١٥٦» ١٦١٩٤ قراءات، وبمكتبتي الخاصة).

٧٦ ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، للقاضي عياض ت ٥٤٤ هـ. دار الكتب العربية الكبرى ـ القاهرة ١٣٢٩ هـ.

«ص»

٧٧ ـ **الصاحبي في فقه اللغة**، لأحمد بن فارس ت ٣٩٥ هـ، المكتبة السلفية ١٩١٠ م.

٧٨ ـ **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، لشهاب الدين القلقشندي ت ٨٢١ هـ دار الكتب المصرية ١٩٢٠ م.

«ط»

٧٩ ـ **طبقات القراء**، لابن الجزري ت ٨٣٣ هـ، نشر: برجستراسر، ومكتبة الخانجي بمصر سنة ١٩٣٢ م.

٨٠ ـ **الطبقات الكبرى**، لابن سعد ت ٢٣٠ هـ، طبع: ليدن ١٣٢٢ هـ.

«ع»

٨١ ـ **عبد الرحمن بن خلدون**، دكتور علي عبد الواحد وافي، العدد «الرابع» من سلسلة: «أعلام العرب».

٨٢ ـ **العرب قبل الإسلام**، جرجي زيدان، مراجعة: دكتور حسين مؤنس طبع: مؤسسة دار الهلال.

٨٣ ـ **العلل ومعرفة الرجال**، أحمد بن حنبل ت ٢٤١ هـ، طبع: أنقرة ١٩٦٣ م.

٨٤ ـ **علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة**، دكتور: محمود فهمي حجازي المكتبة الثقافية عدد ٢٤٩ .

٨٥ ـ **عنوان البيان في علوم التبيان**، محمد حسنين مخلوف العدوى مطبعة المعاهد بالجمالية ـ الطبعة الأولى ١٣٤٤ هـ.

٨٦ ـ **عيون الأثر في فنون المغازي والسير** لابن سيد الناس، نشر: حسام الدين القدسي ١٣٥٦ هـ.

«ف»

٨٧ ـ **الفائق**، لأبي القاسم الزمخشري ت ٥٢٨ هـ طبع: عيسى الحلبي ـ الطبعة الأولى ١٩٤٧ م.

٨٨ ـ **فتح الباري**، لابن حجر العسقلاني المطبعة البهية المصرية ١٣٤٨ هـ.
٨٩ ـ **فتح الرحمن وراحة الكسلان في رسم القرآن**، للشيخ: محمد أبو زيد طبع: القاهرة ١٣١٥ هـ.
٩٠ ـ **فتح المنان المروي بمورد الظمآن**، للإمام ابن عاشر ت ١٠٤٠ هـ. (مخطوط ـ مكتبة الأزهر «٢٦» ٢١٩٢ قراءات).
٩١ ـ **الفتنة الكبرى ـ عثمان** ـ لطه حسين، مطبعة المعارف ـ القاهرة ١٩٥١ م.
٩٢ ـ **فتوح البلدان**، للبلاذري ٢٧٩ هـ، تحقيق: عبد الله، وعمر الطباع ١٩٥٨ م.
٩٣ ـ **الفتوى المحمدية على الأسئلة الهندية**، محمد قنديل الرحماني طبع القاهرة ـ ١٣٤٤ هـ.
٩٤ ـ **فجر الإسلام**، أحمد أمين. لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٩ م.
٩٥ ـ **فصل الخطاب في سلامة القرآن الكريم**، دكتور: أحمد السيد الكومي، دكتور: محمد يوسف القاسم، مطبعة المدني بالعباسية ١٩٧٢ م.
٩٦ ـ **الفصل في ا لملل والأهواء والنحل**، لابن حزم ت ٤٥٦ هـ، مطبعة مصر ١٣١٧ هـ.
٩٧ ـ **الفهرست**، ابن النديم ت ٣٨٥ هـ، ط. المكتبة التجارية.
٩٨ ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، لشمس الدين المناوي، طبع مصطفى محمد ـ القاهرة ١٩٣٨ م.

«ق»

٩٩ ـ **القراءات في نظر المستشرقين والملحدين**، الشيخ عبد الفتاح القاضي. من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٧٢ م.
١٠٠ ـ **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث**، دكتور: عبد الصبور شاهين، دار القلم ١٩٦٦ م.

١٠١ ـ **قرارات وتوصيات مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة.**

١٠٢ ـ **قصة الكتابة العربية**، دكتور: إبراهيم جمعة، من سلسلة «اقرأ» العدد ٥٣.

«ك»

١٠٣ ـ **الكافي في القراءات السبعة**، لابن شريح ٤٧٦ هـ (بهامش المكرر) (انظر: المكرر).

١٠٤ ـ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لحاجي خليفة ت ١٠٦٧ هـ، الطبعة الأولى ١٣١٠ هـ.

١٠٥ ـ **الكواكب الدرية**، محمد بن خلف الحسيني، طبع: مصطفى الحلبي ١٣٤٤ هـ.

«ل»

١٠٦ ـ **اللآلىء الحسان**، دكتور موسى شاهين لاشين.

١٠٧ ـ **لسان العرب**، لابن منظور ت ٧١١ هـ، طبع: دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٥٦ م.

١٠٨ ـ **لطائف البيان في رسم القرآن**، للشيخ: أحمد محمد أبو زيتحار. طبع محمد صبيح ـ الطبعة الثانية ١٩٦٩ م.

١٠٩ ـ **اللغة العربية عبر القرون**، دكتور محمود فهمي حجازي المكتبة الثقافية العدد ١٩٧.

١١٠ ـ **لهجات العرب**، للعلامة أحمد تيمور المكتبة الثقافية العدد ٢٩٠.

«م»

١١١ ـ **المبسوط**، لشمس الدين السرخسي طبع مصر ١٣٢٤ هـ.

١١٢ ـ **مجلات**، أ ـ آخر ساعة. ب ـ الأزهر. جـ ـ الرسالة. د ـ صحيفة

الميثاق المغربية. هـ ـ المقتطف. و ـ منبر الإسلام. ر ـ الهلال. ح ـ الوعي الإسلامي.

١١٣ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لنور الدين الهيثمي ت ٨٠٧ هـ، تحرير العراقي، وابن حجر. مكتبة القدسي ١٣٥٣ هـ.

١١٤ ـ **المحكم في نقط المصاحف**، لأبي عمرو الداني ت ٤٤٤ هـ. تحقيق: دكتور عزه حسن طبع: دمشق ١٩٦٠ م.

١١٥ ـ **المدخل**، أو مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة، لابن الحاج المغربي الفاسي ت ٧٣٧ هـ. مصطفى الحلبي ١٩٦٠ م.

١١٦ ـ **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، دكتور: محمد محمد أبو شهبة، القاهرة الحديثة للطباعة ـ الطبعة الثانية ١٩٧٣ م.

١١٧ ـ **مذاهب التفسير الإسلامي**، جولد تسهير. ترجمة: عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي ١٩٥٥ م.

١١٨ ـ **المستدرك على الصحيحين**، لحاكم النيسابوري ت ٤٠٥ هـ. طبع: مجلس دائرة المعارف النظامية ـ الهند ـ ١٣٣٤ هـ.

١١٩ ـ **مسند ابن حنبل**، أحمد بن حنبل، طبع: المكتب الإسلامي ـ بيروت.

١٢٠ ـ **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**، دكتور: ناصر الدين الأسد. الطبعة الثانية ١٩٦٢ م.

١٢١ ـ **المصاحف**، لابن أبي داود ت ٣١٦ هـ، تحقيق: دكتور أرثر جفري، المطبعة الرحمانية بمصر ـ الطبعة الأولى ١٩٣٦ م.

١٢٢ ـ **المصحف الشريف**، بالخط العثماني، نشر: شركة الشمرلي ١٩٦٨ م.

١٢٣ ـ **المصحف الشريف**، بالخط المغربي إصدار الشركة التونسية للتوزيع ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩ م.

١٢٤ ـ **المصحف الميسر**، للشيخ: عبد الجليل عيسى، نشر: دار القلم.

١٢٥ ـ **المصحف الشريف**، للشيخ عبد الفتاح القاضي إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١١/ ٧/ ١٩٦٨ م.

١٢٦ ـ **معاني القرآن**، لأبي زكريا الفراء ت ٢٠٧ هـ. تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار. طبع: دار الكتب المصرية ١٩٥٥ م.

١٢٧ ـ **المعجم المفهرس**، وضع: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٢٨ ـ **مفتاح السعادة**، طاش كبرى زاده، تحقيق: كامل بكري، وعبد الوهاب أبو النور دار الكتب الحديثة ١٩٦٨ م.

١٢٩ ـ **مفتاح كنوز السنة**، فنسنك، ترجمة: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى ١٩٣٤ م.

١٣٠ ـ **المقاصد الحسنة**، للإمام السخاوي ت ٩٠٢ هـ. تحقيق: عبد الله الصديق الغماري، نشر: مكتبة الخانجي بمصر ١٩٥٦ م.

١٣١ ـ **مقدمتان في علوم القرآن**، تحقيق: أرثر جفري، نشر: مكتبة الخانجي ١٩٥٤ م.

١٣٢ ـ **مقدمة ابن خلدون**، عبد الرحمن بن خلدون ت ٨٠٨ هـ، المطبعة البهية المصرية.

١٣٣ ـ **مقدمة كتاب «لهجات العرب»**، دكتور: إبراهيم مدكور، (انظر: لهجات العرب).

١٣٤ ـ **مقدمة كتاب «المحكم»**، دكتور: عزة حسن، (انظر: المحكم).

١٣٥ ـ **مقدمة كتاب «المصاحف»**، دكتور: أرثر جفري (انظر: المصاحف).

١٣٦ ـ **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، لأبي عمرو الداني ت ٤٤٤ هـ. طبع: استانبول ١٩٣٢ م.

١٣٧ ـ **المكرر: فيما تواتر من القراءات السبع**، لسراج الدين أبي حفص الأنصاري، مطبعة: دار الكتب العربية الكبرى بمصر ١٣٢٦ هـ.

١٣٨ ـ **مناهل العرفان**، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، طبع: عيسى الحلبي ـ الطبعة الثانية.

١٣٩ ـ **منجد المقرئين**، لابن الجزري ت ٨٣٣ هـ. نشر: حسام الدين القدسي ١٣٥٠ هـ.

١٤٠ ـ **منهج الفرقان**، للشيخ: محمد علي سلامة، طبع: مطبعة الأزهر ١٩٤٨هـ.

١٤١ ـ **المواهب الفتحية في علوم العربية**، حمزة فتح الله، طبع: مطبعة بولاق ـ القاهرة ١٣١٢ هـ.

١٤٢ ـ **مورد الظمآن في رسم القرآن**، للخراز، مطبعة الاستقامة ـ الطبعة الأولى، ١٣٦٥ هـ.

١٤٣ ـ **نتيجة الإملاء وقواعد الترقيم**، مصطفى عناني، نشر: محمود توفيق ـ الطبعة الخامسة ١٩٣٧ م.

١٤٤ ـ **نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض**، للشهاب الخفاجي، الطبعة الأولى ١٣٢٥ هـ.

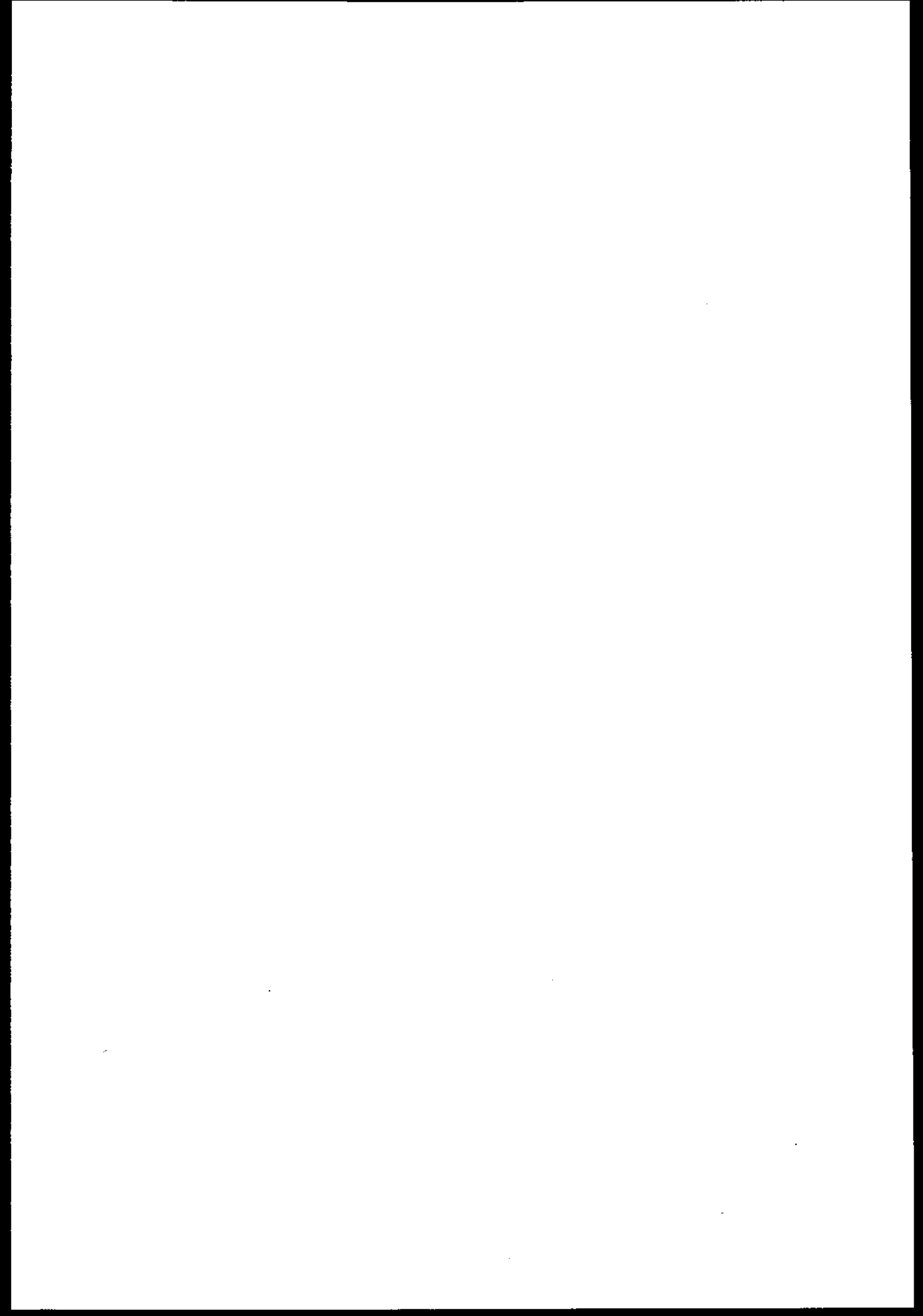
١٤٥ ـ **النشر في القراءات العشر**، لابن الجزري ت ٨٣٣ هـ، تحقيق: علي محمد الضباع، طبع: مصطفى محمد بمصر.

١٤٦ ـ **النقط**، لأبي عمرو الداني ت ٤٤٤ هـ، (بذيل كتاب المقنع) (انظر: المقنع).

١٤٧ ـ **نهاية الأرب في فنون الأدب**، للنويري ت ٧٣٣ هـ. طبع: دار الكتب المصرية ١٩٣٣ م.

١٤٨ ـ **الوزراء والكتاب**، للجهشياري ت ٣٣١ هـ، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي. (الطبعة الأولى ١٩٣٨ م).

* * *



فهرس الموضوعات

تقديم

٩ ـ ٢٧

مدخل

حال الكتابة العربية قبل الإسلام وإبّان ظهوره

٢٩ ـ ٧٧

تمهيد

المبحث الأول

أصل الخط العربي

٣١ ـ ٤١

المبحث الثاني

شيوع الكتابة قبل الإسلام، وإبّان ظهوره

٤٢ ـ ٥٦

المبحث الثالث

دخول الكتابة إلى مكة والمدينة

٥٧ ـ ٦١

المبحث الرابع

موقف الإسلام من الكتابة

٦٢ ـ ٧٠

المبحث الخامس

مناقشة ختامية حول مفهوم «أميّة العرب»

٧١ ـ ٧٧

المبحث الثاني

لماذا كتب القرآن؟

٩١ ـ ٩٥

المبحث الثالث

طريقة كتابة القرآن الكريم

٩٦ ـ ١٢١

المبحث الثالث

القراء وموقفهم من رسم المصحف

١٤٩ ـ ١٥٩

الفصل الثالث

سمات رسم المصحف

١٦١ ـ ٢٣٧

المبحث الأول

أنواع الخط في الكتابة العربية

١٦٣ ـ ١٦٧

المبحث الثاني

مؤلفات في رسم المصحف

١٦٨ ـ ١٧٥

الفصل الرابع
طباعة المصحف ورسومه الحالية

الباب الثاني
نقط المصحف

الفصل الأول
النقط والشكل قديماً

المبحث الأول
ماهية النقط والشكل

المبحث الثالث

سمات وخصائص رسم المصحف

١٧٦ ـ ٢٣٧

المبحث الثاني

حكم مخالفة رسم المصحف

٣٨٩ ـ ٣٩٤

المبحث الثالث

فوائد اتباع رسم المصحف

٣٩٥ ـ ٤٠٤

الفصل الثالث

مزايا رسم المصحف

٤٠٥ ـ ٤٣٣

الزعم الثاني

كتابة مصحفين

الزعم الثالث

اقتراح عبد العزيز فهمي

الخاتمة

الفهارس

